



# الصحیح

من سيرة النبی الاعظم صلی اللہ علیہ وسلم

دوامة ميخيل

جنرل عرفان العاصمي

المركز الإسلامي والبيروت





Princeton University Library



32101 066594423

---

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

---

*This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.*

---

--	--



J. M. Āmīlī

جعفر مرتضى العاملی

# الصحيح

من سيرة النبي الاعظم  
صلی الله علیه  
وآله وسلم

الجزء الثالث

دراسة وتحليل

١٤٠٣ هـ. ق

~~LA 75~~

BP 75

.2 (RECAP)

A44

juz' 3-4

الكتاب : ماهو الصحيح في سيرة النبي الاعظم (ص)  
المؤلف : جعفر مرتضى الحسيني العاملي  
حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف  
قم المقدسة ١٣٠٠ هـ - ق

## بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الأولين والآخرين، إلى قيام يوم الدين...

وبعد:

فهذا هو الجزء الثالث من كتاب: «ما هو الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم»، أقدمه إلى القراء الأعزاء على أمل أن يجدوا فيه بغيتهم، وينال رضاهم... مع رجائي الاكيد أن يتحفوني بآرائهم، وملاحظاتهم النافعة...

مع جزيل شكري... وعميق تقديري

جعفر مرتضى العاملي





## الباب الخامس

من الهجرة إلى بدر

النبي (ص) في المدينة	الفصل الأول:
اعمال تأسيسية في مطلع الهجرة	الفصل الثاني:
قضايا وأحداث غير عسكرية	الفصل الثالث:
الجهاد في الاسلام	الفصل الرابع:
سرايا وغزوات قبل بدر	الفصل الخامس:



# الفصل الأول:

النبي (ص) في المدينة



### ورود النبي (ص) المدينة:

وبعد خمسة عشر يوماً (١) من اقامته صلى الله عليه وآله وسلم في قباء تحرك الى داخل المدينة. وقد اختلف المؤرخون في تاريخ خروجه (ص) من مكة ودخوله المدينة اختلافاً كثيراً، مع اتفاقهم على أنه قد دخل المدينة في اوائل ربيع الأول...

وتقول رواية: إنه (ص) وصل قبل بزوغ الشمس وكان هو وابوبكر يلبسان ثياباً بيضاً متشابهة، فكان يشتهب الأمر على الناس، فيسلمون على أبي بكر، يظنونهم النبي (ص)، حتى بزغت الشمس، وأصابت النبي (ص)، فظلل عليه أبوبكر، فعرفه الناس حينئذٍ...

ولكن هذه الرواية غير صحيحة قطعاً؛ فان النبي (ص) قد وصل إلى المدينة في حر الظهيرة، كما نص عليه المؤرخون (٢)...

ولو قيل: لعل المراد: أنه وصلها في طريقه من مكة، حيث عدل إلى قباء، حين الظهيرة...

(١) — البحار ج ١٩ ص ١٠٦ عن اعلام الورى، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥ عن البخاري، وعن مسلم انه اقام ١٤ يوماً، وقيل غير ذلك.

(٢) — راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٦/٣٣٧. وغير ذلك.

فان الجواب هو: ماتقدم من أن أهل المدينة كانوا ياتون كل يوم أفواجاً إلى قباء فيسلمون عليه (ص)...

ومع غض النظر عما تقدم؛ فان شخصية النبي (ص) كانت تدل عليه، وكانت تختلف كثيراً عن شخصية أبي بكر، وقد وصفته أم معبد لزوجها حتى عرفه. وتقدمت صفة أبي بكر على لسان ابنته عائشة... وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك... أضف إلى ذلك كله... أنه قد تقدم: أنه قد ورد أنه صلى الله عليه وآله قد صلى الجمعة وهو في طريقه إلى المدينة، وهذا معناه: أنه قدمها بعد الظهر بقليل، فان المسافة بين قباء والمدينة— ليست كبيرة كما هو معلوم.

### منزل النبي (ص) في المدينة:

وفي يوم الجمعة ركب صلى الله عليه وآله راحلته، وتوجه إلى المدينة، وعلي عليه السلام معه لا يفارقه، يمشي بمشيته. ولا يمر بطن من بطون الانصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم، فيقول: خلوا سبيل الناقة؛ فانها مأمورة...

فانطلقت به، ورسول الله صلى الله عليه وآله واضع لها زمامها، حتى انتهت إلى موضع مسجد النبي صلى الله عليه وآله، فوقفت هناك، وبركت، ووضعت جرائها على الارض. وذلك بالقرب من باب أبي أيوب الانصاري، أفقر رجل بالمدينة (١).

فأدخل أبو أيوب— أو أمه— الرجل إلى منزله، ونزل صلى الله عليه وآله وسلم عنده، وعلي عليه السلام معه، حتى بنى مسجده ومنازله (٢)... فقيل: مكث عند أبي أيوب سنة تقريباً، وقيل سبعة أشهر، وقيل، شهراً

(١) — البحار ج ١٩ ص ١٢١، وراجع مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٥.

(٢) — روضة الكافي ص ٣٣٩/٣٤٠ والبحار ج ١٩ ص ١١٦ عنه.

النبي (ص) في المدينة ..... ١١  
واحداً (١)... ونحن نستقرب هذا الأخير؛ إذ يبعد أن يستمر العمل هذه المدة الطويلة، والأنصار والمهاجرون يعملون في البناء بجهد واجتهاد، وهو (ص) يعمل معهم...

أما سائر المهاجرين؛ فقد تنافس فيهم الأنصار، حتى افترقوا عليهم بالسهمان (٢)...

### ابن سلام والاسلام:

ويقولون: إن عبد الله بن سلام اليهودي لما سمع الضجة، حين قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة، أسرع إليه؛ فلما رآه وسمع كلامه عرف أن وجهه ليس بوجه كذاب (٣).

ويقولون أيضاً: إنه سأله حينئذٍ ثلاث مسائل لا يعلمها إلا نبي، فأجابها عنها، فأسلم. ثم طلب من النبي (ص) أن يسأل اليهود عنه قبل أن يعلموا باسلامه، فسألهم عنه؛ فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وفضلنا وابن أفضلنا؛ فلما علموا باسلامه، قالوا: شرنا وابن شرنا (٤).

ويقولون أيضاً: إن عبد الله بن سلام هذا هو الذي أنزل الله تعالى فيه: «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله، فأمن واستكبرتم (٥)».

(١) - البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٧٨، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٤.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٤.

(٣) - الاصابة ج ٢ ص ٣٢٠ عن أحمد واصحاب السنن والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٣٨٢ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣ وتلخيصه للذهبي نفس الصفحة.

(٤) - البخاري هامش الفتح ج ٧ ص ٢١٢/٢١٣ برواية ابن سلام نفسه، والاصابة ج ٢ ص ٣٢١، والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٣٨٢.

(٥) - اسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٣ ص ١٧٦ صحيح البخاري هامش الفتح ج ٧ ص ٩٧ والاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٣٨٣ عن بعض المفسرين، والدر المنثور ج ٤ ص ٦٩ عن: ابي يعلى، وابن جرير، والحاكم، ومسلم، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والترمذي، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن عساكر.

ونزل فيه أيضاً: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب(١)».

إلى غير ذلك مما لا مجال له...

ونحن نسجل هنا: النقاط التالية:

أولاً: إنه عدا عن التناقض الظاهر في روايات اسلام ابن سلام، كما لا يخفى على من راجعها، فإننا نجد البعض يقول: إنه قد «تأخر اسلامه إلى سنة ثمان، قال قيس بن الربيع، عن عاصم، عن الشعبي، قال: اسلم عبدالله بن سلام قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بعامين(٢)»...

وقد ضعف العسقلاني هذه الرواية سنداً بقيس بن الربيع، وغلطها(٣)... ولكننا نقدّر: أن مستنده في ذلك هو الروايات المتقدمة الدالة على أنه أسلم أول الهجرة...

ونحن لانستطيع قبول ذلك منه؛ لأن الشعبي أقرب عهداً من العسقلاني. وقد عيّنا لسنة اسلامه، بشكل يدل على أنه لا يرسل الكلام على عواهنه...

وأيضاً... فإنه إذا كانت لابن سلام كل تلك العظمة، فلماذا لم نسمع عنه في تلك السنين الطويلة منذ الهجرة، وإلى سنة ثمان أي قول أورأي، أو موقف!! مع أن التاريخ قد ذكر لنا كثيراً من مواقف صغار الصحابة، والذين لم يروا النبي إلا في طفولتهم، فكيف سكت عن هذا الرجل الخطير!!... برأيهم!.

كما أن تضعيف العسقلاني لقيس بن الربيع في غير محله... فإنه هو

(١) - الاصابة ج ٢ ص ٣٢١، والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٣٨٣، والدر المنثور ج ٤ ص ٦٩، عن: ابن مردويه، وابن جرير، وابن أبي شيبة، وابن سعد، وابن المنذر.

(٢) - الاصابة ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) - الاصابة ج ٢ ص ٣٢٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٩٧.



نفسه قد نقل توثيقه من قبل: عفان بن قيس، والثوري، وشعبة، وأبي الوليد، وابن عدي. وأثنى عليه يعقوب وعثمان ابنا أبي شيبة، وأبو حاتم، وشريك، وابن حبان، والعجلي، وأبو حصين، ويحيى بن سعيد، ومعاذ بن معاذ، وابن عيينة، وأبو نعيم وغيرهم (١).

ولكن سرّ الطعن عليه من العسقلاني، أو من غيره هو ما أشار إليه أحمد حيث قال: «كان يتشيع ويخطئ في الحديث (٢)».

نعم... هذا هو سرّ طعنهم في حديثه، رغم أنهم يذكرون: أن عامة رواياته مستقيمة (٣) والذي يذكر هذا الطعن عليه هو أحمد بن حنبل، وليس ذلك غريباً عنه، فإنه قد عاش في زمن المتوكل الناصبي، الذي فعل بابن السكيت مافعل، لأنه لم يرض بتفضيل ولديه على الحسين عليهما السلام. وهو الذي أمر الجارية بأن تعتني نكايه بولده المنتصر، الذي لم يرض تنقصه لأmir المؤمنين علي عليه السلام.

غار الفتى لابن عمه      رأس الفتى في حرأمه

وهو الذي يضرب رجلاً ألف سوط؛ لأنه روى رواية واحدة في فضل علي عليه السلام...

وقد كان لأحمد بن حنبل عند المتوكل هذا منزلة عظيمة، حتى إنه لم يكن يعزل أو يولى أحداً إلا بعد استشارته...

فماذا استحق أحمد عنده هذه المنزلة العظمى ياترى؟!... وليراجع في هذا المقام كتاب: «بحوث مع أهل السنة والسلفية» للاطلاع على شطر مما يوضح نصب الحنابلة وأهل الحديث...

وثانياً: وأما بالنسبة لآية: وشهد شاهد من بني اسرائيل إلخ... فإننا

(١) - تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٢-٣٩٥.

(٢) - تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٩٤.

(٣) - تهذيب التهذيب، ترجمة قيس ج ٨

نشير الى مايلي:

**الف:** قال عكرمة: «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله: ليس بعبدالله بن سلام، هذه الآية مكية. فيقول: من آمن من بني اسرائيل، فهو كمن آمن بالنبي (ص).» وأقسم مسروق على مثل ما جاء عن عكرمة... وكذلك قال الشعبي أيضاً... وأنكر ذلك أيضاً أبو عمر استناداً إلى نفس حجة عكرمة (١)...

وجعل هذه الآية مدنية استناداً إلى رواية ابن سلام ليس له ما يبرره بعد انكار هؤلاء الذين هم أقرب إلى زمن النبي (ص) لذلك، وبعد تصريح الشعبي الآتي وغيره.

**باء:** لقد روي: أن هذه الآية قد نزلت في ميمون بن بنيامين، في قصة شبيهة بالقصة المنقولة عن ابن سلام تقريباً (٢). وروي عن الزهري، ومجاهد وابن عمر، وسعيد بن جبير، وعمر، وقتادة خلاف ذلك أيضاً؛ فراجع (٣).

**جيم:** لقد ورد عن الشعبي، أنه قال: ما نزل في عبدالله شيئاً من القرآن (٤).

**دال:** ان ظاهر الآية هو أنها خطاب للمشركين الذين استكبروا، مع كون بعض بني اسرائيل قد آمن... ولا يناسب أن تكون خطاباً لليهود؛ لأنهم هم أيضاً من بني اسرائيل، وهذا يؤيد ما تقدم عن عكرمة والشعبي، ومسروق، وغيرهم...

(١) - الاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٣٨٣، وفتح الباري ج ٧ ص ٩٨، والدر المنثور ج ٦

ص ٣٩ عن ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن المنذر.

(٢) - راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠ عن عبد بن حميد، وفتح الباري ج ٧ ص ٩٨.

(٣) - الدر المنثور ج ٤ ص ٦٩، وراجع: مشكل الآثار ج ١ ص ١٣٧.

(٤) - مشكل الآثار ج ١ ص ١٣٧، وفيه أن سعيد بن جبير قد وافق الشعبي في نفي نزول الآية

في ابن سلام، والدر المنثور ج ٤ ص ٦٩ وج ٦ ص ٤٠/٣٩ عن ابن المنذر، ودلائل الصدق ج ٢

ص ١٣٥ عنه، والميزان ج ١١ ص ٣٨٩.

هاء: لقد صرح الطحاوي بأن النبي (ص) لم يصرح بنزولها في ابن سلام، وإنما مالك هو الذي استنبط ذلك (١).

وثالثاً: وأما قوله تعالى: «ومن عنده علم الكتاب»، فنشير إلى:

١- أنه قد روي عن الزهري، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وابن عمر، وقتادة، وعمر... ما يخالف هذا القول، الذي لم يرد إلا عن جندب، وابن عباس، ومجاهد في إحدى الروايتين عنهما...

٢- قد تقدم عن الشعبي: أنه لم ينزل في ابن سلام شيئاً من القرآن.

٣- قد أنكر ذلك أيضاً كل من عكرمة، والحسن، والشعبي، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن جبيرة؛ استناداً إلى أن السورة مكية، واسلام ابن سلام كان بعد (٢)...

٤- أنهم يقولون: إن عمر بن الخطاب قد اسلم بعد نزول هذه الآية؛ لأنه سمع النبي (ص) يقرأها مع آيات أخر في صلاته، فانتظر عمر حتى سلم، فأسرع في أثره واسلم (٣).

٥- إننا نجد روايات متواترة تنص على أن المقصود بـ «من عنده علم الكتاب» هو أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأنه هو العالم بالتفسير والتأويل، والناسخ والمنسوخ، والحلال والحرام... وهذه الروايات مروية عن:

أبي سعيد الخدري، وابن عباس، ومحمد بن الحنفية، ومحمد الباقر، والسدي، وزيد بن علي، وموسى بن جعفر، وأبي صالح (٤).

(١) - مشكل الآثار ج ١ ص ١٣٩.

(٢) - مشكل الآثار ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨ والاستيعاب هامش الإصابة ج ٢ ص ٣٨٣، والدر المنثور ج ٤ ص ٦٩ عن النحاس في ناسخه، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ودلائل الصدق ج ٢ ص ١٣٥ عن الدر المنثور.

(٣) - الدر المنثور ج ٤ ص ٦٩ عن عبدالرزاق، وابن المنذر، عن الزهري.

(٤) - راجع: شواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣٠٨ و ٣١٠ و ٣٠٧، ومناقب ابن المغازلي

ومن الطريف هنا ماجاء عن أبي صالح، في قوله عز وجل: ومن عنده علم الكتاب، قال: رجل من قريش، هو علي، ولكن لانسميه (١).

لماذا لاتسميه يا أبا صالح؟ ولماذا تكتم الحق، وانت تعلم؟. أليس ذلك خوفاً من الرمي بالتشيع، المساوي للرمي بالزندقة: ثم البلاء والشقاء من اعداء علي وأهل بيته، الذين كانوا هم أصحاب الملك والسلطان؟! .  
ومتى تولى آل أحمد مسلم قتلوه أو وصموه بالاحاد (٢).

### ملاحظة أخيرة هنا:

هذا... ومما يلفت النظر هنا: أننا نجد هذا الذي تنسب إليه فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ويدعى زوراً: أنه هو المعني بها نجده على الدوام من أعوان خصوم علي عليه السلام، ومن الممالئين لاعدائه، ولم يبايع له حينما بويع بالخلافة...

ولعل هذا هو السر في الاهتمام بشانه، واطهاره على أنه شخصية لها شأن ومقام، وقدم، بل وفضل، في اثبات صدق النبي، وصحة ماجاء به...

ويذكر أبو رية: أن ابن سلام هذا كان يدخل من اسرئيلياته في الاسلام . هذا... ولا يجب أن نخفي: أن بعض الخلفاء، ولاسيما عثمان كانوا يستشيرونه في أمور هامة؛ فيشير عليهم بما يراه... بل كان هو وكعب الاحبار، وغيرهما من زعماء اليهود والنصارى، الذين أظهروا الاسلام... مصدراً للكثير من المواقف الخطيرة في الدولة الاسلامية، وكانا بمثابة مستشارين للهيئة الحاكمة في كثير من الشؤون... وبعد هذا فاننا نسأل الله أن يوقفنا لنشر كتاب يرتبط بأثر أهل الكتاب في السياسة والعقائد، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك...

الحديث رقم ٣٦١ والخصائص ص ٢٦، وغاية المرام ص ٣٥٧/ و ١٠٤/٣٦٠ عن تفسير الثعلبي، والحبري مخطوط، وعمدة ابن بطريق ص ٦١ ودلائل الصدق ج ٢ ص ١٣٥ عن يبايع المودة ونقل عن أبي نعيم.

(١) - شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٠.

(٢) - راجع كتاب: حياة الامام الرضا السياسية للمؤلف، فصل سياسة العباسيين ضد العلويين، ورسالة الخوارزمي لأهل نيشابور في مجموعة رسائل الخوارزمي.

## الفصل الثاني:

اعمال تأسيسية في مطلع الهجرة...



## بداية

وفور وصوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة باشر بالقيام بأعمال تأسيسية، ترتبط بمستقبل الدعوة الإسلامية... وهذه الاعمال كثيرة، ومتنوعة، ولكننا نكتفي بالإشارة إلى مايلي:

- ١- صلاة الجمعة...
  - ٢- تأسيس مسجد قباء. وقد تحدثنا عنها فيما سبق
  - ٣- بناء المسجد في المدينة...
  - ٤- وضع التاريخ الهجري.
  - ٥- المواخاة...
  - ٦- تحديد نوع ومستقبل العلاقات بين المسلمين... وبينهم وبين غيرهم...
  - ٧- موادة اليهود الذين يعيشون في المنطقة.
- وثمة أمور أخرى تصب في هذا الاتجاه. ولربما نشير إليها في ثنايا حديثنا عن السيرة العطرة... فأما بالنسبة للامور الخمسة الأخيرة، فإننا نقول...

## ١- بناء مسجد المدينة:

وأشترى النبي (ص) - أو وهب له - موضع المسجد، الذي يقال: إنه كان مر بدأ لبيتين من الخرج، كانا في حجر أسعد بن زرارة، أو غيره... اشتراه - على ما قيل - بعشرة دنانير...

فأسس المسجد في ذلك الموضع، ونقلوا إليه الحجارة من الحرة، وشارك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه في نقلها، الأمر الذي دفع الصحابة إلى الدؤوب في العمل، والجد فيه، حتى قال قائلهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل  
وارتجز المسلمون وهم بينونه يقولون:

لاعيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة  
أو نحو ذلك...

وجعل طوله مئة ذراع في مثلها، أقر يأمّن ذلك، وقيل جعله سبعين في ستين... ونحتمل أن يكون كلاهما صحيحاً، وأنه جعله في البناء الأول سبعين في ستين، ثم وسعه في البناء الثاني...

وابتنى الرسول (ص) مساكنه ومساكن أصحابه حول المسجد، وكلُّ قد شرع له إلى المسجد باباً. وقد سدت الابواب كلها فيما بعد سوى باب أمير المؤمنين عليه السلام، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى...

وقبل أن نمضي في الحديث، لابد من الالتفات إلى بعض ما يقال هنا... وهو:

## ألف: أبو بكر والعشرة دنانير:

إنهم يقولون: إن أبا بكر هو الذي دفع العشرة دنانير ثمن المربد (١)...

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٥.



أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة ..... ٢١  
ونحن نشك في ذلك .

أولاً: لأن أبا بكر لم يكن له القدرة المالية على ذلك ... ولو كانت،  
فاننا نشك في اقدامه على هذا... وذلك استناداً إلى ما قدمناه في حديث  
الغار...

وثانياً: لو سلم... فاننا نجد في المقابل رواية تقول: إن أسعد بن  
زرارة قد عوض اليتيمين نخلاً له في بني بياضة، وفي أخرى: أرضا هما أبو  
أيوب، وفي الثالثة: معاذ بن عفراء (١).

واحتمل البعض: أن يكون أبو بكر قد دفع الثمن، وأعطى الباقي  
زيادة عليه برأ وصلته (٢)...

ولكن ذلك ليس بأولى من العكس... كما أنه لا ينسجم مع التعبير  
بكلمة: «عوضهما»، الظاهر في كونه ثمناً وعوضاً، لا برأ وصلته...

وثالثاً: في صحيح البخاري وغيره: أن الرسول (ص) أرسل إلى  
ملا من بني النجار، فقال: يا بني النجار، ثامنوني بجائطكم هذا. قالوا: لا  
والله، لانطلب ثمنه إلا من الله (٣).

### باء: أحجار الخلافة:

وقد روى الحاكم، عن عائشة، قالت: أول حجر حمله النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم لبناء المسجد، ثم حمل أبو بكر حجراً آخر، (ثم حمل عمر (٤))، ثم  
حمل عثمان حجراً آخر. فقلت: يا رسول الله، ألا ترى إلى هؤلاء كيف  
يساعدونك؟ فقال: يا عائشة، هؤلاء الخلفاء من بعدي... هذا حديث

(١) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢١٥، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ عن ابن حجر، والسيرة  
الحلبية ج ٢ ص ٦٥.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

(٣) - صحيح البخاري ط الميمنية ج ١ ص ٥٧ وتاريخ الطبري ط الاستقامة ج ٢ ص ١١٦،  
والكامل لابن الأثير ط صادر ج ٢ ص ١١٠، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٣.

(٤) - الزيادة من تلخيص المستدرک .

صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (١).

ولكن هذه الرواية لا يمكن أن تصح، فعدا عن تناقض واختلاف نصوصها كما لا يخفى على من راجع وقارن، فاننا نذكر:

أولاً: قال الذهبي، بعد أن ضعف سند الحديث: «لوصح هذا لكان نصاً في خلافة الثلاثة، ولا يصح بوجه؛ فان عائشة لم تكن يومئذ دخل بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي محجوبة صغيرة، فقولها هذا يدل على بطلان الحديث (٢)».

وقال ابن كثير: «هذا الحديث بهذا السياق غريب جداً (٣)».

وثانياً: وفي مقام الاشكال على حديث سفينة: في احجار الخلافة (٤) قال البخاري في تاريخه: «ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور، لأن عمرو وعثمان وعلي (كذا) قالوا: لم يستخلف النبي (ص) (٥)».

أي أن هذا الحديث يخالف عقيدة أهل السنة في كون النبي (ص) لم ينص، ولم يستخلف. وهذا يصحون خلافة أبي بكر... بل لقد قالت عائشة: «لو كان رسول الله مستخلفاً لا استخلف أبابكر وعمر» وصححه الحاكم والذهبي (٦).

وقد ذكر العلامة الاميني في كتابه القيم: «الغدیر» ج ٥ ص ٣٥٧-٣٧٥ طائفة كبيرة من كلماتهم الدالة على أن الخلافة انتخابية؛ فهذه الرواية تكون كاذبة على مذهبهم. وهي كاذبة واقعاً أيضاً، لأنه (ص) إنما نص

(١) - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٩٦ و ٩٧ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وراجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٥١، والبدایة والنهاية ج ٣ ص ٢١٨ و ج ٦ ص ٢٠٤ مصرحاً بأن ذلك كان في مسجد المدينة والسيرة الحلبیة ج ٢ ص ٥٦ و ٦٦، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٤ و ٣٤٣.

(٢) - تلخیص المستدرک للذهبي، المطبوع بهامش مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٩٧.

(٣) - البدایة والنهاية ج ٣ ص ٣١٨.

(٤) - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٣.

(٥) - السيرة الحلبیة ج ٢ ص ٦٦.

(٦) - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٧٨.

أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة ..... ٢٣  
على أمير المؤمنين علي عليه السلام خليفة بعده، والنصوص الدالة على ذلك لا تكاد تحصى، وقد استدل بذلك أمير المؤمنين وصحبه وأهل بيته، وولده، وشيعته من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم وإلى يومنا هذا، ولا يكاد يخلو كتاب من تلك النصوص المتصافرة والمتواترة جملة وآحاداً...

وثالثاً: إن هذه الرواية تذكر عثمان في جملة الواضعين للاحجار الأولى... ولكن عثمان— كما يقولون كان حينئذ في الحبشة، كما أشار إليه السمهودي— ولم يكن حاضراً في المدينة، ولأجل ذلك حذف السهيلي عثمان من الرواية (١).

ولعل هذا هو السر في حذفها من نص الحاكم، حين طبع كتابه، لأن الذهبي ذكرها في تلخيصه.

فان عثمان و إن قدم مكة حين بلغهم اسلام اهل مكة، ولكنه عاد إلى الحبشة من جديد، كما يدل عليه قولهم:

ان عثمان قد هاجر الهجرتين إلى الحبشة<sup>(٢)</sup>، وذكر العسقلاني: أنه بعد أن سمع المسلمون الذين في الحبشة بهجرته (ص) عاد منهم ثلاثون إلى مكة ومنهم ابن مسعود، الذي وصل المدينة في حين كان (ص) يتجهز إلى بدر... (٣)

### جيم: عثمان و عمار:

و يقولون: «وكان عثمان بن عفان رجلاً نظيفاً متنظفاً، وكان يحمل اللبنة، فيجا في بها عن ثوبه، فاذا وضعها نفص كمه، ونظر الى ثوبه، فان

(١) — راجع وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٢.

(٢) — راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٨، والكامل لابن الاثير ج ٣ ص ١٨٥، وفي البدء والتاريخ ج ١ ص ٢٢: أن رقية زوجة عثمان أسقطت علقه في السفينة في هجرتها الأولى إلى الحبشة.

(٣) — فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

أصابه شيء من التراب نفضه، فنظر إليه علي بن أبي طالب؛ فأنشأ يقول:

لا يستوى من يعمر المساجداً  
يدأب فيها قائماً وقاعداً  
ومن يرى عن التراب حائداً

فسمعها عمار بن ياسر، فجعل يرتجزها، وهو لا يدري من يعني بها، فربعثمان، فقال: يا ابن سمية، بمن تعرض - ومعه جر يد - فقال: لتكفن، أو لأعترضن وجهك؛ فسمعها النبي (ص)، وهو جالس في ظل بيت أم سلمة - وفي رواية: في ظل بيته - فغضب صلى الله عليه وآله، ثم قال: إن عمار بن ياسر جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من المرء فقد بلغ، ووضع يده بين عينيه.

فكف الناس عن ذلك، ثم قالوا لعمار: إن النبي (ص) قد غضب فيك، ونخاف أن ينزل فينا القرآن. فقال: أنا أرضيه كما غضب.

فقال: يا رسول الله، مالي ولاصحابك؟ قال: مالك ولهم، قال: ير يدون قتلي، يحملون لبنة لبنة، ويحملون علي اللبتين والثلاث...

فأخذ بيده، فطاف في المسجد، وجعل يمسح وفرته من التراب، ويقول: يا ابن سمية، لا يقتلك أصحابي، ولكن تقتلك الفئة الباغية (١)....».

### الم يكن عثمان في الحبشة؟!!

ولكن... أليس قد قدمنا: أن عثمان لم يكن حاضراً حين بناء المسجد، وإنما كان في الحبشة؟!!

ولعله لأجل هذا استبدل العسقلاني، والحلبي عثمان بن عفان

(١) - سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٢ تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٥، والاعلاق النفيسة، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٢ وقد ذكره في الغدير ج ٩ ص ٢٢/٢١ و ٢٧ عن مصادر كثيرة جداً، لكنه أخذ منه بعض فقراته، فلا بد من مراجعة تلك المصادر الكثيرة لمن أراد المزيد من التحقيق...

ونحن... قبل أن نجيب عن هذا الاشكال لابد من الإشارة إلى ماتقدم من أنه لا مورد له لوقلتنا: إنه (ص) بقي سنة أو سبعة أشهر عند أبي أيوب، لأنه كان مشغولاً ببناء المسجد وبيوته؛ إذ من الممكن أن يصل الخبر إلى المهاجرين في الحبشة، ويأتون إلى المدينة خلال هذه المدة، ومنهم عثمان؛ فيكون عثمان قد شارك في البناء، وجرى ماجرى، وإن لم يشارك في التأسيس، ووضع احجار الخلافة!!...

ولكننا على أي حال... قد استبعدنا بقاء المسلمين هذه المدة الطويلة في بناء مسجده (ص)، وهم يعدون بالعشرات. وقد بايعه منهم في العقبه أكثر من ثمانين من المدنيين.

**والجواب الصحيح هنا هو:** أن الظاهر هو أن قضية عثمان وعمار قد وقعت حين البناء الثاني للمسجد، وذلك بعد عام خبير، أي في السنة السابعة للهجرة (٢).

ويدل على ذلك .

**أولاً:** مارواه البيهقي في الدلائل: لما قتل عمار قال عبدالله بن عمرو بن العاص لأبيه: قد قتلنا هذا الرجل، وقد قال رسول الله فيه ما قال! قال: أي رجل؟ قال: عمار بن ياسر، أما تذكر يوم بنى رسول الله (ص) المسجد؛ فكنا نحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين، فرعى رسول الله (ص)؛ فقال: تحمل لبنتين وأنت ترحض؟ أما إنك ستقتلك الفئة الباغية، وأنت من أهل الجنة، فدخل عمرو إلى معاوية إلخ...

قال السمهودي بعد ذكر الرواية: «قلت: وهو يقتضي: أن هذا القول لعمار كان في البناء الثاني للمسجد؛ لأن اسلام عمر وكان في

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧١، وهامش السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٢ عن المواهب اللدنية.

(٢) - وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٣٨.

وروى عبدالرزاق وغيره: أن عمرو بن العاص دخل على معاوية، وأخبره: أنه سمع رسول الله (ص) يقول لعمار: تقتله الفئة الباغية (٢).

ودخل رجلان على معاوية يختصمان برأس عمار فقال لهما عبدالله بن عمرو بن العاص: لتطب نفس كل واحد منكما لصاحبه برأس عمار، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول: تقتل عمار الفئة الباغية. فقال معاوية لعمرو: الا تغني عنا مجنونك هذا؟ (٣).

ومعلوم: أنها قضية واحدة في مناسبة واحدة...

وثانياً: لقد ورد في الرواية نفسها ما يدل على أنها قد كانت في البناء الثاني؛ وذلك لأنها ذكرت: أنه (ص) كان - يستظل ببيت أم سلمة... ومعلوم أنه صلى الله وآله قد بنى المسجد أولاً، ثم بنى بيوته (٤). كما أنه كان يبنى بيوته (ص) بالتدريج عند الحاجة إليها. وأول ما بنى بيت سودة وعائشة (٥)، فلاريب في أنه صلى الله عليه وآله قد بنى بيت أم سلمة بعد بنائه المسجد بمدة طويلة...

(١) - وفاة الوفاء ج ١ ص ٣٣٢/٣٣١ ورواية عمرو وولده لقتل عمار موجودة أيضاً في تذكرة الخواص ص ٩٣ عن ابن سعد في الطبقات والفتوح لابن اعثم ج ٣ ص ١١٩ و ١٣٠ والفتوح لابن حبان ج ٢ ص ٢٩١ وانساب الاشراف بتحقيق المحمدي ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٧ وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٨٠ و ١٨١ ونقل عن مصنف ابن ابي شيبة ومسنده احمد ج ٢ ص ١٦٤ وراجع هامش ص ٣١٣ من انساب الاشراف ج ٢ بتحقيق المحمدي ومناقب الخوارزمي ص ١٦٠.

(٢) - المصنف ج ١١ ص ٢٤٠ وليراجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٧، وج ٧ ص ٢٤٢ عن أحمد في المسند والطبراني.

(٣) - انساب الاشراف بتحقيق المحمدي ج ٢ ص ٣١٣ ومسنده أحمد، في مسند عبدالله بن عمرو وفي هامش الانساب عن مصنف ابن ابي شيبة، وعن فتح الباري وعن مصادر كثيرة... (٤) - زاد المعاد ج ١ ص ٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧.

(٥) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٦ ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٥٨ وفي ٤٦٢: استظهر الشمس الذهبي أنه بنى أولاً بيت سودة، ثم لما احتاج إلى منزل عائشة بناه، وهكذا سائر بيوته (ص) بناها في أوقات مختلفة

## سر انتصار النبي (ص) لعمار:

يلاحظ: أن المسلمين قد كانوا على درجة من الوعي؛ بحيث كانوا يدركون: أن عملهم هذا ليس لأجل الدنيا، وإنما هو للآخرة... وأن الآخرة هي التي يجب أن يكون لها المقام الأول والأخير في تفكيرهم، واعمالهم ومواقفهم... فان العيش الحقيقي هو عيش الآخرة، بل لاعيش سواه، والخسران المبين هو الخسران فيها...

اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وكان انتصار النبي صلى الله عليه وآله لعمار، الذي ملئ إيماناً إلى مشاشه— كما جاءت به الرواية عنه (ص)— وعذب في سبيل الله، ولم يزل ولا يزال يعمل من أجل دينه وعقيدته باخلاص ووعي— لقد كان انتصاره له من هذا المنطلق بالذات، حينما تهدده بعض من كان يدل عمله وتصرفاته، وتجافيه عن الغبار والتراب على أنه ليس بالمستوى المطلوب، بل ربما كان للدنيا بالنسبة إليه المقام الأول،— كما ربما يستفيد ذلك البعض ولاسيما من أفعاله اللاحقة فيما بعد...

فانتصر النبي صلى الله عليه وآله لعمار؛ ليدل على أنه منسجم مع جهاده، ومع وعيه واخلاصه لدينه وعقيدته.

هذا... ولا بد من التنبيه أخيراً، إلى أن عثمان يحاول أن يعير ويحقّر عماراً بنسبته إلى أمه، حيث قال له: «يا بن سمية بمن تعرض؟ إلخ». وأمّه هي أول شهيد في الاسلام، قتلت تحت التعذيب من أجل دينها وعقيدتها...

ف نجد النبي صلى الله عليه وآله وهو المنتصر لعمار، والمحامي عنه يشير في كلامه لعمار إلى المقام الشامخ لأمه الصابرة المجاهدة سمية؛ فينسبه إليها، ويقول: «يا بن سمية لا يقتلك أصحابي إلخ...».

## لماذا المسجد أولاً:

إن من الملاحظ: أن أول عمل بدأه صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة هو بناء المسجد... ولعل ذلك يرجع إلى:

ان المسلمين كانوا فئتين: مهاجرين وأنصاراً. وتختلف ظروف كل من الفئتين، وأوضاعها النفسية، والمعنوية، والمعيشية، وغير ذلك عن الفئة الأخرى.

والمهاجرون أيضاً كانوا من قبائل شتى، ومستويات مختلفة: فكرياً، واجتماعياً، مادياً، ومعنوياً، وغير ذلك...

وكذلك الأنصار؛ فانهم أيضاً كانوا فئتين متنافستين، لم تزل الحرب بينهما قائمة على ساق وقدم إلى عهد قريب.

فلابد إذن... من إعداد وتربية نفسية، وخلقية، وفكرية لكل هذه الفئات؛ لتستطيع أن تتعايش مع بعضها البعض، ولتكون في مستوى المسؤولية، التي يؤهلها لها في عملية بناء للمجتمع المتكافل المتماسك الذي هو كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد في السهر والحمى.

وليكون هذا المجتمع قادراً على تحمل مسؤولية حماية الرسالة، والدفاع عنها، حينما يفرض عليه أن يواجه تحدي اليهود في المدينة، والعرب والمشركين، بل والعالم بأسره. ويكون لابدو أن تنصهر كل الطاقات والقدرات الفكرية والمادية وغيرها لهذا المجتمع في سبيل خدمة الهدف: الرسالة فقط...

والمسجد هو الذي يمكن فيه تحقيق كل ذلك؛ إذ لم يكن مجرد محل للعبادة فقط. لا غير... بل كان هو الوسيلة الفضلى للتثقيف الفكري، إن لم نقل انه لا يزال حتى الآن أفضل وسيلة لوحدة الثقافة والفكر والرأي، حينما يفترض فيها أن تكون من مصدر واحد، وتخدم هدفاً واحداً في جميع مراحل



الحياة، مع الشعور بالقدسية، والارتباط بالله تعالى...

وهكذا... فإن ذلك يبعد المجتمع المسلم عن الصراعات الفكرية، التي تنشأ عن عدم وجود وحدة موضوعية للثقافة التي يتلقاها أفرادها كل على حدة، فتتخالف المفاهيم والافكار والمستويات...

ويظهر نتيجة لذلك أيضاً عدم الانسجام في وضوح الهدف، وفي المشاعر، وفي الاندفاع نحوه... مما يؤثر تأثيراً كبيراً على مسيرة الوصول إليه، والحصول عليه.

أما المدرسة... التي نعرفها اليوم، فهي لا تعطي إلا المفاهيم الجافة، والافكار البعيدة عن واقع الانسان، والتي لا تنسجم مع احتياجاته، ولا مع تكوينه النفسي والفكري وغير ذلك... هذا بالإضافة إلى عدم الشعور فيها بالله سبحانه وتعالى، أو الخضوع له.

كما أنها لا تملأ فيه الفراغ العقائدي والفكري، ويبقى عرضة للتيارات والاهواء وفي متناول أيدي المتاجرين بالشعوب عن طريق ما يملكونه من وسائل الاعلام الهدامة، وأما استعمال وسائل الاعلام في عملية الاعداد والتربية... فانها بالإضافة إلى ما تقدم تجعل الانسان انطوائياً يفكر تفكيراً شخصياً بشكل عام، وتقلل فيه احساسه بالحاجة إلى الآخرين، وإلى الارتباط بهم... ولا تسهل عليه محبتهم ومودتهم.

وخلاصة الأمر: إن المسجد هو الوسيلة الفضلى للتثقيف، وللتربية النفسية والخلقية والعقائدية... وهو من الجهة الأخرى وسيلة لشيوع الصداقة والمحبة والمودة بين المسلمين. فانه حينما يلتقي المسلمون ببعضهم البعض عدة مرات يومياً، في جو من الشعور—عملاً—بالمساواة والعدل... وحينما تتساقط كل فوارق الجاه والمال، وغيرها... ويتعد شبح الانانية والغرور عن أفق هذا الانسان... فانه لا بد وأن تترسخ حينئذ فيما بينهم أواصر المحبة والتآخي والتآلف، ويشعر كل منهم بأنه في مجتمع يبادل له الحب والحنان، وأن له إخواناً يهتمون به، ويعيشون قضاياها ومشاكله... ويمكنه أن يستند إليهم،

ويعتمد عليهم... الامر الذي يجعل هذا المسلم يثق بنفسه و بدينه، و بامته.. وليكون المثال الحي للمؤمن الصادق الواعي والواثق؛ ولتكون الأمة من ثم خير أمة أخرجت للناس.

ثم إن المسجد... يساعد على تبسيط العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، و يقلل من مشاكل التعامل الرسمي، والتكلفات البغيضة، التي توحى بوجود فوارق ومميزات، بل و حدودٍ تفصل هذا عن ذلك، و بالعكس...

وإن اهتمام الاسلام بالمسجد إلى هذا الحد، حتى إنه كان أول أعماله (ص) في قباء والمدينة هو تأسيس المسجد... ليدلنا دلالة واضحة على أنه يريد أن نتعامل مع هذه الدنيا، ونستفيد منها من منطلق ديني، فما هي إلا مزرعة للاخرة... فلا بد وأن تقاد و يستفاد منها من قبل الله، ومن خلال الارتباط به.

وهكذا... و بعد كل ماتقدم... فاننا نعرف: أن النبي (ص) قد أسس المسجد ليكون بمثابة مركز للقيادة والريادة، ففيه كان صلى الله عليه وآله يستقبل الوفود، وفيه كان بيت في أمور الحرب والسلم. وفيه كانت تفصل الخصومات. وفيه كان البحث عن كل ما يهيم الدولة وشؤونها، والناس، ومعاملاتهم وارتباطاتهم... وليهب المسجد الناس نفحة روحية، وارتباطاً بالله جل و بعضهم البعض في كل مجالات الحياة، ومنطلقاتها، بعيداً عن النوازع الذاتية، وعن الحساسيات القبلية والعرقية، وعن تأثيرات الفوارق الاجتماعية... وفيه كان يجد الضعيف قوته، والمهموم المغموم سلوته، والذي لاعشيرة له ينسى بل يجد فيه عشيرته، والمحروم من العطف والحنان يجد فيه من ذلك بغيته...

وهكذا... فقد كان المسجد موضع عبادة وتعلم وتفهم لما يفيد في أمور الدين والدنيا، و تربية نفسية و خلقية، ومحلاً للبحث في كل المشاكل التي تهم الفرد والمجتمع، ومكاناً مناسباً للتعارف والتآلف بين المسلمين... إلى غير ذلك مما تقدم...

## مشاركة النبي (ص) في بناء المسجد:

ولقد كان المسلمون قادرين على القيام بمهمة بناء المسجد، ولم تكن ثمة حاجة مادية لمشاركته صلى الله عليه وآله... ولكنه (ص) قد أثر المشاركة، في عملية البناء، الامر الذي أثار الحماس لدى المسلمين، فاندفعوا يعملون بجِد ونشاط، وقالوا:

لئن قعدنا والنبي يعمل لَذاك منّا العمل المضلل

كما أن هذه المشاركة قد أعطت قيمة خاصة للعمل، وعبرت عن مدى ارتباط النبي صلى الله عليه وآله به ووجه له... وفوق ذلك. فإنه قد بين بذلك الخط العام لشخصية القائد في الاسلام... وأنه يجب أن يكون شعوره بالمسؤولية تجاه العمل يتعدى حدود اصدار الأوامر إلى الآخرين، ولا سيما إذا كان ذلك يرتبط بالهدف الأقصى، والمصلحة العليا للاسلام، وللمسلمين...

## جماعة خاصة بالنساء:

ويقولون: إنه كان للنساء جماعة خاصة بهم، فكان الرجال يصلون في المسجد. والنساء يصلين في رحبة المسجد بامامة سليمان بن أبي حثمة... وحين تسلم عثمان الخلافة جمع بين الرجال والنساء (١).

فلما كانت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام عاد ففصل بين الرجال والنساء، وصار يصلون بالنساء رجل اسمه عرفجة (٢).

ولكن في هذه الروايات اشكالا، وهو أنها تذكر: أن علياً عليه السلام قد فعل ذلك في قيام شهر رمضان. أي في الصلاة المعروفة بصلاة التراويح...

ومن المعلوم: أن علياً كان يعتبر ذلك بدعة، وكان يمنع عنه (٣)

(١) - حياة الصحابة ج ٢ ص ١٧١ عن طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٦.

(٢) - حياة الصحابة ج ٣ ص ١٧١ عن كنز العمال ج ٤ ص ٢٨٢ عن البيهقي...

(٣) - دلائل الصدق ج ٣ القسم الثاني ص ٧٩.

فكيف يفعله... فالصحيح هو أن ذلك قد كان في الصلوات اليومية، لا في صلاة التروايح.

كانت تلك بعض المعاني التي نستفيدها من عملية بناء المسجد، ولربما نجد الفرصة للتحدث عن ذلك في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى.

## ٢- تحقيق حول مبدأ التاريخ الهجري من هو أول من أرخ بالهجرة النبوية؟

بداية:

يقول المؤرخون ان اول من ارخ بالهجرة النبوية، هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب... واكثرهم يذكر: ان اختياره الهجرة مبدأ للتاريخ، كان بإشارة علي بن ابيطالب، صلوات الله وسلامه عليه... (١).

وبعض منهم يقول: ان المشير عليه بذلك ليس عليا فقط، بل معه بعض الصحابة... (٢).

وثالث يروى: اشارة بعض الصحابة عليه، ولا يصرح باسم المشير... (٣).

وبعض رابع: يسكت عن ذكر الاشارة، ويكتفي بذكر: انه اول

(١) - راجع: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٧٦، والكامل لابن الاثير ط صادر ج ٢ ص ٥٢٦، وتاريخ يعقوب ط صادر ج ٢ ص ١٤٥ والتنبيه والاشراف ص ٢٥٢، ومحاضرة الاوائل ص ٢٨ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٣، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩، وتاريخ الخلفاء ص ١٣٢ و ص ١٣٨ عن البخاري في تاريخه، والبحار ج ٥٨ ص ٣٥١-٣٥٠ بعد تصحيح ارقام صفحاته، وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٤٤، عن الطبري ومجاهد في تاريخهما، والبحار ج ٤٠ ص ٢١٨ عنه، وعلي والخلفاء ص ١٤١، واحقاق الحق ج ٨ ص ٢٢٠ عن الوسائل للسيوطي ص ١٢٩، ومحاضرة الاوائل ص ٢٨، وسيأتي جانب من المصادر لذلك فيما يأتي...

(٢) - البداية والنهاية ج ٧ ص ٧٤.

(٣) - صحيح الاعشى ج ٦ ص ٢٤١، ومآثر الانافة ج ٣ ص ٣٣٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩، والكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٠ ط صادر.

من ارخ بالهجرة (١).

## الحكاية كما يرويها المؤرخون:

ويحكون السبب في وضع التاريخ على النحو التالي:

قال ابن كثير: «... قال الواقدي: وفي ربيع الاول من هذه السنة— اعنى سنة ست عشرة— كتب عمر بن الخطاب التاريخ. وهو اول من كتبه. قلت: قد ذكرنا سببه في سيرة عمر، وذلك انه رفع الى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين، يحل عليه في شعبان، فقال: اي شعبان؟. أمن هذه السنة، ام التي قبلها، ام التي بعدها؟.

ثم جمع الناس (اي اصحاب النبي—ص—) فقال: ضعوا للناس شيئاً يعرفون به حلول ديونهم... فيقال: انهم اراد بعضهم (الهرمزان... (٢) : ان يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم، كلما هلك ملك ارخوا من تاريخ ولاية الذي بعده، فكر هو ذلك.

ومنهم من قال (وهم بعض مسلمى اليهود... (٣) : ارخوا بتاريخ الروم، من زمان اسكندر، فكر هو ذلك لطوله ايضاً...

(١)— الاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٤٦٠ والمحسن والمساوي ج ٢ ص ٦٨، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨ وج ٢ ص ٢٤١، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٤٠ ومآثر الانافة ج ١ ص ٩٢، ونحفة الناظرين للشرقاوي هامش فتوح الشام ج ٢ ص ٦٢، وصفة الصفوة ج ١ ص ٢٧٦، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٠٢، وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٤٥ والاوائل للعسكري ج ١ ص ٢٢٣. والطبرى ج ٣ ص ٢٧٧، ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١٠٥ والانس الجليل ج ١ ص ١٨٨ والاعلاق النفيسة ص ١٩٩.

(٢)— صبح الاعشى ج ٦ ص ٢٤١ عن تاريخ ابى الفداء، وقد ذكر: ان عمر قد ارسل اليه فاستشاره، وليراجع ايضاً: البحار ج ٥٨ ص ٣٤٩—٣٥٠ بعد تصحيح ارقام صفحاته، وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١، وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٤٥، والانس الجليل في اخبار القدس والخليل ج ١ ص ١٨٧ والخطط للمقرئ ج ١ ص ٢٨٤، وفيه: أن عمر استدعاه.

(٣)— الاعلان بالتوبيخ ص ٨١، والبحار ج ٥٨ ص ٣٥٠. وفي نزهة الجليس ج ١ ص ٢٢. عن تاريخ ابن عساكر: ان النصراني كانوا يؤرخون بتاريخ الاسكندر...

اقول: فاين كان التاريخ الميلادي اذن؟ ومتى ظهر؟...

الجواب: انه ظهر في حدود القرن الرابع الهجري، على مايقولون...

وقال قائلون: ارخوا من مولد رسول الله (ص)...

وقال آخرون: من مبعثه عليه السلام.

وأشار علي بن أبي طالب (ع)، وآخرون: «ان يؤرخ من هجرته الى المدينة، لظهوره لكل احد، فانه اظهر من المولد، والمبعث، فاستحسن عمر ذلك والصحابة، فامر عمر: ان يؤرخ من هجرة رسول الله (ص). (١)».

وروى الحاكم، وصححه هو والذهبي، عن سعيد بن المسيب: انه قال: «جمع عمر الناس فسألهم: من اي يوم يكتب التاريخ؟. فقال علي بن ابي طالب (ع): من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترك ارض الشرك، ففعله عمر رضي الله عنه. هذا حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجاه... (٢)»

(١) - البداية والنهاية ج ٧ ص ٧٣-٧٤، وليراجع ايضاً ج ٣ ص ٣٠٦ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٧٥-٧٦ وتهذيب تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٢٢-٢٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٧٤، وعلي والخلفاء ص ٢٤٠ عنه ملخصاً. وليراجع ايضاً: الاعلان بالتوبيخ ص ٨٠ و ٨١ ومنتخب كنز العمال، هامش مسند احمد ج ٤ ص ٦٧ والكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٠ ط صادر.

وذكر في البحار ج ٥٨ ص ٣٤٩ بعد تصحيح ارقام صفحاته، ونزهة الجليس ج ١ ص ٢١ والطبري ط دار المعارف بمصر ج ٢ ص ٣٨٨، والوزراء والكتاب ص ٢٠، والاعلان بالتوبيخ ص ٧٩، ومنتخب الكثر هامش مسند احمد ج ٤ ص ٦٧، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩، وصبح الاعشى ج ٦ ص ٢٤١ عن ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب: ان اباموسى كتب الى عمر: انه ياتينا من قبلك كتب لانعرف نعمل فيها قد قرانا صكاً معله شعبان فما ندرى: اي الشعبانيين هو: هو الماضي او الآتي، فجمع الصحابة الخ مافي المتن. وليراجع ايضاً: الاوائل لابن هلال العسكري ج ١ ص ٢٢٣ والكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٠.

(٢) - مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤، وتلخيص المستدرك للذهبي هامش الصفحة ذاتها، والاعلان بالتوبيخ ص ٨٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩ والطبري ط المعارف ج ٢ ص ٣٩١ و ج ٣ ص ١٤٤، وتاريخ عمر بن الخطاب ص ٧٦ وتهذيب تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٢٣ ومنتخب كنز العمال هامش المسند ج ٤ ص ٦٧، وعلي والخلفاء ص ٢٣٩ و ٢٤٠، عن كنز العمال ج ٥ ص ٢٤٤ رقم ٤٩٣٩ واحقاق الحق ج ٨ ص ٢١٩ عن ابن عساکر، والمقرئ في كتاب: الخطط والآثار ج ١ ص ٢٨٤ والشماريخ للسيوطي ص ٤ ط ليدن والتاريخ الكبير للبخاري ج ١ ص ٩. والكامل ج ١ ص ١٠ ط صادر.

أعمال تأسسية في مطلع الهجرة ..... ٣٥  
وقال اليعقوبي في حوادث سنة ١٦ هـ : « وفيها أرخ الكتب، وأراد أن يكتب التاريخ منذ مولد رسول الله (ص)، ثم قال: من المبعث، فأشار عليه علي بن أبي طالب (ع): أن يكتبه من الهجرة (١) ...»

إلى غير ذلك من النصوص، التي تؤكد على أن عمر هو أول من وضع التاريخ الهجري الإسلامي.

### الرأي الأمثل:

ولكننا بدورنا نشك كثيراً في صحة هذا القول، ونعتقد: أن التاريخ الهجري قد وضع من زمن النبي (ص)، وقد أرخ به النبي (ص) نفسه أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة...

وما حدث في زمن عمر هو فقط: جعل مبدأ السنة شهر محرم بدلاً من ربيع الأول. كما أشار إليه صاحب بن عباد (٢).

وقد اختلفوا في ذلك أيضاً، فقال بعضهم: أنهم جعلوا مبدأ السنة الهجرية محرم السنة الأولى، وهو ما ذهب إليه الجمهور، وبعضهم إلى أنهم جعلوا محرم السنة الثانية مبدأ للسنة الهجرية والغوا ما قبله، وهو ما حكاه البيهقي وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي، فراجع (٣).

### من المشير بمحرم:

أما من الذي أشار بمحرم بدلاً من ربيع الأول، فقد اختلفت الروايات في ذلك، فيقال: أن ذلك كان بإشارة عثمان بن عفان (٤). وقيل: بل ذلك هو رأي عمر نفسه (٥) وبعضهم قال: أن عبد الرحمن بن عوف قد

(١) - تاريخ اليعقوبي ط صادر ج ٢ ص ١٤٥.

(٢) - عنوان المعارف وذكر الخلائف ص ١١.

(٣) - البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٤.

(٤) - نزهة الجليس ج ١ ص ٢١، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩ والاعلان بالتوبيخ ص ٨٠،

ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٦٧، والشماريخ ص ١٠ ط سنة ١٩٧١.

(٥) - الاعلان با وببخ ص ٧٩، وليراجع الوزراء والكتاب ص ٢٠، وفتح الباري ج ٧ ص

اشار بشهر رجب، فاشار علي(ع) في مقابل ذلك بشهر محرم، فقبل منه (۱).  
والديار بكرى وغيره يقولون: ان عمر ابتداء من المحرم، بعد اشارة علي و عثمان  
بذلك (۲)...

ويقول السخاوي وآخرون: «... فاستفدنا من مجموع هذه الآثار: ان  
الذى اشار بالمحرم عمر، و عثمان، وعلي(ع)» (۳). ويفهم من كلام  
العسكرى في اوائله ج ۱ ص ۲۲۳: ان عمر هو الذى ارتأى جعل محرم اول  
السنة؛ لتكون الاشهر الحرم في سنة واحدة.

ولكننا نستبعد كثيرا: ان يكون علي(ع) قد اشار بترك ربيع الاول،  
والاخذ بشهر محرم، اول السنة عند العرب بل نكاد نجزم بخلافه... وانه(ع)  
كان مصرا على شهر ربيع الاول مدة حياته صلوات الله وسلامه عليه.

ولم يكن ذلك رايه وحده، بل كان راي جمع كبير من المسلمين الابرار  
والصحابية الاخيار، ونستند في ذلك الى النقاط التالية، التى لا بد من ملاحظتها  
بمجموعها هنا:

۱- انه قد تقدم انه عليه السلام قد اشار عليهم بان يكتبوا التاريخ  
من: «يوم هاجر»، او من «يوم ترك النبي (ص) ارض الشرك» كما هو صريح  
رواية ابن المسيب المتقدمة...

۲- لقد جاء فيما كتبه علي عليه السلام على عهد اهل نجران العبارة  
التالية: «... وكتب عبدالله(ع). بن ابى رافع، لعشر خلون من جمادى  
الآخرة، سنة سبع وثلاثين، منذ ولج رسول(ص) المدينة... (۵)».

(۱) - الاعلان بالتوبيخ ص ۸۱ ط القاهرة. وقال ص ۸۲: ان الديلمى فى الفردوس، وولده  
قد روى ذلك عن علي. واحقاق الحق ج ۸ ص ۲۲۰ عن الاعلان.

(۲) - تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۳۸ ووفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۴۸.

(۳) - الاعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ۸۰، وارشاد السارى ج ۶ ص ۲۳۴، وفتح  
البارى ج ۷ ص ۲۰۹-۲۱۰.

(۴) - الظاهر انه: عبيدالله.

(۵) - الخراج لابى يوسف ص ۸۱، وجمهرة رسائل العرب ج ۱ ص ۸۲ رقم ۵۳ عنه.



٣- فاذا أضفنا الى ذلك: ان مالك بن انس على ما حكاه السهيلي وغيره يقول: «اول السنة الاسلامية ربيع الاول، لانه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله (ص) (١)».

٤- وان السخاوى قد نقل عن الاصمعى انهم: «انما ارخوا من ربيع الاول شهر الهجرة. (٢)» وكذا عن الزهرى.

٥- وان الصحابة- وتبعهم المؤرخون كما سياتى- كانوا يعدون بالشهر من مهاجره، الذى هو شهر ربيع الاول، الى اواسط السنة الخامسة للهجرة... فاننا نستطيع بعد ملاحظة مجموع ماتقدم: ان ندرك: ان عليا عليه السلام ليس فقط لم يشر على عمر بشهر محرم، بل كان من المصرين على ان يبقى اول السنة هو شهر ربيع الاول، الذى خرج النبي (ص) من مكة او من الغار، او ولج المدينة فى اول يوم منه، شأنه صلوات الله وسلامه عليه شأن كثيرين ممن لم يرضوا بمثل هذا التغيير، لكنهم غلبوا على امرهم...

ولا يفوتنا اخيراً التنبيه: على ان جعل علي عليه السلام اليوم الذى ولج فيه النبي (ص) المدينة مبدءاً للتاريخ، ربما يؤيد قول من قال: انه (ص) دخلها فى اول يوم من ربيع الاول...

وسياتى بعض الكلام ايضاً فى ذلك... وان لم يكن هو محط نظرنا الاصيلي فى هذا البحث.

وما يهمنى هنا: هو البحث عن: اول من ارخ بالسنة الهجرية... وقد قلنا: اننا نعتقد: ان النبي (ص) كان اول من ارخ بالهجرة...

### الموافقون على هذا الرأي:

واننا وان كنا لانرى كثيرين يوافقوننا على هذا الراي، ونرى بعضهم يتردد فى اصدار حكم جازم فى ذلك، وبعضهم ربما يظهر منه الميل الى ما هو

(١)- البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٧، و اشار اليه ايضاً فى ج ٤ ص ٩٤.

(٢)- الاعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ٧٨.

شائع... الا ان مرد ذلك كله الى عدم اطلاعهم على النصوص الكافية للجزم في الامر، وتكوين قناعة تقاوم ما يروونه قد اشتهر وذاع في ألسنة الرواة والمؤرخين.

وعلى كل... فاننا نجد ممن وافقنا على ماذهب اليه:

السيد عباس المكّي في نزهة الجليس، كما سيأتي، ونقله السيوطي عن ابن القمامح، عن ابن الصلاح عن ابي مجمش الزيادي، كما سيأتي. اما صاحب المواهب فقد قال: «وامر (ص) بالتاريخ، وكتب من حين الهجرة .

قال الزرقاني: رواه الحاكم في الاكليل عن الزهري مفصلاً. والمشهور خلافه، وان ذلك في زمان عمر، كما قال الحافظ... (١)». ونقل ذلك عن الاصمعي، وغيره ايضاً كما سيأتي.

وقال صاحب بن عباد: «ودخل المدينة يوم الاثنين لاثني عشر خلت من ربيع الأول، وكان التاريخ من ذلك، ثم رد إلى المحرم (٢)».

وقال ابن عساكر «وهذا اصوب» ثم ايده السيوطي ببعض ماياتي (٣).

وقال مغلطاي في سيرته - ص ٣٥-٣٦: «وامر عليه الصلاة والسلام بالتاريخ فكتب من حين الهجرة، قال ابن الجزار: ويعرف بعام الاذن، وقيل ان عمر (رض) اول من ارخ وجعله من المحرم» هذا... وقد سميت كل سنة من السنين العشر باسم خاص. والعام الاول اطلق عليه: عام الاذن ايضاً في التنبيه والاشراف للمسعودي؛ فراجع.

### كلام السهيلي:

اما السهيلي... فهو يصر على ان التاريخ الهجري قد نزل به

(١) - التراتيب الادارية ج ١ ص ١٨١، وليراجع المواهب اللدنية ج ١ ص ٦٧.

(٢) - عنوان المعارف وذكر الخلائف ص ١١.

(٣) - الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ج ١٠ ط سنة ١٩٧١.

القرآن... ويقول ما ملخصه: ان اتفاق الصحابة على جعل الهجرة مبدأ للتاريخ، ان كان مستندا الى استفادتهم ذلك من القرآن، فنعم الاستفادة هي، وذلك هو الظن بهم. وان كان اجتهادا ورايا منهم، فهو ايضا نعم الاجتهاد والراي، اشار القرآن الى صحته من قبل ان يفعلوا...

فان قوله تعالى: «لمسجد أسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه» (١).

قد علم: انه ليس المقصود منه: اول الايام كلها. كما انه لا يوجد لفظ ظاهر، اضيف اليه لفظ: يوم؛ فتعين اضافته الى مضمر، ولا يعقل قول القائل: فعلته اول يوم، الا بالاضافة الى عام، اوشهر، اوتاريخ معلوم.

ولا قرينة هنا، لاحالية ولا مقالية، تدل الاعلى تقدير: «من اول يوم حلول النبي (ص) المدينة». وهو اول يوم من التاريخ...

وقول بعض النحاة: لا بد من تقدير: «من تأسيس اول يوم»؛ لان (من) لا تدخل على الزمان... لا يصح... لانه حتى على هذا لا بد من تقدير الزمان ايضا؛ فيقال: «من وقت تأسيس»؛ فاضمار كلمة تأسيس لا يفيد شيئا... هذا بالاضافة الى ان كلمة: (من) تدخل على الزمان، وعلى غيره، قال تعالى: «من قبل ومن بعد». انتهى كلام السهيلي ملخصا. (٢).

وقال الكتاني ما ملخصه: وقد عقب الحافظ في فتح الباري على كلام السهيلي هذا بقوله: كذا قال: والمتبادر: ان معنى قوله: من اول يوم، اي دخل النبي (ص) واصحابه المدينة. (٣).

لكن ابن منير يرى: ان كلام السهيلي هذا تكلف وتعسف، وخروج عن تقدير الاقدمين الذين قدروه: «من تأسيس اول يوم» اي من اول يوم وقع

(١) - التوبة، الآية ١٠٨.

(٢) - الروض الانف ج ٢ ص ٢٤٦ ط سنة ١٩٧٢ وارشاد الساري ج ٦ ص ٢٣٤ عنه، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٨-٢٠٩ عنه ايضا ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٤٨.

(٣) - ليراجع فتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩.

فيه التأسيس، وهذا ما تقتضيه العربية، وتشهد له القواعد...

قال الكتاني: قلت: كلام السهيلي ظاهر المأخذ، فتأمله بانصاف ترى انه الحق، ولذا اقتصر عليه معجبا به شهاب الدين الخفاجي، في عناية القاضي، وكفاية القاضي، الى آخر كلامه (١).

وقال ياقوت الحموي: «ان قوله من اول يوم يقتضى مسجد قباء، لان تأسيسه كان في اول يوم من حلول رسول الله (ص) دار هجرته، وهو اول التاريخ للهجرة المباركة، ولعلم الله تعالى بان ذلك اليوم سيكون اول يوم من التاريخ سماه اول يوم ارخ فيه، في قول بعض الفضلاء. وقد قال بعضهم: ان هاهنا حذف مضاف، تقديره: تأسيس اول يوم، والاوّل احسن...» (٢).

هذا... ويلاحظ: انه قد نقل عن ابن عباس في تفسير الآية المذكورة نفس ما تقدم نقله عن السهيلي... (٣).

وإذا صح كلام هؤلاء، فمن المناسب ان يبادر النبي (ص) نفسه قبل كل احد الى العمل بمقتضى الآية، وهو ما حصل فعلا، كما سنرى...  
وإذا ما قيل: ما ذكره هؤلاء—السهيلي وغيره—بعيد في بادئ الرأي.

فاننا نقول: هو على الاقل من المحتملات في معنى الآية الشريفة، وان لم يكن متعينا، ونحن انما ذكرناه استثناسا به وتأييدا لا لنستدل به، ونستند اليه.

مانستند اليه:

في اعتقادنا: ان النبي (ص) هو اول من ارخ بالهجرة، ونستند الى الامور التالية:

١— ماروي عن الزهري: من ان رسول الله (ص) لما قدم المدينة

(١) — التراتيب الادارية المسمى ب: نظام الحكومة النبوية ج ١ ص ١٨١—١٨٢.

(٢) — معجم البلدان ج ٥ ص ١٢٤.

(٣) — تنوير المقباس هامش الدر المنثور ج ٢ ص ٢٢٤.

مهاجرا امر بالتاريخ، فكتب في ربيع الاول (١).

وفي رواية أخرى عن الزهري قال: التاريخ من يوم قدم النبي (ص)  
مهاجرا (٢).

قال القلقشندي: «وعلى هذا يكون ابتداء التاريخ عام  
الهجرة (٣)» وتقدمت وستاتي كلمات غيره في ذلك.

ولكن العسقلاني وغيره قد وصفوا هذا الحديث في الفتح وغيره بانه:  
خبر معضل، والمشهور خلافه. (٤) ووصفه الجهشياري بانه خبر شاذ (٥)  
ويقرب منه كلام السخاوي، والديار بكرى... (٦).

اما المسعودي فقد اورد عليه: بانه خبر مجتنب من حيث الاحاد،  
ومرسل من عند من لا يرى قبول المراسيل، وان ما حكاه اولاً: من ان عمر  
هو الذي ارخ بالهجرة، باشارة علي عليه السلام، هو المتفق عليه؛ اذ كان ليس في  
هذا الخبر وقت معلوم ارخ به، ونقل كيفية ذلك... (٧).

لكن ايراد المسعودي، وهؤلاء غير وارد على خبر الزهري، لان

(١) - فتح الباري ج ٧ ص ٢٠٨، وارشاد السارى ج ٦ ص ٢٣٣، والتنبيه والاشراف ص  
٢٥٢، وتاريخ الطبري ط دارالمعارف ج ٢ ص ٣٨٨، ونزهة الجليس ج ١ ص ٢١، ومناقب آل  
أبي طالب ج ٢ ص ١٤٢، والبحار ج ٤٠ ص ٢١٨ عنه، وعلي والخلفاء ص ٢٤١ عن البحار،  
وصبح الاعشى ج ٦ ص ٢٤٠، والترتيب الادارية ج ١ ص ١٨٠ وحكاه الاخيران عن النحاس  
في صناعة الكتاب، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨، والشماريخ في علم التاريخ ص ١٠ ط سنة  
١٩٧١ عن ابن عساكر عن يعقوب بن سفيان، ووفاء الوفاء للمسعودي ج ١ ص ٢٤٨، والمواهب  
والزرقاني وغيرها حكوه عن الحاكم في الاكلیل مفصلاً. والكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٠ صادر.  
وفي المواهب اللدنية ج ١ ص ٦٧: ذكر ذلك من دون ان ينسبه الى الزهري.

(٢) - الشماريخ في علم التاريخ ص ١٠.

(٣) - صبح الاعشى ج ٦ ص ٢٤٠.

(٤) - فتح الباري ج ٧ ص ٢٠٨، وارشاد السارى ج ٦ ص ٢٣٣ عنه، وفاء الوفاء ج ١ ص  
٢٤٨.

(٥) - الوزراء والكتاب ص ٢٠.

(٦) - الاعلان بالتوبيخ ص ٧٨، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨.

(٧) - التنبيه والاشراف ص ٢٥٢.

ارساله - لوسلم - وكونه خبر واحد لا يصح اجتنابه، بل لا بد من الاخذ به، حتى ممن لا يرى قبول المراسيل وذلك لوجود روايات اخرى في المقام، وايضاً ادلة اخرى تدل على ذلك .... ستاتي كلها في مايلى (١):

٢- مارواه الحاكم، وصححه، عن عبدالله بن عباس، انه قال: كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله (ص) المدينة، وفيها ولد عبدالله بن الزبير (٢).

٣- قال السخاوى: «... واما اول من ارخ التاريخ، فاختلف فيه، فروى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن انس، قال: كان التاريخ من مقدم رسول الله (ص) المدينة. وكذا قال الاصمعى: انما ارخوا من ربيع الاول شهر الهجرة...» (٣). ثم ذكر رواية الزهرى المتقدمة.

ثم اورد على ذلك كله بمخالفته للصحيح والمشهور: من ان الامر به كان في زمن عمر، وان اول السنة ليس شهر ربيع الاول، وانما شهر محرم...

(١) - وللزهرى رواية اخرى تدل على ان التاريخ كان من زمن النبي (ص) ففي تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢١: ان الزهرى قال: «ان قريشا كانوا يعدون بين الفيل والفجار اربعين سنة، وكانوا يعدون بين الفجار وبين وفاة هشام بن المغيرة ست سنين وبين وفاته وبين بنيان الكعبة تسع سنين، وبينها وبين ان خرج رسول (ص) الى المدينة خمس عشر سنة، منها خمس سنين قبل ان يوحى اليه ثم كان العدد. يعنى: بعد التاريخ» فيظهر من هذه العبارة الاخيرة: انهم اعرضوا عن السابق وبدأوا يؤرخون بالهجرة.

لكن يبقى في الرواية اشكال وهو ان المعروف: هو ان بين الفيل والفجار عشرين سنة لا اربعين كما صرح به الطبرى ج ٢ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٦١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ١٩٦، وابن الاثير والمسعودى.

لكن قول الزهرى: ان النبي (ص) قد ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة، كما نقله عنه في البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٦٢. يدل على ان الزهرى قد تفرد بالقول بان بين الفجار والفيل اربعين سنة مخالفاً بذلك المعروف والمشهور. لكن كل ذلك لا يضر في دلالة كلامه على ما نقول كما لا يخفى.

(٢) - مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣-١٤ وصححه على شرط مسلم وتلخيص المستدرك للذهبي هامش نفس الصفحة وجمع الزوائد ج ١ ص ١٩٦ عن الطبراني في الكبير والاعلان بالتوبيخ ص ٨٠، والطبرى ج ٢ ص ٣٨٩-٣٩٠ بسندين، وج ٣ ص ١٤٤ والتاريخ الكبير للبخارى ج ١ ص ٩، والشماريخ ص ١٠ عن البخارى في التاريخ الصغير، والحفظ للمقر بزي ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) - الاعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ٧٨.

ولكن ايراده كإيراد المسعودى غير وارد كما سنرى... لان مجرد كون ذلك خلاف المحفوظ والمشهور لا يوجب فساد. بل لابد من الاخذ به، والعدول عن المحفوظ والمشهور، حين يقوم الدليل القاطع على خلافه...

ولسوف نرى: ان لدينا بالاضافة ما ذكرنا مايزيل اى شك، اوريد في ذلك...

٤- ان المؤرخين يقولون: ان الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قد هاجر الى المدينة في شهر ربيع الاول... ويرى الزهرى وغيره: انه وصلها في اول يوم منه، وجزم ابن اسحاق والكلبي بانه انما خرج من مكة في اليوم الاول منه. وبعضهم يرى: انه خرج من الغار في اوله... (١).

واذا ما اردنا تايد دخوله للمدينة في اوله بما تقدم من كتابة علي (ع) في كتابه: «منذولج رسول الله (ص) المدينة».. فان في مقابل ذلك ما يؤيد الراي الاخر، وهو اشارته بان يجعل مبدأ التاريخ: منذ ترك الرسول (ص) ارض الشرك او منذ هاجر... الا ان يدعى الاجمال في هذه الفقرة، لانهم كانوا في صدد تعيين السنة التي يبدؤون بها بشكل عام... فلا تصادم ظهور الفقرة الاولى فيما قلناه...

المهم في الامر هنا: ان الهجرة كانت في اول ربيع الاول... فاذا اضفنا الى ذلك ما تقدم عن مالك والاصمعي، وكذلك مارواه الزهرى واستظهرناه من علي (ع): من ان اول السنة الاسلامية كان ربيع الاول... فاننا سوف نطمئن الى ان التاريخ كان قد وضع قبل زمان عمر، الذي جعل اول السنة شهر محرم، بدلا من ربيع الاول...

ويؤيد ذلك: ان بعض الصحابة كانوا يعدون بالاشهر من مهاجره (ص)، الذي هو شهر ربيع الاول الى اواسط السنة الخامسة...

(١) - راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٢٩ والروض الانف ج ٢ ص ٢٤٥ وكذلك لاباس بمراجعة دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٢٦ والمواهب ج ١ ص ٦٧.

الصحيح في سيرة النبي ج ٣ .  
 فابو سعيد الخدرى يقول: ان فرض رمضان، كان بعد ما صرفت  
 القبلة في شعبان بشهر على راس ثمانية عشر شهراً... (١).

ويتحدث عبدالله بن انيس عن سر ريته الى سفيان بن خالد، فيقول:  
 «خرجت من المدينة يوم الاثنين، لخمسة خلون من المحرم، على راس اربعة  
 وخمسين شهراً» (٢).

ومحمد بن سلمة ايضاً يقول عن غزاة القرطاء: «خرجت في عشر ليال  
 خلون من المحرم، فغبت تسع عشرة، وقدمت لليلة بقيت من المحرم، على راس  
 خمسة وخمسين شهراً...» (٣).

وبعد هذا يبدأ العد بالسنين، كما يظهر من قول سلمة بن الاكوع،  
 وخالد بن الوليد، وغيرهما (٤).

لقد كانت تلك هي طريقة الصحابة، وعلى ذلك جرى ديدنهم،  
 وتبعهم المؤرخون على ذلك ايضاً فأرخوا بالاشهر الى اواسط السنة الخامسة بل  
 الى آخرها... ومنها يبدأون بذكر السنين... (٥).

وذلك ان دل على شيء فانما يدل على ان التاريخ كان قد وضع من  
 اول سني الهجرة... والا فلامعنى لان يُسأل صحابي عن واقعة حدثت له في  
 سنة خمس، فيعدل عن ذكر السنة، ويشرع في اجراء حساب، ويقوم بعملية  
 عدّ تحتاج الى تفكير وتأمل... وبعد مدة من التأمل والتفكير يعطى الجواب.

الا ان يكون ذلك محفوظاً لديه، وجرى ديدنه وطريقته عليه مدة من  
 الزمان، حتى انغرس في ذهنه وحفظه ووعاه... كما أن ذلك يعبر عن مدى  
 اهتمام الصحابة في المحافظة على جعل ربيع الاول مبدأ للتاريخ... وان كانوا

(١) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٨.

(٢-٣) - مغازى الواقدي ج ٢ ص ٥٣١-٥٣٤ على الترتيب.

(٤) - راجع: مغازى الواقدي ج ٢ ص ٥٣٧ وصفة الصفوة ج ١ ص ٦٥٢.

(٥) - راجع: طبقات ابن سعد ج ٢ قسم ١ في غزواته (ص) لاسيا ص ٥٦ منه في غزوة بواط  
 ومغازى الواقدي ص ٩-١١-٣٦٣ والوفاء باخبار المصطفى ج ٢ ص ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥  
 والبداية والنهاية ج ٤ ص ٦١ وتاريخ الخميس وغير ذلك .



قد غلبوا على ذلك فيما بعد...

٥- ان بين ايدينا نصا لعهد النبي (ص) لسلمان الفارسي. وهو مؤرخ بسنة تسع للهجرة...

قال ابونعيم: عن «الحسن بن ابراهيم بن اسحاق البرجى المستملى. واخبرنيه عنه محمد بن احمد بن عبدالرحمان قال: سمعته يقول: سمعت ابا علي الحسين بن محمد بن عمرو الوثابي يقول: رايت هذا السجل بشيراز، بيد سبط لغسان بن زاذان، بن شاذويه بن ماه بنداذ، اخى سلمان...

وهذا العهد بخط علي بن أبي طالب، مختوم بخاتم النبي (ص)، فنسخ منه ماصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله، سأله سلمان، وصية باخيه ماه بنداذ، واهل بيته، وعقبه... ثم ساق ابونعيم الكتاب الى ان قال في آخره:

وكتب علي بن ابى طالب، بامر رسول الله (ص) فى رجب، سنة تسع من الهجرة وحضر ابوبكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير وعبدالرحمان، وسعد، وسعيد، وسلمان، وابوذر، وعمار، وعيينة، وصهيب، وبلال، والمقداد، وجماعة آخرون من المؤمنين...

وذكره ايضا ابو محمد بن حيان، عن بعض من عنى بهذا الشأن: ان رهطا من ولد اخى سلمان بشيراز، زعيمهم رجل يقال له غسان بن زاذان، معهم هذا الكتاب، بخط علي بن ابى طالب، بيد غسان، مكتوب فى اديم ابيض مختوم بخاتم النبي (ص) وخاتم ابى بكر، وعلي رضى الله عنها، على هذا العهد حرفا بحرف، الا انه قال: وكتب علي بن ابى طالب، ولم يذكر عيينة مع الجماعة...» (١).

(١) - ذكر اخبار اصفهان لابي نعيم ج ١ ص ٥٢-٥٣ وهذا غير كتاب مفاداة سلمان من عثمان بن الاشهل اليهودى الذى يقال: ان عليا عليه السلام قد كتبه باملاء النبي (ص) فى السنة الاولى من الهجرة.

٦- قد اورد البلاذرى نصا للكتاب، الذى كتبه النبي (ص) ليهود بلدة «مقنا، وبني حبيبة. وقد صالحهم فيه على ربع عروكهم (خشب يصطاد عليه)، وغزولهم، وربع كراعهم، وحلقتهم، وعلى ربع ثمارهم.»

قال البلاذرى: «واخبرنى بعض اهل مصر: انه راي بعينه فى جلد احمر، دارس الخط، فنسخه، واملى علي فنسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، الى بنى حبيبة، واهل مقنا: سلم انتم، فانه انزل علي: انكم راجعون الى قريبتكم، فاذا جاءكم كتابى هذا، فانكم آمنون، ولكم ذمة الله وذمة رسوله... ثم ساق البلاذرى الكتاب الى ان قال فى آخره: وليس عليكم امير الامن انفسكم، او من اهل بيت رسول الله (ص)، وكتب علي بن ابوطالب (ع) فى سنة تسع...» (١).

وقد اورد المعلق على فتوح البلدان، محمد بن احمد بن عساكر على هذه الرسالة بايرادين:

احدهما: ان عليا الذى اخترع علم النحو، حتى لا يختلط بكلام النبط، لا يمكن ان يصدر منه اللحن ويقول: (علي بن ابوطالب) برفع كلمة: ابو... .

→ ولكن كتاب المفاداة هذا لا يخلو من بعض الاشكال، اذ من جملة الشهود عليه ابوذر الذى لم يات المدينة الا بعد الخندق مع أن الكتاب مؤرخ بالسنة الاولى للهجرة كما ترى. يضاف الى ذلك: ان فيه توصيفا لابي بكر ب (الصدى) مع كونه من شهود الكتاب وذلك ينافى ما هو مرسوم فى الكتب فى صدر الاسلام.

فاما ان يكون الكتاب من اساسه مجعولا وقد تنظر فيه الخطيب مع انه لم يذكر الشهود. واما ان الشهود قد الحقوا به بعد... ويؤيد هذا الاحتمال الاخير: ان ابن عساكر والخطيب وصاحب نفس الرحمان قد اوردوا هذا الكتاب من دون ذكر للشهود. راجع فى ذلك كله: مكاتيب الرسول (ص) ج ٢ ص ٤٠٩-٤١٠.

(١) - فتوح البلدان للبلاذرى ص ٦٧ ط سنة ١٣١٨ هـ. ولا بد من التامل فى تخصيصه الولاية باهل بيته... وليس ذلك الا دليلا واضحا على ان خراج هذه البلدة وهى التى اخذت صلحا دون ان يوجف عليها بخيل ولاركاب وهو المسمى بالفقى الذى هوته ولسوله قد اعطاه النبي (ص) لاهل بيته... وهى تدل ايضا على أن آل الرسول (ص) هم اولوا الامر للمسلمين، واهل الذمة على حد سواء...

الثاني: ان صلح النبي (ص) لاهل مقنا كان في غزوة تبوك على ما هو المذكور في كتاب البلاذري، و لاختلاف في ان عليا لم يكن فيها، فكيف يكون علي عليه السلام هو كاتب هذا الكتاب (١).

و نحن نكتفي في الاجابة على هذين الايرادين بما ذكره العلامة المحقق الشيخ علي الاحمدى، حيث قال ما ملخصه مع بعض اضافات و زيادات يقتضيها المقام:

اما الجواب عن الاول: فقد ذكر الملا علي القارى في شرحه لشفاء القاضى عياض، نقلا عن نوادر ابى زيد الاصمعى عن يحيى بن عمر: ان قريشا كانت لا تغير الالب في الكنية، بل تجعله مرفوعا ابدأ: رفعا، ونصبا، وجرا... .

و في نهاية ابن الاثير، في لفظ (ابي) و شرح القارى لشفاء عياض: ان النبي (ص) كتب الى المهاجر بن ابى امية: (المهاجر بن ابوامية). ثم قال: و لما كان ابوامية مشتهرا بالكنية ولم يكن له اسم معروف غيره، تركه رسول الله (ص). و مثل القارى لذلك، فقال: (كما يقال: علي بن ابوطالب).

و في مجموعة الوثائق السياسة عن الصفدى: ان بعضهم يكتب: علي بن ابوطالب بالواو، و يلفظ: ابي بالياء. و بعد ان نقل في المجموعة عن التراتيب الادارية، ماتقدم عن نوادر الاصمعى قال: و فوق ذلك كله: انى لما كنت في المدينة، في شهر محرم سنة ١٣٥٨، وجدت في الكتابة القديمة التى في جنوب سلع: (انا علي بن ابوطالب)، و قد تكون هذه الكتابة بخط علي عليه السلام.

و قال في مجموعة الوثائق ايضا: انه وجد كلمة: (علي بن ابوطالب) بالواو، في اربعة مواضع في الكتب المقررة عن الشيوخ.

و نزيد نحن: وقال مغلطاي في سيرته/ ص ١٠ عن أبي طالب :

«وقيل: اسمه كنيته فيما ذكره الحاكم. وفيه نظر».

وفي مروج الذهب ج ٢ ص ١٠٩ ط بيروت: انه قد تنوزع في اسم ابي طالب، فمنهم من رأى ان كنيته اسمه، و ان عليا (ع) قد كتب ليهود خبير، باملاء النبي (ص): (وكتب علي بن ابي طالب)، فاسقاط الألف من كلمة: ابن، يدل على انه واقع بين علمين، لابن علم و كنية.

وفي فتوح البلدان للبلاذرى ص ٧٢: وقال يحيى بن آدم: وقد رايت كتابا في ايدي النجرانيين، كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة، وفي اسفله: (و كتب علي بن ابوطالب)، ولا ادري ما اقول فيه...

وفي كتابه بين ربيعة واليمن نراه قد كتب في آخره— وهى الرواية المشهورة—: (كتب علي بن ابوطالب)، على ما ذكره ابن ميثم البحراني في شرح النهج ج ٥ ص ٢٣١.

وفي عمدة الطالب ص ٢٠—٢١ ط نجف: عن محمد بن ابراهيم النسابة: انه رأى خط امير المؤمنين في آخره: (وكتب علي بن ابوطالب). و قال: انه كان في المشهد الغروي الشريف، مصحف بخط علي (ع) احترق حين احترق المشهد سنة ٧٥٥ هـ. يقال: انه كان في آخره: وكتب علي بن ابوطالب. ثم ذكر: ان الواو مشتبهة بالياء لتقار بهما في الخط الكوفي، و ان الصحيح هو (علي بن ابي طالب) حسبما نقله اليه جده وغيره... الى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه.

ونستطيع ان نستخلص مما تقدم: ان وجود كلمة: (ابو) لا يضر، ولا يوجب اشكالا في الرواية، لاسيما اذا لاحظنا ما نقلوه من لغة قريش المتقدمة، ولا نحتاج الى تأويل عمدة الطالب او غيره.

واما عن ايراده الثاني: فيقول العلامة الاحمدي: انه لا صراحة في كلام البلاذرى، ولا دلالة له على ان هذا الكتاب قد كتب في تبوك، كما ان الكتاب نفسه ليس فيه ما يدل على ذلك. بل فيه ما يدل على وفادة جماعة منهم الى النبي (ص) وانهم سوف يرجعون الى بلدتهم، فلعل وفادتهم اليه كانت الى

المدينة لغرض تجارى، واولاجل الحصول على هذا الكتاب، اوغير ذلك، فكتب النبي (ص) لهم هذا الكتاب... وممايلاحظ هنا: ان عددا من المصادر يكتفى بالاشارة الى انه (ص) قد كتب لاهل مقنا كتاباً في سنة تسع... (١).

هذا ما ذكره العلامة الاحمدى بزيادة و تصرف و تلخيص، وهو كاف و واف في دفع الايراد على هذا الكتاب... ولايبقى ثمة مجال للاشكال على هذه الرواية، و التشكيك في صحتها اصلاً...

٧- كتاب صلح خالد بن الوليد لاهل دمشق. قال ابن سلام: «حدثنا محمد بن كثير، عن الاوزاعى عن ابن سراقه: ان خالد بن الوليد كتب لاهل دمشق: «هذا كتاب من خالد بن الوليد لاهل دمشق: انى قد امنتم على دمايتهم، و امواهم، و كنائسهم. قال ابو عبيد: ذكر كلاما فيه لا يحفظه، و في آخره: شهد ابو عبيدة الجراح، و شر حبيلى بن حسنة، و قضاعى بن عامر، و كتب سنة ثلاث عشرة...» (٢).

(١) - راجع: مكاتيب الرسول (ص) ج ١ ص ٢٨٨-٢٨٩-٢٩٠. و لمعاهدة مقناص آخر، مؤرخ بسنة خمس للهجرة بخط علي عليه السلام ولكنه لا يخلو من بعض الاشكالات التاريخية وان كان يمكن الاجابة عنها كلا او بعضاً. فراجع: مكاتيب الرسول (ص) ج ١ ص ٢٩٣-٢٩٤. وهناك عهد للنصارى مورخ في الثانية للهجرة، بخطه أيضاً عليه السلام و عهد آخر لهم مورخ في السنة الرابعة يقال: انه بخط معاوية و كلا العهدين محل اشكال لاسيما الثانى منها لان معاوية لم يسلم الاعام الفتح... فراجع مكاتيب الرسول (ص) ايضاً ج ٢ ص ٦٣٧ و ٦٣٤ و غير ذلك.

(٢) - الاموال/ ص ٢٩٧ و ذكره البلاذرى في فتوح بلدانه ص ١٢٨ بدون تاريخ مع بعض اختلاف. و في فتوح البلدان ايضاً ص ١٣٠ عن الواقدى: ان خالد بن الوليد كتب لاهل دمشق: انى قد امنتم على دمايتهم، و امواهم، و كنائسهم. قال ابو عبيد: ذكر كلاما فيه لا يحفظه، و في آخره: شهد ابو عبيدة الجراح، و شر حبيلى بن حسنة، و قضاعى بن عامر، و كتب سنة ثلاث عشرة... و اضاف ابن كثير الى الشهود: عمرو بن العاص.

ولا يمنع ان يكون هذا كتاباً آخر كتبه لهم فيما يتعلق بكنائسهم حين نهوضه الى اليرموك كما ربما يستظهر من عبارة ابن كثير في البداية و النهاية ج ٧ ص ٢١ فراجع. وحتى لو كان تاريخ الكتاب هوسنة ١٥ فان ذلك لا يضر في دلالة على المطلوب لان من المتفق عليه ان قضية عمر كانت بعد ذلك اي في سنة ١٦ هـ أو ١٧ هـ.

ومن الواضح انهم يقولون: ان عمر قد وضع التاريخ: اما في سنة ١٦ هـ . و اما في سنة ١٧ هـ . ولا احد يدعي اطلاقا: ان وضعه كان قبل ذلك ... ولاسيا بملاحظة: ان فتح دمشق كان في اول خلافة عمر، بل قبل ان يصل الى جند المسلمين في الشام خبر وفاة ابي بكر و تولي عمر.

نقول هذا... على الرغم من اننا نرى: ان كلمات اهل المغازي قد اختلفت في وقت فتح دمشق: هل كان في سنة ١٣ هـ او في سنة ١٤ هـ . وفي ان من صالح اهلها: هل هو ابو عبدة، ام خالد بن الوليد. و كذلك في ان ايها كان الامير على جند المسلمين في الشام؟ ...

نقول هذا... لان لدينا ما يشبه اليقين في ان فتح دمشق كان قبل وصول الخبر بوفاة ابي بكر في سنة ١٣ هـ . او على الاقل قبل اظهار ابي عبدة للخبر.. و ان الذي صالحهم هو خالد بن الوليد الذي كان اميرا على الجند آنئذ.

و قد نص ابو عبدة، و ابن قتيبة، و الواقدي، و البلاذري (١). و كثيرون غيرهم: على ان المصالحة كانت على يد خالد، مما يعني انه هو الذي كان امير الجيش الى حين الصلح.

بل يذكر لنا الواقدي: مشادة عنيفة حصلت بين ابي عبدة و خالد، بسبب صلح خالد لهم، تظهر لنا بوضوح مدى عناد خالد في موقفه وضعف ابي عبدة معه (٢)، الامر الذي ينسجم كثيرا مع ما نذهب اليه، من ان قيادة الجيش كانت لخالد آنذاك ...

بل لقد ذكر البلاذري وغيره: ان ابا عبدة كان على الباب الشرقي؛ فدخلها عنوة؛ فجاء اهل المدينة الى خالد، فصالحوه، و كتب لهم كتابا، و فتحوا له الباب... ثم نقل قول ابي مخنف، الذي يعكس القضية، ثم قال:

(١) - المعارف لابن قتيبة ص ٧٩ ط سنة ١٣٩٠ بيروت وفتح الشام ج ١ ص ٥٨-٥٩  
 وفتح البلدان ص ١٢٨ حتى ١٣١ وغير ذلك .  
 (٢) - فتح الشام ج ١ ص ٥٨-٦٠.

ونحن نقول: نعم... ان ذلك هو الاثبت لان اكثر المؤرخين يقولون،  
وتلك الرسالة المذكورة في اول هذا الكلام... وغير ذلك، يدل دلالة قاطعة  
على ان خالدا كان هو المصالح لاهل دمشق... ومن ثم على انه كان هو امير  
الجيوش...

واما عزل خالد فقد جاءهم وهم محاصرون لدمشق، فكتمه عنه  
ابوعبيدة نحو عشرين ليلة، حتى فتحت دمشق، حتى لا يوهن امر خالد، وهم  
بازاء العدو (٢) ...

وقال الواقدي: ان فتحها كان في ليلة وفاة ابي بكر (٣).

وقال زيني دحلان: «وقيل: انما جاء خبر وفاة ابي بكر، بعد فتح  
دمشق في سنة ثلاث عشرة، و ان وفاة ابي بكر (رض)، كانت في الليلة التي  
دخلوا فيها دمشق، و كان ذلك ثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة  
من الهجرة. والقائلون بان خبر وفاته انما جاء بعد فتح دمشق هم القائلون بان  
وقعة اليرموك كانت بعد فتح دمشق، وانها سنة خمس عشرة» (٤).

وقال ابن كثير: «ظاهر سياق سيف بن عمر يقتضى: ان فتح دمشق  
وقع في سنة ثلاث عشرة. ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من انها  
فتحت في نصف رجب سنة اربع عشرة...» (٥).

و عن عبدالرحمان بن جبير: ان ابا عبيدة نفسه قد ذهب لبشر ابا بكر  
بفتح دمشق، فوجده قد توفي، وامره عمر على الناس. فلما عاد الى دمشق قالوا:  
«مرحبا بمن بعثناه بريدا فقدم علينا اميرا» (٦).

(١) - فتوح البلدان ص ١٢٩ وليراجع ايضاً: البداية والنهاية ج ٧ ص ٢١ ونقله عن آخرين.

(٢) - البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣ وفتوح البلدان ص ١٢٧-١٢٩.

(٣) - فتوح الشام ج ١ ص ٥٨-٥٩.

(٤) - الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ٤٧.

(٥) - البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢.

(٦) - البداية والنهاية ج ١ ص ٢٤.

و على كل حال... فان كتاب الصلح المتقدم، وسائر الدلائل والشواهد المتقدمة، كل ذلك يشهد: بان خالدا هو الذى صالح اهل الشام وفاقا لاكثر المؤرخين... و قد قلنا: انه حتى ولو كان الكتاب مؤرخا بسنة ١٥-١٥، او كان ذلك كتابا آخر، فانه ايضا يدل دلالة واضحة على ان التاريخ كان قد وضع قبل خلافة عمر...

و اما لماذا يعدل الرواة والمؤرخون عن الحقيقة، فلعل تقارب الاحداث وتتابعها قد اوقعهم فى الخلط والاشتباه... و لعله... حين نريد ان نحسن الظن بهم— وهم اهل ومحل لذلك !!— كان لتعمد اظهار: ان عهد عمر كان عهد الفتوحات العظيمة و التوسع الكبير.. و ايضا فثمة اهتمام خاص ظاهر للعيان فى اثبات شجاعة خالد، وإظهار قوته و بطولاته فى مواقفه، و انه— دون كل احد— رجل السيف والسنان، ولو كان ذلك عن طريق الكذب و الدجل و التزوير...

واما ان اي ذلك الذى ذكرناه هو السبب الحقيقى فى العدول عن الحقيقة فلست ادرى، ولعل القارئ الفطن الذكى يدرى...

٨— «ونقل السيوطى عن مجموعة بخط ابن القماح ذكر فيها: ان ابن الصلاح قال: ذكر ابوطاهر، محمد بن محمش الزيادى فى تاريخ الشروط: ان رسول الله (ص) ارخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران و امر عليا: ان يكتب فيه: انه كتب لخمس من الهجرة. قال: فالمؤرخ بهذا اذن رسول الله (ص)، و عمر تبعه فى ذلك (١)».

و قال السيوطى ايضا: «... و قد يقال: هذا صريح فى انه يقال: ارخ سنة خمس. والحديث الاول (يعنى رواية الزهري المتقدمة) فيه: انه ارخ يوم قدم المدينة. ويجاب: بانه لامنافاة فان الظرف و هو قوله: (يوم قدم المدينة) ليس متعلقا بالفعل و هو امر، بل بالمصدر و هو (التاريخ) اى امر بان يؤرخ بذلك

(١)— راجع الشماريخ فى علم التاريخ للسيوطى ص ١٠ والتراتب الادارية ج ١ ص ١٨١ عنه.



اليوم، لا ان الامر كان في ذلك اليوم.. (١)» هذا كلام السيوطي.

ولكن ثمة جواب اوضح واظهر، وهو انه (ص) قد امر بالتاريخ من اول قدومه، وجعل مبدآه اول ربيع الاول... واستعمله النبي (ص) نفسه حين كتب لنصارى نجران في سنة خمس.

وعلى كل حال... فقد قال السخاوي: «فان ثبت فيكون عمر متبعالا مبتكرًا» (٢).

وقال السيد عباس المكي: «التاريخ سنة ماضية، وطريقة راضية، امر بها رسول الله (ص) حين كتب الى نصارى نجران، فامر عليا رضي الله عنه: ان يكتب فيه: (كتب لخمس من الهجرة) (٣)». ثم نقل رواية ابن شهاب المتقدمة...

٩- خبر الصحيفة السجادية الذي يظهر منه: ان جعل هجرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم مبدآ للتاريخ كان مرتبطا بالمبدآ الاعلى جل و علاحيث جاء في الخبر: ان جبرئيل (ع) قال للنبي (ص): «... تدور رحى الاسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرا ثم تدور رحى الاسلام على راس خمس و ثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمسا...» (٤).

١٠- «وعن ام سلمة قالت: قال رسول الله (ص) يقتل حسين بن علي على راس ستين من مهاجري» (٥).

(١) - الشماريخ ص ١٠.

(٢) - التراتيب الادارية ج ١ ص ١٨١. (٣) - نزهة الجليس ج ١ ص ٢١.

(٤) - البحار ج ٥٨ ص ٣٥١ بعد تصحيح ارقام صفحاته وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١ والصحيفة السجادية ص ١٠ وقد روي هذا عن النبي (ص) بطرق اخرى ذكرها في البداية والنهاية ج ٢٠٦-٢٠٧ و ج ٧ ص ٢١٩ و ص ٢٧٥-٢٧٦ عن احمد وابي داود وابن داود ولكن باختلاف وتصرف وحذف فراجع: وراجع: سنن ابي داود نشر دارالكتاب العربي ج ٤ ص ١٥٩-١٦٠ وغير ذلك.

(٥) - مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٠ عن الطبري ولم يطعن في سنده الا في سعد بن طريف وليس ذلك الا لتشيعه حسبا صرحوا به.

١١- وعن أنس قال: «حدثنا اصحاب النبي (ص): ان النبي (ص) قال: لا تاتي مئة سنة من الهجرة ومنكم عين تطرف (١)».

١٢- واخيراً... فقد ذكرت الدكتورة سعاد ماهر محمد في كتابها: (مشهد الامام علي في النجف الاشرف) ص ١٠٤-١٠٥ نصاً للكتاب الذي كتبه خالد بن الوليد لاهل الحيرة، وجاء في آخره: (... وان غدروا بفعل او بقول فالذمة منهم بريئة وكتب في شهر ربيع الاول من سنة اثنتي عشرة).  
و من المعلوم ان فتح الحيرة على يد خالد كان في زمن ابي بكر، وذلك معناه ان التاريخ كان قد وضع و استعمل قبل خلافة عمر، فكيف يكون عمر هو واضع التاريخ في سنة ست عشرة؟ وقد يمكن تأييد ذلك بما تقدم عن السهيلي و ابن عباس و غير ذلك مما لا مجال لذكره...

١٣- مارواه الحافظ عبدالرزاق عن ابي هريرة قال: (ويل للعرب من شر قد اقترب على رأس الستين تصير الامانة غنيمة الخ) (٢).

١٤- مارواه عبدالرزاق ايضاً عن ابن مسعود قال: (اذا كانت سنة خمس و ثلاثين حدث امر عظيم، فان تهلکوا فبالخرا، و ان تنجو ففسي. و اذا كانت سبعين رأيتم ماتنكرون) (٣).

فان ابن مسعود و ابا هريرة انما علما ذلك عن طريق النبي (ص) لانه تنبؤ بالغيب كما ترى، و هذا يدل على انه (ص) هو واضع التاريخ الهجري.

→ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٣٤٩، والامام ج ٥ ص ٢٩٩، وكنز العمال ج ١٣ ص ١١٣ ط حيدرآباد، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢١٢ عن الطبراني، والخطيب، وابن عساكر. ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٥ ص ١١١، ومقتل الحسين (ع) للخوارزمي ج ١ ص ١٦١، واحقاق الحق ج ١١ ص ٣٥٤ عن بعض ما تقدم وعن مفتاح النجا ص ١٣٦ مخطوط، وعن المعجم الكبير للطبراني.

(١) - مجمع الزوائد ج ١ ص ١٩٧ عن ابي يعلى وله الفاظ وطرق عديدة كثيرة اخرى لكن بلا ذكر كلمة: من الهجرة.

(٢) و (٣) - مصنف عبدالرزاق/ ج ١١ ص ٣٧٣ و ٣٧٥.

١٥- «وفي حديث رواه ثقات: نعوذ بالله من رأس الستين وفي رواية: من سنة ستين، و من امارة الصبيان» (١).

١٦- «عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر (رض) مرفوعاً: اذا كان على رأس السبعين ومئة فالرباط بجدة من افضل ما يكون من الرباط (٢)».

### عود على بدء:

وبعد كل ما قدمناه يتضح ان ما اشتهر بين الناس من ان واضح التاريخ الهجرى الاسلامى هو عمر بن الخطاب مما لا يمكن القبول به ولا المساعدة عليه... و ان ما حدث فى زمن عمر هو فقط: جعل مبدأ السنة الهجرية شهر محرم بدلا من ربيع الاول، اما باقتراح من عمر نفسه، او باشارة من عثمان... ومحرم— كما هو معلوم— كان هو مبدأ السنة فى الجاهلية!!...

وليس من البعيد: ان يكون التاريخ الهجرى الذى وضعه النبي (ص) وارىخ به اكثر من مرة، لم يكن قد اشتهر بين الناس بسبب قلة احتياجهم للتاريخ فى تلك الفترة فجمع عمر الصحابة ليتفقوا على تاريخ حسبما تقدم بيانه (٣).

ولكننا راينا فى الاجتماع دعوات مغرضة لتناسى ذلك التاريخ الذى امر به ووضع الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا يشير بتاريخ الروم... وبعض مسلمى اليهود يشير بالتاريخ الذى يرجع الى زمان الاسكندر والهرمزان... يستشيرهم عمر— مع ان عمر كان يكره الفرس كراهية شديدة جدا— فيشير عليه بتاريخ الفرس كلما هلك ملك ارضوا من ولاية الذى بعده... وزابع: يشير بجعل مبدأ التاريخ مولد النبي (ص)... عام الفيل... الذى كان العرب يؤرخون به فى جاهليتهم المتأخرة: وهكذا «وكثر منهم القول وطال الخطب فى تواريخ الاعاجم وغيرها» على حد تعبير

(١) — تطهير الجنان واللسان/ ص ٦٦ سنة ١٣٧٥.

(٢) — لسان الميزان/ ج ٢ ص ٧٩.

(٣) — احتمال ذلك العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني فى مقال له نشرته مجلة الهادى فى السنة

المسعودى... (١).

ولكن عليا حافظ الدين ورائد الحق... اعلن في الوقت المناسب:  
التاريخ الهجرى الذى وضعه الرسول (ص) وارخ به هو نفسه في حياة النبي  
(ص) العديد من الكتب و المعاهدات...

فلم يكن ثمة بسد من قبول رأيه والاذعان لمشورته لأنها حق والحق  
يعلو ولا يعلى عليه...

واتخاذ الهجرة مبدأ للتاريخ دون يوم ولادته ووفاته (ص) انما  
هولأهمية الهجرة في صنع التاريخ والانسانية، كما انه يكون بذلك (ع)  
قد ابعد كل المواقف المخزية او الاحداث التي تختص بالطواغيت والظلام عن  
ان تجعل مبدأ للتاريخ...

### والتاريخ المسيحي اذن... لماذا؟

وبعد... فان ما هو جدير بالملاحظة والتسجيل هنا: اننا نرى - و  
بكل اسف واسى.

ان الغربيين وغير المسلمين يحافظون على تراثهم وعلى خصائصهم مهما  
كانت تافهة وحقيرة، و غير ذات اهمية ولا يتنازلون عنها في اي من الظروف  
والاحوال حتى انهم عند ما يكتبون عن الشؤون والتواريخ الاسلامية نراهم  
يصرون على تحوير التاريخ الهجرى الذى ضبطت به الى الميلادى، مهما كان  
ذلك موجبا لضياح كثير من الحقائق والغلط والخلط فيها...

ولكننا نلاحظ من الجهة الاخرى: اننا نتنازل عن كثير من الاشياء  
التي قد يكون الكثير منها رئيسيا واساسيا بدعوى التقدمية والثقافة الى غير  
ذلك من الفاظ خلافة و شعارات براقه تخفى وراءها الكثير الكثير من  
المهالك والاطوار.

ولقد راينا: اننا تخلينا اخيراً وبكل يسر وسهولة عن هذا التاريخ

الهجري الذي هو مصدر عزتنا، وعليه يقوم تاريخنا وتراثنا... الى التاريخ المسيحي الشمسي الذي انما ظهر واستقر في القرن الرابع الهجري على وجه التقريب... فنرى العديد من الدول التي تطلق على نفسها: انها دول اسلامية، والعديد من الشعوب التي تنسب نفسها الى الاسلام قد اتخذت هذا التاريخ المسيحي لا الفارسي والارومي الذين اقترحا على الصحابة في الصدر الاول...

نعم... لقد اعتمدوا التاريخ المسيحي بدعوى الثقافة والتقدمية وما الى ذلك من شعارات وتركوا ما هو مصدر عزتهم و ما عليه يقوم تاريخهم و تراثهم، كما تنازلوا عن الكثير الكثير مما هو اعظم واهم، والتنازل عنه امر وخطر، وادهى...

### دعوة مخلصية:

«فنحن ندعو الامم الاسلامية الى اعتماد التاريخ الهجري في تقاومهم و توارخهم لان بذلك يتصل ماضيهم بحاضرهم و يذكّرهم بسر مجدهم وعزتهم، وهو هذا الدين الذي اختاره الله لهم وللانسانية جمعاء...

مضافا الى انه لو كان المفروض جعل اعظم الحوادث مبدأ للتاريخ فاي حادثة اعظم من ظهور نبي الاسلام، وما تلا ذلك من الحوادث العظام.

اقول ذلك للامم الاسلامية جميعا وللغرب خاصة... ولو تنزلنا عن ذلك من حيث الدين فليلا حظوا ذلك بما انهم عرب... واذكرهم بالكلمة القوية التي اطلقها الحسين سيد الشهداء عليه السلام: ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فارجعوا الى احسابكم ان كنتم عرباً. (١)».

نسأل الله ان يعيد اليهم صوابهم و يجعلهم يسترشدون بعقوبهم و ضمائرهم...

و اذا كانوا يقلدون غيرهم في كل شئ تحت ظل مثل تلك الشعارات فليقلدوهم في هذه النقطة ايضا... اي في عدم التنازل عن الخصائص الخيرة

والتراث العظيم، ثم الاستجداء من الآخرين والاخذ منهم ما قد يكون بل هو كائن فعلاً— ضرره أكثر من نفعه...

«قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا و من اتبعني» والحمد لله  
وصلاته على عباده الذين اصطفى...

### ٣- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

وبعد خمسة أشهر أو ثمانية أو أقل أو أكثر (١) من مقدمه صلى الله عليه وآله المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار. وزاد ابن سعد: انه آخى في نفس الوقت بين المهاجرين والمهاجرين (٢).

آخى بينهم على الحق والمساواة (وقيل: واتوارث) فنزلت سورة الانفال التي تجعل الارث لأولي الارحام قبل أن يموت أحد من المتأخين (٣)؛ لأن أول من مات من المهاجرين— كما يقولون— هو عثمان بن مظعون، مات بعد بدر (٤).

ونحن نشك في أن يكون قد آخى بينهم على التوارث، لانه إن كان رفعه نسخاً فلامعنى للنسخ قبل حضور وقت العمل كما أنه يلزم أن يكون تشريع التوارث للمتأخين عبثاً، وبلا فائدة... إلا أن يقال: إن نفس جعل الحكم، وأن يعيش المسلمون هذه الأجواء الأخوية والشديدة التلاحم إلى هذا الحد... كان ضرورياً في تلك الفترة من الزمن...

ولكن الذي تظمنن إليه النفس هو أن نفس المسلمين، أو بعضهم هم الذين تخيلوا أن هذه الأخوة ربما تمتد إلى حد توريث بعضهم من بعض...

وإلا فلماذا لم يورث النبي (ص) ممن استشهدوا في بدر من المهاجرين

(١) - راجع البحار ج ١٩ ص ١٢٢ و هامش ص ١٣٠ عن مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٥٢ وعن المقرئ، عن المنتقى في مولود المصطفى، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٧١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥، عن اسد الغابة، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٧، وفتح الباري ج ٧ ص ٢١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٢.

(٢) - طبقات ابن سعد ط. ليدن ج ١ قسم ٢ ص ١.

(٣) - راجع بحار الانوار للعلامة المجلسي رحمه الله ج ١٩ هامش ص ١٣٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣/٩٢.

(٤) - الاصابة ج ٢ ص ٤٦٤، والكامل لابن الاثير ط صادر ج ٢ ص ١٤١.

أوالأنصار، مع ان ذلك قد كان قبل نزول آية. «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض».

بل إن كون عثمان بن مظعون مات بعد نزول الآية الرافعة للحكم السابق غير معلوم...

### عدد الذين كانت المؤاخاة بينهم:

ويقولون: إن المسلمين كانوا حين المؤاخاة تسعين رجلاً، خمسة و أربعين رجلاً من الانصار، ومثلهم من المهاجرين... ويدعي ابن الجوزي: أنه احصاهم فكانوا جميعاً ستة وثمانين رجلاً. وقيل: مئة رجل (١) ثم استمر صلى الله عليه وآله يجدد المؤاخاة بحسب من يدخل في الاسلام، أو يحضر إلى المدينة من المسلمين (٢) ويدل على ذلك: أنهم يذكرون أنه (ص) قد آخى بين أبي ذر والمنذر بن عمرو مع أن اباذر انما قدم المدينة بعد احد كما انه قد آخى بين الزبير و ابن مسعود، وقد وصل ابن مسعود إلى المدينة والنبي (ص) يتجهز إلى بدر (٣).

ولكن... ربما يشكل على ذلك بان المسلمين كانوا أكثر من ذلك بكثير، فقد بايعه من أهل المدينة في العقبة الثانية أكثر من ثمانين... كما أنه جهز جيشاً بعد عشرة أو ثلاثة عشر شهراً إلى بدر قوامه ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً...

ويمكن الجواب... أولاً: بما ذكره البعض من أن المؤاخاة كانت بين مئة وخمسين من الانصار، ومئة وخمسين من المهاجرين (٤)...

وثانياً: لوقلنا بعدم صحة ذلك باعتبار أن الذين خرجوا من المهاجرين إلى بدر كانوا ما بين الستين والثمانين— على اختلاف النقل— فاننا نقول: ان الانصار كانوا أكثر بكثير من المهاجرين والمهاجرون هم الذين كانوا خمسة وأربعين، على ما يظهر فكانت المؤاخاة بين هؤلاء و بين مثلهم

(١)— راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١، وفتح الباري

ج ٧ ص ٢١٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٠ والبحار ج ١٩ ص ١٣٠ عن المنتقى، والمقرزي...

(٢)— فتح الباري ج ٧ ص ٢١١.

(٣)— فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

(٤)— راجع: البحار ج ١٩ ص ١٣٠.

من الانصار، ثم استمرت المؤاخاة كلما ازداد عدد المهاجرين، حتى بلغوا مائة وخمسين رجلاً، كما في النص الآنف...

### المؤاخاة بين كلٍ ونظيره:

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يؤاخي بين الرجل ونظيره، كما يظهر من ملاحظة المؤاخاة قبل الهجرة، وبعدها، فقد آخى قبل الهجرة - على الظاهر - بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عثمان وعبدالرحمان بن عوف، وبين نفسه وعلي (١)... ولكن ابن حبان يذكر أن ذلك كان في المؤاخاة الثانية في المدينة، وزاد فيهم سعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر (٢) وهؤلاء كلهم من المهاجرين...

وفي المدينة آخى بين أبي بكر، وخارجة بن زهير، وبين عمر وعثمان بن مالك، وهكذا... ثم أخذ بيد علي فقال: هذا أخي... وآخى أيضاً... بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين جعفر بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل...

وقد أورد على هذا الأخير بأن جعفرأ كان حينئذٍ في الحبشة (٣).

والجواب هو ماتقدم، من أنه صلى الله عليه وآله استمر يؤاخي بين المسلمين كلما قدم المدينة منهم أحد... وقد أجاب البعض بأنه أُرصد له لأخوته حين يقدم (٤).

فيرد سؤال: ما هو السبب في تخصيص جعفر بهذا الأمر؟! إلا أن يقال: إن المقصود هو اظهار الاهتمام بشأن جعفر والتنبيه على فضله...

### مؤاخاة النبي (ص) لعلِي:

وروى أحمد بن حنبل وغيره: أنه (ص) آخى بين الناس، وترك

(١) - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥، وفتح الباري ج ٧ ص ٢١١ والاستيعاب...

(٢) - الثقات ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٢.

(٣) - سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥١ والسيرة الحلبية، وغير ذلك...

(٤) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩١.



علياً، حتى الأخير، حتى لا يرى له آخاً... فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركتني؟، فقال: إنما تركتك لنفسي، أنت أخي، وأنا أخوك، فإن ذكرك أحد، فقل: أنا عبدالله وأخو رسوله، لا يدعيها بعدك إلا كذاب. والذي بعثني بالحق، ما أخرجت إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لانبئ بعدي، وأنت أخي ووارثي (١).

و من طريق الأمر: أنه عليه السلام، قد قال لهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله هذه الكلمة: أنا عبدالله وأخو رسوله وذلك، في خضم الأحداث التي انتهت بغصب الخلافة من وارث النبي صلى الله عليه وآله، فكذبوه؟! وقالوا له: أما عبدالله فنعم، وأما أخو رسوله فلا...

وقوله: وانت أخي و وارثي يطرح علينا سؤالاً، وهو أنه إذا كان المراد: أنه وارث لعلم النبي (ص) دون غيره، فن غيره أولى بمقام النبي صلى الله عليه وآله، وإن كان المراد: أنه وارثه بقول مطلق، حتى المال، فإن المال كان حقاً لفاطمه عليها السلام، كما قاله الامام الباقر (ع)... وقد استولى الذين جاؤا بعد النبي (ص) على اموالها ومنها فذك وغيرها؟!...

### تواتر حديث المؤاخاة:

وعلى كل حال... فإن حديث المؤاخاة متواتر لا يمكن انكاره، ولا سيما مؤاخاة النبي (ص) لعلي (ع)، سواء في المؤاخاة الأولى في مكة، أم في الثانية في المدينة، وهو مروى عن عشرات من الصحابة والتابعين كما يعلم من المصادر التي في الهامش (٢).

(١) راجع: نهج الحق في ضمن دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦٧، و ينابيع المودة ص ٥٦، وتذكرة الخواص ص ٢٣ عن أحمد في الفضائل، وصححه، وابن الجوزي، ونقل عن: كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٠ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩، وتاريخ ابن عساکر ج ٦ ص ٢١، وكفاية الشنقيطي ص ٣٥ و ٤٤.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٧ و ٢٦٨، و ينابيع المودة ص ٥٦ و ٥٧ عن مسند أحمد، وتذكرة الخواص ص ٢٢-٢٤، وحكي عن الترمذي أنه صححه، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ و ٩٠ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤، والثقات لابن حبان ج ١ ص ١٣٨، وفراند السمطين ج ١ الباب العشرون، والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢ و ٢٩

و عليه فلا يصغى لدعوى أن النبي آخى بين علي و عثمان، (١) أو بين النبي (ص) و عثمان... فان ذلك لا ريب في بطلانه (٢)... فان المقصود من ذلك هو الرفع من شأن عثمان، و تكذيب فضيلة لعلي عليه السلام، بل و جعل عثمان و علي (ع) في مستوى واحد... و كيف؟! و أنى!؟

### تكنية علي بأبي تراب:

و يذكر البعض هنا: أن علياً (ع) لما رأى أنه (ص) لم يؤاخ بينه و بين أحد خرج كئيباً إلى المسجد، فنام على التراب فجاءه (ص) فجعل ينفض التراب عن ظهره، و يقول: قم يا أبا تراب، ثم آخى بينه و بين نفسه (٣).

ولكن الظاهر هو أن هذه التسمية كانت في مناسبة أخرى غير هذه،

→ و البداية و النهاية ج ٣ ص ٢٢٦ و ج ٧ ص ٣٥، و تاريخ الخلفاء ص ١٧٠، و دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦٨-٢٧٠ عن كنعان العمال، و عن البيهقي في سننه، و الضياء في المختارة، و عبد الله بن أحمد في زيادات المسند ثمانية احاديث و أبيه في المسند و في الفضائل، و أبي يعلى و الطبراني، و ابن عدي، و الجمع بين الصحاح الستة، و أخرج الخوارزمي اثني عشر حديثاً، و ابن المغازلي ثمانية احاديث و سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٠.

و الغدير ج ٣ ص ١١٢ حتى ص ١٢٥ عن بعض من تقدم و عن المصادر التالية: جامع الترمذي ج ٢ ص ١٣، و مصابيح البغوي ج ٢ ص ١٩٩، و الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠، ترجمة أمير المؤمنين، و عهد حديث المؤاخاة من الآثار الثابتة، و تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧١ و مشكاة المصابيح هامش المرقاة ج ٥ ص ٥٦٩، و المرقاة ص ٧٣-٧٥، و الاصابة ج ٢ ص ٥٠٧ و المواظف ج ٣ ص ٢٧٦، و شرح المواهب ج ١ ص ٣٧٣، و طبقات الشعرا ج ٢ ص ٥٥، و تاريخ القرماني هامش الكامل ج ١ ص ٢١٦، و سيرة دحلان هامش الحلبية ج ١ ص ٣٢٥، و كفاية الشنقيطي ص ٣٤، و الامام علي تاليف محمد رضا ص ٢١، و الامام علي لعبد الفتاح عبد المقصود ص ٧٣ و الفتاوى الحديثية ص ٤٢ و شرح النهج ج ٢ ص ٦٢ و صححه و عده مما استفاض من الروايات، و كنعان العمال ج ٦ ص ٢٩٤ و ٢٩٩ و ٣٩٠ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٥٤٠.

(١) - تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٧ و الغدير ج ٩ ص ٩٤ و ٩٥ و ٣١٨ عن الرياض النضرة ج ١ ص ١٧، و عن الطبري ج ٦ ص ١٥٤ و عن كامل ابن الاثير ج ٣ ص ٧٠ و عن المعتزلي ج ١ ص ١٦٥ و لكنه في ج ٢ ص ٥٠٦ ذكر نفس الحديث عن الطبري من دون ذكر المؤاخاة!!!...

(٢) - طبقات ابن سعد طليدن ج ٣ ص ٤٧ و الغدير ج ٩ ص ١٦ عنه...

(٣) - الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١ عن الطبراني في الكبير والاوسط، و مناقب الخوارزمي ص ٧، و عن كفاية الطالب ص ١٩٣ عن ابن عساكر...

ولسوف نتعرض لها حين الحديث عن السرايا في الآتي القريب إن شاء الله تعالى...

### مع المنكرين لمؤاخاة النبي (ص) لعلي (ع):

و بعد كل تلك المصادر المتقدمة والتي هي غيضة من فيض نجد ابن حزم وابن كثير ينكران صحة سند حديث المؤاخاة (١) وأنكره أيضاً ابن تيمية واعتبره باطلاً وموضوعاً، بحجة: أن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إنما كانت لارفاق بعضهم ببعض، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض؛ فلا معنى لمؤاخاة النبي (ص) لأحد منهم، ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري (٢).

### و نحن نقول:

إن إنكار سند حديث مؤاخاة النبي (ص) لعلي (ع) لا معنى له بعد أن صححه كثير من الأعلام، و بعد أن تواتر في كتب سائر المسلمين عن عشرات الصحابة والتابعين، وغيرهم... ولا سيما إذا كان هذا الإنكار من الابناء الثلاثة: كثير، و حزم، و تيمية، المعروفين بالنصب، والتعصب ضد فضائل علي، و اهل بيته الطاهرين...

و أما ما ذكره ابن تيمية تعليلاً لانكاره؛ فنحن نذكر:

أولاً: ما أجاب به غير واحد: «من ان هذا رد للنص بالقياس، و غفلة عن حقيقة الحكمة في ذلك. و بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة، و الارتفاق ممكن، فأخى بينهم ليعين بعضهم بعضاً...» ثم طبقوا هذا الاحتمال على علي (ع) و النبي لأنه (ص) كان يقوم بامر علي قبل البعثة (٣)

(١) - راجع: البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢٣ و ٣٣٦،

(٢) - راجع: منهاج السنة ج ٢ ص ١١٩ و البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٧، و فتح الباري ج ٧ ص ٢١١ و السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ و دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٧٢.

(٣) - وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٨، و فتح الباري ج ٧ ص ٢١١ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ و السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥، و الغدير ج ٣ ص ١٧٤-١٧٥ عن الفتح عن الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٣٧٣.

اي أن التآلف وا لمحبة مطلوبان أيضاً بين المهاجرين؛ لأنهم كانوا من فئات مختلفة، ومستويات متفاوتة: عقائدياً وفكرياً، واجتماعياً الخ... بل لقد صرح نص المؤاخاة بأنها كانت على الحق والمساواة.. كما أنه قد هاجر من قبيلة واحد ومن أخرى عشرة... كما ويدعون أن بعض المهاجرين قد حمل ماله معه؛ فيمكن أن يعين بعضهم بعضاً...

ولكننا نوافق على قولهم الاخير بالنسبة لعلي (ع) والنبي (ص)، لأن علياً قد بلغ منزلة يستطيع معها أن يعول نفسه بالعمل والحصول على ما يحتاج إليه، أو بالزراعة، أو التجارة، بل والغنائم أيضاً...

و إنما الغرض من مؤاخاة الرسول (ص) له هو تعريف منزلته، و اظهار فضله على غيره، لأنه كان يؤاخي بين الرجل و نظيره— كما صرح به المؤرخون— وكما يظهر من دراسة عملية المؤاخاة نفسها، لأن ذلك أقرب إلى التعاضد والتعاون، وأوجب للتآلف والمحبة (١).

وثانياً: قد أخرج الحاكم، و ابن عبد البر، بسند حسن: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم «أخى بين الزبير و ابن مسعود» وهما من المهاجرين. و أخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني، و يصرح ابن تيمية بأن أحاديث المختارة أصح و أقوى من أحاديث المستدرک (٢) ولكن لا بد وأن يكون ذلك بعد قدوم ابن مسعود إلى المدينة لأنه كان من مهاجري الحبشة، و قدم المدينة بعد قضية المؤاخاة العامة حين كان (ص) يتجهز الى بدر (٣)

وأخى أيضاً— على ما ذكره ابن حبان و غيره— بعد الهجرة بين أبي بكر و عمر، و عثمان و عبد الرحمن بن عوف، و طلحة و الزبير، و سعد بن أبي وقاص، و عمار بن ياسر و بينه (ص) و بين علي (ع). (٤)

(١) — راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٧٢ / ٢٧٣

(٢) — فتح الباري، و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٨، و الغدير ج ٣ ص ١٧٤ و ١٧٥ عن الفتح، و عن شرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٣٧٣.

(٣) — فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

(٤) — الثقات لابن حبان ج ١ ص ١٣٨ — ١٤٢. و راجع: الغدير ج ١٠ ص ١٠٣ — ١٠٧ فإنه ذكره عن غير واحد و راجع: مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٨ و السيرة

كما وثبتت أيضاً مؤاخاة زيد بن حارثة لحمزة و هما مهاجران، ولذا كما يقولون - تنازع زيد وعلي وجعفر في ابنة حمزة، وكانت حجة زيد: أنها ابنة أخيه (١)...

و قضية الخلاف حول من يكفل ابنة حمزة تحتاج إلى تحقيق و تمحيص، نسال الله أن يوفقنا لذلك في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى...

### مع قضية المؤاخاة:

#### الف: السموبالعلاقات الانسانية:

لقد أريد بعملية المؤاخاة السموبالعلاقات هذا الانسان عن المستوى المصلحي وجعلها علاقة إلهية خالصة تصل إلى درجة الأخوة، وليكون أثرها في التعامل بين المسلمين أكثر طبيعية وانسجاماً، وبعيداً عن النوازع النفسية، التي ربما توحى للأخوين المتعاونين بأمر من شأنها أن تعقد العلاقات بينها ولو نفسياً على أقل تقدير...

#### باء: دورالمؤاخاة في بناء المجتمع الجديد:

لقد كان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بصدد بناء مجتمع جديد، يكون المثل الأعلى للصالح و الفلاح، قادراً على القيام بأعباء الدعوة إلى الله، و نصرة دينه في أي من الظروف والأحوال...

وقد تقدمت - عندالبحث عن عملية بناء المسجد - الاشارة إلى واقع وجود الفوارق الكبيرة بين المهاجرين أنفسهم، والانصار أنفسهم، والمهاجرين والانصارمعاً - الفوارق - الاجتماعية، والقبلية، والثقافية، والنفسية، والعاطفية، وحتى العمق العقيدي، وغير ذلك ... هذا بالاضافة إلى الظروف النفسية والمعيشية، التي كان يعاني منها المهاجرون بالخصوص...

الخليية ج ٢ ص ٢٠، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٢١١، والاستيعاب، وذكر عثمان، وقد كان في الحبشة، وكذا عبدالرحمان بن عوف، يؤيد: أن ذلك كان في المؤاخاة الثانية بعد الهجرة إلى المدينة...

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٧ ط اليمينية، و مستدرک الحاكم ج ٢ ص ١٢٠ وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة وغير ذلك من المصادر.

ومع ملاحظة حجم التحدي، الذي كان يواجه هذا المجتمع الناشئ الجديد، سواء في الداخل: من الخلافات بين الاوس والخزرج، الذين كانوا لا يزالون على شركهم، ثم من المنافقين، ومن يهود المدينة... ومن الخارج: من اليهود، والمشركين في جزيرة العرب؛ بل والعالم بأسره...

ومع ملاحظة عظم المسؤولية التي يتحملها هذا المجتمع في صراعه من أجل إقامة هذا الدين الجديد والدفاع عنه...

مع ملاحظة كل ذلك... كان لابد من إيجاد روابط وثيقة تشد هذا المجتمع بعضه إلى بعض، و بناء عواطف راسخة، قائمة على أساس عقيدي، تمنع من الإهمال ومن الحيف على أي فرد من أفراد هذا المجتمع الجديد، بحيث يكون الكل مسمولين للرعاية التامة، التي تجعلهم يعيشون الحب والحنان بأسمى وأجل معانيه... كما أنها تمنع من ظهور تلك الرواسب النفسية، والعقد التاريخية— بل وتقضى عليها تدريجاً— بين أفراد هذا المجتمع، ولا سيما بعد أن أصبح يعيش مع بعضه البعض... الأمر الذي يجعل خطر ظهورها— لأتفه الاسباب— أشد، وتدميرها أعظم وأوسع...

و كانت تلك الرابطة الوثيقة هي عملية: «المؤاخاة»، التي روعيت فيها الدقة إلى الحد الذي يضمن معه أن يحفظ في هذا المجتمع الجديد معها— التماسك والتعاقد إلى أبعد مدى ممكن، وأقصى غاية تستطيع. ولا سيما وأنه كان يؤاخي بين الرجل ونظيره، كما يقولون...

و سر ذلك يرجع إلى أن هذه المؤاخاة قد أقيمت على أساسين اثنين:

### الأول: الحق:

فهو القاسم المشترك بين الجميع، عليه يبنون علاقاتهم، وهو الذي يحكم تعاملهم مع بعضهم البعض في مختلف مجالات الحياة... نعم... الحق هو الأساس، وليس الشعور الشخصي النفسي، ولا المصلحة الشخصية أو القبلية، أو الحزبية!!

و بديهي: أن الحق إذا جاء عن طريق الأخوة والحنان والعطف، فإن ذلك يكون ضماناً لبقائه واستمراره، والتعلق به، والدفاع عنه.

أما إذا فرض هذا الحق فرضاً عن طريق القوة والسلطة فبمجرد أن تغيب السلطة، والقوة؛ فلنا أن نتوقع غياب الحق، لأن ضمانته ببقائه ذهبت، فأى مبرر يبقى لوجوده، وبقائه؟! بل ربما يكون وجوده وبقاؤه مثاراً للاحتقاد والاحن، التي ربما يتولد عنها الظلم والطغيان في اشبع صورته وأخزائها...

### الثاني: المؤاساة:

فهذه الأخوة إذن ... ليست مجرد توهج عاطفة، أو شعور نفسي، وإنما هي أخوة مسؤولة ومنتجة، تترتب عليها آثار عملية بالفعل، يحسّ الانسان فعلاً بمجدواها وفعاليتها، تماماً كالأخوة التي في قوله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم (١)» حيث جعل مسؤولية الصلح بين المؤمنين متفرعة وناشئة عن الأخوة الايمانية... وإذا كانت أخوة خيرة ومنتجة—، فمن الطبيعي أن تبقى، وأن تستمر. ومن الطبيعي أيضاً أن يستمر الاحتفاظ بها، والحفاظ عليها إلى أبعد مدى ممكن...

وقد كانت لهذه المؤاخاة نتائج هامة في تاريخ النضال والجهاد... وقد امتن الله على نبيه في بدر بقوله:

«و إن يريدوا أن يخدعوك ؛ فإن حسبك الله، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم، إن الله عزيز حكيم (٢)».

### خلة أبي بكر:

و يروون: أنه (ص) قال: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً (٣)...

(١) — الحجرات ١٠ (٢) — الانفال ٦٢

(٣) — مصنف عبدالرزاق ج ١٠ ص عن ابن الزبير، وفي هامشه عن سعيد بن منصور، والغدير

٩ ص ٣٤٧ عن صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٤٣ باب المناقب، وباب الهجرة ج ٦ ص ٤٤.

ولكن كيف يصح هذا وهم يروون:

١- ان خليلي من أمتي أبوبكر (١).

٢- ويروون: لكل نبي خليل، و خليلي سعد بن معاذ (٢)  
أو عثمان بن عفان (٣).

والحقيقة هي: أن حديث خلة عثمان قد وضعه اسحاق بن نجيح  
الملطي (٤).

وحديث خلة أبي بكر موضوع في مقابل حديث اخاء النبي صلى الله  
عليه وآله لعلي، كما نص عليه المعتزلي (٥).

على أبي ذر أن لا يعصي سلمان:

وقد روى الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام: آخى رسول الله  
صلى الله عليه وآله بين سلمان وأبي ذر، واشترط على أبي ذر: أن لا يعصي  
سلمان (٦).

و واضح: أن ذلك يعني: أن اطاعة أبي ذر لسلمان لم تكن: الا لأنها  
توصل الى الحق، وتؤدي إلى الاحتفاظ به والحفاظ عليه والا لأنه يمثل الوعي  
الرسالي الرائد في أعلى مستوياته، يدعم هذا الوعي ويحميه، ويرفده إيماناً ثراً،  
وعقيدة راسخة... توجه الفكر والرأي، والوعي، وكل الحركات نحو الهدف  
الاسمي، والمبدأ الأعلى، لتعيش في ظلاله، وتنفى كلها فيه بكل ما لهذه  
الكلمة من معنى...

(١) - ارشاد الساري ج ٦ ص ٨٣ و ٨٤ والغدير عنه وعن كنز العمال ج ٦ ص ١٣٨ و ١٤٠  
والرياض النضرة ج ١ ص ٨٣.

(٢) - الغدير ج ٩ ص ٣٤٧ عن كنز العمال ج ٦ ص ٨٣، ومنتخب كنز العمال هامش المسند ج  
٥ ص ٢٣١

(٣) - تاريخ بغداد للخطيب ج ٦ ص ٣٢١، والغدير ج ٩ ص ٣٤٦ / ٣٤٧.

(٤) - راجع: الغدير ج ٩ ص ٣٤٧.

(٥) - شرح النهج للمعتزلي ج ١١ ص ٤٩.

(٦) - روضة الكافي ص ١٦٢



فان الايمان عشر درجات، و سلمان كان في العاشرة، وابوذري في التاسعة، والمقداد في الثامنة (١).

وإن اطاعة أبي ذر لسلمان لتعطينا: أن الميزان والمقياس في الطاعة ليس إلا ذلك الذي أشرنا إليه، واعتبره القرآن وسيلة لنيل التقوى، واليقين: «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (٢)» و: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (٣) و: «إن اكرمكم عند الله اتقاكم (٤)».

وإذن... فليس للعرق، ولاللون، ولا للجاه، ولا للمال ولا غير ذلك ... أي دور في التفاضل واعطاء الامتيازات— من أي نوع كانت ولأي كان، وإنما الميزان والمقياس في كل ذلك هوالتقوى والتقوى فقط... التي يدعمها الايمان الراسخ، والفكر النير، والوعي الرسالي الرائد، ولا جل ذلك كان على ابي ذر: ان لا يعصى سلمان، الذي بلغ من العلم والمعرفة بحيث لو اطلع أبوذري على ما في قلب سلمان لقتله (٥) وعن الفضل: مانشأ في الاسلام رجل من كافة الناس كان افقه من سلمان الفارسي (٦).

ولاجل ذلك بالذات كان لابد من اطاعة ائمة الهدى، الذين هم القمة في العلم والمعرفة... ومن ثم في التقوى، والذين يمثلون خلافة الله حقاً على الارض، دون غيرهم من المتغلبين الجهلة، والطواغيت والجبارين...

#### ٤- اسس العلاقات في المجتمع الجديد

وبعد مدة و جيزة من قدومه (ص) للدينة، و يقول البعض: بعد خمسة أشهر (٧) كتب صلى الله عليه وآله كتاباً أو وثيقة بينه وبين اليهود، أقرهم فيها على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم أن لا يعينوا عليه أحداً، و إن دهم أمر فعليهم النصر، كما أن على المسلمين ذلك في المقابل... ولكن سرعان مانقض اليهود العهد، وعادوا إلى المكر والغدر، ولايحقيق المكر السيء إلا بأهله...

(١) - قاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٣ عن الخصال للصدوق.

(٢) - الزمر ٩ (٣) - فاطر ٢٨ (٤) - الحجرات ١٣

(٥) - راجع: قاموس الرجال ج ٤ ص ٤١٨ وغيرها... (٦) - المصدر السابق

(٧) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣.

ويلاحظ: أن الوثيقة المشار اليها تقتصر على تنظيم علاقات المسلمين مع غيرهم، وإنما تعرض جانب كبير— بل هو الجانب الأكبر— منها إلى تقرير قواعد كلية، واسس عملية للعلاقات بين المسلمين أنفسهم، كان لا بد منها لتلافي الاخطاء المحتملة قبل أن تقع...

فهذه الوثيقة بمثابة دستور عمل يتضمن اسس العلاقات في الدولة الناشئة، سواء في الداخل أو في الخارج...

وهذه الوثيقة هي بحق من أهم الوثائق القانونية، التي لا بد وأن يدرسها علماء القانون والتشريع بدقة متناهية، لاستخلاص الدلائل والاحكام منها... وأيضاً لمعرفة الغايات التي يرمي إليها الاسلام، والضوابط التي يرتضيها، ومقارنتها بغيرها مما يتهالك المستضعفون— فكرياً— من هذه الامة عليه، من القوانين القاصرة عن تلبية الحاجات الفطرية وغيرها للانسان... وإليك نص الوثيقة كما هو:

### نص الوثيقة:

قال ابن اسحاق:

وكتب رسول الله (ص) كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم...

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي (ص) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم؛ فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم (١) يتعاقلون بينهم، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين...

(١)— الربعة: الحال التي جاء الاسلام وهم عليها. والعاني: الاسير. والمعاقل: الديات.

وبنو ساعدة على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى. وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنوالحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين... وبنوجشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النجار على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى. وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين...

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة— تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النبيت على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى و كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

و إن المؤمنين لا يتركون مفرحاً (١) بينهم، ان يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

و إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة (٢) ظلم، أو اثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين. و إن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم...

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر. ولا ينصر كافراً على مؤمن.

و إن ذمة الله واحدة، يحير عليهم أديانهم

و ان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

و إن من تبعنا من يهود؛ فان له النصر والاسوة، غير مظلومين، ولا

متناصرين عليهم.

(١) — المفرح: المثقل بالدين و الكثير العيال. (٢) — الدسيعة: العظمية.

و ان سلم المؤمنین واحدة، لا یسلم مؤمن دون مؤمن فی قتال فی سبیل الله إلا علی سواء وعدل بینهم. و ان کل غازية غزت معنایعقب بعضها بعضاً. و إن المؤمنین یبئ بعضهم علی بعض بما نال دماء هم فی سبیل الله.

و إن المؤمنین المتقین علی أحسن هدی وأقومه.

و انه لا یحیر مشرك مالا لقریش، ولا نفساً، ولا یحول دونه علی مؤمن.

و انه من اعتبط (۱) مؤمناً قتلاً عن بینة، فانه قود به، إلا أن یرضی ولی المقتول، و ان المؤمنین علیہ كافة، ولا یحل لهم الإقیام علیہ.

و إنه لا یحل لمؤمن أقریما فی هذه الصحیفة، وآمن بالله والیوم الآخر: أن ینصر محدثاً، ولا یؤویہ، و ان من نصره أو آواه؛ فان علیہ لعنة الله و غضبه یوم القیامة، ولا یؤخذ منه صرف ولا عدل.

و انکم مهااختلفتم فی شیء؛ فان مردہ إلى الله عزوجل، و الی محمد (ص).

و ان الیهود ینفقون مع المؤمنین ماداموا محاربین. و إن یهود بنی عوف أمة مع المؤمنین، للیهود دینهم، وللمسلمین دینهم، موالیهم و انفسهم إلا من ظلم و أثم؛ فانه لا یوتغ (۲) إلا نفسه، و أهل بیته. و إن لیهود بنی النجار مثل مالیهود بنی عوف، و إن لیهود بنی الحارث مثل مالیهود بنی عوف. و إن لیهود بنی ساعدة مثل مالیهود بنی عوف. و إن لیهود بنی الاوس مثل مالیهود بنی عوف. و إن لیهود بنی ثعلبة مثل مالیهود بنی عوف. إلا من ظلم و أثم، فانه لا یوتغ إلا نفسه، و أهل بیته.

و إن جفنة — بطن من ثعلبة — کانفسهم. و إن لبني الشطیبة مثل مالیهود بنی عوف. و ان البردودون الاثم. و ان موالی ثعلبة کانفسهم. و إن بطانة (۳) یهود کانفسهم.

و إنه لا یخرج منهم أحد إلا بأذن محمد (ص).

(۱) — اعتبطه: قتله بلا جناية منه توجب قتله

(۲) — یوتغ: یهلك. (۳) — بطانة الرجل: خاصته و أهل بیته.

وانه لا ينحجز على ثأر جرح. وإنه من فتك بِنفسه فتك، وأهل بيته،  
إلا من ظلم. وإن الله على أبرهَذَا (١)...

وان على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة

وان بينهم النصح والنصيحة، والبردون الاثم.

وانه لم يَأْتِ امرؤ بحليفه. وان النصر للمظلوم

وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين

وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

وان الجار كالنفس، غير مضار ولا آثم. وإنه لا تجار جرمة إلا باذن

أهلها.

وان ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف

فساده فان مرده الى الله عزوجل، و الى محمد (ص).

وان الله على اتقى ما في هذا الصحيفة وأبره.

وانه لا تجار قريش، ولا من نصرها... وإن بينهم النصر على من

دهم يثرب، و إذا دعوا إلى صلح يصلحونه و يلبسونه، فانهم يصلحونه و

يلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في

الدين، على كل أناس حصتهم، من جانبهم الذي قبلهم. وإن يهود الأوس،

مواليهم و انفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه

الصحيفة.

وان البردون الاثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه. وإن الله على

أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره. و انه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم و

آثم...

وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم.

وان الله جار لمن بر و اتقى، و محمد رسول الله (ص)... (١)

كانت تلك هي الوثيقة الهامة التي لم يهتم بشأنها المؤرخون، وأهمل  
دراستها وتمحيصها الكتاب و الباحثون... نوجه إليها أنظار الطامحين إلى  
البحث والتدقيق والتمحيص... ونأمل أن تحظى منهم بما يليق بها من اهتمام  
والله هو الموفق والمسدد.

#### ٥- موادة اليهود:

و جاءت يهود قريظة، والنضير، وقينقاع، و طلبوا الهدنة من رسول  
الله (ص)، فكتب لهم بذلك، على أن لا يعينوا عليه أحداً، و لا يتعرضوا لاحد  
من اصحابه بلسان، و لا يد، و لا بسلاح، و لا بكراع، في السر، و لا في  
العلائية، لا بليل و لا بنهار؛ فان فعلوا فرسول الله (ص) في حلّ من سفك  
دمائهم، و سبي ذرارهم و نسائهم، و أخذ اموالهم... و كتب لكل قبيلة كتاباً  
على حدة (٢).

ولكن اليهود عادوا بعد ذلك الى الغدر والمكر كما سيأتي إن شاء الله  
مع علمهم بأنه النبي الحق، كما تدل عليه تصريحاتهم المختلفة.

(١) - سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٧ - ١٥٠، و البداية و النهاية ج ٣ ص ٢٢٤ -  
٢٢٦.

(٢) - اعلام الورى ص ٦٩ و البحارج ١٩ ص ١١٠ / ١١١ عنه، و السيرة النبوية لدحلان ج ١  
ص ١٧٥.

## الفصل الثالث:

قضايا وأحداث غير عسكرية





### عودة بعض المهاجرين الى الحبشة:

و بلغ المسلمين في الحبشة نبأ هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم  
والمسلمين الى المدينة، فرجع منهم ثلاثة و ثلاثون رجلاً، و ثمانى نسوة،  
فات منهم رجلان في مكة، و حبس سبعة، و انتهى بقيتهم الى رسول الله  
(ص) في المدينة، و شهد بدرأ منهم أربعة و عشرون (١).

و استمروا يخرجون إليه (ص) إلى المدينة (٢) إلى أن قدم جعفر  
عليه السلام مع الجماعة الباقية في سنة سبع حين فتح خيبر، كما سيأتى  
إن شاء الله تعالى...

و هؤلاء الثلاثون المشار إليهم هنا هم غير الذين عادوا الى مكة في  
السنة الخامسة من البعثة قبل الهجرة إلى المدينة بثمان سنوات.

و أما السبب في مرورهم على مكة مع أنها البلد الذي فروا منه...  
هو أن طريقهم إلى المدينة كان يمر بقرب مكة— على ما يظهر (٣) فأرادوا

(١) — راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٩

(٢) — راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٩ و زاد المعاد ج ١ ص ٢٥ و ج ٢ ص ٢٤ /  
٤٥ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ١٥٢، و فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

(٣) — و يدل على ذلك ماورد في المصنف ج ٥ ص ٣٦٧: «فلما قاتل رسول الله (ص) كفار  
قريش، حالت الحرب بين مهاجرة أرض الحبشة، و بين القدوم على رسول الله، حتى لقوه بالمدينة  
زمن الخندق» انتهى.

الحصول على أموالهم التي كانت في مكة، وتجديد العهد بأهلهم وذوهم، و  
بالبیت العتيق، ثم يسافرون إلى المدينة...

ولكن قريشاً واجهتهم بالعنف والقسوة، ولم ترع لهم حرمة، ولا غربة،  
ولا قرابة...

و واضح: أن وصول مهاجري الحبشة إلى المدينة كان بعد عدة أشهر  
من وصول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها، إذ أن وصول نبأ هجرة  
النبي (ص) إليهم، ثم هجرتهم إلى مكة، وتصفية علاقاتهم بها، ثم ماجرى لهم  
مع قريش، ثم هجرتهم إلى المدينة، يحتاج إلى وقت طويل... حتى إن  
العسقلاني يذكر: أن ابن مسعود كان من جملة الثلاثين العائدين إلى مكة،  
فالمدينة... فوصل إلى المدينة حين كان النبي (ص) يتجهز إلى بدر (١).

### عائشة في بيت النبي (ص):

وفي السنة الأولى من الهجرة، وقيل في التي بعدها، انتقلت عائشة  
إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله، وذلك في شهر شوال... وقالوا: إنه لم يتزوج  
بكرراً غيرها. ولكننا لانظمئن إلى صحة ذلك، وذلك بملاحظة ماتقدم حين  
الكلام على زواجه (ص) بخديجة. ولربما نشير إلى ذلك فيما يأتي انشاء الله  
تعالى...

ولا نعرف لما ذا كان زفاف عائشة غير ذي أهمية لدى النبي صلى الله  
عليه وآله؛ فقد روي: أنه صلى الله عليه وآله ما أولم على عائشة بشيء — رغم  
قدرته على ذلك في تلك الفترة — غير أن قدحاً من لبن أهدي إليه من بيت  
سعد بن عباد، فشرب النبي صلى الله عليه وآله بعضه، وشربت عائشة منه!!  
(٢).

ولا يصح أن يعد ذلك وليمة عرس لها؛ إذ من الطبيعي أن لا يغفل  
النبي عن عرض الطعام على جلسيه فضلاً عن زوجته...

(١) — فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

(٢) — تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢١.

## استدلال طريف:

هذا... وقد كانت عائشة تستدل على حظوتها عند النبي (ص) بأنه قد تزوجها في شوال؛ فتقول:

تزوجني رسول الله (ص) في شوال، فأني نساء رسول الله (ص) كانت أحظى عنده مني... (١).

وهو استدلال طريف حقاً، فتي كان لشوال هذه الفضيلة، العظيمة التي تدل على الخطوة؟!!

كما أن مما لاشك فيه: أن خديجة وأم سلمة، و سائر نسائه (ص) قد كن أحظى عنده منها، ولذا فقد كانت تحسد هن، و تؤذيهن، و تسيئ إليهن حتى أمام رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم نفسه كثيراً، وقد تقدم بعض ما يدل على ذلك حين الكلام على العقد على عائشة قبل الهجرة...

وأطرف من ذلك: أننا نجد البعض يحكم باستحباب العقد في شوال (٢).

ويبدو أن حبه لعائشة، و تقديرهم لرغباتها، وهي التي كانت الساعد الأيمن للهيئة الحاكمة بعد النبي، والتي حاربت علماً الشوكة الجارحة في أعينهم، والتي لم تكن تقدر أن تذكره بخير أبداً (٣)... إن ذلك هو الذي دفعهم إلى وضع هذا التشريع... مع أنهم يروون أن النبي صلى الله عليه و آله تزوج بجويرية، و محفصة في شعبان، و بزینب بنت خزيمه في شهر رمضان، و بزینب بنت جحش في ذي القعدة كما يقال: فالنبي إذن... قد ترك هذا المستحب، ولم يفعله الا بالنسبة لعائشة وحدها، و وحدها فقط!! إن ذلك عجيب! و أي عجيب!!.

(١) - تاريخ الطبري ط الاستقامة ج ٢ ص ١١٨، و السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٠، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٨.

(٢) - راجع: نزهة المجالس للصفوري الشافعي ج ٢ ص ١٣٧.

(٣) - فتح الباري ج ٢ ص ١٣١ و مسند أحمد ج ٦ ص ٢٢٨، و الغدير ج ٩ ص ٣٢٤.

### فاتحة عهد جديد:

و على كل حال... فان بدخول عائشة الى بيت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بدأت في هذا البيت، الذي كان مثلاً للهدوء والسكينة، والجلال... حتى عهد قريب— بدأت— فيه تحولات وتغيرات ذات طابع معين، حينما صار مجالاً لكثير من التناقضات، التي كانت مصدراً لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغمه أحياناً كثيرة... و كانت عائشة هي السبب المباشر، والمحرك في القسم الأعظم منها.

ولا نقول ذلك من عند أنفسنا، وإنما نستند في ذلك إلى ما أثبتته التاريخ والحديث المتواتر عنها... بل إنها هي نفسها تصرح: بأنها كانت السبب في كل ما كان يجري فس بيته (ص) من مشاحنات، وتناقضات... كما جاء في بعض المصادر، على ما ذكره لي بعض المحققين.

### تشريع الأذان:

و يذكرون هنا: أن الأذان قد شرع في السنة الأولى من الهجرة، وقيل: في الثانية، ولا يهمننا تحقيق ذلك كثيراً.

أما كيفية تشريعه فتحكى على النحو التالي: إن النبي (ص) اهتم للصلاة، كيف يجمع الناس لها. فقيل له: انصب راية؛ فاذا رأوها آذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك، فذكروا له القبع— يعني الشبور، شبور اليهود— فلم يعجبه ذلك، وقال: هو من أمر اليهود. فذكروا له الناقوس. فقال: هو من أمر النصارى. وكأنه كرهه أولاً، ثم أمر به، فعمل من خشب.

فانصرف عبدالله بن زيد و هو مهمتهم رسول الله (ص) فأري الأذان في منامه.

قال: فغدا على رسول الله (ص) فأخبره، فقال له: يا رسول الله، إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آت، فأراني الأذان...

قال: و كان عمر بن الخطاب قدر آه قبل ذلك؛ فكتمه عشرين يوماً، ثم أخبر به النبي (ص) فقال: مامنك أن تخبرني؟! قال: سبقني عبدالله زيد، فاستحييت، فقال رسول الله (ص): يا بلال، قم فانظر ما يامر بك به عبدالله بن زيد فافعله. قال: فأذن بلال الحديث.

كان هذا أحد نصوص رواية كيفية تشريع الأذان... وللرواية نصوص كثيرة ومختلفة جداً، فراجع المصادر التي في الهامش (١).

### مناقشة روايات الأذان:

ونحن نعتقد بعدم صحة ذلك... وذلك استناداً إلى مايلي:

أولاً: تناقض الروايات الشديد، كما يظهر بالمراجعة والمقارنة...

فثلاً:

الرواية المتقدمة تذكر أن ابن زيد رأى الأذان بين المنام واليقظة، و أخرى تقول: رآه في المنام وثالثة تقول: إن ابن زيد قال: «لولا أن يقول الناس لقلت: اني كنت يقظان غير نائم».

ورواية تقول: إن ابن زيد رآه فأخبر به النبي (ص) وأخرى تقول: إن

(١) - راجع في نصوص الحديث المختلفة: المصادر التالية:

سنن أبي داود ج ١ ص ٣٣٥ - ٣٣٨، والمصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٥٥ - ٤٦٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣ - ٩٧، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٩، والموطأ ج ١ وشرحه للزرقاني ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٥، والجامع الصحيح للترمذي ج ١ ص ٣٥٨ - ٣٦١، ومسند أحمد ج ٤ ص ٤٢، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ١٢٤، وسنن البيهقي ج ١ ص ٣٩٠ / ٣٩١، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٤ / ١٥٥ و ١٢٥، ونصب الراية ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦١، وفتح الباري ج ٢ ص ٦٣ - ٦٦، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٨، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٢ / ٢٣٣، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١، ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٣ و ٢٧٥، وتبيين الحقائق للزبيعي ج ١ ص ٩٠، والروض الأنف ج ٢ ص ٢٨٥ / ٢٨٦، وحياة الصحابة ج ٣ ص ١٣١ عن كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٣ / ٢٤٦ ونقل أيضاً عن أبي الشيخ، وابن حبان، وابن خزيمة، وسنن الدارقطني ج ١ ص ٢٤١ / ٢٤٢ و ٢٤٥. وغير ذلك من المصادر الكثيرة التي لا مجال لتبعتها واستقصائها...

جبرئيل أذن في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال، فسبق عمر بلالاً، فأخبر النبي (ص)، ثم جاء بلال، فقال له: سبقك بها عمر.

ورواية تقول: إن ابن زيد رآه. واخرى تقول: إن سبعة من الانصار رأوه. وقيل: أربعة عشر، ورواية تزيد عبدالله بن أبي بكر... ورواية تقول: إن بلالاً كان يقول: أشهد أن لا إله إلا الله حي على الصلاة، فقال له عمر: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال النبي (ص) لبلال: قل كما قال عمر...

ورواية تفرد فصول الاقامة، ورواية تشنها....

الى غير ذلك من وجوه الاختلاف التي لا مجال لذكرها... فراجع المصادر وقارن بين الروايات إن شئت.

وثانياً: إن سماع عمر و بلال لجبرئيل، أو رؤية ابن زيد للأذان في اليقظة— لا يمكن قبوله؛ لأن معنى ذلك هو أن يكون هؤلاء من الانبياء، لأنهم قد رأوا جبرئيل عياناً، وسمعوا منه أمراً تشرعياً؛ توقيفياً وذلك من مختصات الانبياء.

و إن كان الصحيح، هو رواية الرؤية في المنام... فقد قال العسقلاني:

«وقد استشكل في اثبات حكم الأذان برؤيا عبدالله بن زيد، لأن رؤيا غير الانبياء لا يبنى عليها حكم شرعي. أجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك؟! (١)».

ولكنه جواب بارد؛ فإن مجرد الاحتمال لا يجدي، مع كون الرواية المعتمدة عندهم لم تذكر ذلك، ولم تشر إليه، بل اكتفت بمجرد أمره (ص) بلالاً بالتعلم من ابن زيد... ثم لماذا لم ينزل الوحي عليه من أول الأمر وحينما كان متحيراً في أمره، مهموماً مغموماً لا يدري ما يفعل...

ويبقى سؤال: انه لم يختص الأذان بأن شرع بهذه الكيفية، دون سائر

الاحكام؟! و أجاب السهيلي بأن في الأذان تنوُّها بشأنه، ورفعاً لذكره، فلاُن يكون على لسان غيره أنه وأفخم لشأنه (١).

ولكنه جواب بارد ايضاً— وإن استحسنه العسقلاني وغيره— لأنه لو صح لوجب أن يكون تشرُّع الصلاة والزيارات، والأدعية بل وكذا ايجاب الشهادتين، وغير ذلك ايضاً على لسان غيره لأنها كلها تنويه بذكره وتفخيم لأمره، وكذا بالنسبة للآيات القرآنية التي تتمدحه صلى الله عليه وآله وتثني عليه كقوله تعالى: وإنك لعلى خلق عظيم، وغير ذلك ...

و بعد كل ماتقدم... فاننا لابد وأن نقول: إن حكم النبي (ص) بالعمل برؤيا ابن زيد يكون من النطق عن الهوى، وعدم الاستناد إلى الوحي، وهو ينافي قوله تعالى: وما ينطق عن الهوى...

ومشورة النبي (ص) لأصحابه في أمر ديني مستحيلة؛ لأنه مستغن عنهم بالوحي، نعم هو كان يستشيرهم في أمور دنيوية، يطلب منهم هم القيام بها، لاسباب ستأتي إن شاء الله في غزوة بدر وأحد...

وثالثاً: ثم إنه كيف كره موافقة اليهود والنصارى، ثم عاد فرضي بها، فهل كان ذلك قبيحاً ثم صار حسناً؟!... أم أنه كان مضطراً إلى موافقتهم؛ حيث سدت السبل في وجهه؟! ولم يجعل منادياً ينادي الناس للصلاة، كما كانوا يفعلون حينما كانوا ينادون: بالصلاة جامعة، في كل مناسبة اقتضت ذلك؟ ولماذا بهم رسول الله وعبد الله بن زيد وقد انحل المشكل؛ ولم يبق ما يستدعي ذلك؟...

والاهم من ذلك: إنهم يروون— وإن كنا نحن لانصدق بل ونجزم بكذب ذلك—: إنه (ص) كان يحب موافقة أهل الكتاب في كل ما لم ينزل فيه وحي (٢)... فلماذا كره ذلك هنا واهتم و اغتم لأجله... فما هذا التناقض القبيح فيما ينسبونه إلى النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم...

(١) — الروض الأنف ج ٢ ص ٢٨٥.

(٢) — لسوف تأتي الإشارة إلى ذلك حين الكلام على صوم يوم عاشوراء إن شاء الله تعالى...

ورابعاً: ١- عن الصباح المزني، وسدير الصيرفي، و محمد بن النعمان الأحول، وعمر بن أذينة، إنهم حضروا عند أبي عبدالله عليه السلام، فقال: يا عمر بن أذينة ماترى هذه الناصبة في أذانهم وصلاتهم؟ فقال: جعلت فداك، إنهم يقولون: إن أبي بن كعب الأنصاري رآه في النوم.

فقال عليه السلام: كذبوا والله، إن دين الله تعالى أعز من أن يرى في النوم.

و على حسب نص آخر إنه (ع) قال: ينزل الوحي به على نبيكم، فتزعمون: أنه أخذه عن عبدالله بن زيد؟! (١).

٢- عن أبي العلاء، قال: قلت لمحمد بن الحنفية: إننا نتحدث: أن بدء هذا الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الانصار في منامه. قال: ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعاً شديداً. وقال: عمدتم إلى ما هو الأصل في شرايع الاسلام، ومعالم دينكم؛ فزعمتم: أنه من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه، تحتمل الصدق والكذب، وقد تكون أضغاث أحلام؟!.

قال: فقلت: هذا الحديث قد استفاض في الناس؟!.

قال: هذا والله هو الباطل؛ ثم قال: وإنما اخبرني أبي: أن جبرئيل عليه السلام أذن في بيت المقدس ليلة الاسراء وأقام، ثم أعاد جبرئيل الاذان لما عرج بالنبي (ص) إلى السماء (٢).

٣- والامام الحسن عليه السلام قد أنكر ذلك أيضاً، حيث تذاكروا عنده الاذان، وذكروا رؤيا ابن زيد، فقال: إن شأن الاذان اعظم من ذلك. أذن جبرئيل في السماء مثنى مثنى، وعلمه رسول الله، وأقام مرة مرة؛ فعلمه رسول الله (ص) (٣).

(١) - البحار ج ١٨ ص ٣٥٤ عن علل الشرايع ص ١١٢ / ١١٣ والكافي ج ص والنص والاجتهاد ص ٢٠٥ عن الشهيد في الذكرى.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٦، والنص والاجتهاد ص ٢٠٥

(٣) - النص والاجتهاد ص ٢٠٥ عن مشكل الآثار، وابن مردويه، وعن كنز العمال ج ٦ ص



ولكن كون الإقامة مرة مرة مخالف لما هو ثابت قطعاً عن أهل البيت عليهم السلام، فإنه لا يرتاب أحد أنهم يرون أنها مثني مثني. وذلك هو مذهب كثير من الصحابة والتابعين وفقهاء الإسلام. وجعلها مرة مرة كان على يد الأئمة؛ فإن ذلك أمر استخفته الأئمة (١) وإلا فإن الإقامة مرتين مرتين.

و خامساً: عن عبدالله بن زيد نفسه: سمعت أذان رسول الله (ص) فكان أذانه واقامته مثني مثني (٢).

فلو كان هو الذي أري الأذان، فهو يكون أعرف الناس به من كل أحد...

وسادساً: حكى الداوودي عن ابن اسحاق: أن جبرئيل أتى النبي (ص) بالأذان قبل أن يراه عبدالله بن زيد وعمر بثمانية أيام...

و يؤيد ذلك مارو وه أيضاً: من أن عمر قد ذهب ليشتري ناقوساً، فأخبر: أن ابن زيد قد أري الأذان في المنام؛ فرجع ليخبر رسول الله (ص) فقال له: «سبقك بذلك الوحي» (٣)

وسابعاً.. : اننا نرجح أن تشريع الأذان كان في مكة قبل الهجرة، وذلك لما تقدم عن ابن الحنفية ولما يلي:

١- عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام: إن رسول الله علم الأذان ليلة أسري به، وفرضت عليه الصلاة... وكذا روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وعن ابن عمر، والامام الباقر عليه السلام وعائشة (٤)... وقد

(١)- المصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٦٣، و سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥،

(٢)- مسند أبي عوانة ج ١ ص ٣٣١، وراجع سنن الدارقطني ج ١ ص ٢٤١.

(٣)- المصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٥٦، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٠، وراجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٦ و ٩٧.

(٤)- منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٣ عن الطبراني في الاوسط، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٣ و ج ٢ ص ٩٣ و ٩٥، وجمع الزوائد ج ١ ص ٣٢٩ و ٤٢٨ ونصب الراية ج ١ ص ٢٦٢ و ٢٦٠، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ و ٧٢، وفتح الباري ج ٢ ص ٦٣،

..... الصحيح في سيرة النبي ج ٣  
جاء بسند صحيح عن الامام الباقر عليه السلام ما هو قريب من ذلك (١).

٢- عن أنس: إن جبرئيل أمر النبي (ص) بالأذان حين فرضت الصلاة (٢).

وصحح السهيلي الرواية التي عن الباقر عليه السلام الدالة على تشريع الأذان حين الاسراء. والتي اشرنا إليها فيما سبق.

ولكنهم أوردوا عليه بأن في سنده زياد بن المنذر، وفيه شيعة (٣) وبأن النبي (ص) لم يأمر بالأذان حين الهجرة (٤)...

ولكن ايرادهم الأول كمتري، و ايرادهم الثاني أيضاً لا وقع له؛ فان هذا هو محل النزاع...

هذا... وقد ورد: أن جبرئيل نادى بالاذان لآدم حين اهبط من الجنة (٥)...

و بعد ما تقدم فاننا نعرف عدم صحة: مارووا عن ابن عباس، من أن فرض الأذان كان مع نزول آية: يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة (٦) بحيث يكون الأذان قد شرع حين نزول سورة الجمعة، بعد السنة السابعة، بعد وفاة عبدالله بن زيد، الذي قتل في أحد، أو بعدها بقليل...

→  
والروض الانفج ج ٢ ص ٢٨٥ ٢٨٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٣، وحاشية تبين الحقائق، والبيزار، ونقله في النص والاجتهاد ص ٢٠٥ عن مشكل الآثار، وعن كز العمال ج ٢ ص ٢٧٧، رقم ٣٩٧ عن ابن مردويه، وعن الشهيد في الذكرى...

(١) - الكافي ج ٣ ص ٣٠٢.

(٢) - المواهب اللدنية ج ١ ص ٧٢ وفتح الباري ج ٢ ص ٦٣.

(٣) - نصب الراية ج ١ ص ٢٦١.

(٤) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٣، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٧١، ونصب الراية ج ١ ص ٢٦١، وسكت عنه الحاكم لكن الذهبي طعن في نوح بن دراج. ولعله لأجل انه كان يتشيع، كما هو دأبهم.

(٥) - فتح الباري ج ٢ ص ٦٤، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣.

(٦) - فتح الباري ج ٢ ص ٦٢، والدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ عن ابي الشيخ...

و لذلك قال الحاكم: «وانما ترك الشيخان حديث عبدالله بن زيد في الاذان والرؤيا، لتقدم موت عبدالله(١)»... ولكن عبارة الدرالمثور هكذا: «الاذان نزل على رسول الله(ص) مع فرض الصلاة. يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة إلخ.» فيحتمل أن يكون مقصوده هو أن الاذان قد شرع في مكة مع فرض الصلاة، ثم استشهد بالآية للاشارة إلى أن الله قد أومأ الى الاذان في القرآن ايضاً... فاذا صح هذا فان هذه الرواية لا تعارض ماتقدم...

وثامناً: عن عائشة، وعكرمة، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم، في قوله تعالى: ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً: ركعتان فيما بين الاذان والاقامة(٢).

وواضح أن هذه الآية قد وردت في سورة فصلت، وهي مكية، مما يدل على أن الأذان والاقامة قد شرعا في مكة، وجاءت الآية لتبين حكماً متعلقاً بهما...

ودعوى: أن الآية مما تأخر حكمه عن نزوله، لاشاهد لها إلا رواية ابن زيد المتقدمة... وقد عرفنا أنها لا تصلح للاعتماد عليها. بل الدليل قائم على كذبها...

### الكلمة الأخيرة:

واخيراً فقد ورد بالسند الصحيح عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، قال: لما هبط جبرئيل على رسول الله (ص) بالأذان، أذن جبرئيل وأقام. وعندها أمر رسول الله (ص) علياً (ع) أن يدعوه بلالاً فدعاه، فعلمه رسول الله (ص) الاذان، وأمره به(٣)...

(١) - مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٣٤٨.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣ والدر المنثور ج ٥ ص ٣٦٤ عن عبد بن حميد، والخطيب في تاريخه، وسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن أبي شيبه، وابن المنذر.

(٣) - الوسائل ج ١ ص ٣٢٦ والكافي ج ٣ ص ٣٠٢ والنص والاجتهاد ص ٢٠٥، ونقله الصدوق والشيخ رحمهما الله تعالى.

الاقرب هو الرواية التي تقول: إنه حين قدم المسلمون المدينة كانوا يجتمعون يتحينون الصلاة، وليس ينادى بها. وكلموه يوماً في ذلك، فقال بعضهم لبعض: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بوقاً مثل بوق اليهود، فقال عمر (رض): ألا تبعثوا رجالاً ينادون بالصلاة. فقال رسول الله (ص): «قم يا بلال فأذن» (١).

فهذه الرواية الأخيرة تفيد: أن المسلمين هم الذين اختلفوا فيما بينهم واقترحوا ذلك على بعضهم البعض... فحسم (ص) النزاع بأمره بلالاً بالأذان، مما يظهر منه أن الأذان كان قد شرع قبل ذلك، وحين الاسراء مثلاً...

وعلى كل حال... فلا بأس أخيراً بالتنويه هنا بالبحث الضافي حول هذا الموضوع للإمام شرف الدين في كتابه القيم: «النص والاجتهاد» من ص ١٩٧ حتى ص ٢٠٥ فليراجعه من أراد...

### حَيَّ عَلَيَّ خَيْرَ الْعَمَلِ فِي الْأَذَانِ

ان من الامور التي وقع الخلاف فيها بين المسلمين، بين مثبت وناف هو قول: «حي على خير العمل» في الاذان مرتين، بعد قول حي على الفلاح...

فذهبت طائفة تبعاً لآمتهم الى ان هذه الفقرة «حي على خير العمل» لا يصح ذكرها في الاذان، وهؤلاء هم جمهور اهل السنة والجماعة. وعبر بعضهم بلفظ: يكره، معللاً ذلك بانه لم يثبت ذلك عن النبي، والزيادة في الاذان مكروهة... (٢).

وذهب اهل البيت وشيعتهم الى ان هذه الفقرة جزء من الاذان والاقامة، لا يصح بدونها، وهذا الحكم اجماعي عندهم (٣) لاتبج فيه مخالفاً على الاطلاق... ويستدلون على ذلك بالاجماع، وبالروايات الكثيرة عن اهل

(١) - سنن الدار قطنى ج ١ ص ٢٣٧.

(٢) - سنن البيهقى ج ١ ص ٤٢٥، والبحر الرائق ج ١ ص ٢٧٥ عن شرح المهذب.

(٣) - الانتصار للسبب. المرتضى ص ٣٩.

البيت عليهم السلام في ذلك كرواية ابى الربيع، وزرارة، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مهران عن ابى جعفر (ع)، ورواية فقه الرضا عن الرضا (ع). ورواية ابن سنان، ومعلّى بن خنيس، وابى بكر الحضرمى، وكليب الاسدى عن ابى عبدالله (ع). ورواية ابى بصير عن احدهما. ورواية محمد بن ابى عمير عن ابى الحسن، ورواية علي، ومحمد بن الحنفية عن النبي (ص)، ورواية عكرمة عن ابن عباس (١).

ونحن ازاء هذا الاختلاف لانجد مناصبنا من الاخذ بمذهب اهل البيت (ع) وشيعتهم، ولانستند في ذلك فقط الى الاجماع المذكور، والى ماورد عن اهل البيت الذين هم احد الثقلين، والذين اذهب الله عنهم الرجس... وانما الى العديد من الادلة والشواهد الاخرى التى نجدها عند غيرهم ايضاً...

فن ذلك على سبيل المثال:

وبعضه ورد بالاسانيد الصحيحة عن:

١- عبدالله بن عمر. ٢- علي بن الحسين، زين العابدين.

٣- سهل بن حنيف. ٤- بلال...

٥- علي امير المؤمنين عليه السلام. ٦- ابى محذورة

٧- ابن ابى محذورة ٨- زيد بن ارقم.

٩- الباقر عليه السلام. ١٠- الصادق عليه السلام.

فاما عبدالله بن عمر، فقد روي عن:

١- مالك بن انس، عن نافع، قال: كان ابن عمر احيانا اذا قال:

حي على الفلاح، قال على اثرها: حي على خير العمل (٢).

٢- عن الليث بن سعد عن نافع قال: كان ابن عمر لا يؤذن في

سفره، وكان يقول: حي على الفلاح، وحيانا يقول: حي على

خير العمل (٣).

(١) - راجع الوسائل وجامع احاديث الشيعة والبحار، ومستدرک الوسائل ابواب الاذان.

(٢) - سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٤.

(٣) - سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٤.

٣- وعن الليث بن سعد عن نافع، قال: كان ابن عمر ربما زاد في اذانه: حي على خير العمل:

ورواه عبدالله بن عمر عن نافع... (١)

٤- عن محمد بن سيرين عن ابن عمر: انه كان يقول ذلك في اذانه (٢).

٥- وكذلك رواه نسر بن ذعلوق عن ابن عمر، وقال: في السفر (٣).

٦- عبدالرزاق، عن ابن جريح، عن نافع عن ابن عمر: انه كان يقيم الصلاة في السفر، يقولها مرتين او ثلاثا، يقول حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على خير العمل (٤).

٧- عبدالرزاق عن معمر، عن يحيى بن ابي كثير، عن رجل: ان ابن عمر كان اذا قال في الاذان: حي على الفلاح، قال: حي على خير العمل، ثم يقول: الله اكبر الله اكبر، لا اله الا الله (٥).

ورواه ابن ابي شيبة (٦) من طريق ابن عجلان، وعبيدالله عن نافع عن ابن عمر.

واما ماورد عن علي بن الحسين عليه السلام:

٨- فمن حاتم بن اسماعيل، عن جعفر بن محمد عن ابيه: ان علي بن الحسين كان يقول في اذانه، اذا قال: حي على الفلاح قال: حي على

(١) - سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٤، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٥٥ عن مبادئ الفقه الاسلامي للعرفي ص ٣٨ عن شرح التجريد وقد رواه ابن ابي شيبة ونقله في الشفاء كما ورد في جواهر الاخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للصدقي/ ج ٢ ص ١٩٢.

(٢) - سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥.

(٣) - نفس المصدر.

(٤) - مصنف عبدالرزاق ج ١ ص ٤٦٤.

(٥) - نفس المصدر ج ١ ص ٤٦٠.

(٦) - عن مصنف ابن ابي شيبة ج ١ ص ١٤٥ وهامش مصنف عبدالرزاق ج ١ ص ٤٦٠ عنه.

خير العمل، ويقول: هو الاذان الاول (١).

وليس يجوز ان يحمل قوله هو الاذان الاول الا على انه اذان رسول الله  
(ص) (٢).

٩- ونقل ذلك عن علي بن الحسين، الحلبي، وابن حزم وغيرهما كما  
سيأتي...

واما سهل بن حنيف فقد:

١٠- روى البيهقي: ان ذكر حي على خير العمل في الاذان قد روي  
عن ابي امامة: سهل بن حنيف (٣).

١١- ونقل ابن الوزير، عن المحب الطبري الشافعي في كتابه  
احكام الاحكام ما لفظه «... ذكر الحيلة، بحي على خير العمل: عن  
صدقة بن يسار، عن ابي امامة، سهل بن حنيف: انه كان اذا اذن قال: حي  
على خير العمل. اخرجه سعيد بن منصور» (٤).  
وعن بلال ايضاً:

١٢- عن عبدالله بن محمد بن عمار، عن عمار وعمر ابني حفص بن  
عمر عن آبائهم عن اجدادهم، عن بلال: انه كان ينادى بالصبح، ويقول:  
حي على خير العمل، فامر النبي ان يجعل مكانها: الصلاة خير من النوم، وترك  
حي على خير العمل (٥).

ولكن ذيل الرواية لعله من تزيد الرواية، وذلك لان عبارة «الصلاة

(١)- سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه

الاسلامى ص ٣٨ عن مصنف ابن ابي شيبة. وجواهر الاخبار والآثار ج ٢ ص ١٩٢.

(٢)- دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الاسلامى ص ٣٨.

(٣)- سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥.

(٤)- دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الاسلامى ص ٣٨.

(٥)- مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٣٠ عن الطبراني في الكبير، ومصنف عبدالرزاق ج ١ ص ٤٦٠،

وسنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥، وكنت العمال ج ٤ رقم ٥٥٠٤، ومنتخب الكنت هامش المسند ج ٣

ص ٢٧٦، عن ابي الشيخ في كتاب الاذان، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ٩٩.

خير من النوم» قد اضيفت الى الاذان بعد زمان النبي صلى الله عليه وآله، كما صرحت به العديد من الروايات (١) ولعلنا نوفق للبحث حول هذه المسألة ايضاً في فرصة اخرى.

١٣- عن بلال: كان بلال يؤذن بالصبح، فيقول: حي علي خير العمل. (٢)

يضاف الى كل ذلك :

١٤- مقاله القوشجي وغيره: من ان عمر خطب الناس، وقال: ايها الناس، ثلاث كن على عهد رسول الله (ص)، انا انهي عنهن، واحرمهن، واعاقب عليهن، وهي: متعة النساء، ومتعة الحج، وحيي على خير العمل... (٣).

وقد اعتذر القوشجي متكلم الاشاعرة عن ذلك بقوله: «... ان مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية ليس ببدع...» (٤).

وهو اعتذار غير وجيه، اذا اخذنا بعين الاعتبار: ان النبي (ص) لا ينطق عن الهوى، ان هو الا وحي يوحى، وغير ذلك من الآيات...

ولكن وجه العذر الحق هو ان الخليفة الثاني قدرأي- في نظره-: ان الناس اذا سمعوا: ان الصلاة هي خير العمل، فانهم سوف يتكلمون على

(١)- راجع: موطأ مالك ج ١ ص ٩٣، وسنن الدارقطني، ومصنف عبدالرزاق ج ١ رقم ١٨٢٧ و ١٨٢٩ و ١٨٣٢ ص ٤٧٤ و ٤٧٥، وكنز العمال ج ٤ رقم ٥٥٦٧ و ٥٥٦٨ ومنتخبه هامش المسند ج ٣ ص ٢٧٨، وفيه: انه قال انها بدعة، والترمذي وابوداود، وغير ذلك.

(٢)- منتخب كنز العمال هامش المسند ج ٣ ص ٢٧٦، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ٩٩ عن كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٦.

(٣)- شرح التجريد للقوشجي مبحث الامامة ص ٤٨٤، وكنز العرفان ج ٢ ص ١٥٨ عن الطبري في المستنير، والغدير ج ٦ ص ٢١٣ وقال: اخرج الطبري في المستنير عن عمر، وحكاه عن الطبري الشيخ علي البياضى في كتابه: الصراط المستقيم وجواهر الاخبار والآثار/ ج ٢ ص ١٩٢ عن التفتازاني في حاشيته على شرح العنبر.

(٤)- شرح التجريد للقوشجي ص ٤٨٤.



الصلاة ويتركون الجهاد، كما سيصرح به الخليفة نفسه فيما يأتي...

١٥- وقال الحلبي: «... ونقل عن ابن عمر، وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم: انها كانا يقولان في اذانيهما، بعد حي على الفلاح: حي على خير العمل...» (١).

١٦- وقال علاء الدين الحنفي، في كتاب التلويح في شرح الجامع الصحيح: «واما حي على خير العمل، فذكر ابن حزم: انه صح عن عبد الله بن عمر، وابي امامة، سهل بن حنيف: انها كانا يقولان: حي على خير العمل... ثم قال: وكان علي بن الحسين يفعله...» (٢).

١٧- وقال السيد المرتضى: «... وقد روت العامة: ان ذلك مما كان يقال في بعض ايام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وانما ادعي: ان ذلك نسخ ورفع، وعلى من ادعى النسخ الدلالة، وما يجدها...» (٣).

١٨- عبدالرزاق عن معمر عن ابن حماد عن ابيه عن جده عن النبي (ص) في حديث المعراج قال: ثم قام جبرئيل فوضع سبابته اليمنى في اذنه، فاذن مثني مثني يقول في اخرها: حي على خير العمل، مثني مثني (٤).

١٩- وكان ابن النباح يقول في اذانه: حي على خير العمل. (٥).

٢٠- وقال محمد سعيد العرفي: «... واما حي على خير العمل، فذهاب العترة زيادتها بين حي على الفلاح، وبين الله اكبر، ودليلهم على ذلك ادعاهم في كتبهم مايلي:

- 
- (١) - السيرة الحلبية ط سنة ١٣٨٢، باب الاذان ج ٢ ص ١٠٥.  
 (٢) - دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الاسلامي للعرفي ص ٣٨، المحلى ج ٣ ص ١٦٠.  
 (٣) - الانتصار ص ٣٩.  
 (٤) - سعد السعود ص ١٠٠ والبحارج ٤ ص ١٠٧، وجامع احاديث الشيعة ج ٢ ص ٢٢١.  
 (٥) - راجع: الوسائل، وجامع احاديث الشيعة، وقاموس الرجال.

روى البيهقي الخ... (١) ثم ذكر بعض ما اشرنا اليه آنفا... وبعد هذا... فلا يصح قول البعض: ان ذلك مكروه لانه لم يثبت عن النبي، (٢) فقد عرفت انه قد وردت الروايات الصحيحة عن ذكرنا، وانهم كانوا يقولونها، وانه مذهب اهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة... الذين هم احد الثقلين... وقد بقي قول حي على خير العمل شعار العلويين، واهل البيت وشيعتهم على مدى الاعصار، حتى ان ابتداء ثورة الحسين بن علي صاحب فخر، كان بان:

٢١- «صعد عبدالله بن الحسن الافطس المنارة التي عند راس النبي صلى الله عليه وآله، عند موضع الجنائز، فقال للمؤذن: اذن بحمي على خير العمل، فلما نظر الى السيف بيده اذن بها، وسمعه العمري (يعني والى المدينة من قبل المنصور) فاحس بالشر، ودهش، وصاح: أغلقوا البغلة— الباب—، واطعموني حبتى— ماء» (٣).

٢٢- وذكر التنوخي: ان ابا الفرج اخبره انه سمعهم في زمانه يقولون في اذانهم بالقطيعة: حي على خير العمل (٤).

٢٣- وقال الحلبي: «... وذكر بعضهم: ان في دولة بني بويه كانت الرافضة تقول، بعد الحيعلتين: حي على خير العمل، فلما كانت السلجوقية، منعوا المؤذنين من ذلك، وامروا ان يقولوا في اذان الصبح بدل ذلك الصلاة خير من النوم مرتين، وذلك في سنة ثمان واربعين واربعمائة.. (٥).

٢٤- روي عن علي عليه السلام، انه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: اعلموا: ان خير اعمالكم الصلاة، وامر بلالا ان يؤذن: حي على

(١)- دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الاسلامي للعرفي ص ٣٨.

(٢)- البحر الرائق ج ١ ص ٢٧٥ عن شرح المهذب، وسنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥.

(٣)- مقاتل الطالبين ص ٤٤٦.

(٤)- نشوار المحاضرات ج ٢ ص ١٣٣.

(٥)- السيرة الحلبيية ط سنة ١٣٨٢ باب الاذان ج ٢ ص ١٠٥.

خير العمل. حكاة في الشفاء (١) .

٢٥- روى محمد بن منصور في كتابه الجامع باسناده عن رجال مرضيين عن ابي محذورة احد مؤذني رسول الله (ص)، انه قال: امرني رسول الله (ص) ان اقول في الاذان: حي على خير العمل (٢) .

٢٦- روى عن محمد بن منصور: ان [أبا] القاسم (ع) امره ان يؤذن ويذكر ذلك (يعني حي على خير العمل) في اذانه قال: ان رسول الله (ص) امر به، هكذا في الشفاء (٣) .

٢٧- عن ابي بكر، احمد بن محمد السري: انه سمع موسى بن هارون، عن الحماني، عن ابي بكر بن عياش، عن عبد العزيز بن رفيع، عن ابي محذورة، قال: كنت غلاما، فقال لي النبي (ص): اجعل في آخر اذانك: حي على خير العمل. (٤) .

٢٨- وفي الشفاء، عن هذيل بن بلال المدائني، قال: سمعت ابن ابي محذورة يقول: حي على الفلاح، حي على خير العمل (٥) .

٢٩- عن زيد بن ارقم: انه أذن في حي على خير العمل (٦) .

٣٠- وقال الشوكاني نقلا عن كتاب الاحكام: وقد صح لنا: ان حي على خير العمل كانت على عهد رسول الله (ص) يؤذن بها، ولم تطرح الا في زمن عمر (٧) .

٣١- وهكذا قال الحسن بن يحيى (٨) .

- 
- (١)- جواهر الاخبار والآثار، المستخرجة من لجة البحر الزخار/ ج ٢ ص ١٩١، والامام الصادق (ع) والمذاهب الاربعة ج ٥ ص ٢٨٤ .
- (٢)- البحر الزخار/ ج ٢ ص ١٩٢ وجواهر الاخبار والآثار هامش نفس الصفحة .
- (٣)- جواهر الاخبار والآثار/ ج ٢ ص ١٩١ .
- (٤)- ميزان الاعتدال للذهبي/ ج ١ ص ١٣٩، ولسان الميزان للعسقلاني ج ١ ص ٢٦٨ .
- (٥)- المصدران السابقان ص ١٩٢، جواهر الاخبار والبحر الزخار .
- (٦)- الامام الصادق (ع) والمذاهب الاربعة ج ٥ ص ٢٨٣ .
- (٧ و ٨) - نيل الاوطار ج ٢ ص ٣٢ .

٣٢- روينا عن علي بن الحسين عليه السلام: ان رسول الله (ص) كان اذا سمع المؤذن قال كما يقول، فاذا قال: حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل، قال: لاحول ولا قوة الا بالله الخ... (١) .

٣٣- عن محمد بن علي، عن ابيه علي بن الحسين (ع): انه كان اذا قال: حي على الفلاح قال: حي على خير العمل... (٢) .

٣٤- قال الزركشى في البحر المحيط: ومنها ما الخلاف فيه موجود، كوجوده في غيرها، وكان ابن عمر، وهو عميد اهل المدينة، يرى افراد الاذان والقول فيه، حي على خير العمل... (٣) .

٣٥- وفي كتاب السنام ما لفظه: الصحيح ان الاذان شرع بحج علي خير العمل... (٤) .

٣٦- وفي الروض النضير: وقد قال كثير من علماء المالكية، وغيرهم من الحنفية والشافعية: انه كان (حي على خير العمل) من الفاظ الاذان... (٥) .

٣٧- وقال ابن قاسم النويري الاسكندراني: «فحين وصل المعز الى مصر امر بان يؤذن على جامع عمرو بن العاص، وجامع ابن طولون بحج علي خير العمل فاستدام ذلك في الاذان، الى حين انقضاء دولة العبيديين في سنة سبع وستين وخمسائة، فانقرض حينئذ ذكر حي على خير العمل بانقراض دولتهم. ابطل ذلك السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب...» (٦) .

و يقول: «ان العبيديين الزاعمين انهم فاطميون كانوا شيعة، يقولون

(١)- دعائم الاسلام ج ١ ص ١٤٥ والبحارج ٨٤ ص ١٧٩ عنه.

(٢)- جواهر الاخبار والآثار للصددي ج ٢ ص ١٩٢.

(٣)- الروض النضير ج ١ ص ٥٤٢.

(٤)- نفس المصدر.

(٥)- نفس المصدر.

(٦)- الامام بالاعلام فيما جرت به الاحكام ج ٤ ص ٢٤.

في اذانهم بعد الحيلعتين: حي على خير العمل يقولونها مرتين كما تقولها الزيدية في اذانهم بمكة والمدينة في غير ايام الحج، وكذلك بصعدة ايضا وغيرها من ارض اليمن...» (١)

### سبب حذف هذه العبارة:

وأما لماذا حذفت هذه العبارة من الأذان؟! فقد صرح الخليفة الثاني نفسه بسر ذلك، فقد قال ابن شاذان، مخاطباً أهل السنة والجماعة:

٣٨- «ورويتم عن أبي يوسف القاضي، رواه محمد بن الحسن، وأصحابه، وعن أبي حنيفة، قالوا: كان الأذان على عهد رسول الله (ص)، و على عهد أبي بكر، وصدرأ من خلافة عمر ينادى فيه: حي على خير العمل.

فقال عمر بن الخطاب: إني أخاف أن يتكل الناس على الصلاة، إذا قيل: حي على خير العمل، ويدعوا الجهاد، فأمر أن يطرح من الأذان: حي على خير العمل (٢)».

٣٩ و ٤٠ و ٤١- وروي مثل ذلك عن أبي عبدالله الصادق، وأبي جعفر الباقر، وابن عباس (٣).

### كلمة حول هذا الرأي:

ونحن وإن كنا نرى: أن امر الجهاد في زمن الرسول (ص) أعظم، والناس إليه أحوج منهم على عهد عمر... مما يعني: أننا لانستطيع أن نجزم بأن

(١)- الامام ج ٤ ص ٣٢، وليراجع ص ٤٠ و ٤١ منه...

(٢)- الايضاح لابن شاذان ص ٢٠١/٢٠٢

(٣)- راجع: دعائم الاسلام ج ١ ص ١٤٢ والبحار ج ٨٤ ص ١٥٦ و ١٣٠، وعلل الشرايع ج ٢ ص ٥٦، والبحر الزخار، وجواهر الاخبار والآثار بهامشه كلاهما ج ٢ ص ١٩٢ ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الاسلامي لمحمد سعيد العربي ص ٣٨ عن سعد الدين التفتازاني في حاشيته على شرح العضد، على مختصر الاصول لابن الحاجب، وسيرة المصطفى للسيد هاشم معروف الحسيني ص ٢٧٤ عن: الروض النضير ج ٢ ص ٤٢.

الصحيح في سيرة النبي ج ٣ .....  
اجتهاد الخليفة الثاني كان على درجة من القوة والكفاية... كما أنه لم تلاحظ  
جميع جوانب وخلفيات هذه القضية بالشكل الكافي والمقبول...

إلا أننا نجد في نفس الوقت: أن تعليل عمر الآنف الذكر يدل على أن  
ترك هذه الفقرة من الأذان كان لاسباب وقتية وآنية اقتضت ذلك بنظره...  
وربما لم يكن يفكر—أبداً— في استبعاد هذه الفقرة من الأذان إلى الأبد، وإنما  
فقط إلى فترة محدودة، رآها تتطلب هذا الاجراء...

وإذا كان ذلك هو ما حدث بالفعل... فاننا لانستطيع أن نفهم  
المبرر للاستمرار على ترك هذه الفقرة في هذا الزمان الذي لم يعد فيه ذلك  
المبرر قائماً.

ولماذا لانعود جميعاً إلى سنة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم،  
وأهل بيته الطاهرين؟!...

### الزيادة في الصلاة

و ورد في بعض الروايات المعتبرة(١): أن الصلاة كانت في أول  
الأمر ركعتين ركعتين، فرضها الله تعالى على العباد مباشرة، وفوض لرسوله  
زيادة معينة يزيدها عليها في الوقت المناسب، من دون حاجة الى وحي جديد،  
فزاد (ص) في المغرب ركعة واحدة، وفي الظهر والعصر والعشاء ركعتين  
ركعتين...

وقيل: إن هذه الزيادة كانت في السنة الأولى من الهجرة، وقيل: بعد  
ولادة الحسين عليها السلام... ولعل الأول هو الأصح، لورود ذلك في تحويل  
القبلة—الذي سيأتي الكلام فيه هو وفرض الزكاة بعد بدر— وذلك كان قبل  
ولادتها عليها السلام...

وعلى كل حال... فان هذه الزيادة غير مستهجنة، فان تشريع

(١) — الوسائل ج ٣ في أبواب اعداد الفرائض و نوافلها. باب عدد الفرائض اليومية، وجملة من  
احكامها.

الأحكام كان تدريجاً... وعلى الأخص تلك الأحكام التي ربما يصعب الالتزام بها على العربي؛ لمخالفتها لما اعتاد عليه، وركن وسكن إليه...

### قول آخر في فرض الصلاة:

وبعد ما تقدم... فاننا لن نصغي إلى تلك الروايات التي يظهر منها: أن الصلاة قد فرضت تامة من أول الأمر، أو على الأقل كانت تامة في مكة، فقد قالوا:

١- كان أول صلاة صلاها رسول الله (ص) الظهر، فأتاه جبرئيل، فقال: إنا لنحن الصافون، وأنا لنحن المسبحون(١)... قال: فقام جبرئيل بين يدي رسول الله (ص)، والنبي (ص) خلفه، ثم الناس خلف رسول الله، والنساء خلف الرجال، قال: فصلى بهم الظهر أربعاً، حتى إذا كان العصر، قام جبرئيل ففعل مثلها... ثم تذكر الرواية صلاة المغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً(٢) و واضح: أن سورة الصافات مكية، فالرواية تدل على أن الصلاة فرضت تماماً في مكة...

٢- وعن نافع بن جبير وغيره: لما أصبح رسول الله (ص) ليلة أسري به فيها، لم يرعه إلا جبرئيل يتدلى حين زاغت الشمس... ثم تذكر الرواية أنه صلى بهم الظهر أربعاً، والعصر كذلك الخ... (٣).

٣- وعن الحسن البصري: إن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً(٤).

ولكننا لانستطيع أن نأخذ بهذا، وذلك لوجود الروايات الثابتة والصحيحة عند الشيعة وعند غيرهم، الدالة على أن صلاة الحضر قد فرضت

(١) - سورة الصافات ١٦٥.

(٢) - المصنف للحافظ عبدالرزاق ج ١ ص ٤٥٣، وسنن البيهقي ج ١ ص ٢٦٢ وعن أبي داود في مراسيله والدر المنثور ج ٥ ص ٢٩٣.

(٣) - مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ١ ص ٤٥٥، وفي هامشه عن أبي داود.

(٤) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣١، وتفسير الطبري في سورة النساء الآية ١٠١.

أولاً ركعتين، ثم زيد فيها...

إلا أن يكون المراد: أن الصلاة ابُلغت إلى النبي (ص) أولاً كاملة، ولكن المصلحة كانت تُلزم أولاً بركعتين، ثم صارت تُلزم بالكل، وفوض إلى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله، أمر تبليغ ذلك في الوقت المناسب... ولذلك فقد اعتبرت الركعتان الاوليان فريضة، أي مافرض من الله مباشرة، على العبد والباقي سنة، وهو ما أبلغ حكمه للنبي (ص) ليلبغه في صورة وجود موضوعه، وهو المصلحة المقتضية له...

### فرض الزكاة:

ويقولون: إن فرض زكاة الاموال كان بعد بدر في السنة الثانية، وذلك بعد فرض زكاة الفطر. وقيل: بل فرضت الزكاة في السنة الثالثة. وقيل: في الرابعة (١).

ولكن ذلك غير صحيح، والصحيح — هو ما ذهب إليه البعض (٢) — من أن فرض الزكاة كان في مكة. وذلك بدليل:

١- إن عدة آيات قرآنية نزلت في مكة تأمر بابتداء الزكاة، ونذكر من ذلك:

قوله تعالى: «فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة» الاعراف الآية ١٥٦ وهي مكية.

وقوله: «والذين هم للزكاة فاعلون». المؤمنون ٤ وهي مكية.

وقوله تعالى: «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة» النحل ٣ مكية وكذا في سورة لقمان المكية الآية ٤.

وقوله تعالى: «الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون»

(١) - راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٧، وغير ذلك...

(٢) - وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٧٧.



فصلت ٧ مكية... ولتراجع: سورة الروم المكية الآية ٣٩، والانبياء المكية الآياتان فيها.

٢- وروي عن أبي طالب: أنه حدث عن النبي (ص): إن ربه أرسله بصلة الارحام، واقام الصلاة، وابتاء الزكاة (١).

٣- عن جرير بن عبدالله البجلي، قال: لما بعث النبي (ص) أتيته لبايعه، فقال: لأي شيء جئت يا جرير؟ قلت: جئت لاسلم على يدك، فدعاني إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة (٢)...

٤- وقد روى الكليني عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز عن محمد بن مسلم، وأبي بصير، وبريد، وفضيل كلهم عن أبي جعفر، وأبي عبدالله عليها السلام، قال: فرض الله الزكاة مع الصلاة (٣)...

وسند هذه الرواية جيد. كما ترى...

٥- ويؤيد ذلك أيضاً أن جعفر بن أبي طالب قد ذكر الزكاة لملك الحبشة، على انها مما أمرهم الله به (٤).

### رواية تعارض ما سبق:

ولكن ربما ينافي ما قدمناه ماجاء في رواية صحيحة السند، تفيد: أنه

(١) - الاصابة ج ٤ ص ١١٩ والبحار ج ٣٥ ص ١٥١، والطرائف ص ٣٠٤، والغدير ج ٧ ص

٣٦٨ عن نهاية الطلب للشيخ ابراهيم الحنبلي...

(٢) - تدريب الرواي ج ٢ ص ٢١٢ عن الطبراني في الاوسط، وذكر الشطر الأول من الحديث في

الاصابة ج ١ ص ٢٣٢.

(٣) - الوسائل ج ٤ ص ٥، وفروع الكافي ج ٣ ص ٤٩٨.

(٤) - الثقات لابن حبان ج ١ ص ٦٥، وحلية الاولياء ج ١ ص ١١٦/١١٤ عن ابن اسحاق،

البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٠ و٧٤ و٦٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠، وسنن البيهقي ج ٩ ص

١٤٤ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٧ و ٢٤ عن الطبراني واحمد،

ورجاله رجال الصحيح، وحياة الصحابة ج ١ ص ٣٥٤ و ٣٥٧، عن بعض من تقدم، وعن فتح

الباري ج ٧ ص ٣٠ وحسن اسناده...

لما أنزلت آية الزكاة، التي في سورة التوبة وهي مدنية، ومن أواخر منازل، أمر صلى الله عليه وآله مناديه فنادى في الناس: ان الله فرض عليكم الزكاة... وبعد أن حال الحول أمر مناديه فنادى في المسلمين: أيها المسلمون زكوا أموالكم تقبل صلاتكم، قال: ثم وجه عمال الصدقة وعمال الطسوق (١)...

ولكن... هذه الرواية تنافي عشرات الآيات التي نزلت حول الزكاة قبل سورة التوبة، والتي ربما تصل إلى ثلاثين آية... وحملها كلها على الاستحباب أو على خصوص زكاة الفطرة بعيد جداً...

وعليه... فلا بد من حمل هذه الرواية على أن الزكاة وان كانت قد شرعت قبل هذا الوقت... إلا أن النبي (ص) لم يضع الجبابة إلا بعد نزول هذه الآية... وإذا كان هذا خلاف ظاهر الرواية، فاننا لانستطيع الالتزام بها، كما قلنا...

### فرض زكاة الفطرة:

و إذا كانت زكاة الفطرة قد فرضت قبل زكاة الأموال... فتكون هي أيضاً قد فرضت في مكة، ويدل على ذلك:

١- الرواية الآتفة...

٢- ماورد في سفر السعادة من أنه (ص) كان يرسل منادياً ينادي في الاسواق والمحلات والازقة في مكة: ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم و مسلمة (٢).

### فرض الصيام:

ويقولون: إن صيام شهر رمضان المبارك قد فرض في المدينة في السنة الثانية (٣) حين نزول قوله تعالى: كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين

(١) - راجع الكافي ج ٣ ص ٤٩٧، وتفسير البرهان ج ٢ ص ١٥٦.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٦.

(٣) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥٤.

قضايا وأحداث غير عسكرية ..... ١٠٣  
من قبلكم... إلى قوله: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس  
وبيّنات من الهدى والفرقان؛ فمن شهد منكم الشهر فليصمه (١)...

وأما قبل فرض صوم شهر رمضان فكان الناس يصومون أياماً، كما  
ذكره القمي (٢).

ومما يدل على فرض الصيام في مكة، كلام جعفر المتقدم لملك الحبشة  
أن النبي صلى الله عليه وآله أمرهم بالصلاة والزكاة والصيام...

وقول البعض: إنه يغلب على ظنه أن تكون قصة جعفر وملك  
الحبشة موضوعة، بدليل ذكر الصيام فيها، وهو لم يشرع إلا بعد الهجرة إلى  
الحبشة (٣).

هذا القول... لا اعتبار به؛ إذ لماذا لا يكون نفس كلام جعفر هذا  
دليلاً على تشريع الصيام في مكة... يضاف إليه قول القمي المتقدم. وقول  
الجلي: إنه (ص) كان قبل فرض شهر رمضان يصوم هو وأصحابه ثلاثة أيام،  
وهي الأيام البيض من كل شهر (٤) إلا أن يكون مراد البعض خصوص  
صيام شهر رمضان...

بل إننا نستطيع أن نقول: إن شهر رمضان قد فرض في مكة، وذلك  
بدليل: أنه لما أسلم عمرو بن مرة الجهني، وأرسله (ص) إلى قومه، قال لهم:  
«إني رسول من رسول الله إليكم: أدعوكم إلى الجنة، وأخذ ركم من النار،  
وأمركم بحقن الدماء، وصلية الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأصنام،  
وحج البيت، وصيام شهر رمضان، شهر من اثني عشر شهراً، فمن أجاب فله  
الجنة» و كان ذلك في أول بعثة النبي صلى الله عليه وآله (٥).

(١) - البقرة ١٨٣-١٨٥.

(٢) - تفسير القمي ج ١ ص ٦٥.

(٣) - فجر الإسلام ص ٧٦.

(٤) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٦ تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢١٣ وراجع ص ٢١٤.

(٥) - البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٥٢ عن أبي نعيم، ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٤٤ عن الطبراني، وحياة

الصحابة ج ١ ص ١٩١ عنها، وعن كنز العمال ج ٧ ص ٦٤ عن الروياني، وابن عساكر...

هذا... ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الصوم كان مشروعاً في الامم السالفة، قال تعالى: كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم أياماً معدودات الخ... والمراد بالايام المعدودات هو شهر رمضان المبارك ، كما فسرتها الآية نفسها...

### صيام يوم عاشوراء:

و يذكرون هنا أيضاً: أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما قدم المدينة، وقبل أن يفرض صوم شهر رمضان، وجد يهود المدينة يصومون يوم عاشوراء وهو يوم العاشر من المحرم (١) - فسالهم عن ذلك ، فقالوا على ما في الصحيحين وغيرهما: «هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه. فقال (ص) فأنا أولى بموسى، وأحق بصيامه منكم، فصامه رسول الله (ص)، وأمر بصيامه (٢)».

وفي الصحيحين وغيرهما أيضاً: عن عائشة، وغيرها: كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله (ص) يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه، وأمر بصيامه. فلما فرض شهر رمضان قال: «من شاء صامه، و من شاء تركه» (٣).

و يذكر مسلم وغيره: أن صيامه صلى الله عليه وآله ليوم عاشوراء كان قبل وفاته (ص) بسنة (٤).

(١) - اسد الغاية ج ٥ ص ٥٠٧.

(٢) - المصنف ج ٤ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ البخاري ط اليمينية ج ١ ص ٢٤٤ وصحيح مسلم ط صبيح بمصر ج ٣ ص ١٥٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٠، والبداية والنهاية و ج ١ ص ٢٧٤ ج ٣ ص ٣٥٥، وراجع تفسير ابن كثير ج ١ في آيات صيام شهر رمضان في سورة البقرة ومشكل الآثار ج ٣ ص ٨٥-٩٠.

(٣) - المصادر المتقدمة، والموطأ ج ١ ص ٢٧٩. والبخاري ط مشكول ج ٥ ص ٥١ ومشكل الآثار ج ٣ ص ٨٦ و ٨٧.

(٤) - صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥١.

## كذب تلك الروايات:

ونحن نعتقد ونجزم: بأن ذلك كله من نسج الخيال ...

١— فبعد غض النظر عن المناقشة في أسانيد تلك الروايات، وكون أكثر رواياتها محل تهمة وريب، كما أن فيهم من لم يأت إلى المدينة إلا بعد عدة سنين من الهجرة كأبي موسى الأشعري، وفيهم من كان حين الهجرة طفلاً صغيراً كابن الزبير، فضلاً عن شهوده لما قبلها، ومن لم يسلم إلا بعد سنوات من الهجرة ك معاوية.

٢— وبعد غض النظر أيضاً عن تناقضها فيما بينها، ويكفي أن نذكر:

أن رواية تقول: إنه صام يوم عاشوراء في المدينة متابعاً لليهود، ولم يكن يعلم به. وأخرى تقول: إنه كان يصومه هو والمشركون في الجاهلية... وثالثة: إنه ترك يوم عاشوراء بعد فرض شهر رمضان... وأخرى تقول: إنه لما صامه قالوا له: إنه يوم تعظمه اليهود، فوعد أن يصوم اليوم التاسع في العام المقبل؛ فلم يأت العام المقبل حتى توفي (ص) (١).

إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف التي تظهر بالتتابع والمقارنة...

إننا بعد غض النظر عما تقدم نشير إلى ما يلي:

أولاً: إن الرواية الأولى تفيد: أن النبي (ص) كان يجهل بستة أخيه موسى، وأنه تعلمها واستفادها من اليهود، وقلدهم فيها... ولاضير عند هؤلاء في ذلك؛ فانهم يروون— ونحن نستغفر الله من ذلك— أنه كان يجب موافقة أهل الكتاب في كل ما لم يؤمر به (٢)...

ولكن هذا الرسول يناقض نفسه دائماً، حتى في هذا المورد، فهو الذي

(١) — صحيح مسلم ج ص ١٥١.

(٢) — صحيح البخاري الميمنية ج ٤ ص ٦٧ باب فرق الشعر في اللباس، والسيرة الحلبية ج ٢

يكره في الاذان بوق اليهود، وناقوس النصرى، ويخالفهم في معاملة الحائض، و يأمر بصبغ الشعر مخالفة لليهود والنصارى، وينهى عن تقليدهم في الاسلام (١).

بل لقد بلغ في مخالفته لهم حداً جعل اليهود يقولون: «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه (٢)».

وقال ابن الحاج: «وقد كان عليه الصلاة والسلام يكره موافقة أهل الكتاب في كل أحوالهم حتى قالت اليهود: إن محمداً يريد أن لا يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه (٣)».

وقد ورد في الحديث: «من تشبه بقوم فهو منهم» (٤)...

وثانياً: إن اطلاق كلمة عاشوراء على العاشر من المحرم إنما حصل بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام، وأهل بيته وصحبه صلوات الله وسلامه عليه أجمعين... ثم اقامة المآتم بهذه المناسبة من قبل ائمة أهل البيت (ع) وشيعتهم رضوان الله عليهم...

ولم يكن معروفاً قبل ذلك على الاطلاق، وقد نص أهل اللغة على ذلك ، فقد قال ابن الاثير، «هو اسم اسلامي» (٥). وقال ابن دريد: إنه اسم اسلامي لا يعرف في الجاهلية (٦).

وثالثاً: إننا لم نجد في شريعة اليهود صوم يوم عاشوراء، ولا هم يصومونه

(١) - راجع في ذلك كله مفتاح كنوز السنة فقد نقل ذلك عن: البخاري كتاب ٦٠ و ٧٧ باب ٥٠ و ٦٧ و صحيح مسلم كتاب ٣ حديث ١٦ و كتاب ٣٧ باب ٨، والترمذي كتاب ٤٤ حديث ٢٤ و كتاب ٢٢ باب ١٠ و كتاب ٤٠ باب ٧ والنسائي كتاب ٣ و ٤٨ و ٨٣ على الترتيب إلى غير ذلك من المصادر الكثيرة المختلفة فراجع: مفتاح كنوز السنة، وغيره...

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١١٥.

(٣) - المدخل لابن الحاج ج ٢ ص ٤٨.

(٤) - المصدر السابق.

(٥) - نهاية ابن الاثير ج ٣ ص ٢٤٠.

(٦) - الجمهرة في لغة العرب ج ٤ ص ٢١٢.

الآن. ولا رأيناهم يعتبرونه عيداً أو مناسبة لهم (١).

وبعد كل ماتقدم فلا يبقى مجال لجعل عدول النبي (ص) عن صوم يوم عاشوراء من اسباب حقد اليهود على المسلمين، كما ذكره البعض (٢)

من فضائل يوم عاشوراء أيضاً:

وعلى كل حال... فإننا نجد في فضل عاشوراء روايات أخرى أغرب وأعجب، حتى إن من يقرأها يخرج بانطباع: أنه لأفضل من ذلك اليوم على الإطلاق— حتى ولا ليلة القدر... ففيه كانت اهم الاحداث التي لا يمكن أن ينساها التاريخ البشري. أو أن يتجاهلها... حتى ولادة النبي (ص) و هجرته، اللتين هما في ربيع الأول بالاتفاق!!! (٣).

يوم عزاء... ويوم عيد:

ويقول أبوريحان البيروني في الآثار الباقية: بعد ذكر ماجرى على الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء:

«فأما بنو أمية فقد لبسوا فيه ماتجدد، وتزينوا واكتحلوا، وعيدوا، وأقاموا الولائم و الضيافات، وأطعموا الحلوات والطيبات. وجرى الرسم في العامة على ذلك أيام ملكهم، وبقي فيهم بعد زواله عنهم...»

وأما الشيعة، فانهم ينوحون و يبكون أسفاً لقتل سيد الشهداء فيه الخ... (٤)»

ويقول المقرئزي— بعد أن ذكر: أن العلويين المصريين كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن، تتعطل فيه الاسواق—:

(١)— راجع؛ مقال حسن السقاف في مجلة الهادي سنة ٧ عدد ٢ ص ٣٦.

(٢)— اليهود في القرآن ص ٢٠ و ٢٦.

(٣)— راجع في بعض هذه الفضائل: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٠ و ٣٦١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٣ و ١٣٤، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ١٠٨—١١٦. وغير ذلك.

(٤)— الكنى والالقباب ج ١ ص ٤٣١.

«فلما زالت الدولة اتخذ الملك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، وينبسطون في المطاعم، ويتخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون، ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام، التي سنهاتهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان؛ ليرغموا به آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؛ الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء و حزن على الحسين بن علي (ع)؛ لأنه قتل فيه...»

قال: وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ عاشوراء يوم سرور وتبسط (١)»

### وضع الأحاديث:

وقد وجد أعداء أمير المؤمنين و ولده (ع) و شيعته (رض) — وجدوا من أولئك الذين باعوا آخرتهم بدنياهم من يضع لهم الأحاديث على لسان النبي (ص) في فضل هذا اليوم، و اظهار الزينة، و الخضاب، و السرور، و التوسعة على العيال، و لبس الجديد فيه، و صومه، و طبخ الجبوب، و الاطعمة، و الاغتسال، و التطيب، و الاكتمال... إلى غير ذلك من مظاهرات النصب و العداء لأهل البيت عليهم السلام (٢).

ولكن الذي يهون الخطب: أن العلماء و النقاد قد حكموا على هذه الأحاديث — الاما شذمتها — بالوضع و الاختلاق من قبل الكذابين (٣).

وسيعلم الذين ظلموا حق آل محمد، و فرحوا في يوم حزنهم أي منقلب ينقلبون...

(١) — الخطط للمقر يزي ج ١ ص ٤٩٠.

(٢) — راجع: اللآلي المصنوعة في الاحاديث الموضوعية ج ١ ص ١٠٨ — ١١٦، و السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٤، و نوادر الاصول للحكيم الترمذي ص ٢٤٦.

(٣) — تذكرة الموضوعات للفتني ص ١١٨، و اللآلي المصنوعة ج ١ ص ١٠٨ — ١١٦ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٤، و غير ذلك...



## أساليب مقاومة عاشورا:

لقد بقيت عاشوراء الشوكة الجارحة في أعين اعداء أهل البيت، (ع) فحاولوا مقاومتها بكل مaldiهم، فعداءها تقدم من اتخذهم عاشوراء عيداً، نشير الى مايلي:

١- قال ابن العماد: «تمادت الشيعة في هذه الأعصر في غيهم بعمل عاشوراء باللطم والعويل والزينة، وشعار الاعياد يوم الغدير فعمدت غالبية السنة وأحدثوا في مقابلة يوم الغدير..... إلى أن قال: وجعلوا بازاء يوم عاشوراء بعده بثمانية أيام يوم مصعب بن الزبير، وزاروا قبره يومئذ بمسكن، و بكوا عليه ونظروه بالحسين؛ لكونه صبر و قاتل حتى قتل؛ ولأن أباه ابن عمه النبي الخ (١)»

ولكن... هيات أن يكون مصعب طالب الدنيا، والسلطان... و المناوى لأهل البيت... كأبي الشهداء ربحانة رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة، و إمام الأمة، طالب الحق، وناصر الدين، الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه...

ولكنها الاحقاد الدفينة، والأحن القديمة، والنصب لأهل بيت النبوة، و معدن الرسالة... الذين أمرالله تعالى بمودتهم: «قل: لأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى... (٢)».

٢- قال ابن كثير في حوادث سنة ٣٦٣: «فيها في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، و وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه، بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من أهل السنة اركبوا امرأة و سموها عائشة، و تسمى بعضهم

(١) - شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٠ عن العبر والامام الصادق والمذاهب الاربعة ج ١ ص ٩٥ عنه و بمحوت مع أهل السنة والسلفية ص ١٤٥ والمنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢٠٦.  
(٢) - الشورى ٢٣.

..... الصحيح في سيرة النبي ج ٣  
بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب علي، فقتل بسبب ذلك من  
الفرقيين خلق كثير (١)».

٣- استعمال القوة والعنف، فانك تجد في كتب التاريخ «في  
تاريخ مستهل كل عام: وفي هذا اليوم (أي عاشوراء) اقتتل الروا فض  
والسنة: فراجع المنتظم لابن الجوزي (٢)».

و لعل أعظم محنة، وا شدها نكاية وقعة الكرخ ببغداد، التي أحرق  
فيها دور شيعة أهل البيت، وقتلوا الرجال والاطفال...

ونكتفي هنا بهذا القدر فان استقصاء ذلك وتبعه لاجمال له في هذه  
العجالة...

### آية الصلح بين المؤمنين:

ويذكر البعض أن من الحوادث التي كانت قبل غزوة بدر: (٣) أن  
الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ذهب ليعود سعد بن عبادة في بني  
الحرث بن الخزرج، و ذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبي؛ بن سلول؛  
فر(ص) - وهو على حماره - بمجلس ابن أبي، وفي المجلس أخلاط من  
المسلمين والمشركين واليهود، وفيهم عبدالله بن رواحة... فثار غبار من مشي  
الحمار، فخمّر ابن أبي انفه بردائه وقال: لا تغبروا علينا...

فنزل إليهم رسول الله(ص)، ودعا هم إلى الله... فقال له ابن أبي:  
أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً، فلا تؤذينا به في مجالسنا، ارجع  
إلى رحلك؛ فن جاءك فاقصص عليه...

فقال ابن رواحة، بلى يا رسول الله فاعشانا، فانا نحب ذلك...

(١) - البداية و النهاية ج ١١ ص ٢٧٥، والامام الصادق والمذاهب الاربعة ج ١ ص ٩٤، و  
بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٤٤ / ١٤٥.  
(٢) - بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٤٥.  
(٣) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٤.

فاستب المسلمون والمشركون، حتى كادوا يتبادرون، فلم يزل رسول الله (ص) يخفضهم حتى سكنوا...

ثم دخل على سعد بن عباد، فحدثه بما جرى. فطلب منه سعد أن يصفح عن ابن أبي؛ لأنهم كانوا على وشك أن يتوجه قبل قدومه (ص)، فلما قدم انصر فواعن ذلك...

وفي رواية أخرى: إنه (ص) ذهب ومعه المسلمون إلى ابن أبي تألفاً لقومه، فلما أتاه قال له: إليك عنى، والله لقد أذاني ريح حمارك. فقال أحد الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيّب ريحاً منك، فتعصب لابن أبي رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل منها أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجر يد والنعال... فنزل قوله تعالى: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما... إلخ (١).

و في مجمع البيان: أن الذي قال لابن أبي ذلك، هو عبد الله بن رواحة. وأن التضارب كان بين رهط ابن رواحة من الأوس، ورهط ابن أبي من الخزرج...

ولكن... لا تخلو كلا الروايتين من الاشكال...

فأولاً إن آية الصلح بين المؤمنين لا يمكن أن تنطبق على الرواية الأولى؛ فإن النزاع فيها كان بين المشركين والمسلمين، وليس بين طائفتين من المؤمنين... بل لم يظهر من الرواية الثانية كون النزاع كان بين طائفتين من المؤمنين... فاذا جعلنا الروايتين رواية واحدة؛ لتقارب سياقها و مضمونها... لم يمكن الاطمينان إلى صحة كون الآية قد نزلت بهذه المناسبة...

وثانياً: إن الآية موجودة في سورة الحجرات، وهي قد نزلت بعد

(١) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٣/٦٤، والدر المنثور ج ٦ ص ٩٠، عن مسلم، والبخاري، وأحمد، والبيهقي في سننه، وابن مردويه، وابن جرير، وابن المنذر، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥٧٨/٥٧٩ و ٥٦٠ عن البخاري ج ١ ص ٣٧٠ و ٣٧٤.

..... الصحيح في سيرة النبي ج ٣  
سنوات من الهجرة لأنها نزلت بعد المجادلة والا حزاب، وغيرهما... وتقدم  
قولهم: إن هذه القضية قد حصلت قبل بدر...

هذا كله عدا عن التنافي بين مضمون كل من الروایتين كما هو  
ظاهر.

ولكن ذلك لا يعني أن الرواية مختلقة من الاساس... فلربما تكون قد  
حصلت بعد سنوات من الهجرة بعد نزول سورة الحجرات، وبعد اظهار ابن  
أبي للاسلام... ويكون النزاع كان بين طائفتين من المؤمنين... وبذلك  
تكون الرواية الثانية هي الأرجح...

### اسلام سلمان المحمدي:

وفي السنة الأولى من الهجرة، ويقال: في جمادى الأولى منها (١)  
كان اسلام سلمان المحمدي، المعروف بسلمان الفارسي، حشرنا الله معه و  
في زمرة، والذي قال النبي (ص) وغير واحد من الأئمة عنه: سلمان منا أهل  
البيت... (٢)

والذي كان قد هاجر من بلاده في طلب الدين الحق، وتعرض في  
هجرته تك إلى المصائب والمصاعب، حتى ابتلي بالرق، وأعتق على يد النبي  
صلى الله عليه وآله (٣).

(١) - راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥١.

(٢) - راجع: قاموس الرجال ج ٤ ترجمة سلمان...

(٣) - وملخص ذلك - على ما في المصنف ج ٨ ص ٤١٨ أنه كان في بلده راهب، فأخذ عنه  
بعض التعاليم، و علم أهله بالأمر، فأخرجوا الراهب من البلد، فخرج معه بالسرعة أهله، فجاء  
الموصل، فوجد أربعين راهباً، وبعد أشهر ذهب مع أحدهم إلى بيت المقدس، ورأى عبادة الراهب  
واجتهاده، ثم ضاع عنه، فسأل عنه ركباً من الأنصار؛ فقالوا: هذا عبد آبق، فأخذوه إلى المدينة،  
وجعلوه في حائط لهم. وكان الراهب قد أخبره أن نبياً من العرب سيخرج، لا يأكل الصدقة،  
و يأكل الهدية، وبين كتيفه خاتم النبوة وأمره باتباعه. هذا موجز القضية، وتفصيل ملاقاه سلمان  
من المتاعب والمصاعب يطلب من كتب الحديث، والتاريخ والتراجم.

وفي المدينة— وبالذات في قباء كما يقولون— التقى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم، فقدم إليه رطباً على أنها صدقة، فأبى النبى صلى الله عليه وآله أن يأكل منها، وأمر أصحابه فأكلوا، وعدّها سلمان واحدة.

ثم التقى به في المدينة، فقدم إليه رطباً على أنها هدية، فقبلها واكل منها، فعدّها سلمان ثانية...

ثم التقى به في بقيع الغرقد وهوفي تشيع جنازة بعض أصحابه، فسلم عليه، ثم استدار خلفه، فكشف النبى صلى الله عليه وآله له عن ظهره، فرأى خاتم النبوة؛ فانكب عليه يقبله ويبكى، ثم أسلم، وأخبره بقصته، وبعد ذلك كاتب سيده، واستمر يعمل من أجل أداء الكتابة، وأعانه النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك...

وكان أول مشاهده الخندق، ثم شهد ما بعدها من المشاهد، وقال ابن عبد البر: إن أول مشاهده بدر. وهو المناسب لمعونة النبى صلى الله عليه وآله له، فراجع في سيرة سلمان وفضائله كتب الحديث والتراجم (١).

### ملاحظة:

و يلاحظ هنا: أن سلمان لم يسلم بدافع عاطفي أو مصلحي، ولم يسلم أيضاً استجابة لضغوط، أو لجو معين... وإنما دخل في الاسلام عن قناعة فكرية خالصة، وبعد ان سعى من أجل الوصول إلى الدين الحق، ولاقى المصاعب والمتاعب الطويلة في سبيل ذلك وذلك يؤيد فطرية الدين، وكونه ينسجم مع أحكام العقل، ومقتضيات الفطرة السليمة... وقد أشرنا إلى ذلك أيضاً حين الكلام على اسلام أبي ذر فليراجع...

### بئر رومة في صدقات عثمان:

وقد ذكروا في جملة فضائل عثمان: أنه لما قدم رسول الله (ص) المدينة، وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، قال: من يشتري بئر رومة من

(١) — مثل: قاموس الرجال ج ٤، والاصابة ج ٢ ص ٦٢ والاستيعاب، وغير ذلك...

..... الصحيح في سيرة النبي ح ٣  
خالص ماله؛ فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة؟  
فاشترها عثمان من صلب ماله، وجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين... ثم لما  
حصر عثمان منعه من الشرب منها حتى شرب ماء البحر...

وللروايات نصوص مختلفة جداً كما سنرى، وسنشير إلى بعض  
مصادرها فيما يأتي... ونحن نشك في صحتها... وذلك استناداً إلى مايلي:

أولاً: تناقض نصوصها الشديد جداً، حتى لا تجد نصاً إلا ويوجد  
ماينافيه ويناقضه... ونذكر على سبيل المثال:

إنهم يذكرون ان عثمان قدناشد الصحابة في ذلك أيضاً حين الثورة  
عليه... فرواية تقول: إنه اطلع عليهم من داره وهو محصور. وأخرى تقول: في  
المسجد...

ورواية تقول: انه اشترى نصفها بمائة بكرة، والنصف الآخر بشيء  
يسير. وأخرى تقول: إنه اشترها بأربعين الفاً. وثالثة: بخمس وثلاثين. و  
رابعة: انه اشترى نصفها باثني عشر ألف درهم، والنصف الآخر بثمانية  
آلاف.

ورواية تقول: إنها كانت ليهودي لايسقي أحداً منها قطرة إلا بثمان.  
وأخرى: انها كانت لرجل من مزينة. وثالثة: لرجل من بني غفار... ورواية  
تقول: إنه اشترى البئر، وأخرى تقول: إنه حفرها... والجمع بأنه اشترها، ثم  
احتاجت إلى الحفر (١)... لايصح، لأنهم يقولون: إن عثمان قال ذلك حين  
المناشدة، والمناشدة كانت واحدة لم تتكرر.

ورواية تقول: إنها كانت عيناً (أي فيها نبع و سيلان على وجه  
الارض) وأخرى تقول: كانت بئراً... ورواية تقول: إنه اشترها عند مقدم  
النبي(ص) والمسلمين المدينة، وأخرى تقول: إنه اشترها وهو خليفة.

ورواية تقول: إن النبي طلب منه ذلك، وأخرى تقول انه(ص) ناشد

المسلمين من يشتريها منهم وثلاثة تقول: إن غفاريأ أبيعها للنبي بعينين في الجنة!! فبلغ ذلك عثمان فاشتراها منه بخمس وثلاثين ألفاً(١).

وثمة تناقضات كثيرة أخرى لا مجال لذكرها... فن أراد المزيد فليراجع وليقارن.

وثانياً إن ماورد في الرواية— كما عند النسائي وأحمد والترمذي— من أنه(ص) قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب... لا يصح بوجه، فقد كان في المدينة آبار كثيرة عذبة. وقد استمر النبي(ص) على الاستقاء والشرب منها إلى آخر حياته، ومنها بئر السقياء، وبئر بضاعة، وبئر جاسوم، وبئر دار أنس التي تفل فيها النبي(ص) فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها(٢)، وغير ذلك من آبار كثيرة لا مجال لذكرها، فراجع وفاء الوفاء للسمهودي، فصل: آبار المدينة...

وثالثاً: لوصح حديث بئر رومة؛ فلا بد إذن من الاجابة على التساؤلات في المجالات التالية:

١— إنه إذا كان عثمان قدقدم من الحبشة جديداً، ولم يكن له مال... فن أين جاء عثمان بالاربعين، أو الخمس و ثلاثين، أو العشرين ألفاً من الدراهم، أو المئنة بكرة؟! ومتى وكيف اكتسب هذا المال؟!...

٢— ولماذا لايعين المسلمين في حرب بدر بشيء من تلك المبالغ الهائلة من الدراهم؟ أو بشيء من تلك البكرات التي اخرج منها مئة من صلب ماله

(١)— راجع في الروايات وقارن بينها: وفاء الوفاء للسمهودي ج ٣ ص ٩٦٧—٩٧١، وسنن النسائي ج ٦ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٤ ومنتخب كنز العمال ج ٥ ص ١١ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٨٩ عن الطبراني وابن عساكر، ومسند أحمد ج ١ ص ٧٥ و ٧٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٥، وروي ذلك أيضاً عن البغوي، وابن زباله، وابن شبة، والترمذي ص ٦٢٧ وابن عبد البر، والحازمي، وابن حبان، وابن خزيمة.

وراجع: حلية الأولياء ج ١ ص ٥٨، والبخاري هامش الفتح ج ٥ ص ٣٠٥ وفتح الباري ج ٥ ص ٣٠٦/٣٠٥ وسنن البيهقي ج ٦ ص ١٦٧ و ١٦٨.  
(٢)— راجع وفاء الوفاء للسمهودي ج ٣ ص ٩٧٢ و ٩٥٦ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٥١.

حسباً تنص عليه الرواية؟!... مع أن المسلمين كانوا بأمرس الحاجة إلى أقل القليل من ذلك، وكان الاثنان والثلاثة منهم يعتقدون البعير الواحد، ومع أنه لم يكن معهم إلا فرس واحد، ولم يكن معهم إلا ستة أدرع وثمانية سيوف، والباقون يقاتلون بالعصي وجريد النخل، كما سيأتي بيانه...

فلماذا لا يعينهم عثمان بشيء من ماله؟! أم يعقل أن يكون قد بذل كل ماله حتى أصبح صفر اليمين؟!؛ فمن أين جاء إذن بعد ذلك بأضعاف أضعاف هذه المبالغ حينما جهز جيش العسرة؟!؛ - حسباً يدعون وسيأتي بطلانه أيضاً إن شاء الله تعالى...

ولماذا لا يطعم المسلمين، ويسد حاجاتهم، ويكفيهم مغونة الأنصار؟! ولماذا لا يعين النبي نفسه بشيء من ماله، وقد كان يعاني اشد الصعوبات ولم يتسع الحال عليهم إلا بعد سنوات من الهجرة؟!...

٣- وتقول روايات المناشدة: إنهم قدموه من الشرب منها حتى اضطروا إلى الشرب من ماء البحر... عجيب!! فإنه إذا كان يستطيع الحصول على الماء فلماذا لا يشرب من غيرها من العيون العذبة التي كانت في المدينة والتي تعد بالعشرات؟!...

كما أن من كان يمنع من شرب الماء، فإنه لم يكن يسمح بدخول أي ماء كان إليه، ومن أي مصدر كان... وقد أراد عمار أن يدخل إليه روايا ماء؛ فنهه طلحة (١) ولم يستطع الحصول على الماء إلا من قبل علي الذي أرسل إليه الماء مع أولاده، وعرضهم للاختار الجسيمة، كما هو معلوم... وهل صحيح: أنه شرب من ماء البحر حقاً؟ مع أن البحر يبعد مسافة لا يستهان بها عن المدينة أم أن ذلك كناية عن شربه للمياه غير العذبة والمالحة؟!...

٤- وإذا كان عثمان قد بذل هذا المال حقاً... فلما ذالم تنزل فيه ولو آية واحدة تمدح فعله، وتثني عليه، وكيف استحق علي أن تنزل فيه آيات حينما تصدق بثلاثة أقراص من شعير، وحينما تصدق بخاتمه، وحينما



تصدق باربعة دراهم، وحين قضية النجوى؟! وهذا عثمان يبذل عشرات الآلاف ومئة بكرة من الابل ولا يذكره الله بشيء، ولا يشيرله بكلمة ولا حرف؟! بل إن الرواية التي تنقل هذه الفضيلة الكبرى عنه نراها متناقضة متهافته، لا تقوى ولا تثبت امام النقد العلمي الحر والصريح... ولماذا امتنع— مع غيره— عن التصديق بدرهم في آية النجوى، حتى نزل القرآن يلوم الصحابة وهو معهم على إشفاقهم: أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة؟!...!

بئر أريس:

وأخيراً... فلسنانندري لماذا اختصت بئر رومة بهذا التعظيم والتبجيل، دون بئر أريس... مع أنها أيضاً— كما يدعون!!— قد اشتراها عثمان... وقد اشتراها أيضاً من يهودي. وكذلك هو قد تصدق بها (١)!! بارك الله في آبار عثمان، وليمت اليهود بغيظهم؛ فانهم يملكون الآبار، ويشتريها منهم عثمان، ويتصدق بها، وينال الاوسمة ويحصل على الفضائل والكرامات!!...

حقيقة القضية

وبعد كل ما تقدم؛ فان الظاهر هو أن الصحيح في القضية هو مارواه ابن شبة: «عن عدي بن ثابت، قال: أصاب رجل من مزينة بئراً يقال لها: رومة، فذكرت لعثمان بن عفان، وهو خليفة، فابتاعها بثلاثين ألفاً من مال المسلمين، وتصدق بها عليهم (٢)».

وقد ضعف السمهودي الرواية بأن في سندها متروك. ورواها الزبير بن بكار في عتيقه، وردّها بقوله: وليس هذا بشيء، وثبت عندنا أن عثمان اشتراها بماله، وتصدق بها على عهد رسول الله (ص) (٣).

ونقول نحن... إنه بعد أن ثبت عدم صحة تلك الروايات التي أشار

(١) — وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٤٥.

(٢) — وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٦٧ عن ابن شبة. وروى ذلك الزبير بن بكار أيضاً...

(٣) — المصدر السابق...

إليها الزبير بن بكار بأي وجه، ولا سيما مع تناقضها، ومع ماتقدم من الأيراد عليها بما لا مدفع له كما أن في أسانيدنا نقاشاً كثيراً. فإن وجود المتروك في سند هذه الرواية لا يضر... مادامت منسجمة مع الواقع التاريخي، ومع الظروف التي كانت قائمة آنذاك .

ومادام لا يمكن ان يصح غيرها، فالظاهر: أنها قد حرفت وحورت ليتمكن الاستفادة منها في اثبات فضيلة لعثمان لا يمكن ان تثبت له بدون هذا التحوير والتزوير.

ولكننا لم نفهم قوله: «ابتاعها بثلاثين الفامن مال المسلمين، وتصدق بها عليهم...» فانها إذا كانت من مالهم، فما معنى الصدقة بها عليهم...

الا أن يقال، كما قلنا في أواخر مقالنا: «أبوذر شيعوي، أم اشتراكي، أم مسلم»: إن عثمان والهيئة الحاكمة كانوا يرون أنهم يملكون بيوت الاموال حقاً، وقد جئنا بالشواهد والدلائل على نظرهم هذه، فراجع...

### تأبير النخل:

ويقولون: إن النبي (ص) لما قدم المدينة مر بقوم يؤبرون النخل، أي يلحقونه - أوسم صحتهم - فقال: لولم تفعلوا لصلح، فتركوا تلقيحه، فخرج شيصاً (١)، فربهم (أوقيل له) فقال: مالنخلكم؟ قالوا: قلت: كذا وكذا قال: انتم اعلم بأمر دنياكم. أوقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فاني إنما ظننت ظناً، فلاتؤ اخذوني بالظن، ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به، فاني لن اكذب على الله عزوجل (٢).

ونحن نشك في صحة ذلك، إذ مضافاً إلى الاختلاف الظاهر في نصوص الرواية، كما يظهر بالمراجعة والمقارنة... لا بدو أن نسأل:

(١) - الشيص هو: رديئ التمر، وهو الذي لا يشتد نواه.

(٢) - راجع: صحيح مسلم ج ٧ ص ٩٥، وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٢٥ كتاب الرهون باب ١٥، ومسنند أحمد ج ٦ ص ١٢٣، والبرصان والعرجان ص ٢٥٤، ومشكل الآثار ج ٢ ص ٢٩٤.

لماذا يتدخل النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيما لايعنيه؟!،  
وماليس من اختصاصه؟ ألا يعلم: أن الناس يهتمون بكل كلمة تصدر منه،  
ويرتبون الأثر عليها، ويلتزمون بها؟!...

ولماذا يعرض الناس إلى هذا الضرر الجسيم؟! ومن هو المسؤول عن  
هذه الأضرار التي سببتها مشورته تلك؟!... ثم إنه كيف يقول ذلك لهم...  
وهو الذي أمر عبدالله بن عمرو بن العاص بأن يكتب منه كل مايسمع؛ فانه  
لايخرج من بين شفثيه إلاحق؟! والرواية معروفة جداً؛ ولذا فلاحاجة إلى ذكر  
مصادرها...

وأيضاً... هل يمكن أن نصدق أنه (ص) وقد جاوز الثلاث  
والخمسين سنة، وهو يعيش في المنطقة العربية— هل يمكن أن نصدق: أنه لم  
يكن يعرف تأبير النخل وفائدته، وأن النخل لاينتج بدونه؟!... وكيف لم  
يسمع طيلة عمره المديد شيئاً عن ذلك، وهو يعيش بينهم ومعهم... او على  
الأقل بالقرب منهم؟!...

وأخيراً... هل صحيح: أنه ليس على الناس أن يطيعوه في أمور  
دنياهم؟! وأنه كان يقول برأيه؟!... وهل صحيح: أن الاسلام يفصل  
بين الدين والدنيا، وأن مصب اهتماماته هو ماعدا أمور دنياهم؟! أليس هذا  
بهتاناً على الاسلام وافتراءً عليه؟! ألا يتنافى ذلك مع القرآن والسنة والاسلام  
بمجموعه؟!...



## الفصل الرابع:

الجهاد في الاسلام



## الاسلام... والسيف!!

لقد اهتم المبشرون الحاقدون على الاسلام في اظهار الاسلام على أنه دين السيف والقهر... حتى لقد صوروا- في بعض كتبهم- كاريكاتوراً يمثل النبي صلى الله عليه وآله حاملاً القرآن في يده، والسيف في يده، ويقف فوق رأسه أشخاص، وكتبوا عبارة تقول: «آمنوا بالقرآن، وإلا... ضربت رقابكم بالسيف»... فهم يريدون أن يقولوا: إن الاسلام الذي يقول: «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة، والموعظة الحسنة» ليس صادقاً فيما يقول، وإنما هو يقول: أدع بالسيف...

وقد ساعد على ذلك: أن المسلمين أنفسهم قد اعتادوا على ترديد عبارة: «ان الاسلام قام ببال خديجة، وسيف علي (ع)»(١)، مع عدم تعمقهم في مدلول هذه العبارة... بل إن بعض القصاصين الأقدمين، قد ساعدوا على انتزاع هذا المفهوم عن الاسلام، كما يظهر من ملاحظة كتاب: «فتوح الشام للواقدي»؛ فإنه لا تكاد تخلومنه صفحة من بطولات خارقة، وأحداث مدمرة. كل ذلك من أجل جلب انتباه العوام إليهم، ولأهداف أخرى ليس هنا محل بحثها... فاشكل الأمر حتى على كثير من المسلمين أنفسهم، وذهبوا يميناً وشمالاً في محاولات الاجابة على ذلك، حسباً رأوه مناسباً،

(١)- جاء ماتقدم في مقال للمفكر والفيلسوف الاسلامي الكبير، المرحوم الشهيد، الشيخ مرتضى المطهري، نشرته جريدة: «جمهوري اسلامي» الفارسية بتاريخ ١٠ جادى الثانية سنة ١٤٠٠ رقم ٢٦١.

و بالطريقة التي جادت بها قرائحهم. .... الصحيح في سيرة النبي ج ٣

وهذا الأمر... وإن كان ربما يكون ارتباطه بالتاريخ، وعلاقته به ليس قوياً جداً، بحيث لا يسمح المجال لنا بالتوسع في الكلام فيه بالشكل الذي يرضي تحمسننا، ولكننا... مع ذلك لا بد وأن نشير ولو بشكل خاطف وسريع إلى مانراه ونعتقد في هذا المجال، فنقول:

### ١- الحرب في الاسلام... وفي غيره:

قد قدمنا لمحة سريعة جداً عن توصيات النبي (ص) لجيوشه، حين الكلام على السرايا... ومن أراد المزيد، فعليه بمراجعة البحار، والكافي، وغير ذلك من كتب الحديث.

كما أنه لا ينبغي الغفلة عن المعاملة المثالية من قبل المسلمين للأسرى، كما سنلمح إليه في غزوة بدر إن شاء الله تعالى...

و يقابل ذلك:

الف: ماورد في الانجيل: «ماجئت لألقي على الارض سلاماً بل سيفاً».

باء: وفي التوراة: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فان أجابت إلى الصلح، وفتحت لك؛ فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً، فحاصرها؛ وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف... وأما النساء والاطفال، والبهائم، وكل ما في المدينة كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا...

وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما(١)».

(١) - سفر التثنية الاصحاح ٢٠ فقرة ١٠-١٧.



جيم: وفي التوراة أيضاً: «فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرقها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى ساحتها، وتحرق بالنار المدينة، وكل امتعتك كاملة للرب الهك، فتكون تلاً إلى الابد (١)».

وثمة نصوص كثيرة أخرى في هذا المجال لا مجال لتتبعها... فراجع: سفر التثنية الاصحاح ٧ فقرة ١-٢ وليراجع سفر صموئيل الأول الاصحاح ١٥، ورسالة بولس إلى العبرانيين الاصحاح ١١ فقرة ٣٢ فما بعدها، وانيس الاعلام ج ٥ ص ٣٠٢-٣١٦، وغير ذلك.

### إشارة:

وأما إدانة الإسلام من خلال ما كان يفعله الامويون والعباسيون وغيرهم، وماقتلوه في حروبهم، وارتكبه مع خصومهم... فهو تجن على الإسلام؛ إذ لم يلتزم الإسلام بان يكون مسؤولاً عن أفعال المنحرفين عنه، فان تصرفات المنحرفين شئ، والإسلام شئ آخر...

### ٢- حيث لا بد من الحرب:

الف- إن شخصية الانسان وملكاته، وسجاياه، ومختلف جهات تكوينه النفسي، والفكري، والعاطفي وغير ذلك- إن هذه الشخصية تتكون عادةً في الاكثر- بعد غض النظر عن عامل الوراثة وغيره من العوامل- من المحيط الذي يعيش فيه، ومن الأفكار التي يتلقاها عن طريق والديه، ومعلمه، وصديقه إلخ... بما في ذلك المفاهيم والقيم الدينية...

فقد ينشأ خواراً جباناً إذا كان الذين اشرفوا على تربيته يستعملون معه اسلوب الارعاب والتخويف... وقد ينشأ شجاعاً مقداماً، إذا كان التعامل معه على خلاف ذلك...

كما أن من يلقى حناناً وعناية فائقة في صغره يكون تكوينه النفسي

مختلفاً تماماً عن ذلك الذي يواجه بالجفاء والقسوة، حتى ولو عاشا في بيت واحد، وكانا أخوين توأمين...

بل وأكثر من ذلك. فان هذه الصور الذهنية التي يتلقاها الانسان عن طريق الحواس، تمثل المصدر الهام لمعارفه... فلو فرضنا توأمين يعيشان معاً، ويتلقيان نفس المعاملة، ولنفرض أن هذا التوافق مستمر في مجال التعليم، والتربية، والظروف المعيشية والخ... فاننا مع ذلك نجد هاتين مختلفتين بوضوح في افكارهما ونفسيتهما، وعواطفهما... وذلك بسبب اختلاف الصور التي تلقاها ذهنهما، وكونت عناصر التفكير لديها، وأثرت بشكل أو بآخر في انفعالاتها المختلفة...

فان ذهن كل منهما— حتى وهما يجلسان في غرفة واحدة أو سيران في الشارع، أو في المدرسة...— يستقبل صورةً تختلف ولو جزئياً عن تلك التي يستقبلها ذهن الآخر، بسبب توجه نظر كل منهما إلى نقطة تختلف عن تلك التي يتوجه إليها نظر الآخر... وكذا الحال بالنسبة للاصوات والمشمومات والخ...

فهذه الصورة لا بد وأن تشغل حيزاً، وتؤثر أثراً، وتغير من اتجاه الحركات الفكرية لديه، فتعينه تارة، وتقف في وجهه أخرى...

ولسوف يكون لاختلاف تلك الصور التي وصلت إلى ذهنيها أثر في النتائج، التي سوف يتوصلان إليها... كما أن تلك الصور— كما أشرنا إليه— سوف تؤثر آثاراً مختلفة في نفسية وسلوك وعواطف كل منهما...

وهذا يعرفنا إلى أي حد يتأثر الناس بعضهم ببعض في السلوك والافكار والانفعالات والاخلاق وغير ذلك... حتى إنك لتحس بالفرق في نفسك ومشاعرك لو وقفت على بائع عبوس فظ غليظ، ثم وقفت على آخر مهذب، يواجهك بابتسامته الرقيقة، ويخاطبك بكلمات عذبة ومهذبة... وهذا ولاشك لسوف يترك أثراً على نفسك، ثم على تصرفاتك مع أطفالك وأصدقائك وغيرهم...

وبعد هذا... فانه إذا كان الفكر شديد الحساسية إلى حد أن يتقرر معه اتجاه الانسان، ويؤثر في شخصيته بشكل عام... فاننا نعرف: أن أي انحراف يظهر في المجتمع مهما كان على نطاق ضيق ومحدود، فان أثره لا يقتصر على مرتكبه، وإنما يتعداه— ولو بشكل جزئي ومحدود— إلى كل من يعاشره، ويراها، أو يرتبط به من قريب أو من بعيد... ثم يتعداهم إلى غيرهم، وهكذا...

ومن هنا... فاننا نجد الاسلام يحارب المنكر بكل قوة، حتى اعلامياً، فيمنع من غيبة غير المتجاهر بالمنكر، حتى لا يعتاد الناس على سماع خبر المنكر والانحراف، وبعد ذلك يسهل عليهم ارتكابه وممارسته... فهو إذن... لا يريد أن تمر حتى صورة المنكر في أذهانهم، حتى لا تترك أثراً يرغب الاسلام في الابتعاد عنه، فضلاً عن ممارسة المنكر نفسه...

وليتأمل قليلاً في اطلاق لفظ المنكر، وعدم المعروفة على مثل هذه الأمور

هذا بالاضافة إلى أنه يريد أن يمنح ذلك المرتكب فرصة للتخلي عن سيئته تلك، وهبئ له الجو الاجتماعي المناسب لنمو شخصيته، والاحتفاظ بعزته وكرامته إلى غير ذلك مما لسنا بصدد بيانه فعلاً...

وبعد كل ماتقدم... فانه إذا كان ضرر الانحراف لا يقتصر على نفس من يمارسه، بل يتعداه إلى غيره... فانه يكون من حق ذلك الغير أن يدفع ذلك الضرر عن نفسه. وهذا ما يحكم به العقل والفطرة، حتى ولو لم يكن شرع أصلاً... ولكن الشرع لم يكتف بالاعتراف بحق الدفاع عن النفس هذا... بل زاد على ذلك؛ فأوجبه عليه، حين حكم بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل أحد...

وذلك من أجل الحفاظ عليهم أولاً، وحتى لا يتسرب ذلك الانحراف منهم إلى غيرهم ثانياً (١).

(١) — وإنما لم يعاقب المرتكب للمنكر عقابين: أحدهما على المنكر، والآخر على تسببه بالاضرار

وكل ما قدمناه يوضح لنا السر في اعتبارهم عليهم السلام المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى...

وعلى هذا... فليس من حق من تنهأ عن المنكر، أو تأمره بالمعروف: أن يقول لك: وماذا يعنيك؟. أو: أنا حر... أو ما شاكل...

لا... بل الأمر يعنيك... وهو ليس حراً، إلا بمقدار لا يعتدي فيه على غيره بأي نحو من أنحاء الاعتداء، ولا يضر بحريته... والانحراف هو أخطر أشكال الاعتداء، وأبشع أنواعه...

وواضح: أنه في مقام دفع أخطار الانحراف، والقضاء على المنكر، لا بد من مراعاة مقدار الضرورة، فلو أساء ولدك نهيتة أولاً، وبينت له خطأه، ثم لمته، ثم تهددته، ثم ضربته، ثم طردته... الخ... كل ذلك بحكم الشرع والفتوة...

وإذا مرض أحد أعضاء الإنسان فإنه يعالجه بالدواء، ثم بالعملية الجراحية... ولربما تصل النوبة إلى قطعه، إذا كان مرضه خبيثاً وخطيراً؛ حيث إنه بالإضافة إلى أنه أصبح يشكّل عبئاً ثقيلاً على سائر الأعضاء، حيث يفترض فيها أن تقوم بمهامها ومهامه... فقد أصبح يشكل خطراً عليها... هذا عدا عن أنه يؤثر فيها ألماً وضعفاً ووهناً، ويمنعها من القيام بوظائفها على النحو الأكمل والأفضل...

وعلى هذا... فلو لم يقطع الطبيب ذلك العضو؛ فإنه يكون قد أضر بهذا الإنسان وخانه.. وحين يعتبر الإسلام، والعقل، والفتوة المسلمين كالجسد

بالغير. بل له عقاب واحد، من جهة أنه لم يسلب عنصر الاختيار الذي لدى الآخرين، كما أنه لم يقصد هو ذلك... فيكون فعله من مهادت وقوع الغير في المعصية وليس الجزء الأخير للعلّة...

وبادخال عنصر القصد في المعصية وفي استحقاق العقوبة وعدمه، يعرف الفرق بين ما نحن بصدد، وبين قولهم: من سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها...

الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى - وليس المسلمين فقط، بل الانسانية جمعاء - فان المنحرف عقائدياً، وسلوكياً، واخلاقياً، لا بد من استئصال انحرافه أولاً، بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، ثم بالانذار، ثم بالشدة والعنف... حتى إذا أفلست كل تلك الوسائل فان آخر الدواء الكي. وحيث يكون الداء خطيراً وخبيثاً... فانه لا بد من الاستيصال...

ويكون عدم قطع هذا العضو الفاسد، والمفسد خيانة للأمة، وللاجيال وللانسانية جمعاء.

بل يمكن القول: إن خطر الانحراف الديني والعقائدي يفوق خطر المرض الجسدي؛ فان مرض الجسد ربما لا يعتده إلا في نطاق محدود جداً... أما المرض العقائدي والديني، والفكري، والانحراف الاخلاقي، فقد يتسبب في تدمير المال، والجاه، والانسان، بل والمجتمع بأسره، ويؤثر على الاجيال الآتية أيضاً... وذلك عندما لا تبقى لدى ذلك المنحرف أية روادع تمنعه من ارتكاب أية جريمة، والمبادرة إلى كل عزيمة. حينما يكون المقياس عنده، والمنطق له هو مصالحه الشخصية، ولذا ذاته الفردية، ولاشئ سواها؛ فلا يهتم لرضا الله، ولا لمصلحة الأمة، ولا لأحكام الشرع والدين، ولا حتى للعقل والمنطق...

وهكذا... فان الجهاد من أجل منع الانحراف، يكون من الاحكام العقلية والفطرية، فضلاً عن الشرع والدين...

وبعد كل ماتقدم؛ فاننا نستطيع أن نقول بكل جرأة: إن الاسلام لولم يقم بالسيف لم يكن دين الحق والعدل، ولادين الفطرة والعقل، وكان خائناً للمجتمع، بل وللانسانية جمعاء على مدى التاريخ...

كما أننا نعلم: أن السياسة من صميم الاسلام الذي هو لاقامة العدل، ورفع الظلم، قال تعالى: «ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد،

ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوي عزيز(١)».

وإن ديناً يتخذ الخيانة ديناً، وتجاهل مصالح الاجيال طريقة، ويكون فيه هذا الخلل الكبير في تشريعاته لن يكون المجتمع والانسانية بحاجة إليه، ولا معنى للتضحية في سبيله والحفاظ عليه، ولا للعمل من أجل رفع شأنه، واعلاء كلمته.

ومن هنا... فقد كان الجهاد باباً من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه. وهو لباس التقوى. ودرع الله الحصينة، وجُتُّهُ الوثيقة... إلى آخر كلام أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

وليلاحظ: أن بحثنا هذا ناظر الى الجانب الفكري التشريعي فقط... أما حقيقة ماجرى تاريخياً في عهد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو مالا يبد من الاشارة إليه، والتعرف من خلال البحث والتمحيص عليه، إن شاء الله تعالى...

باء: الدفاع عن النفس في مقابل المكيين، الذين كانوا يفتنون المسلمين عن دينهم، ويصدون عن سبيل الله... ومن حق كل أحد: أن يقاتل من أجل أن يمتلك حرية الرأي والفكر والعقيدة وحرية الدعوة إلى الله... ولا سيما حين يكون الطرف الآخر مصراً على استعمال العنف، وليس المنطق والحجة، ضده، وضد ما يدعو إليه...

فالاسلام... لا يريد أن يجبر أحداً على أن يدخل فيه، وإنما هو يضع أمام من ينتصر عليهم عدة خيارات ليس اعتناق الاسلام إلا واحداً منها... وكان من يعتنق الاسلام إنما يعتنقه بملء رغبته، وحرية واردة، ومن دون أي ضغط حتى اعلامي من قبل المسلمين... ولقد اعتنقت كثير من البلدان الاسلام بمجرد اطلاعها عليه، من دون انتظار الفتح الاسلامي...

ولكن... ذلك لا يعني أن يقف الاسلام والمسلمون مكتوفي الأيدي

أمام كل اضطهاد، أو أي اعتداء أو ظلم يمارس ضد هم وأن يخضعوا لكل الضغوط والارادات الأخرى التي لن ترضى إلا بالقضاء عليه وعليهم نهائياً...

كما أن ذلك لا يعني بأن لا يعد المسلمون لاعدائهم ما استطاعوا من قوة، ومن رباط الخيل يرهبون به عدو الله وعدوهم... لأن الاسلام الذي يدعون إليه، ويطالبون بجرية التفكير والنظر فيه، ليس مجرد طقوس فردية، وتزكية نفسية، وإنما هو نظام عام شامل يريد أن يقود عملية تغيير شاملة على مستوى عالمي شامل... الأمر الذي يحتم أن تتوفر الحماية الكاملة لهذا الاسلام، الذي لا بد وأن يصطدم بأصحاب الاطماع، والاهواء، وبالجارين الذين يحكمون الناس بوحى من مصالحهم ورغباتهم...

نعم... لا بد من الحماية الكافية واستعمال اسلوب العنف إذا لم يمكن تأمين حرية الفكر، والرأي، والعقيدة إلا بذلك... وليوجد الجو والمناخ المناسب لتطبيق الجانب التشريعي في الاسلام...

وحتى لا يتحول الاسلام إلى اسلام حكام يخضع لرغباتهم، ويتطور حسب مصالحهم، واهوائهم... كما كان الحال بالنسبة لبعض الفرق والمذاهب التي ابتليت بهذا الداء الوبيل...

وأيضاً حتى لا يتحول جانب عظيم ورئيس في هذا التشريع، ليكون مجرد فكر ميت، يوضع في المتاحف... ويكون الجانب الحي هو خصوص الجانب الفردي، الذي لا يتصل بالحياة الاجتماعية، ولا يتفاعل معها، لامن قريب ولامن بعيد.

وإذا توفرت حرية الفكر والرأي والعقيدة، فان ذلك سوف يشجع الآخرين على الدخول في الاسلام، آمنين من العذاب والأذى ومن مختلف أنواع الضغوط، ومن الفتنة التي هي اكبر من القتل بنظر الاسلام...

فالمسلمون إذن... إذا قاتلوا... فانما يقاتلون طلباً بحقهم الذي جعله الله لهم، على حد تعبير الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كما سيأتي

انشاء الله تعالى... وكما قرره الله تعالى حيث يقول:

«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وأن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، إلا أن يقولوا: ربنا الله... (١)»... فالأذن بالقتال للمسلمين إنما هو في صورة كون غيرهم قد بدأهم به بالاضافة إلى كونهم قد أخرجوا من ديارهم... ولكن من يراجع كتب المغازي يخرج بتصور: أن الاسلام دين القتل والتدمير، فليراجع فتوح الشام للواقدي؛ فلعل ذلك من اجل اظهار قدرة الامويين، وعظمتهم، كما اشار إليه بعضهم (٢).

جيم: وبعد كل ماتقدم، فقد كان النبي (ص) والمسلمون ملتزمين بعرض خيارات منصفة على الطرف الآخر، حتى ليعترف المشركون: بان حرهم لهم بعد هذا العرض تكون ظلماً وبغياً كما سيأتي... ولكن الباقين لا يقبلون بالعرض، لأنهم كانوا مصممين على الحرب، منذ قتل ابن الحضرمي في سرية ابن جحش (٣).

مع أنه كان بالامكان تلافى قضية ابن الحضرمي، إما بالثار على نطاق أضيق، أو بقبول الدية، وكلاهما عن خلق العرب ليس ببعيد...

دال: مناهضة ناقصي العهود، وايقافهم عند حدهم، كما كان الحال بالنسبة لليهود، ثم بالنسبة لمشركي مكة، الذين نقضوا عهد الحديبية...

هاء: الدفاع عن النفس في وجه الغزاة والمهاجرين، وملاحقة من قام بالغارة على المدينة...

وأخيراً... فاننا نلاحظ: أن المشركين قد استمروا يغزون المسلمين، والمسلمون يدافعون عن أنفسهم إلى ما قبل صلح الحديبية، حيث يروى البخاري: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بعد منصرفه من بني قريظة: الآن نغزوهم ولا يغزونا.

(١) - سورة الحج ٣٩/٤٠.

(٢) - هو المحقق البهائي السيد مهدي الحسيني الروحاني حفظه الله...

(٣) - راجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣١ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١١٦.



## هل الاسلام قام بالسيف؟!

وبعد كل ماتقدم يتضح لنا: أنه ليس معنى قيام الاسلام بسيف علي عليه السلام: أنه كان يجعل السيف فوق رأس الانسان، ويقول له: إما أن تسلم وإما أن تقتل...

وإنما معنى ذلك... أن سيف علي عليه السلام كان أبعد أثراً في الدفاع عن الاسلام، وصد اعتداء المعتدين، وتأمين حرية الفكر والعقيدة، والرأي... حسباً قدمناه...

ولأجل أن حروب الاسلام كانت تهدف للحفاظ على الانسان، والدفاع عن النفس، وتأمين الحرية الفكرية... نلاحظ: أنه يقتصر في حروبه على أقل قدر ممكن ترتفع به الضرورة، ويلتزم بضبط النفس الكامل والواعي، حتى في أحلك اللحظات، وأخطرها.

ولذا... لم يستطع الباحثون إيصال القتلى في حروب النبي (ص) طيلة عشر سنين، والتي تعد بعشرات الحروب والسرايا— لم يستطيعوا إيصالها إلى الالف قتيل(١)... رغم أن هذه الحروب كانت تتجه نحو تهية الجو لبسط النفوذ الاسلامي على مختلف أرجاء الجزيرة العربية، ويتعداها إلى غيرها مما حولها...

هذا ما أحيبنا الاشارة إليه في هذه العجالة، والكلام حول الجهاد طويل ومتشعب، لا بد فيه من التوفر على دراسة النصوص القرآنية، وكلمات النبي (ص) والائمة (ص) ومواقفهم وممارساتهم الجهادية بدقة ووعي...

وقد صدر مؤخراً كتاب للعلامة الجليل السيد محمد حسين فضل الله باسم: «الاسلام ومنطق القوة» ولم تتوفر لي الفرصة للاطلاع عليه بعد... ولكنني على ثقة بأن فيه ما ينفع الغلة، ويشفي الغليل في هذا المجال... فمن أراد فليراجعه...

(١) — راجع مقالاً حول هذا الموضوع للسيد هادي الخسروشاهي في كتاب: سيماي اسلام... (فارسي).



## الفصل الخامس:

سرايا و غزوات قبل بدر..



## غزواته (ص) و سراياه

وهنا يبدأ المؤرخون بذكر غزواته و سراياه صلى الله عليه وآله...  
ويقصدون بـ «الغزوة»: الجيش الذي يخرج فيه صلى الله عليه وآله بنفسه، و  
بـ «السرية»: البعث الذي لا يكون فيه رسول الله صلى الله عليه وآله...

وقد اختلفت كلماتهم في عدد غزواته وسراياه اختلافاً كبيراً... ولا  
نرى حاجة لاطالة الكلام في تحقيق ذلك...

ولسوف نكتفي بذكر الغزوات التي كان فيها قتال، مع الإشارة  
الخفيفة إلى غيرها من الغزوات والسرايا، إلا إذا وجدنا فيها ما يقتضي التوقف  
قليلاً... فنقول:

### المهاجرون... أولاً:

١- وبعد سبعة أشهر من مقدمه صلى الله عليه وآله المدينة - وقيل  
غير ذلك - عقد الرسول (ص) لحمزة بن عبد المطلب على ثلاثين  
من المهاجرين، (وقيل: ومن الأنصار. لكنه غير معتمد، لأنه لم يبعث أحداً من  
الأنصار قبل بدر، كما ذكره (١) -) ليلقوا أباجهل. فلقوه، وهو في ثلاث مئة  
من المشركين... لكن مجدي بن عمرو الجهني - وكان موادعاً للفريقين -  
حجز بينهما، وانصرفوا من غير قتال...

(١) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٦، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٥٢.

ويذكر العلماء هنا: إنه في أول الأمر لم يكن يجوز فرار واحد من المسلمين من عشرة من المشركين...

ثم جاء التخفيف من قبل الله عن المسلمين؛ ليختص بفرار واحد في مقابل اثنين، وذلك في قوله تعالى:

«يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا؛ بأنهم قوم لا يفقهون. الآن خفف الله عنكم، وعلم أن فيكم ضعفاً، فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين (١)»...

٢- وعلى رأس ثمانية أشهر من مهاجره الشريف عقد لعبيدة بن الحارث ابن المطلب على ستين رجلاً؛ ليلقوا أباسفيان في بطن رابع، وكان في مئتين...

وفي هذه السرية فرالمقداد وعتبة بن غزوان إلى المسلمين.

٣- وبعد ذلك كانت سرية سعد بن أبي وقاص على فريق من المهاجرين أيضاً؛ ليعترضوا عيراً لقريش، فسبقتهم. وقيل: كان ذلك بعد بدر.

٤- ثم كانت غزوة الأبواء بعد مقدمه صلى الله عليه وآله بسنة أو أكثر، أو أقل، خرج فيها النبي صلى الله عليه وآله بنفسه يريد قريشاً، وبني مرة بن بكر. فتلقاه سيد بني مرة بالأبواء، فصالحه، ثم رجع (ص) إلى المدينة..

٥- وبعدها كانت غزوة بواط، جبل لجهينة، قرب المدينة خرج (ص) في مائتين من المهاجرين أيضاً يعترض عير بني ضمرة؛ فبلغ بواطاً ورجع، ولم يلق كيدا...

٦— وبعدها بأيام قلائل كانت غزوة العشيرة، ووادع فيها بني مدلج، وحلفاء هم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وفيها كني علي عليه السلام بأبي تراب، كما سنرى...

### ٧— سرية عبد الله بن جحش إلى بطن نخلة:

ثم كانت سرية ابن جحش في رجب أوجادى الثانية من السنة الثانية، في ثمانية، أو اثني عشر من المهاجرين...

فقد كتب له النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين (ولعله لاجل أن لا يطلع على مضمونه أعداء المسلمين من اليهود والمشركين فتتسرب الأخبار إلى اعدائه) — فلما سار يومين فتح الكتاب، فاذا فيه بعد البسمة:

«أما بعد، فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك، حتى تنزل بطن نخلة، فترصد بها عير قریش — وفي رواية: قریشاً — حتى تأتينا منها بخبر»...

فاقام هناك فمرت بهم عير لقریش، فتجراً المسلمون عليهم، فقتلوا منهم رجلاً، وأسروا إثنين، وأخذوا مامعهم، وكان ذلك في أول يوم من رجب أو آخريوم منه...

فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله، أوقف العير والاسيرين، وأبى أن يأخذ منها شيئاً (ولكن أبا هلال العسكري يقول: «ورد عبد الله بن الجحش بالخمسة على رسول الله (ص)، وقسم الباقي بين أصحابه، فكان أول خمس خمسة (١)» —).

و عنفهم إخوانهم من المسلمين.

وقالت قریش: قد استحل محمد الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدماء، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال. وعيروا المسلمين بذلك، وكتبوا فيه.

(١) — الأوائل ج ١ ص ١٧٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٥٧ والاستيعاب ترجمة عبد الله بن جحش.

الصحيح في سيرة النبي ج ٣  
 وتحرك اليهود أيضاً، ليزيدوا الطين بلة... فلما أكثروا نزل قوله تعالى، مبيناً عذر المهاجرين فيما أقدموا عليه: «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه؟ قل: قتال فيه كبير، وصد عن سبيل الله، وكفر به، والمسجد الحرام، واخراج أهله منه اكبر عند الله، والفتنة اكبر من القتل.؟» (١).»

وقيل: نزلت الآية حينما جاء مشركوا مكة، وسألوا النبي (ص) عن ذلك على جهة العيب والانتقاص. ففرج الله بذلك عن المسلمين. وبعثت قريش بفداء الاسيرين، فأفداهما (ص)...

٨- ثم كانت غزوة بدر الأولى بعد غزوة العشيرة بأيام، حيث أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج النبي صلى الله عليه وآله في طلبه، حتى بلغ وادي سفوان من جهة بدر، وفاته كرز، فرجع صلى الله عليه وآله إلى المدينة...

### وصية النبي (ص) للسرايا:

ويلاحظ هنا: أنه صلى الله عليه وآله كان إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم، فأجلسهم بين يديه، ثم يقول:

«سيروا باسم الله، وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله. ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها؟ وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين، فهو جار، حتى يسمع كلام الله؛ فان تبعكم، فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله عليه الخ...» (٢). وهي وصية طويلة...

كما أنه صلى الله عليه وآله ما بيّث عدواً قط (٣).

(١) - البقر ٢١٧.

(٢) - الكافي ج ١ ص ٣٣٤ و ٣٣٥، والبحار ج ١٩ ص ١٧٧ - ١٧٩.

(٣) - المصدر ان المتقدمان...



هذا... ولا بد وأن نبحث هنا عدة أمور هامة نرى أنها ترتبط بما تقدم... وهي على النحو التالي:

### أ- تكنية علي بأبي تراب:

وفي غزوة العشيرة كنى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علياً عليه السلام بـ: «أبي تراب»، و كانت أحب كناه إليه، ولكن الأمويين كانوا يعيرونه بها...

وملخص القضية: كما يروى لنا عمار بن ياسر: انه بعد أن نزل الرسول ومن معه في موضع هناك ، ذهب عمار وعلي(ع) لينظرا إلى عمل بعض بني مدلج، كانوا يعملون في عين لهم ونخل، فغشيها النوم، فانطلقا حتى اضطجعا على صور من النخل، وفي دقعاء من التراب. قال عمار: فوالله ما أهبنا إلا رسول الله (ص) يجر كنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها؛ فيومئذ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب: مالك يا أباتراب، لما يرى عليه من التراب... الحديث(١)...

وقد تقدمت الإشارة إلى رواية تكنيته بابي تراب حين الحديث عن المؤاخاة أيضاً...

(١) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٧، والآحاد والمثاني مخطوط في كوبرلي رقم ٢٣٥، وصحيح ابن حبان مخطوط والبحار ج ١٩ ص ١٨٨، ومسنند أحمد ج ٤ ص ٢٦٣/٢٦٤، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٣-١٢٤ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢ ط صادر، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٩/٢٥٠، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤٠ وكنز العمال ج ١٥ ص ١٢٣ و ١٢٤ عن المصنف، والبغوي، والطبراني في الكبير، وابن مردويه وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن النجار وغيرهم وعن ابن عساکر... وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٤٢، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٦ و ١٠٠ عن الطبراني في الاوسط والكبير، والبيزار وأحمد، ووثق رجال عدد منهم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٤، وترجمة الامام علي(ع) من تاريخ ابن عساکر ج ٣ ص ٨٦ بتحقيق الحمودي، وانساب الاشراف ج ٢ ص ٩٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٦، وطبقات ابن سعد والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٣.

ونقل أيضاً عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل رقم ٢٩٥، والغدير ج ٦ ص ٣٣٤، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ٢٢٦، والامتناع للمقرئزي ص ٥٥... وعلى كل حال فان من يراجع غزوة العشيرة في كتب التاريخ والحديث يجد هذا الحديث مثبتاً ثمة في اكثر تلك المصادر..

وقد أحسن عبد الباقي العمري حيث يقول مشيراً إلى هذه القضية:

يا أبا الأوصياء انت لطفه      صهره، وابن عمه، وأخوه  
 إن لله في معانيك سرّاً      أكثر العالمين ما علموه  
 أنت ثاني الآباء في منتهى      الدور، وآبائه تعد بنوه .

التزوير والافتراء:

و يقولون هنا: انه عليه السلام كان اذا عتب على فاطمة، وضع على رأسه التراب؛ فاذا رآه النبي (ص) عرف ذلك، وخاطبه بهذا الخطاب (١).

و يقولون أيضاً: إنه غاضب فاطمة، وخرج إلى المسجد، ونام على التراب، فعرف النبي (ص)، فبحث عنه؛ فوجده؛ فخاطبه بهذا الخطاب (٢).

و يقولون أيضاً... إنه حين المواجهة لم يؤاخ النبي (ص) بينه وبين أحد، فاشتد عليه ذلك، وخرج إلى المسجد، ونام على التراب، فلحقه (ص)، ولقبه بهذا اللقب...

ولكن كل ذلك لا يمكن أن يصح. وذلك لما يلي:

١- إن فاطمة أجلّ من أن تغضب عليها عليه السلام، وأتقى وأرفع من ذلك، وهي الصديقة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً بنص الكتاب العزيز... كما أن علياً أجلّ وأتقى وأرفع من أن يغضب فاطمة؛ وسيرته، وتطهير الله له من الرجس، وكل مشين، بنص كتابه العزيز أدل دليل على ذلك...

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٧ وانساب الاشراف ج ٢ ص ٩٠.

(٢) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤٧، والغدير ج ٦ ص ٣٣٦ عن سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٧، وعمدة القاري ج ٧ ص ٦٣٠. والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٣ عن صحيح البخاري والمناقب للخوارزمي ص ٧، وانساب الاشراف ج ٢ ص ٩٠ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص

٢— وقد قال علي عليه السلام— وكأنه يتنبأ بما سوف يفتره عليه الحاقدون: «فوالله، ما أغضبها، ولأأكرهتها على أمر، حتى قبضها الله عز وجل. ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها؛ فتنكشف عني الهموم والأحزان(١)».

٣— وغدا عن ذلك كله... فان وضعه التراب على رأسه كلما غاضبها لا يصدر من رجل عاقل حكيم لبيب، له علم ودراية أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه أشبه بلعب الأطفال...

٤— وأيضاً... فان أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو قسم الجنة والنار لم يكن ليؤذي الله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله... لأن جزاء من يؤذي الله والنبي (ص) ليس هو الجنة قطعاً... وقد قال النبي: إن من آذى فاطمة فقد آذاه، او من أغضبها فقد أغضبه(٢).

٥— وأخيراً... فان علياً لم يكن ليغضب من النبي (ص)، ويعتبر عليه... وهو يعلم أنه لا يأتي بعمل من عند نفسه... كما أن سيرة علي مع النبي، لتؤكد على أنه كان يلتزم حرفياً بكل ما يصدر عنه، حتى إنه، حيناً أمره النبي (ص) أن يسير لفتح خيبر ولا يلتفت، مشى (ع) ماشاء الله ثم وقف فلم يلتفت، وقال: يا رسول الله الخ... (أنساب الاشراف ج ٢ ص ٩٣ بتحقيق المحمودي).

ولماذا يغضب ويعتب؟ أليس قد آخاه بنفسه قبل الهجرة؟! ثم هو لم يزل يؤكد على أخوته له، كلما اقتضت المناسبة ذلك...

وعلى كل حال... فنحن لن نكذب النبي (ص) والقرآن، ونصدق هؤلاء... فنحن نذر هذه الترهات لهم. تدغدغ أحلامهم، وترضي حقدهم، على علي وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين...

(١)— مناقب الخوارزمي ص ٢٥٦، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٦٣، والبحار ج ٤٣ ص ١٣٤.

(٢)— البخاري ط مشكول ج ٥ ص ٣٦.

## لماذا الوضع والاختلاق:

ولعل سر وضع هذه الترهات... هو أنهم يريدون أن يظهرُوا أنه قد كان في بيت علي عليه السلام من التناقضات والمخالفات... مثل ذلك الذي كان في بيت النبي (ص) نفسه، مما كانت تصنعه بعض زوجاته صلى الله عليه وآله، ويمكن - من ثم - أن يقال: إن ذلك أمر طبيعي، ومألوف، وهو من مقتضيات الحياة الزوجية... وإذن... فلا غضاضة فيه على أحد... ولا موجب للطعن والاشكال على أي كان... فزوجة النبي تتصرف كما كانت تتصرف بنت النبي (ص)...

ومن الجهة الثانية فكما أن قوله (ص) من أغضبها (أي فاطمة) فقد أغضبني... ينطبق على فلان وفلان... فانه ينطبق أيضاً على علي نفسه، و إذن... فلا يجب أن يكون ذلك موجباً للاشكال على اولئك دونه.

## قيمة هذه الكنية:

إن الامام عليا عليه السلام لا يعتبر الدنيا له هدفاً، يعيش من أجله وفي سبيله... وإنما يعتبرها وسيلة إلى هدفه الاسمي، وغايته الفضلى... وإذا رأى نفسه يتصرف منسجماً مع هدفه، ومع نظرته؛ فانه سوف يرتاح، وينشرح لذلك... فكانت هذه الكنية من النبي (ص) له بمثابة اعلام له: بأنه سوف يبقى في مواقفه وتصرفاته محتفظاً بالخط المنسجم مع أهدافه، وأنه لسوف يبقى يضع الدنيا في موضعها الذي يليق بها، ولن تغره بزبارجها وبهارجها، ولن يبتلي بالتناقض بين مواقفه وتصرفاته، وبين ما يدعي أنه هدف له... ومن أجل ذلك كانت هذه الكنية أحب كناه إليه عليه السلام.

وأما الأمويون... فقد كان موقفهم أيضاً منسجماً مع نظرهم، ومع ما يعتبرونه من القيم لهم... فان غايتهم وهدفهم هو الدنيا، وعلى أساس وجدانها وفقدانها يقيّمون الاشخاص والمواقف، فيحترمون أو يحترقون... وإذا كان علي أباتراب، ولا يهتم بالدنيا، ولا يسعى لأن ينال منها إلا ما يحفظ له

خيط حياته، ويبلغه إلى أهدافه... فان بني أمية لسوف يرونه فاقداً للعنصر الأهم، الذي به يكون المجد، والكرامة والسؤدد بنظرهم. ويكون من الطبيعي أن يعيروه بكنية كهذه؛ فان ذلك هو الذي ينسجم كل الانسجام مع غاياتهم، ونظرتهم تلك التي تخالف الدين والقرآن، والفطرة السليمة والمستقيمة.

## ٢- لماذا المهاجرون فقط:

و يلاحظ: أنه صلى الله عليه وآله كان قبل بدر لا يخرج في غزواته، ولا يرسل في سراياه إلا المهاجرين. وهنا يرد سؤال:

لماذا يتعمد النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ذلك؟ وماهي الحكمة فيه؟!...

لربما يقال في مقام الاجابة على ذلك إنه يريد أن يفهم الأنصار: أنه مصمم على الوصول إلى أهدافه، ولو لم يعاونوه؛ فلا يجب أن يظنوا: أنه يريد أن يجعلهم وسيلة للآربه وغاياته، مع احتفاظه بأصحابه المهاجرين... الأمر الذي يولد عند الأنصار الشعور بالمظلومية والغبن...

ولكننا نرى أنه لابد من نظرة أعمق إلى هذا الأمر، وذلك يحتم علينا أن لانقنع بما تقدم، ولذا فنحن نجمل ملاحظتنا هنا على النحو التالي:

## الف: على الأنصار نصره (ص) في دارهم:

إنه يبدو أن الأنصار كانوا يرون: أن عليهم نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دارهم، إن دهم أمر؛ فيمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم... أما إذا كان هو نفسه المهاجم لغيره، أو كانت الحرب في غير بلدهم، فلانصرة له عليهم. وذلك هو ظاهر ماتم الاتفاق عليه في بيعة العقبة كما تقدم...

ويدل على ذلك: أن المؤرخين يصرحون في غزوة بدر: أنه (ص): «كان يخشى ألا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا من دهم في المدينة،

وليس عليهم أن يسير بهم». وسيأتي ذلك حين الحديث عن غزوة بدر إن شاء الله تعالى...

### باء: مسألة الحرب والسلم:

إن مسألة الحرب ليست سهلة بالنسبة إلى المدنيين، وإذا كانوا هم الذين سوف يتحملون مسؤولياتها، ويضحون فيها بأموالهم وأنفسهم. وهم الذين سوف يواجهون نتائجها وعواقبها على صعيد علاقاتهم، وروابطهم الاجتماعية والاقتصادية، وغيرها، وهي اخطر وأهم مسألة لدى العربي، لأنها مسألة الدم والثار، والموت والحياة، والسعادة والشقاء...

إذا كانت الحرب إنما تعني ذلك... فلا بد فيها من توفر القناعات الكاملة بها من قبلهم أنفسهم، ولا بدو أن يقرروا هم الدخول فيها وعدمه...

وأما إذا فرضت عليهم فرضاً... فلربما يؤدي دخولهم فيها إلى نتائج عكسية، وربما خطيرة جداً، تجر على المسلمين، وعلى مستقبل الإسلام الكثير من الرزايا والبلايا، التي قد تعسر معالجتها، والخروج منها على النحو المرضي والمشرف، والمنسجم مع الهدف الاسمي والغاية الفضلى.

وهذا هو السر في استشارته صلى الله عليه وآله أصحابه في الحرب وشؤونها في بدر وفي أحد، كما سنشير إليه ثمة إن شاء الله تعالى...

### ظروف الانصار الخاصة:

وإذا كان الأنصار في بلدهم، ويعيشون حياة الأمن والدعة—على صعيد علاقاتهم بمن يحيط بهم طبعاً— ويشرفون على زراعتهم، وأمور معاشهم، ويستفيدون من أرضهم... فإن ذلك يجعلهم أكثر تعلقاً بالحياة، وحباً لها... ولا بد من توفر دافع نفسي أقوى يسهل عليهم الخروج إلى جوارح... فيه الكثير من المشاكل والاطار الجسام، إن حاضراً، وإن مستقبلاً...

وأيضاً... فإنه إذا كان الأنصار سوف يحاربون قریشاً، أعظم قبائل العرب خطراً ونفوذاً، وحتى قدسية، فإن عليهم أن يعدوا إلى العشرة قبل أن يقدموا على أي إجراء من شأنه أن يعرض علاقاتهم بمكة إلى الخطر... ولا سيما إذا كان من الممكن أن يجبر عليهم خطر عداء العرب قاطبة، فضلاً عن غيرهم... وعلى الأخص إذا كان المدنيون في موقع المعتدي في نظر الناس... بل إن التاريخ يحدثنا: «عن أبي بن كعب قال: لما قدم النبي (ص) وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا فيه» (١).

أما ظروف المهاجرين، فإنها كانت مختلفة تماماً عن ظروف الأنصار من هذه الجهة؛ لأن اتحاذهم قرار الحرب ضد قریش يكون أسهل وأيسر، فإن وقوفهم ضد قریش له مبرراته النفسية والاجتماعية كاملة، فإنها هي تلك القوة الغاشمة التي أهانتهم، وعذبتهم وأخرجتهم من ديارهم، وسلبتهم أموالهم... والخ... ولأنهم كان مشردين مقهورين، يشعرون بظلم قریش وخروجها على كل النواميس الأخلاقية والاعراف الاجتماعية، والاحكام العقلية والدينية والفطرية... فاندفاعهم إلى محاربتها، والوقوف في وجهها يكون أعظم وأشد... كما أن تحريكهم إلى مضايقة قوافلها— التي تمثل اغراء هؤلأ الذين فقدوا أموالهم، وكل مآلديهم على أيدي أصحاب هذه القوافل نفسها— يكون أسهل وأيسر...

وأيضاً... فإنه لا يمكن أنه ينظر الى وقوفهم في وجه قریش على أنه تجن واعتداء. بل هي حرب محقة وعادلة لمن كانت هذه معاملتهم، وتلك حالتهم وسلوكهم... مع من؟!... مع أحب الناس وأقربهم نسباً إليهم... فكيف تكون الحال لو كان الأمر مع غيرهم، ممن لا تربطهم بهم رابطة قرىبي، ولا وشائج رحم... .

(١) — منتخب كنز العمال ج ١ ص ٤٦٥ بهامش مسند احمد عن البيهقي في الدلائل، وابن مردويه، وابن المنذر وعن كنز العمال ج ١ ص ٢٩٥ عن هؤلأ وعن الطبراني، والحاكم، وسعيد بن منصور، وعن روح المعاني ج ٦ ص ٩٨.

### جيم: الحالة النفسية للمهاجرين:

إنه بالإضافة إلى أن هذه التحركات قد أعطت المهاجرين الغرباء عن المنطقة فرصة للتعرف عليها جغرافياً، ولو بشكل محدود—بالإضافة إلى ذلك—فإن المهاجرين كانوا مصدومين نفسياً، ويشعرون بالغرابة عن المنطقة، فكانوا بحاجة إلى حركة تعيد لهم الثقة بأنفسهم ورفع معنوياتهم، وتركز فيهم الشعور بالقوة، والاستقلالية، والحرية. فكانت تحركاتهم هذه تشعرهم: بأن باستطاعتهم—الآن—مضايقة قريش، والضغط عليها... وأنهم يملكون أنفسهم بكل ما لهذه الكلمة من معنى...

كما أن مما عزز ذلك فيهم هو موادعاتهم لغيرهم من القبائل.

وقد كان الأنصار في غنى عن كل ذلك بملاحظة ظروفهم وأحوالهم...

يضاف إلى ذلك: أنه إذا كان بين هؤلاء المهاجرين من أثرت فيه المحنة، وزعزعت يقينه الصدمة، ومن أجل أن لا يوقعه ضعف نفسه بين برائن الشيطان... فإن هذا المسلم إذ رأى نفسه يعمل في سبيل هذا الدين، وهذه العقيدة ويضحى من أجلها وفي سبيلها، ويجد أن عمله هذا يؤثر وينتج، ويتقدم من حسن إلى أحسن... إن هذا المسلم سوف يعود إليه ثباته، وتطمئن نفسه، ويصير تأثير المحنة عليه أقل، والتفاعل معها أندر.

### دال: العربي... و قضية الدم:

ولقد كان العربي لا يغفر قضية الدم، ولا يتجاوزها، وعلى أساس الثأر للدم يتقرر مصير العلاقات بين القبائل والفئات سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وغير ذلك... ولربما يستمر العداء الثاري بين القبائل أجيالاً عديدة...

وإذا كان لا بد من قيام مجتمع إسلامي متكافل، متماسك كالجسد



الواحد، فلا بد من حصر قضايا الدم والثار في أضيق دائرة ممكنة، تفادياً للاخقاد التي تتأصل في النفوس، ويظهر أثرها ولو بعد أجيال... وعشرات، بل مئات السنين...

ولذا نلاحظ: أن حرب بدر رغم أن الكثرة فيها كانت للأنصار بنسبة واحد إلى أربعة أو خمسة من المهاجرين - نلاحظ - أن أكثر قتلى المشركين كانت نهايتهم على يد المهاجرين القرشيين، كما سئرى إن شاء الله تعالى...

ولاجل هذا بعينه؛ وأيضاً من أجل تقليل القتلى ما أمكن نجد أمير المؤمنين عليه السلام قال للأزد في صفين: اكفوني الأزد، ولحثعم: اكفوني خثعماً. وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام، لإقبيلة ليس منهم بالشام أحد. مثل: بجيلة، لم يكن بالشام منهم إلا عدد يسير؛ فصرفهم إلى لحم (١)... وكذلك جرى أيضاً في حرب الجمل (٢).

كما أنه عليه السلام يرسل منادياً ينادي في جيش عائشة في حرب الجمل: اتقوا سيف الاشر، وجندب بن زهير (٣).

نعم... لأن علياً لا يريد أن يقتل الناس، وإنما يريد قمع الفتنة، واقامة الدين الذي تحياه الأمم، بأقل قدر ممكن من الخسائر...

كما أن المختار عندما أمر ابراهيم بن الاشر أن يسير: إما إلى مضر، أو إلى أهل اليمن، عاد فرجح أن يسير إلى مضر، قال الطبري: «فنظر المختار، وكان ذا رأي، فكره أن يسير إلى قومه، فلا يزال في قتالهم، فقال: سر إلى مضر بالكناسة إلخ... (٤)».

وخلاصة الامر: انه إذا كانت الحرب بين أفراد أو فئات القبيلة الواحدة؛ فلربما تكون أقل ضراوة من جهة، ولأن العاطفة النسبية، والقرى

(١) - وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٢٩ وراجع انساب الاشراف ج ٢ ص ٣٠٥.

(٢) - الفتوح لابن اعثم ج ٢ ص ٢٩٩.

(٣) - لباب الآداب ص ١٨٧ والاصابة ج ١ ص ٢٤٨.

(٤) - تاريخ الطبري ط مطبعة الاستقامة ج ٤ ص ٥٢١.

القبلية تسهل على الناس تناسي الاحقاد وتجاوزها، ومن ثم يتهيا الجو للعودة إلى الحياة الهادئة، والمحبة، والتصافي بسرعة... من جهة أخرى.

والشاهد على صحة مانقول: ان قريشاً لم تنس مع طول العهد جراحاتها من الانصار... ولم تأل وسعاً ولم تدخر جهداً في الثار لنفسها كما سنرى في الفقرات التالية...

### قريش... والأنصار:

وأول ما يظالعنا في مجال استكشاف مشاعر قريش، ونواياها تجاه الأنصار ما قاله أبوسفیان بعد حرب بدر:

«آليت، لأقرب النساء، ولا يمس رأسي وجلدي الفسل، حتى تبيروا قبائل الأوس والخزرج، إن الفؤاد يشتعل.»

كما أن الأنصار أنفسهم كان يشعرون بهذا الأمر، فانهم عند مامات النبي (ص) كانوا يبكون؛ لأنهم لا يدرون ما يلقون من الناس بعده صلى الله عليه وآله (١)...

ولم تكن مبادرتهم إلى محاولة مبايعة سعد بن عبادة إلا انطلاقاً من هذا الشعور، الذي عبر عنه الحباب بن المنذر بقوله يوم السقيفة: «ولكننا نخاف أن يليها بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم، واخوانهم» نعم... لقد بادروا إلى ذلك بعد أن عرفوا أن العرب وقريشاً لن تتمكن علياً من الوصول إلى الحكم، ولا سيما بعد أن رأوا قضية المنع عن كتابة النبي (ص)، للكتاب وتأخير جيش أسامة، وغير ذلك من قرائن وأحوال لا تحفى...

وبعد وفاة النبي حاق بالانصار البلاء، وحلت بهم الرزايا... واستأثر المهاجرون بكل الامتيازات، وكان في ذلك تصديق لما أخبرهم به النبي (ص) من أنهم سيلقون بعده اثرة، ثم أمرهم بالصبر حتى يلقوه على الحوض...

ومما يدل على ما ذكرناه:

١- ان محمد بن مسلمة حين رأى القرشيين وهم يرفلون بالحلل أعلن بالتكبير في المسجد، فطالبه بذلك عمر، فأخبره بما رأى من الأثرة، ثم قال: استغفر الله ولا أعود (١).

مع أن محمد بن مسلمة كان من المقربين للهيئة الحاكمة، ومن أعوانها الاوفياء الذين كانت تطمئن اليهم، وتعتمد عليهم...

٢- كما أن عمر قد همّ في أواخر خلافته: بأن يأخذ فضول أموال الاغنياء، ويقسمها بين فقراء المهاجرين (٢).

٣- كما أنه كان يركب كل جمعة ركبتين: احدهما: ينظر في أموال يتامى ابناء المهاجرين. والثانية: ينظر أرقاء الناس ما يبلغ منهم (٣).

٤- كما أن عمر بن الخطاب لا يقضي حاجة للأنصار إلا بعد توسط ابن عباس.

٥- ولم يكن يبر الأنصار أحد إلا بنو هاشم (٤).

وقد اشتد البلاء بعد ذلك العهد على الأنصار، حتى لقد:

٦- طلب يزيد لعنه الله من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار. فقال له كعب: أرآدي انت إلى الشرك؟! أهجو قوماً نصرؤا رسول الله (ص) وآؤوه. ثم دلّه على الأخطل النصراني، الذي قال فيهم:

ذهبت قريش بالسماحة والندی واللؤم تحت عمائم الأنصار (٥).

(١) - حياة الصحابة ج ١ ص ٤١٣، عن كنز العمال ج ١ ص ٣٢٩ عن ابن عساكر.

(٢) - راجع أواخر مقالنا: أبوذر اشتر اكي أم شيوعي أم مسلم في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام.

(٣) - المصنف ج ٢ ص ٣٤٩ وفي هامشه عن مالك ج ١ ص ٦٩ مختصراً.

(٤) - راجع: حياة الصحابة ج ١ ص ٤١٤ و ٤١٥.

(٥) - الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٠٢.

٧- ثم تَوَجَّحَ يزيد لعنه الله جنائياته ومغازيه بوقعة الحرة، التي أذل فيها عزيزهم، وهتك فيها حرمتهم، وأباح أعراضهم، وقتل رجالهم... ولم تنزل ولا تزال وصمة عار على جبين الحكم الأموي تؤذن بالخرزي والعار لذلك الحكم البغيض، ولكل من يسير على نهجه، وينسج على منواله...

### تزوير التاريخ...

«قال المدائني في خبره: وأخبرني ابن شهاب، قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري: أكتب لي النسب؛ فبدأت بنسب مضر، وما أتممته فقال: اقطعه، اقطعه، قطع الله مع أصولهم، وكتب لي السيرة. فقلت له: فانه يربني الشيء من سير علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فأذكره؟ فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الحجيم، لعن الله خالداً ومن ولآه، وقبحهم وصلوات الله على أمير المؤمنين(١)».

وهكذا جرى أيضاً للانصار قال الزبير بن بكار: ما ملخصه: ان سليمان بن عبد الملك قدم حاجاً، وهو ولي عهد؛ فر بالمدينة، فأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سيرة النبي (ص) ومغازيه، فقال له أبان: هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به، فأمر بنسخها فنسخت له، فلما صارت إليه نظر؛ فاذا فيها ذكر الانصار في العقبين، وذكر الانصار في بدر. فقال: ما كنت أرى هؤلاء هذا الفضل، فاما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، واما أن يكونوا ليس هكذا.

فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه، إن القول بالحق: هم على ما وصفناك في كتابنا هذا.

قال: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتى أذكره لأmir المؤمنين، لعله يخالفه. فأمر بذلك الكتاب فحرق.

فلما رجع وأخبر أباه، قال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل؟ تعرّف أهل الشام أموراً لانريد أن يعرفوها؟! فأخبره

بتخريق ما كان نسخ، فصوب رأيه. وكان عبد الملك يثقل عليه ذلك...

وبعد أن ذكرت الرواية: أن سليمان أخبر قبيصة بن ذؤيب ماجرى، وجواب قبيصة له، قالت:

فقال سليمان: يا أبا اسحاق، ألا تخبرني هذا البغض من أمير المؤمنين وأهل بيته لهذا الحبي من الانصار، وحرمانهم إياهم، لم كان؟!...

فقال: يا بن أخي، أول من أحدث ذلك معاوية بن أبي سفيان، ثم أحدثه أبو عبد الملك، ثم أحدثه أبوك. فقال: علام ذلك؟! قال: فوالله ما أريد الا لأعلمه واعرفه.

فقال: لأنهم قتلوا قوماً من قومهم، وما كان من خذلانهم عثمان (رض)، فحقدوه عليهم، وحنقوه، وتوارثوه، وكنت أحسب لأمير المؤمنين أن يكون على غير ذلك لهم، وأن أخرج من مالي، فكلمه...

فقال سليمان: أفعل والله. فكلمه وقبيصة حاضر، فأخبره قبيصة بما كان من محاورتهم.

فقال عبد الملك: والله ما أقدر على غير ذلك، فدعونا من ذكرهم.

فأسكت القوم (١).

ولكن ما ذكره قبيصة من أن أول من حرّمهم هو معاوية في غير محله، فقد بدأ حرمانهم من زمن عمر بن الخطاب كما يظهر مما تقدم، بل ومن زمن أبي بكر، وليس تحقيق ذلك محط نظرنا الآن...

وعلى كل حال... فقد قال رجل من الانصار:

يتلو الكتاب، ويخشى العار والنارا  
غدرًا واقبح في الاسلام آثارا  
بالعرف عرفاً وبالانكار انكارا

ويل امها أمة لو أن قائدها  
اما قریش فلم نسمع بمثلهم  
ضلوا سوى عصابة حاطوا نبیهم

وقال بعض الأنصار أيضاً:

دعاها إلى حرماننا وجفائنا  
فان يغضب الابناء من قتل من مضى

تذكر قتلى في القليب تكبكبوا  
فوالله ماجئنا قبيحاً فتعبوا (١)

ويقول آخر:

وخبر تمونا: انما الأمر بيننا  
فهلا وزيراً واحداً تحسبونه

خلاف رسول الله يوم التشاجر  
إذا ما عددنا منكم الف أمر (٢)

### تأكيد النبي (ص) على بر الأنصار:

ولم يكن بغض الامويين للأنصار إلا انطلاقةً من بغضهم للاسلام...

ولربما يكون هذا هو السر في تأكيدات النبي (ص) المتكررة على لزوم حب الأنصار، واحترامهم وتقديرهم - ولا سيما وأنهم هم الذين آووا ونصروا ودافعوا عن هذا الدين بكل مالهيم...

فتراه (ص) يعتبر حب الأنصار ايماناً، وبغضهم نفاقاً وقال: من أحب الأنصار، فبحبي أحبهم، ومن أبغض الأنصار، فببغضي أبغضهم (٣).

كما أنه ربما يكون التزامهم في الاكثر بخط أهل البيت ونصرتهم لأئمة المؤمنين عليه السلام على خلاف كثير من المهاجرين... في الجمل، وصفين، والنهروان، ووقوفهم إلى جانب أمير المؤمنين، والتزام الهاشميين ببرهم تنفيذاً لوصية النبي (ص)، بل وقولهم يوم السقيفة، بعد أن فشلت محاولة البيعة لسعد بن عباد: «لأنبايع إلا علياً» (٤). وعليه عليه السلام هو قاتل صنديد قريش، وجبابرتها كما هو معلوم.

(١) - المحور العين ص ٢١٥ للامير نشوان الحميري. (٢) - المصدر السابق.

(٣) - راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٧٦ عن الطبراني في الصغير والكبير، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٣، وفتح الباري ج ١ ص ٦٠/٥٩، وليراجع باب حب الانصار في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٨ حتى ٤٢، وأي كتاب في الحديث فان كثيراً من كتب الحديث قد عقدت فصلاً لفضايا الانصار.

(٤) - تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٥.

ربما يكون كل ذلك ، ومعه عمق إيمانهم ، والتزامهم القوي بالدين ، والتفقه فيه حتى من نسائهم هو السبب في ذلك ...

وعن نساء الانصار قالت عائشة: «إن لنساء قريش لفضلاً، وإنني والله مارأيت أفضل من نساء الأنصار، ولا أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد انزلت سورة النور، وليضربن بخمرهن إلخ(١)»...

وعنها ايضاً قالت: نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمينهن الحياء أن يتفقهن في الدين(٢).

### لاغنى في الحرب عن الأنصار:

ولكن كل ما قد مناه لا يعني: أنه لا يجب أن يشترك الأنصار في حرب أبداً... فان قضية الاسلام، التي هي قضية الأمم والانسانية جمعاء على مدى التاريخ تفوق في أهميتها وخطورها أهمية وخطر ماسيواجهه الأنصار من قريش فيما بعد... وعلى الاخص إذا كان الاسلام قد وضع الضمانات اللازمة لتفادي أي رد فعل من هذا النوع... وإنما حدث ما حدث بسبب عدم رعاية الأمة لقوانين الاسلام، وعدم أخذها تلك الضمانات بنظر الاعتبار...

نعم لم يكن ثمة محيص عن اشتراك الانصار في الحرب... كما أنه لم يكن مفر من العمل على تخفيف حدة حقد قريش، والموتورين من قبل الاسلام... لتكون المشاكل المستقبلية، التي سوف يواجهها الانصار أقل، ووقعها أخف نسبياً... وهكذا كان...

وسياتي إن شاء الله بعض الكلام ايضاً عن قريش والأنصار في غزوة بدر العظمى، فلا بد من ملاحظة ذلك .

(١) - الدر المنثور ج ٥ ص ٤٢ عن ابن أبي حاتم، وأبي داود، وابن مردويه، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٤.

(٢) - راجع البخاري هامش فتح الباري ج ١ ص ٢٠٢، والمصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٣١٤ وفي الهامش عن البخاري ومسلم، وابن أبي شيبة، وعن كثر العمال ج ٥ رقم ٣١٤٥.

### ٣- لماذا السرايا:

لقد عرفنا فيما سبق أن بعض تلك السرايا كان هدفه الاستطلاع، ومراقبة تحركات قریش في المنطقة...

وبعض آخر كان هدفه تعقب المغيرين على سرح المدينة، كتعقبهم لكرزبن جابر...

وعرفنا أيضاً: أن تلك السرايا، التي لم يلق المسلمون فيها كيداً، قد جرأت المسلمين، وأعدت لهم الثقة بأنفسهم، وأعدتهم ليواجهوا— على قلة العدد والعدة— ألف فارس من قریش، في أوج خيلائها وعزتها... ولم يعد ذلك مفاجأة للمسلمين، ولا مرهبا لهم..

ولكننا مع ذلك نرى أن علينا أن لانقنع بما ذكر؛ بل لابد لنا من إعادة النظر بدءاً وعوداً لنعرف الجديد مما كانت تهدف إليه تلك السرايا التي كان الهدف المعلن لها هو اعتراض عير قریش... والذي يلفت نظرنا هنا هو الامران التاليان:

### الأول: المبادرات والتحالفات:

فلقد نتج عن تلك السرايا مهادنات ومبادرات، وتحالفات على النصر ضد العدو بين المسلمين، وبين كثير من القبائل في المنطقة، الأمر الذي من شأنه أن يلقي الرعب في قلوب سائر القبائل القريبة من المدينة؛ بحيث لا بد لتلك القبائل من التفكير ملياً قبل ان تقدم على أي عمل ضد المدينة مباشرة، أو بواسطة التحالف مع أعداء المسلمين...

وذلك لأنها ترى بالفعل: أن ثمة قوة ضاربة، لا بد من صياغة التعامل معها بحيث لا يضر بمستقبل مصالحها في المنطقة...

وهذا يتحقق للمدينة نوع من الشعور بالأمن والاستقرار. ويمكن المسلمين— من ثم— من أن يتحركوا بحرية أكثر في مواجهاتهم لقریش، ومناهضاتهم لها. وهو ما ظهر في حرب بدر، وبعدها...



كما أن هذه الموادعات والتحالفات كانت بمثابة صدمات نفسية، بل هي صفعات مؤلمة لقريش، التي ترى الآن كيف أن المسلمين قد أصبحوا قوة يرهب جانبها، ويسعى الكثيرون إلى عقد التحالفات الدفاعية معها... وعلى الأخص من قبائل تقع على طريق تجارة مكة، وكانت تعتبرها قريش سنداً ووعواً لها، كلما أهمها أمر، أو تعرضت لخطر.

أضف إلى ذلك كله... انه لم يعد باستطاعة قريش أن تعقد تحالفات مع تلك القبائل القريبة من المدينة وتتخذ منها قوة ضاغطة على المدينة، ووسيلة لمضايقتها.

### الثاني: مضايقة قريش:

إن هذه السرايا كانت تهدف إلى الضغط على قريش اقتصادياً، وكذلك نفسياً أيضاً... وتعريفها: أنهم سوف لن يتركوها حرة في المنطقة، مادامت قد شردتهم، وأذتهم وسلبتهم أموالهم... وقتلت منهم...

و يلاحظ: أنه لم يكن ثمة اصرار على قتال قريش، ومناجزتها؛ ولذلك قبل حمزة بوساطة الجهني. كما أن عبيدة بن الحارث لم يتعقب القافلة التي تجاوزته. كما أن ثمة ثلاث خرجات أخرى تمر عبر قريش فيها بسلام، ولم يصل إليها المسلمون في الوقت المناسب... بل وحتى في وقعة بدر لم يفز المسلمون بعير قريش، وإنما كانت قريش هي التي تصدت لقتال المسلمين كما سنرى إن شاء الله تعالى...

فالمقصود إذن... هو تعريف قريش: أنها لم تعد تملك حرية الحركة في المنطقة، ولاهي سيدة الموقف. ولا تستطيع بعد الآن أن تأمن على قوافلها التجارية إلى الشام إلا بالعودة إلى منطق التعقل والروية والحكمة، والتخلي عن منطق الظلم والغطرسة، والتجبر، وأن عليها مراجعة حساباتها... لتقتنع بأنه إذا كان حسم الموقف عسكرياً صعباً جداً بالنسبة إليها، فما عليها إلا أن ترضخ للامر الواقع، وتعترف بما لا بد لها من الاعتراف به، إن عاجلاً، وإن آجلاً...

وإلا... فلتأذن بحرب من الله ورسوله لا تنتهي الا بتدمير عنفوانها،  
وتحطيم كبريائها، وهكذا كان...

وإنما اكتفى المسلمون بالتعرض إلى قوافل قريش، دون أن يصروا  
على أخذها، ومصادرتها، وإن كان من حقهم ذلك، لأنه قصاص عادل  
لقريش، التي بدأت بالعدوان، وتمادت في الظلم والطغيان... ولا مانع من  
ممارسة هذا الحق إذا لم يكلف ذلك المسلمين غالياً— نعم... إنما اكتفى  
المسلمون بذلك— من أجل أن يبقوا الباب مفتوحاً أمام قريش، ويعطوها  
الفرصة للتأمل والتدبر في الأمر...

وأما ما ذكره البعض من أن المقصود من تلك السرايا لم يكن هو الحرب  
بدليل قلة عدد المقاتلين المسلمين المرسلين...

فلانراه مقنعاً ولا كافياً في فهم حقيقة الدوافع لارسال تلك السرايا؛  
لأن الاغارة على قافلة تجارية لم يكن يحتاج إلى عدد كبير من المقاتلين...  
ويكفي أن نذكر هنا: أن اكبر قافلة تجارية ترسلها قريش بعد تحرشات  
المسلمين بتجاراتها(وذلك يدفعها طبعاً لزيادة عدد المحافظين عليها) وهي القافلة  
التي سببت حرب بدر، وكانت بقيادة أبي سفيان، لم يكن معها إلا بضعة  
وعشرون رجلاً فقط، مع أن فيها اكثر من الفبي بعير. وفيها أموال قريش...

#### ٤— وصاياہ (ص) لبعوثہ:

وأما ماتقدم مما كان يوصي به البعوث والسرايا، فانه يؤكد على أن  
هذا النبي لم يبعث إلا ليعمر الأرض، وليقطع دابر الفساد فيها. وليس جهاده  
للمنحرفين والظالمين إلا من هذا المنطلق وفي هذا السبيل، على اعتبار: أن آخر  
الدواء الكي...

وعليه فكل تصرف لا يأخذ بنظر الاعتبار ذلك الهدف؛ فهو محكوم  
عنده، ومنفور لديه، حتى وإن كان من أصحابه، ومن أقرب الناس إليه...

وإن وصاياہ صلى الله عليه وآله تلك لتحتاج إلى دراسة معمقة،

للتعرف على الكثير من الحقائق التي يهتم الانسان المنصف ذا الضمير الحي، والوجدان المتيقظ: أن يتعرف عليها، ويستفيد منها منهاجاً، ونبراساً له في سلوكه وأعماله، ومواقفه...

### محاولة قرشية فاشلة:

وكتب كفار قريش إلى عبدالله بن أبي ابن سلول، ومن كان يعبد الاوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله (ص) يومئذ بالمدينة— قبل وقعة بدر، يقولون:

«إنكم آوئتم صاحبنا. وانكم أكثر أهل المدينة عدداً، وإنا نقسم بالله، لتقتلنه، أو لتخرجنه، أولنستعن (١) عليكم العرب، أولنسيرن إليكم باجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم».

فلما بلغ ذلك ابن أبي ومن معه من عبدة الاوثان تراسلوا؛ فاجتمعوا. وأجمعوا لقتال النبي (ص) وأصحابه...

فلما بلغ ذلك النبي (ص) لقيهم في جماعة، فقال:

«لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم. فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم واخوانكم».

فلما سمعوا ذلك من النبي (ص) تفرقوا...

فبلغ ذلك كفار قريش.

وكانت وقعة بدر (٢).

(١) — الظاهر أن الصحيح: «لنستعين».

(٢) — مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٣٥٩/٣٥٨.



## الباب السادس

بدرالعظمى:

الفصل الأول:	في أجواء القتال:
الفصل الثاني:	نتائج الحرب
الفصل الثالث:	الغنائم والاسرى...
الفصل الرابع:	بحوث ليست غريبة عن السيرة



# الفصل الأول:

في أجواء القتال:





## الانتداب إلى بدر:

وفي السنة الثانية في السابع عشر من شهر رمضان المبارك كانت حرب بدر العظمى بين المسلمين ومشركي مكة...

وذلك أن العير التي طلبها المسلمون في غزوة العشيرة، وأفلتت منهم إلى الشام، ظل النبي صلى الله عليه وآله يترقبها، حتى علم بعودتها، وكانت بقيادة أبي سفيان، مع ثلاثين أو أربعين أو سبعين راكباً... وفيها أموال قريش، حتى قيل: إن فيها ما قيمته خمسون ألف دينار، في ذلك الوقت الذي كان فيه للمال قيمة كبيرة.

فندب رسول الله (ص) المسلمين للخروج إليها... فانتدب الناس؛ فحفف بعضهم، وثقل آخرون، والظاهر: أنهم تخوفوا من كرة قريش عليهم، حينما لا بد لها من محاولة الانتقام لهذا الإجراء الذي يستهدف مصالحها الحيوية.

يقول عدد من المؤرخين: «وأبطأ عن النبي (ص) كثير من أصحابه، وكرهوا خروجه، وكان في ذلك كلام كثير واختلاف. وتخلف بعضهم من أهل النيات والبصائر، لم يظنوا أن يكون قتال، إنما هو الخروج للغنيمة، ولو ظنوا أن يكون قتال ماتخلفوا(١)».

(١) - راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨٥، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٠/٢١ ج ١ والبحار ج ١٩ ص ٣٢٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٣.

وقال الواقدي: «كره خروج رسول الله (ص) أقوام من أصحابه إلى بدر، قالوا: نحن قليل، وما الخروج برأي، حتى كان في ذلك اختلاف كثير(١)».

وقد حكى الله تعالى ذلك فقال: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون. يجادلونك في الحق بعد ماتبين، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون(٢)» نعم لقد كرهوا ذلك لعلمهم بأن قریشاً لن تسكت على أمر خطير كهذا.

ومن هنا نعرف: أن قول بعضهم: إن من تخلف لم يكن يظن أن النبي (ص) يلقي حرباً(٣) في غير محله، بل هو محاولة إيجاد عذر للمتخلفين مها كان فاشلاً وغير معقول... وإلا فالآية الكريمة خير دليل على عدم صحة هذا القول...

وخرج المسلمون يريدون العير، وعلم أبوسفیان بالأمر، فأرسل إلى قریش يستنفرهم لنجاة العير.

### الذين يخشون الناس:

ويذكرهنا: أن عبدالرحمان بن عوف، و سعد بن أبي وقاص، والمقداد، وقدامة بن مظعون كانوا يؤذون في مكة، فكانوا يستأذنون النبي (ص) بقتال المشركين، فلا يأذن لهم، فلما أمروا بالقتال، والسير إلى بدر شق على بعضهم؛ فنزل قوله تعالى: «الم تر إلى الذين قيل لهم: كفوا أيديكم، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله، أو أشد خشية، وقالوا: ربنا لم كتبت علينا القتال، لولا أخرتنا إلى أجل قريب،

(١) - مغازي الواقدي ج ١ ص ١٣١.

(٢) - الانفال ٥-٦.

(٣) - الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١١٦.

قل: متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى (١).»

ونحن نقول: إن نفسية المقداد ومواقفه تأبى أن يكون ممن شق عليهم ذلك بدليل موقفه العظيم الآتي، انشاء الله حينما استشار النبي صلى الله عليه وآله الناس في حرب قريش... كما أن الرواية والآية نفسها تدلان على أن فريقاً من أولئك المذكورين أولاً قد شق ذلك عليهم، وليس الكل...

وأما الآخرون... فإن تعلقهم بالدنيا الذي تظهره سيرة حياتهم ومواقفهم المختلفة تؤيد أن ذلك قد شق عليهم فعلاً... فأما عبدالرحمان بن عوف فلا يشك في كونه من الذين قالوا ذلك كما يفهم من بعض النصوص (٢) فقد ترك من المال ما هو معروف ومشهور، وقد جرى بين أبي ذر وعثمان وكعب الاحبار ماجرى بسبب ذلك... وموقفه في يوم الشورى معروف أيضاً...

وأما قدامة فقد حده عمر في الخمر، وتخلف عن بيعة علي عليه السلام.

وأما سعد، فقد أبى أن يبايع علياً (ع) وقعد عنه في حروبه، وقطع عليه السلام عنه العطاء، وصارمه عمار وأخذ بعض أموال بيت مال الكوفة (٣). الخ...

فهؤلاء... هم الذين يمكن أن يكونوا محط نظر الآية والرواية وإنما أخفت الرواة أسماءهم وخلطتهم بغيرهم لأن السياسة كانت ترغب في ذلك، كما هو معلوم...

(١) — البحار ج ١٩ ص ٢٠٩ و مجمع البيان ج ٣ ص ٧٧، والدر المنثور ج ٢ ص ١٨٤ عن: النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والبيهقي في سننه، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) — يفهم ذلك من إطلاق روايات الدر المنثور...

(٣) — راجع: قاموس الرجال ج ٤ ص ٣١٢ — ٣١٥.

## رؤيا عاتكة:

ويقولون: إن عاتكة بنت عبدالمطلب كانت قد رأت رؤيا: أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي: يا آل غالب، أغدوا إلى مصارعكم، ثم دهنه حجراً من أبي قبيس؛ فأترك داراً بمكة إلا أصابها منه فلذة.

فأخبرت عاتكة العباس برؤياها، فأخبر العباس عتبة بن ربيعة، فقال: هذه مصيبة تحدث في قريش. أما أبوجهل، فقال: هذه نبية ثانية في بني عبدالمطلب، واللات والعزى، لننظرن ثلاثة أيام، فإن كان مارأت حقاً، وإلا لنكتبن كتاباً بيننا: إنه مامن أهل بيت من العرب اكذب رجلاً، ونساء من بني هاشم...

فلما كان اليوم الثالث جاءهم النذير يناديهم: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة، اللطيمة...

قريش تنجهز...

وما بقي أحد من عطاء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش، وقالوا: من لم يخرج نهدم داره، فلم يتخلف رجل إلا أخرج مكانه رجلاً...

وبعث أبوطب العاصبي بن هشام على أربعة آلاف درهم، كانت له عليه من مال المقامرة— حسبها قيل...

موقف أمية بن خلف:

وكان أمية بن خلف معرضاً عن الخروج... وسبب ذلك أن سعد بن معاذ كان قد قدم مكة معتمراً، فنزل على أمية، لصداقة بينهما، وخرج سعد ليطوف، ومعه أمية، فلقبها أبوجهل، فقال لسعد: ألا أراك تطوف بمكة آمناً، وقد أوتيت الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم، وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان مارجعت إلى أهلك سالماً...

فقال له سعد— وقد رفع صوته—: أما والله، لئن منعني هذا لأمنعك

ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة...

فاعترض أمية عليه لرفعه صوته على سيد أهل الوادي بزعمه...

فقال سعد: دعنا عنك، فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: إنهم قاتلوك. فقال أمية: بمكة؟ قال سعد: لا أدري. قال أمية: والله ما كذب محمد، وفتح فرعاً شديداً (وقيل: أحدث في ثيابه فرعاً)، وعزم على ألا يخرج.

فلما كان يوم بدر أصر عليه أبو جهل ليخرج، حتى ليقال: إنه أرسل إليه عقبه بن أبي معيط بمجمرة فيها بخور، حتى وضعها بين يديه، وقال: استجمر، فإنك من النساء. فتحمس حينئذ، وتهيأ للخروج، فنهته زوجته وقالت:

«والله، إن محمداً لا يكذب». فأبى إلا المسير، فقتل في بدر (١).

### مع قضية ابن خلف:

ولابد لنا هنا من تسجيل النقاط التالية:

١- إن مما يلفت النظر هنا تهديد سعد لابي جهل بقطع طريقه على المدينة، واعتباره هذا الاجراء أشد على أبي جهل من منع المدنيين من الوصول إلى مكة...

وذلك أمر واضح؛ فان الحياة الاقتصادية للمكيين قائمة على التجارة، وأهم المراكز التجارية لهم هو الشام... وإذا ماتعرضت مكة لضغط اقتصادي قوي، وأصبحت بحاجة إلى الآخرين؛ فان ذلك سوف يؤثر على وضعها السياسي والاجتماعي أيضاً، حيث تفقد هيبتها وأهميتها ونفوذها في القبائل العربية...

ولماذا وعلى أي شيء كانت تحارب محمداً (ص) والمسلمين... أليس

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٥، وراجع: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بدر وباب علامات النبوة والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٤/٣٨٥ ورواه احمد.

لأجل النفوذ والزعامة، التي تعتبرها فوق كل شيء، وأعز وأجل شيء؟! ...

وقد تقدم بعض الكلام في هذا الموضوع حين الكلام على الهجرة...

٢- إننا نلاحظ: أن أمية بن خلف لم تكن مواقفه وتصرفاته محكومة لعقله، واعماق ضميره ووجدانه... فهو يقتنع بصدق محمد (ص) ولكنه لا يقعد عن حربه - حين يقعد - من أجل ذلك، وإنما خوفاً على نفسه وحفاظاً عليها، كما أنه لا يحاربه حين يحاربه من أجل تبدل الرؤية لديه، وإنما بوحى من تمحسه الكاذب، ونخوته الجاهلية... فأورده ذلك المهالك في الدنيا وفي الآخرة، وقد حكى الله تعالى حالة أمثاله، بأجلى بيان، وأوجز عبارة، فقال: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين(١)».

٣- في هذه القضية أيضاً دلالة واضحة على المكانة السامية التي كانت للنبي صلى الله عليه وآله في نفوس الناس جميعاً، وعلى أنهم يرونه صادقاً فيما يخبر به حين يرجعون إلى ضميرهم ووجدانهم، وإلى ما في قرارة نفوسهم من قناعة واقعية إلى حد أنهم يقسمون على صدقه فيما يخبره وأنه لا يكذب... ولكنهم في نفس الوقت يشعرون أنهم بحاجة إلى اظهار العناد والتكذيب لمصالح دنيوية، واعتبارات قبلية، أو غير ذلك...

رجوع طالب بن أبي طالب عن الحرب:

وخرج مع المشركين من بني هاشم: العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث، وطالب بن أبي طالب...

فأما طالب فخرج مكرها، فجعل يرتجز ويقول:

يارب اما يغزون طالب في مقنّب من هذه المقنّب  
فليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب

فجرت بينه وبين القرشيين ملاحاة وقالوا: والله، لقد عرفنا أن هواكم مع محمد... فرجع طالب فيمن رجع إلى مكة... ولم يوجد في القتلى، ولا في الاسرى، ولا فيمن رجع إلى مكة (١).

هكذا قالوا: ونحن نقول:

ألف: كيف لم يوجد فيمن رجع إلى مكة، و ابن هشام يذكر له قصيدة يمدح فيه رسول الله (ص)، وبيكي أهل القليب— على حد تعبير ابن هشام— و يطلب في شعره من بني عبد شمس ونوفل أن لا يثيروا مع الهاشميين حرباً تجر المصائب والبلايا، والأهوال، وفيها يقول:

فما إن جنينا في قریش عظيمة سوى أن حمينا خير من وطأ التراباً  
أخائقة في النائبات مرزاً كريماً الخ... الابيات (٢)...

وهذا يدل على أنه قد عاش إلى ما بعد وقعة بدر... وأما بكأوه أهل القليب، فالظاهر أنه كان مجارة لقریش، كما يدل عليه مدحه للنبي (ص)، وطلبه من بني عبد شمس ونوفل أن لا يحاربوا الهاشميين... وإلا... فكيف نفسر شعره المتقدم:

وليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب.

باء: بل لقد ورد في رواية مرسله عن ابي عبدالله عليه السلام: أن طالباً قد اسلم (٣)... وروي انه هو القائل

وخير بني هاشم احمد رسول الاله على فتره (٤)

(١) - راجع: البحار ج ١٩ ص ٢٩٤/٢٩٥، وروضة الكافي ص ٣٧٥، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٤٤، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٢١، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥ وراجع البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦ وأنساب الاشراف ج ٢ ص ٤٢ وفيه أنه حضر بدرًا مع المشركين.

(٢) - سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٧/٢٨.

(٣) - البحار ج ١٩ ص ٢٩٤.

(٤) - شرح النهج ج ١٤ ص ٧٨.

## المكرهون والراجعون:

وحينما خالف أبوسفیان في الطريق، ونجا بالعر، أرسل يطلب من قريش الرجوع، فأبى أبوجهل، إلا أن يرد بدرًا، وقيم ثلاثة أيام، ويأكل، ويشرب الخمر، حتى تسمع العرب بمسيرهم وجمعهم؛ فيها بونهم أبدأ...

ولكن رجع الأحنس بن شريق ببني زهرة، ولم يشهدوا الحرب— وقيل: شهدها رجلان منهم قتلا في بدر، بل قال التلمساني في حاشية الشفاء: إن الأحنس نفسه قد قتل في بدر، وقيل مات في خلافة عمر...

وكذلك... لم يشهد بدرًا من بني عدي أحد...

وأراد بنوهاشم الرجوع؛ فاشتد عليهم أبوجهل، وقال: لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع (١)...

## موقف الرسول (ص) من المكرهين والراجعين:

فلاجل ماتقدم... ولأجل موقف الهاشميين من النبي (ص) والمسلمين، وحماتهم لهم في مكة، نهى الرسول صلى الله عليه وآله عن قتل من خرج من بني هاشم... ونهى أيضاً عن قتل أبي البختري، الوليد بن هشام، لأنه كان يكف الناس عنه (ص) بمكة، وكان لا يؤذيه، وهو ممن قام في نقض صحيفة المقاطعة... ولكنه أبى أن يستأسر في بدر إلا مع زميل له، فقتل هو وإياه...

وكذلك فقد نهى صلى الله عليه وآله عن قتل الحارث بن نوفل؛ لكرهته الخروج، فقتله من لم يعرفه... وكذلك جرى لزمعة بن الأسود...

## نظرة في موقف النبي (ص) من هؤلاء:

وفي مجال الاستفادة مما تقدم نسجل النقاط التالية:

(١) — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٤.



١- إن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن - كما قدمنا - يهدف من الحرب إلى التغلب، والحصول على الملك والسلطان، ولا هو يرغب في سفك الدماء، ولا كان يعجبه أن يرى جثث القتلى، ويسمع أنين الشكالي... بل كان له هدف أسمى وغاية فضلى، ترجع بالنفع العميم على الأمة، وعلى الأجيال، ويريد الوصول إليها بأقل عدد ممكن من الضحايا...

٢- كما أنه كان يقدر مواقف الناس، التي تعبر عن حسن خلق وسجية، وشهامة وأريحية فيهم، مهما كانت هويتهم، وأيا كان موقفهم، لأنه هو الانسان الكامل ورسول الانسانية الفضلى، فهو الذي يمكن أن يدرك تلك الصفات والسجايا وبقدرها.

ومن هنا... فقد كان موقفه واحداً من جميع أولئك الذين أحسنوا السيرة والتصرف - ولو مرة - أو اكرهوا على الخروج...

ولم يكن ليختص بموقفه هذا أقاربه وأهل عشيرته، فانه لم يكن يتأثر في موقفه بعواطف نسبية، بل ليس من مصلحته ذلك في مثل هذا الموقف من وجهة نظر المنطق، والتصرف العقلاني السليم...

٣- وهو بالتالي يقدر، ويفهم الظروف الصعبة التي كان يعاني منها البعض، بحيث تفرض عليهم قریش موقفاً لا ينسجم مع رغائبهم وقناعاتهم، أو على الأقل مع ميل وهوى نفوسهم... وإن كانوا مدينين من جهة أخرى، حيث كان بإمكانهم أن ينصروا الحق، وأن يقفوا موقفاً عقلانياً سليماً، كما فعل غيرهم ممن أسلموا، وعرضوا أنفسهم للرزايا والنكبات...

### النبي (ص) يستشير في أمر الحرب:

لما كان المسلمون قرب بدر، وعرفوا بجمع قریش، ومجيئها خافوا وجزعوا من ذلك، فاستشار النبي صلى الله عليه وآله أصحابه في الحرب، وأطلب العير...

فقام أبو بكر، فقال: يا رسول الله، إنها قریش وخيلاؤها، ما آمنت

منذ كفرت، وماذلت منذ عزت. ولم تخرج على هيئة الحرب...

فقال له رسول الله (ص): اجلس. فجلس. فقال (ص): أشيروا علي.

فقام عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر.

فأمره النبي (ص) بالجلوس، فجلس. ونسب الواقدي والحلي الكلام المتقدم لعمر، وقالوا عن أبي بكر: انه قال فأحسن (١).

ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنها قریش وخيلاؤها، وقد آمنابك وصدقناك، وشهدنا: أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا: أن نخوض جمر الغضا (نوع من الشجر صلب)، وشوك الهراس لخضناه معك، ولانقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى: إذهب أنت وربك فقاتلا، إناهاهنا قاعدون (٢)، ولكننا نقول: إذهب انت وربك؛ فقاتلا، إنا معكم مقاتلون الخ...

فاشرق وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودعاه، وسرّ لذلك وضحك، كما يذكر المؤرخون (٣).

ثم قال: أشيروا علي— وإنما يريد الانصار، لأن اكثر الناس منهم؛ ولأنه كان يخشى أن يكونوا يرون: أن عليهم نصرته في المدينة إن دهمه عدو، لا في خارجها— فقام سعد بن معاذ— وقيل ابن عباد، وهو وهم؛ لأنه لم يشهد بدرأ؛ لأنه كان قد لدغ، فلم يمكنه الخروج (٤)— فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كأنك أردتنا؟ فقال: نعم— فقال: فلعلك قد خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟— قال: نعم.

(١)— راجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ٤٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٠، والدر المنثور ج ٣ ص

١٦٦ عن دلائل النبوة للبيهقي، والبحارج ١٩ ص ٢٤٧، وتفسير القمي ج ١ ص ٢٥٨.

(٢)— المائدة ٢٤.

(٣)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٠ عن الكشاف.

(٤)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٠.

قال: بأبي انت وأمي يا رسول الله، إنا قد آمنابك وصدقناك ،  
وشهدنا أن ماجئت به حق من عندالله؛ فمرنا بما شئت... إلى أن قال: والله،  
لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخصناه معك، ولعل الله يريك ماتقربه عينك  
؛ فسر بنا على بركة الله...

فسر النبي صلى الله عليه وآله، وأمرهم بالمسير، وأخبرهم بأن الله  
تعالى قد وعده احدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، ثم قال: والله، لكأني  
أنظر الى مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة الخ...  
وسار حتى نزل بدرأ...

هذا... ويظهر من بعض النصوص: أن الصحابة كانوا— في  
اكثرهم— يميلون إلى طلب العير، وترك النفي(١).

وقد ذكر الله تعالى ذلك في قرآنه المجيد، فهو يقول: «وإذ يعدكم الله  
احدى الطائفتين أنها لكم، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم، ويريد  
الله أن يحق الحق بكلماته، ويقطع دابر الكافرين(٢)».

وقبل أن نمضي في الحديث لابد أن نشير الى الامور التالية:

### ١— استشارة النبي (ص) أصحابه:

لقد تحدثنا فيما سبق حينما تكلمنا عن سر ارسال المهاجرين في  
الغزوات، ولسوف نتحدث فيما يأتي في غزوة أحد انشاء الله تعالى عن موضوع  
استشارة النبي (ص) أصحابه بما فيه الكفاية...

ولكننا هنا نكتفي بالاشارة إلى أنه قد كان من الضروري ان يستشير  
صلى الله عليه وآله اصحابه في حرب بدر التي كانت حرباً مصيرية، سوف

(١)— الدر المنثور ج ٣ ص ١٦٣ و ١٦٩ عن ابن جرير، وأبي الشيخ، وابن المنذر، وابن أبي  
حاتم، وابن مردويه، والكشاف، والبيهقي، وعبد بن حميد والبدية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٣.

(٢)— الانفال ٧.

يتقرر على أساس نتائجها مصير الايمان والشرك في المنطقة في المستقبل المنظور على الأقل - بل ومطلقاً كما أشار إليه صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد».

وواضح أنه (ص) لم يكن بحاجة إلى رأيهم، وإنما هو يستشيرهم لأنهم هم الذين سوف يتحملون أعباء الحرب، ويعانون من نتائجها، على مختلف الأصعدة...

ويدل على ما نقول: أن سعد بن معاذ يسأل النبي (ص): لعلك خرجت على أمر قد أمرت بغيره، فقال (ص): نعم... فهذا يدل على أن أمر الحرب مقضي ومأمور به من قبل الله تعالى... فليست استشارته (ص) لهم إلا لما قلناه هنا وقدمناه وسيأتي في غزوة أحد... إن شاء الله تعالى.

## ٢- حرب قريش هو الرأي:

ومن الواضح: أن الرأي الحق هو حرب قريش، كما أراد الله ورسوله، وذلك لأن الأمر يدور بين: أن يرجع المسلمون دون أن يتعرضوا للعير، ولا لقريش، وفي ذلك هزيمة روحية ونفسية واضحة للمسلمين، واطماع لغيرهم بهم، من المشركين، أو اليهود، أو المنافقين... أو أن يطلبوا العير فيدركوها، فيأخذوها بعد قتل أو أسر رجالها... ولن تسكت قريش على هذا الأمر... بل هي سوف تتعرض لحرهم على أوسع نطاق... هذا إذا لم يقتنم القرشيون فرصة قلة الرجال في المدينة لمهاجمتها، وإنزال الضربة القاصمة بالمسلمين بكل ما أوتوا من قوة وحول... فان قريشاً وهي هذه العدة والعدد لن تسكت عن أمر كهذا. بل سوف تحاول رد هيبتها، والثأر لكرامتها. أو أن يقفوا في وجه قريش بعد أن يعرضوا عليها عروضاً مقبولة ومعقولة...

و إذن... فحرب و قتال قريش هو الخيار الافضل والامثل في ظروف كهذه... ولا سيما إذا طلبوا العير، وربما يوجب ذلك أن يزيد الأمر تعقيداً واشكالاً بالنسبة إلى المسلمين بما لا قبل لهم به...

نعم... لا بد من القتال... إذا أرادوا العزة والمنعة، وأن لا يطمع بهم من حولهم والمشركون، واليهود، والمنافقون...

### ٣- التربية النفسية:

لقد كان هدف المسلمين أولاً هو الحصول على المال... فاراد الله ورسوله أن يرتفع بهم عن هذا الهدف الدنيوي إلى ما هو أعلى وأعلى وأسمى... وإثارة الحرب إلى أهداف دنيوية، اقتصادية، وإجتماعية، وسياسية...

### ٤- نظرة في الآراء حول الحرب:

ويلاحظ: أن أكثر المؤرخين قد حذفوا كلام عمر وابي بكر هنا، واكتفوا بقولهم: قام أبو بكر فأحسن، ثم قام عمر، فأحسن، ثم قال المقداد كذا وكذا (١)... وربما ينسبون إلى بعضهم كلاماً لا يربط له بسؤال النبي (ص) أصلاً...

ولكن من الواضح: أن سرور النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلام المقداد، ودعائه له يدل على أن كلامهما لم يكن منسجماً مع كان يهدف إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مشورته، وإن مشورة المقداد كانت هي السليمة والمنسجمة مع المنطق، ومع الأهداف السامية التي كان يرمي إليها الرسول الاعظم (ص) وإن ذلك هو ما كان يتوقعه (ص)، ويرمي إلى الوصول إليه، والحصول عليه... ولذلك فقد استحق المقداد، مدح النبي (ص)، ودعائه له...

بل لقد ورد: انه حين بلغ النبي (ص) اقبال ابي سفيان شاوَر اصحابه، فتكلم ابو بكر، فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه (٢).

(١) - راجع على سبيل المثال: البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٢.

(٢) - صحيح مسلم باب غزوة بدر ج ٥ ص ١٧٠ ومسند احمد ج ٣ ص ٢١٩ بطريقتين، وعن الجمع بين الصحيحين، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٩٤.

فإعراضه (ص) عنها ليس الآ لتخذ يلها عن النفير الى حرب قريش، ومدحهم لها بانها: ماذلت منذ عزت وما آمنت منذ كفرت الخ... لا لأنه كان يريد من الانصار ان يجيبوا وحسب... وإلا فلماذا سر من كلام المقداد، ودعا له، وهو من المهاجرين؟! حتى لقد قال ابن مسعود، عن موقف المقداد هذا: لان اكون صاحبه احب إلي مما عدل به (١)، وعن أبي ايوب، قال— في ضمن حديث له—: «فتمنينا معشر الانصار لو أنا قلنا مثل ما قال المقداد احب الينا من مال عظيم»، فانزل الله عزوجل على رسوله: «كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون (٢)»...»

اضف الى ذلك كله ان كلام رسول الله (ص) كان عاماً للجميع: للانصار والمهاجرين معاً... كما ان المهاجرين كانوا كالانصار من حيث انهم لم يبايعوه على الحرب...

### ٥— سر سروره (ص) بكلام سعد والمقداد:

وان التأمل في كلام سعد بن معاذ والمقداد يفيد: انها لم يشيرا عليه لا بالحرب ولا بالسلام... بل ما زادنا على ان اظهرنا التسليم والانقياد لاوامر النبي (ص) ونواهيها، وما يقضيه في الامور— نعم انها لم يبديا رأياً، ولا قلتما بين يديه أمراً... وهذا هو منتهى الايمان... وغاية الاخلاص والتسليم... وقمة الوعي لموقعها ووظائفها وما ينبغي لهما...

فهما ما كانا يريان لانفسهما قيمة في مقابل قضاء الله ورسوله، على حد قوله تعالى: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم (٣)».

وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله،

(١)— صحيح البخاري باب تستغيثون ربكم ج ٣ ص ٣ ط الميمنية، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٢—٢٦٣ وسنن النسائي.

(٢)— البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٣—٢٦٤ عن ابي حاتم وابن مردويه.

(٣)— الاحزاب ٣٦.

واتقوا الله إن الله سميع عليم(١)».

ولهذا الايمان العميق، والتسليم المطلق كان سرور رسول الله واستبشاره صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين...

### الحجاب ذو الرأي:

ويروون: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل أدنى ماء ببدر؛ فأشار عليه الحجاب بن المنذر بأن ينزل أدنى ماء من القوم، ثم يصنع حوضاً للماء، ويغور سائر القلب؛ فيشرب المسلمون، ولا يشرب المشركون. ففعل الرسول (ص) ذلك، ثم صوّب رأياً الحجاب...

فسمي الحجاب حينئذٍ «الحجاب ذي الرأي»(٢).

ولكن هذه الرواية لا تصح، وذلك:

أولاً: إنه قد دل الدليل على أن النبي (ص) مصيب في كل ما يفعل ويرتأي، ولا يصغى لما يقال من جواز الخطأ عليه في الأمور الدنيوية، فانه مما يدفعه العقل والنقل... (وسياتي البحث عن ان العصمة عن الخطأ والنسيان اختيارية في موضعه شاء الله تعالى).

وثانياً: قال في الكشاف وغيره من التفاسير: إن العدو القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء، وكانت أرضاً لا بأس بها. ولاماء بالعدو الدنيا، وهي خبار تسوخ فيها الأرجل. وكذا في أنوار التنزيل، والمدارك، وغير ذلك(٣).

(١) - الحجرات.

(٢) - سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٢، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٦، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٥؛ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٠٣ و ٤٠٢ والبدية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٧، وغير ذلك...

(٣) - راجع: فتح القدير ج ٢ ص ٢٩١ عن الزجاج و ٣١١، والكشاف ج ٢ ص ٢٠٣/٢٢٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٢ عن ابن عباس، وقناة، والسدي، والضحاك، والدر المنثور ج ٣ ص ١٧١ عن ابن المنذر، وأبي الشيخ، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٤. وسيرة ابن كثير ج ٢ ص ٤٠٠.

وثالثاً: إن المشركين هم الذين سبقوا بالنزول في بدر كما سيأتى ولا يعقل أن ينزلوا في مكان لاماء فيه، ويتركوا الماء لغيرهم...

ورابعاً: وكذلك... فان ابن اسحاق ينص على أن المشركين ور دوا الحوض فأمر النبي(ص) أن لا يعترضوهم(١). كما أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد أباح الماء لأعدائه القاسطين في صفين، بعد أن كانوا قد منعوه إياه أولاً...

ولا ينسجم منعهم من الماء مع أخلاقيات ومبادئ النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم...

فالصحيح هو الرواية التي تقول: إن المسلمين لم يكونوا على الماء، فأرسل الله السماء عليهم ليلاً حتى سال الوادي، فاتخذوا الحياض، وشربوا وسقوا الركائب، واغتسلوا وملاؤا الاسقية(٢)...

وذلك هو سرباء الحوض... وليس ما ذكره...

### عدة وعدد المسلمين والمشركين:

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج في ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، عدد أصحاب طالوت (وقيل: أكثر، وأقل) والأول هو قول عامة السلف(٣) وكان معهم من الابل سبعون بعيراً يتعاقبون عليها الاثنان والثلاثة. فكان النبي صلى الله عليه وآله، وعلي عليه السلام، ومرثد بن أبي مرثد، وقيل زيد بن حارثة يعتقبون بعيراً.

وكان معه من الخيل: فرس للمقداد قطعاً باجماع المؤرخين. قيل:

(١) - وراجع الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٢٣.

(٢) - راجع: الكشف ج ٢ ص ٢٠٣-٢٠٤، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٢ غير أنه لم يذكر اتخاذ الحياض...

(٣) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٩.



فقط (١) وروي ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام (٢). وقيل: وفرس للزبير، أولرثد، أوهما معا...

ومعهم من السلاح ستة أدرع، وثمانية سيوف (٣).

ومعه من المهاجرين، قيل: أربعة وستون، وقيل: سبعون، وقيل: ثمانون، وقيل غير ذلك... ومن الخزرج مئة وسبعون. وفي عدد الخزرج اختلاف أيضاً.

أما المشركون... فخرجوا وهم يشربون الخمر، ومعهم القيان، يضرين بالدفوف،— وأرجعوهن من الطريق.

وكان معهم سبع مئة بعير.

ومن الخيل، قيل: أربع مئة (٤) وقيل: مئتان وقيل: مئة فرس (٥)، وقيل غير ذلك... وكلهم دارع. ومجموع الدارعين فيهم ست مئة (٦).

وكان يتبرع بالطعام رجل منهم كل يوم، فينحر لهم تسعاً، أو عشرأً من الابل، فكان المطعمون اثني عشر رجلاً، منهم: عتبة، وشيبة، والعباس، وأبو جهل، وحكيم بن حزام. الذي أصبح فيما بعد من المؤلفة قلوبهم، كما هو

(١) — تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧١ عن الكشاف، والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٧، والبحار ج ١٩ ص ٣٢٣، وهو عن تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٥ و ٥٤، وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٩٣ عن الترغيب ج ١ ص ١٣١٦ عن ابن خزيمة...

(٢) — تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٨.

(٣) — راجع: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٧، والبحار ج ١٩ ص ٢٠٦، ومجمع البيان ج ٢ ص ٢١٤، وحسب طبعة دار احياء التراث المجلد الأول ص ٤١٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧١.

(٤) — تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٢.

(٥) — راجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٨٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٦، والبحار ج ١٩ ص ٢٢٤ و ٢٠٦، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١١٨، ومجمع البيان، وغير ذلك والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٧.

(٦) — التنبيه والاشراف ص ٢٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٧.

### المشركون يدركون بغيهم وعدوانهم:

والتقى بعض المسلمين ببعض عبيد قريش على ماء بدر، فأخذوهم، وسألوهم عن العير، فأنكروا معرفتها، فضر بوهم ورسول الله (ص) يصلي، فانفتل من صلاته، وقال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم؟، ثم سألهم عن عدة قريش، فقالوا: إنه لا علم لهم بعددهم، فقال صلى الله عليه وآله: كم ينحرون كل يوم من جزور؟ قالوا: تسعة إلى عشرة. فقال (ص): القوم تسعمئة إلى ألف رجل... (وقيل: أكثر، حتى لقد قال البعض: إنهم كانوا ثلاثة آلاف رجل. وهو بعيد).

فأمر بهم (ص) فحبسوا، فعلمت قريش، ففزعوا، وندموا على مسيرهم، حيث إنهم بعد أن علموا بنجاة العير أصروا على المجئى إلى بدر لتأهبهم العرب، كما تقدم.

وقد اعترف عتبة بن ربيعة— الذى كان ولده أبو حذيفة مع النبي (ص)—: بأن مسيرهم بعد نجاة عيرهم كان بغياً منهم وعدواناً. وبذلت محاولة للاتفاق على الرجوع، لكن أباجهل أبى ذلك، وقال:

«... واللات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب، وأناخذهم أسارى، فندخلهم مكة، وتتسامع العرب بذلك، ولا يكون بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه...»

ورجع بنوزهرة حينئذٍ بإشارة الأحنس بن شريق، كما تقدم.

### مواقع الجيشين:

وسبق المشركون إلى بدر، فنزلوا في العدو القصوى، أي في جانب الوادي مما يلي مكة، حيث الماء، وكانت العير خلف المشركين (١)، قال

(١) — لسوف يأتى: ان العير قد سلمت، لان اباسفيان قد سلك بها طريق البحر، وابتعد عن المدينة وعن مسير المسلمين.

تعالى والركب أسفل منكم. ومحل نزولهم كان صلباً. ونزل المسلمون في العدو الدنيا، أي جانب الوادي مما يلي المدينة، حيث لأماء، وحيث الأرض رخوة، لا تستقر عليها قدم... مما يعني أن منزل المسلمين كان عسكرياً غير مناسب... ولكن الله أيد عباده ونصرهم على عدوهم، وجاء المطر ليلاً على المشركين، فأوحلت أرضهم... وعلى المسلمين؛ فليدها، وجعلها صلبة، وجعلوا الماء في الحياض...

### معنويات المسلمين والعنايات الربانية:

ولما بلغ المسلمين كثرة المشركين خافوا، وتضرعوا إلى الله... وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: لما نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى كثرة المشركين، وقلة المسلمين استقبل القبلة، وقال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» فنزلت الآية: «إذ تستغيثون ربكم، فاستجاب لكم: أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشري، ولتطمئن به قلوبكم الآية(١)».

فالامداد بالملائكة إذن... ليس إلا للتطمين، واعطاء زخم روحي للمسلمين الذين يحسون بالضعف، ويستغيثون ربه... حسب مدلول الآية الشريفة.

وفي الليل التقى الله النعاس على المسلمين؛ فناموا، وقد ذكر الله سبحانه ذلك، وارسال المطر؛ فقال: «إذ يغشيكم النعاس أمنة منه، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به، ويذهب عنكم رجز الشيطان، وليربط على قلوبكم، ويثبت به الاقدام(٢)».

نعم... لقد كان ذلك النعاس ضرورياً لفئة تواجه هذا الخطر الهائل، وهي تدرك أنها لا تملك من الامكانيات المادية شيئاً يذكر لدفعه... نعم... لا بد من هذا النعاس... لئلا تستبد الوسوس بهم

(١) الانفال ٩-١٠

(٢) الانفال ١١

في هذا الليل البهيم، الذي تكبر فيه الأشياء وتتضخم، فكيف إذا كانت الأشياء كبيرة بطبيعتها...

لا بد من هذا النعاس. حتى لا يضعفوا عن مواجهة الخطر، وحتى يمكن لعقلهم وفكرهم أن يسيطر على طبيعة تصرفاتهم ومواقفهم، بدلا من الضعف، والانفعال، والتوتر... نعم... لا بد منه ليربط على قلوبهم، حيث يطمئنون إلى أن الله ناظر إليهم، وإلى أن أطفاه وعناياته متوجهة نحوهم...

وفي مقابل ذلك... فإن الله تعالى: قد ألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، والخوف، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى... وقد أخبر الله تعالى في السور المكية كسورة محمد (ص)، بعد ذكر الذين تحزبوا ضد أنبيائهم، وثمود وفرعون عن وقوع آية وحادثة شبيهة لما جرى لتلك الفئات، فقال: جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب (١). وليس ذلك الاوقعة بدر، كما قاله البعض.

### أهداف الحرب:

والملاحظة الهامة هنا هي: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصرح بأن حرب بدر حرب مصيرية، وأن هدفه من هذه الحرب هو التمكين لعبادة الله تعالى، وليس عبادة الذات، أو المال، أو الجنس، أو الجاه، أو السلطان، ولا غير ذلك.

أما هدف المشركين، فهم أنفسهم قد افصحوا عنه، وهو أن تهاجم العرب، وأن لا يكون بينهم وبين متجرهم أحد يكرهونه...

وشتان ما بين المهدفين، وكذلك ما بين نتائج الحرب— كما سنرى— بالنسبة إلى الفريقين.

### في المواجهة:

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبأ أصحابه، وكانت

رايته مع أمير المؤمنين (ع) (١).

وكان عليه السلام صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله في كل مشهد (٢) وسنثبت ذلك في غزوة أحد إن شاء الله تعالى...

وعليه... فما يقال: من أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وآله في بدر أكثر من لواء... مع مصعب بن عمير، أو الحباب بن المنذر، في غير محله، وكذلك الحال في تفريقهم بين الراية واللواء، لأن كلاً منها قد ورد أنه كان مختصاً بأمير المؤمنين عليه السلام، كما يتضح من مراجعة النصوص في المصادر الموجودة هنا، وفي المصادر الآتية في واقعة أحد.

أضف إلى ذلك: أن ابن سعد وابن اسحاق قد ذكرا: أن الراية قد اتخذت بعد واقعة بدر، وبالذات في غزوة خيبر (٣).

هذا لو سلم وجود اختلاف بين اللواء والراية، وإلا فقد نص جماعة من أهل اللغة على ترادف اللواء والراية (٤).

وبعد أن عبأ النبي (ص) أصحابه، قال لهم: غضوا أبصاركم، ولا تبدؤوهم بالقتال، ولا يتكلمن أحد (٥).

(١) - مناقب الخوارزمي ص ١٠٢ والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم النبيل، مخطوط في مكتبة كوبرلي رقم ٢٣٥، ومسند الكلابي في آخر مناقب ابن المغازلي ص ٤٣٤، ومناقب ابن المغازلي نفسه ص ٣٦٦، والاستيعاب هامش الإصابة ج ٣ ص ٣٣ و ٣٤، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١، وتلخيصه للذهبي بهامشه، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥... ونقل ذلك عن: شرح النهج للمعتزلي ط أولى ج ٢ ص ١٠٢، وجهرة الخطب ج ١ ص ٤٢٨، والاغاني ط دارالكتب ج ٤ ص ١٧٥، وتاريخ الطبري ط دارالمعارف ج ٢ ص ٤٣٠.

(٢) - ترجمة الامام أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمدي ج ١ ص ١٤٥، وذخائر العقبى ص ٧٥ عن احمد في المناقب، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٤، وكفاية الطالب ص ٣٣٦ عنه وفي هامشه عن: كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ عن الطبراني، والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٢، وقال: أخرجه نظام الملك في أماليه...

(٣) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧.

(٤) - المصدر السابق. ١٤٧-١٤٨.

(٥) - المصدر السابق...

## هدوء ما قبل العاصفة:

وقد أثر هذا في قريش بشكل واضح، حتى إن أحدهم حين جال بفرسه حول المسلمين؛ ليعرف إن كان لهم مدد، أو كمين، رجع للمشركين، وقال: «ماهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح يثرب حملت الموت الناقع، أما ترونهم خرساً لا يتكلمون؟ يتلمظون تلمظ الأفاعي، ماهم ملجأ إلا سيوفهم، وما أراهم يولون حتى يقتلوا، ولا يقتلون حتى يقتل بعددهم».

فشتمه أبوجهل؛ لأنه رآه يجبن أصحابه...

ولما رأى المشركون قلة المسلمين، قال أبوجهل: «ماهم إلا اكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد».

وأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «معاشر قريش، إنني أكره أن أبدأكم بقتال، فخلوني والعرب وارجعوا؛ فإن أك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإن أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمرى...»

ويقال: إن عتبة بن ربيعة رجح قبول ذلك، فرماه أبوجهل بالجبن، وأنه انتفخ سحره (١) لما رأى محمداً وأصحابه، وأنه خاف على ابنه ابى حذيفة الذي هو مع محمد...

فلما بلغ عتبة قول ابى جهل، قال: سيعلم مصفراسته (٢) من انتفخ سحره أنا أم هو؟ وتحمس لذلك، ولبس درعه، هو وأخوه شيبه وولده الوليد، وتقدموا يطلبون البراز.

وأخيراً... فأننا نشير إلى الامور التالية:

(١) - انتفاخ السحر: كناية عن الجبن. والسحر: الرثة.

(٢) - والظاهر أنه يرميه بالابنة؛ فان الأنصار كانوا يرمونه بذلك. راجع: مجمع الامثال ج ١ ص ٢٥١ عند قولهم: أحنث من مصفراسته، والبرصان والعرجان ص ١٠٢/١٠٣ متناوها مشأ، والغدير ج ٨ ص ٢٥١ عن صواعق ابن حجر ص ١٠٨ عن الدميري في حياة الحيوان...

## ألف: سر رعب المشركين:

إن المشركين كانوا يدركون مدى تصميم المسلمين على الحرب، وأنهم على استعداد لأن يموتوا جميعاً، بعد أن يقتلوا بعددهم على الأقل في سبيل دينهم وعقيدتهم...

وهذا من شأنه أن يبعث الرعب في قلوب المشركين، الذين يقاتلون من أجل البقاء في هذه الدنيا، والتمتع بلذاتها وخيراتها حسب زعمهم.

وإذا كان المسلمون ساكتين واجمين، فإن ذلك يزيد الجورهة، ويؤكد ويزيد الخوف والرعب في نفوس المشركين، الذين سوف تزيد حيرتهم حيث لا شيء يشير إلى طبيعة الحرب التي سوف يخوضونها، ومستواها، والاتجاه والطابع الذي سوف يعطونها إياه...

وإذا قيل: إن ما يقال عن رعب المشركين، لا ينسجم مع قول أبي جهل عن المسلمين: إنهم أكلة رأس...

فإن الجواب عن ذلك هو: أننا لو قبلنا: أنه لم يقل ذلك على سبيل التشجيع لأصحابه... ولا سيما بعد أن رأى ترددهم وجبنهم عن المواجهة— فإننا لا بد وأن نتذكر: أنه تعالى قد قلل المشركين في أعين المسلمين، وقلل المسلمين في أعين المشركين ليقضى أمراً كان مفعولاً، ولسوف يأتي تنمة الكلام في ذلك إن شاء الله تعالى...

## باء: نظرة في عروض النبي (ص) على المشركين:

لقد حاول النبي صلى الله عليه وآله أن يكلم المشركين من الزواية التي ينظرون منها، وتتلاءم، وتنسجم مع فكرهم ومنطقهم... وتتلاقى مع مصالحهم التي يدعون أنهم جاؤا يحاربون من أجلها. وذلك حينما نراه يقول لهم: «فإن الك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً.» فإن هذا ينسجم مع حبهم للرياسة والزعامة، الذي كان من القوة والطغيان بحيث جعلهم يؤثرونه على كل علاقاتهم النسبية والقبلية، ويحاربون قومهم، وحتى آباءهم وابنائهم في

سبيل تلك الزعامات والرياسات.

ثم هو يقول لهم: «وإن كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمرى»... وهذا ينسجم أيضاً مع محبتهم للسلامة والحياة، ومع مصالحهم الاقتصادية... وذلك يعوض ما يرونه في رجوعهم عن حربه من تنازل واعتراف بقوته وشوكته...

ولكن طغيان قريش، وغطرستها يبيان عليها الانصياع للمنطق الواعي، والرأي السليم... فتصرّ على الحرب والقتال... ومواجهة نتائجها الساحقة لها ولكبريائها الزائت وصلفها الأحمق...

### جيم: النبي (ص) لا يبدأ القتال:

وأخيراً... فاننا نجد: أن النبي صلى الله عليه وآله لا يبدأ القتال، ويأمر المسلمين أن لا يبدأوا به... ويحاول أن يعطي الطرف الآخر الفرصة، ويقدم له خيارات كلها فيها مخرج مشرف له... فاذا أبى ذلك، وطفى وبغى، واعتدى على المسلمين، فان من حقهم: أن يدافعوا عن أنفسهم... وأن يردوا كيد المعتدي، من كان، ومهما كان...

وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام مع أعدائه، سواء في حياة النبي (ص)، أو بعد وفاته... بل إن ذلك هو شعار شيعة أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم... اقتداء بامامهم، الذي يقتدى بالنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم... ولسوف يأتي بحث حول ذلك وحول خصائص الشيعة بشكل عام بعد الانتهاء من غزوة بدر مع أبحاث أخرى بعنوان: «على هامش السيرة» إن شاء الله تعالى...

### النبي (ص) في العريش:

ويقولون: إنهم صنعوا للنبي (ص) عريشا من جريد النخل فكان فيه وابوبكر معه، وليس معه غيره. ووافق (ص) على أن يضعوا نجائب وركائب مهياً عنده، فإن انتصر فهو المطلوب وإن كانت الأخرى ركب



النجائب، ولحق بمن وراءهم من الصحابة في المدينة (١).

ولكن ذلك لا يصح بأي وجه؛ فقد قال المعتزلي: «قلت: لأعجب من أمر العريش، من اين كان لهم اومعهم من سعف النخل مايننون به عريشاً، وليس تلك الارض— اعني ارض بدر— ارض نخل؟ والذي كان معهم من سعف النخل، يجرى مجرى السلاح يسيرا جداً... قيل: إنه كان بأيدي سبعة منهم سعاف عوض السيوف، والباقون كانوا بالسيوف والسهام والقسي. هذا قول شاذ، والصحيح أنه ماخلا احد منهم عن سلاح... اللهم إلا أن يكون معهم سعفات يسيرة، وظلل عليها بثوب أوتر، وإلا فلا أرى لبناء عريش من جريد النخل هناك وجها (٢)».

ولكن استدراكه الأخير في غير محله؛ فان السعفات المظلل عليها بالثوب يقال لها: خيمة، وليس عريشاً بل لا يقال لها خيمة ايضاً، كما يرى البعض كما أن ما ذكره من عدتهم وسيوفهم محل نظر يعرف مما تقدم...

ونضيف نحن هنا:

أولاً: إن النبي (ص) لا يمكن أن يفر من الزحف...

وثانياً: قوله (ص): «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد» وهو ما نقله مختلف المؤرخين— يكذب أن يكون (ص) أراد الفرار على نجائبه، لوربح المشركون هذه الحرب. إذ أن الله تعالى لا يمكن أن يعبد في الارض حتى ولو رجع إلى أهل المدينة؛ فكيف يقول ذلك ثم يقدم على تصرف كهذا؟!...

وثالثاً: لو أن النبي (ص) خسر حرب بدر، فلن يتركه المشركون

ينجو بنفسه منهم، ولن يعطوه الفرصة ليجمع لهم الجموع من جديد؟!... ولسوف لن يتركوا مهاجمة المدينة، والقضاء على مصدر متاعهم فيها. وهم الآن بالقرب منها، ويعيشون نشوة النصر والظفر، ومعهم جيش على أحسن مايرام في عدده وفي عدته...

(١)— سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٢ و ٢٧٩ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٤٩ و ٥٥ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٢٢، وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١١٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٦/١٥٥ و ١٦١ وغير ذلك من المصادر الكثيرة.

(٢) — شرح النهج ج ١٤ ص ١١٨.

ورابعاً: كيف يكون (ص) قد اتخذ العريش مكاناً له، وحرسه الحراس فيه، وهم يقولون: إنه (ص) رؤي يوم بدر في أثر المشركين مصلاً السيف، يتلوا قوله تعالى: سيهزم الجمع ويولون الدبر(١).

ويقولون أيضاً: إنه قد اشترك في حرب بدر بنفسه، وقاتل بنفسه قتالاً شديداً(٢).

ومما يدل على اشتراكه في الحرب أيضاً: أنهم يقولون: كان يوم بدر رجال يقاتلون، واحد عن يمينه وآخر عن شماله، وثالث أمامه، ورابع خلفه(٣)...

ويروون أيضاً عن علي: لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله (ص)، وكان أشد الناس بأساً، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه(٤)...

وإذن... فلا بد وأن نسأل: أين كان أبو بكر آنئذ؟ أمع النبي (ص) في ساحة القتال... أم في العريش وحده، ليكون في موقع القائد والرئيس كما يريد الجاحظ أن يدعى حسبما سيأتي... ولسوف يأتي بقية الحديث حول موضوع شجاعة أبي بكر، وحضوره في العريش في الفصل الذي يأتي بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى.

### إشارة:

انه لو فرض صحة الحديث عن علي عليه السلام، فلا بد وأن لا يكون هو من الذين كانوا يتقون المشركين برسول الله؛ فان علياً لم يكن يخشى المشركين، ولم يكن ليحتاج إلى ملجأ يحميه منهم... كيف وهو الذي قتل أكثر من نصف قتلى المشركين في بدر، وشارك في النصف الآخر كما سنرى...

(١) - تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٧٢.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٣ و ١٦٧ لكنه حاول توجيه ذلك بما هو خلاف صريح الكلام، فقال: إن المراد بالجهاد: الدعاء!!... كل ذلك من أجل أن يصح حديث العريش!!...

(٣) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٧٨.

(٤) - راجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٣، والبدية والنهاية ج ٦ ص ٣٧ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٦٧٧ عن أحمد، والبيهقي.

و إذا كان كذلك فلا يعني ذلك عدم صحة الحديث المتقدم عنه عليه السلام،... فانه يصح أن يقول شخص مثلاً: إننا في بلادنا: نأكل أونلبس أونصنع الشيء الفلاني... مع أن هذا القائل لم يأكل اولم يلبس، أولم يصنع ذلك الشيء شخصياً...

### المبارزة:

وكان أول من برز للقتال عتبة، وشيبة والوليد، فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار فقالوا لهم: ارجعوا؛ فانا لسنا إياكم نريد، إنما نريد الاكفاء من قریش، فأرجعهم النبي (ص)، وبدأ بأهل بيته؛ لأنه كره أن تكون البداية بالأنصار(١)، وندب عبدة بن الحارث، وحمزة وعلياً، قائلاً: «قم يا عبدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم إلخ».

فسأل عتبة عنهم، فأخبروه عن أنفسهم، وسأل شيبة عن حمزة، فقال له: أنا حمزة بن عبدالمطلب، أسدالله وأسد رسوله. فقال شيبة: قد لقيت أسد الحلفاء، فانظر كيف تكون صوتك يا أسدالله...

فقتل علي عليه السلام الوليد، وجاء فوجد حمزة معتقاً شيبة، بعد أن تثلمت في أيديها السيوف، فقال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة طويلاً، فأدخل راسه في صدر شيبة؛ فاعترضه علي بالسيف فطير نصفه (أي نصف رأسه). وكان عتبة قد قطع رجل عبدة، وقلع عبدة هامته، فجاء علي فأجهز على عتبة أيضاً...

فيكون أميرالمؤمنين عليه السلام قد شرك في قتل الثلاثة(٢).

ومما يدل على أنه قد شرك في قتلهم جميعاً ماورد في كتاب «المقنع» من أن هنداً قالت:

ما كان لي عن عتبة من صبر  
أخي الذي كان كضوء البدر  
أبسي، وعمي وشقيق صدري  
بهم كسرت يا علي ظهري(٣)

(١) - تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٤، والبحار ج ١٩ ص ٣١٣ و ٢٥٣، وسعد السعود ص ١٠٢.

(٢) - راجع: المناقب ج ٣ ص ١١٩ عن صاحب الاغانى وغيره...

(٣) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٣، والعثمانية، قسم نقوض الاسكافي ص ٤٣٢،

والبحار ج ١٩ ص ٢٩٢، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢١.

وقال السيد الحميري رحمه الله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

وله ببدر وقعة مشهورة  
كانت على أهل الشقاء دمارا  
فأذاق شيبته والوليد منية  
إذ صبحاه جحفاً جرارا  
وأذاق عتبه مثلها أهوى لها  
عضباً صقيلاً مرهفاً بتارا (١)

و يدل على ذلك أيضاً: ما أجاب به بعض بني عامر حسان بن ثابت على أبيات له، يقول ذلك البعض:

ببدر خرجتم للبراز فردكم  
شيوخ قريش جهرة وتأخروا  
فلما آتاهم حمزة وعبيدة  
وجاء علي بالمهند يخطر  
فقالوا: نعم أكفاء صدق فأقبلوا  
إليها سراغاً إذ بغوا وتجبروا  
فدمرهم لما بغوا وتكبروا (٢).

وقد كتب عليه السلام في رسالة له لمعاوية: «فأنا ابوالحسن حقاً قاتل جدك عتبه، وعمك شيبه، وخالك الوليد، وأخيك حنظلة، الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي» (٣).

### بعد قتل الفرسان الثلاثة:

وحمل حمزة وعلي عليه السلام عبيدة بن الحارث، وأتياه إلى رسول الله (ص)، فاستعبر؛ وقال: يا رسول الله، أأنت شهيداً؟! قال: بلى، أنت أول شهيد من أهل بيتي (مما يعني أنه لسوف تأتي قافلة من الشهداء من أهل بيته (ص)... وهكذا كان).

فقال عبيدة: أما لو كان عمك حياً لعلم أنني أولى بما قال منه. قال: وأي اعمامي تعني؟ قال: أبوطالب، حيث يقول:

كذبتم وبيت الله يبرزى محمد  
ولما نطاعن دونه ونناضل  
ونسلمه حتى نصرع دونه  
ونذهل عن ابنائنا والحلائل

(١) - ديوان السيد الحميري ص ٢١٥، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢٢.

(٢) - المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١١٩، والبحار ج ١٩ ص ٢٩١.

(٣) - الفتوح لابن اعمش ج ٢ ص ٤٣٥.

فقال (ص): أماترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله،  
وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟!.

قال: يا رسول الله، أسخطت علي في هذه الحالة؟

قال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي، فانقبضت لذلك (١).

وقد روى كثير من المؤرخين هذه القضية من دون ذكر القسم الأخير

... منها.

ونزل في هؤلاء الستة قوله تعالى: «هذان خصمان اختصموا في  
رهم، فالذين كفروا قطعتم لهم ثياب من نار...» وفي البخاري: أن أباذر  
كان يقسم: أنها نزلت فيهم (٢).

ونزل في علي، وحزرة، وعبيدة ايضاً قوله تعالى: من المؤمنين رجال  
صدقوا ما عاهدوا الله عليه (٣)... وقيل: نزلت في علي وحده (٤).

وثمة عدة آيات أخرى نزلت في بدر في الثناء على امير المؤمنين  
عليه السلام فراجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١١٨ وغيره...

هذا... ولا بد وأن نشير هنا إلى الامور التالية:

(١) - تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٥، والبحار ج ١٩ ص ٢٥٥، وفي شرح النهج للمعتزلي ج ١٤  
ص ٨٠: أن رسول الله استغفره ولأبي طالب يومئذ. والغدير ج ٧ ص ٣١٦. وفي نسب قریش  
لمصعب ص ٩٤: أن عبيدة قال: «يا رسول الله ليت أبا طالب حياً حتى يرى مصداق قوله الخ...»  
وربما يقال: إن هذا هو الانسب بأدب عبيدة واخلاصه ولكن لا... فان قوله الأنف لا يضر في أدبه  
ولافي إخلاصه، حيث يرى نفسه قد ضحى بنفسه في سبيل الدين فلا مانع من أن يقول ذلك.

(٢) - البخاري ط الميمنية ج ٣ ص ٤، ومناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ١١٨ عن مسلم، من  
دون قسم أبي ذر، ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٨٦ وصححه هو والذهبي في تلخيصه، والغدير  
ج ٧ ص ٢٠٢ عن: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١٢، وتفسير ابن جزري ج ٣ ص ٣٨، وتفسير الخازن ج  
٣ ص ٦٩٨، وتفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٥-٢٦، وصحيح مسلم ج ٢ ص ٥٥٠، وطبقات ابن  
سعد ص ٥١٨، وهذا قال ابن عباس، وابن خثيم، وقيس بن عباد، والثوري، والاعمش،  
وسعيد بن جبير، وعطاء.

(٣) - الصواعق المحرقة ص ٨٠.

(٤) - مناقب الخوارزمي ص ١٨٨ والكفاية للخطيب ص ١٢٢.

## الف: غضب النبي (ص) لابي طالب:

إنه إذا كان الرسول (ص) يغضب لذكر عمه، ولو بهذا النحو المهذب، والمحدود... فكيف إذن يكون موقفه ممن يرمي أبا طالب بالشرك والكفر، ويعتبره مستحقاً للعذاب الاليم في نار الله المؤصدة؟!!

فهل تراه سوف يكون مسروراً ومرتاحاً لهذا الكلام الذي لاسبب له إلا السياسة، وما أدراك ما السياسة؟!...

باء: بدء النبي (ص) بأهل بيته:

و إذا لاحظنا: ان النبي (ص) هو الذي أرجع الثلاثة الذين من الانصار، و امر حمزة وعلياً وعبدة بن الحارث بالخروج إلى ساحة القتال اولاً (١) ويقول علي (ع) عن النبي (ص): « كان إذا حضر الباس، ودعيت نزال قدم أهل بيته فوق بهم أصحابه فقتل عبدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد و جعفر يوم مؤتة إلخ» (٢). فاننا لا بد وان نقول: إنه حين يبدأ الرسول الحرب بأهل بيته يكون قد أثبت بالفعل لا بالقول وحسب، للانصار وللمهاجرين: أنه ليس فقط لا يريد أن يجعلهم وسيلة للوصول إلى أهدافه، وأن يدفع بهم الخطر عن نفسه وأهل بيته... وإنما ثمة هدف أسمى لا بد وأن يساهم الجميع في العمل من أجله وفي سبيله... وهو (ص) شريك لهم في كل شئ، في السراء والضراء، والشدة والرخاء... وهو يضحى ويقدم قبل أن يطلب من غيره ذلك. بل هو يحاول أن يدفع عن غيره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

(١) - وفي امالي المرتضى ج ١ ص ٢٧٥، واعلام الورى ص ٣٠٨ والبحار ج ٤٨ ص ١٤٤ ومناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣١٦ ان الامام الكاظم (ع) قال لنفيع الانصارى: «... وإن كنت تريد المفاخرة، فوالله ما رضوا مشركوا قومي مسلمي قومك أكفاءهم حتى قالوا: يا محمد أخرج الينا أكفاء نامن قر يش»... وأقول... لامنافاة بين الامر بين فعلل المشركين لم يرضوا بهم، كما أنه (ص) لم يرغب في البداية بهم.

(٢) - انساب الاشراف ج ٢ ص ٨١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧٧ وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٩٠ ونهج البلاغة باب الكتب الكتاب التاسع والعقد الفريد ج ٤ ص ٣٣٦ ومناقب الخوارزمي ص ١٧٦.

وذلك هو ما يجب أن يكون المثل الأعلى لكل صاحب هدف، ولكل سياسي وقائد... فان عليه أن يضحي هو أولاً... حتى إذا احتاج إلى معونة غيره يكون طلبه منهم له مبرراته، و يراه كل أحد: أنه محق في طلبه ذلك... وليس له أبداً أن يجلس في برجه العاجي، ثم يصدر أوامره للآخرين، دون أن يرى نفسه مسؤولاً عن التحرك في اتجاه الهدف إلا في حدود الكلام وإصدار الأوامر، فان الكلام لن يكون كافياً في تحقيق الأثر المطلوب في مجال التحرك نحو الهدف، مهما كان ذلك الهدف مقدساً، وسامياً...

### جيم: سخرية شبيهة:

لقد لاحظنا أن شبيهة يسخر من كون حمزة أسد الله وأسد رسوله، و يعتز بكونه أسد الحلفاء... مع أن مقتضى الانصاف والواقع هو عكس ذلك تماماً... فقد تقدمت الإشارة الى بعض الاهداف الوضيعة، القائمة— على أساس المنطق القبلي، والمنافع الخاصة، التي توخاها الحلفاء من حلفهم...

وكلنا يعلم، وهم يعلمون: أن هدف الله ورسوله، وأسد الله من التضحيات على وجه الارض ليس إلا اسعاد البشرية، ونجاة الانسانية إن دنيا و إن آخرة...

### دال: الحق الذي جعله الله للمسلمين:

ثم... ماهو هذا الحق الذي أشار إليه النبي (ص) في قوله لعلي (ع) وحمزة وعبيدة: «فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم»... أليس هو حق حرية الرأي والعقيدة، وحق الدفاع عن دين الله، وعن النفس، ورد البغي والعدوان؟... في مقابل القرشيين الذين عذبوهم، وأخرجوهم من ديارهم، وسلبوا أموالهم، بل وقتلوا منهم من قتلوا، وبغوا عليهم؟.

و خلاصة الأمر: إنهم يريدون أن يعيشوا أحراراً، وأن يدافعوا عن دين الله في مقابل من يريد الاستمرار في الانحراف والتعدى... وللمظلوم حق في أن يطالب بانصافه من ظالمه والباغي عليه... ولا سيما بعد أن عرض النبي (ص) على قریش تلك الخيارات المتقدم ذكرها، فلم ترعوا عن غيرها...

بل أرادت اطفاء نور الله، وحرهم وإذلالهم، قال تعالى: .

«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله (١)».

### المعركة... ثم الهزيمة

ولما رأى أبو جهل مقتل عتبة وشيبة والوليد، حاول انقاذ الموقف؛ فقال: لا تعجلوا، ولا تبطروا، كما بطر ابنا ربيعة. عليكم باهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش، فخذوهم أخذاً، حتى ندخلهم مكة؛ فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها...

ويذكر ابن عباس، في قوله تعالى: «ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى»: «أن النبي صلى الله عليه وآله— بعد أن أمره جبرئيل— قال لعلي: ناولني كفاً من حصباء، فناوله كفاً من حصباء (وفي رواية: عليه تراب) فرمى به في وجوه القوم؛ فما بقي أحد إلا امتلأت عينه من الحصى. وفي رواية: وأفواهمهم، ومناخرهم، ثم ردهم المؤمنون يقتلونهم، ويأسرونهم (٢). فابن عباس إنما يطبق الآية على هذا العمل الاعجازي.

وقد أمد الله المسلمين بالملائكة لتثبيت قلوبهم... وفي كونهم حاربوا خلاف، وظاهر القرآن ربما لا يساعد عليه، وكانوا يتشبهون بأمر المؤمنين علي عليه السلام (٣).

(١) — الحج ٤٠/٣٩.

(٢) — البحار ج ١٩ ص ٢٢٩ عن تفسير الثعلبي، والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٩، وليراجع الحلبية ج ٢ ص ١٦٧.

(٣) — البحار ج ١٩ ص ٢٨٥ عن المناقب. ويروى الآخرون: أنهم كانوا على هيئة الزبير الذي كان عليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة عليهم عمام صفراء كما في مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٦١ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٨٦ عنه وعن كنز العمال ص ٢٦٨ عن الطبراني وابن عساکر، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٨٤ ولكن يعكس على هذا ما في دلائل النبوة لابي نعيم ص ١٧٠ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٨٦ عنه من أن الملائكة كان عليهم يوم بدر عمام بيض...



وبالمناسبة... فان عائشة قالت في حرب الجمل: ناولوني كفاً من تراب، فناولوها؛ فحثت في وجوه أصحاب أمير المؤمنين، وقالت: شأهت الوجوه — كما فعل رسول الله (ص) بأهل بدر— فقال أمير المؤمنين: «ومارميت إذرميت ولكن الشيطان رمى، وليعودن وبالك عليك إن شاء الله (١)»... كما أن عائشة قد نظرت إلى علي عليه السلام وهو يجول بين الصفوف في حرب الجمل، فقالت: انظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله (ص) يوم بدر، أما والله ما ينتظر بكم إلا زوال الشمس (٢).

وهكذا كان... صدق أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه...

وهزم الله المشركين شر هزيمة. وقتل أبو جهل. وكان رسول الله (ص) قد أوعدته أن يقتله الله بأضعف أصحابه، بل وعد بكل ماجرى في بدر قبل وقوعه (٣). فقتله رجل أنصاري، واحترز أسه ابن مسعود... وقيل: إنه وجدته بأحرر مق فأجهز عليه، ولكن الأقرب هو الأول، لأن سلبه أخذه غير ابن مسعود...

وكان أول من انهزم في بدر ابليس لعنه الله، فانه كان قد تبدى للمشركين— كما في الرواية— بصورة سراقه بن مالك المدلجي، من أشرف كنانة، حيث إن قریشاً كانت قد خافت من بني بكر بن عبد مناف لدم بينهم؛ فتبدى لهم ابليس بصورة سراقه، وأعطاهم جواره... فلما رأى ماجرى للمشركين، ورأى الملائكة مع المسلمين نكص على عقبه، فانهزم المشركون... وقال المكيون: هزم سراقه. فقال سراقه: ماشعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم. فلما أسلموا علموا أنه الشيطان. وروى أن أبا سفيان لما أبلغ العير إلى مكة رجع، ولحق بجيش

(١)— كتاب الجمل للشيخ المفيد ص ١٨٦، وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٢٥٧ وراجع الفتوح لابن اعمش ج ٢ ص ٣٢٥.

(٢)— الفتوح لابن اعمش ج ٢ ص ٢١٤.

(٣)— البحار ج ١٩ ص ٢٦٧ عن الاحتجاج، والتفسير المنسوب للامام العسكري ص

قريش، فضى معهم إلى بدر، فجرح يومئذ جراحات، وأفلت هارباً، ولحق بمكة راجلاً (١).

## الفصل الثاني:

نتائج الحرب...



## نتائج الحرب

وقتل من المشركين سبعون، وأسر مثلهم. وقيل قتل خمس وأربعون،  
واسر مثلهم.

ولعل منشأ هذا الأخير هو تسمية البعض لهذا المقدار من القتلى، أو  
أكثر؛ فتخيلوا: أن ذلك هو العدد النهائي، ولكن ذلك لا يدل إلا على أن من  
عرفه ذلك الناقل هو هؤلاء... لا على أن هؤلاء هم كل من قتل من  
المشركين...

واستشهد من المسلمين، قيل تسعة، وقيل: أحد عشر. وقيل أربعة  
عشر، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار.

ولم يؤسر من المسلمين أحد، وغنموا من المشركين مئة وخمسين بغيراً،  
وعشرة أفراس، وعند ابن الأثير ثلاثين فرساً، ومتاعاً، وسلاحاً، وانطاعاً،  
وثياباً، وأدماً كثيراً (١).

## بطولات علي عليه السلام:

وقتل أكثر قتلى المشركين على أيدي المهاجرين، بل لقد قتل أكثرهم

---

(١) - مغازي الواقدي ج ١ ص ١٠٢/١٠٣ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١١٨، والسيرة الحلبية  
ج ٢ ص ١٨٣.

على يد أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وبالذات على يد علي عليه السلام.

وقد سماه الكفار يوم بدر «الموت الأحمر» لعظم بلائه ونكايته (١) وكيف لا... ونحن نرى الشعبي يقول: «كان علي اشجع الناس تقرله بذلك العرب» (٢). وقد تقدم قول بعض بني عامر في جواب حسان، وقول هند... وقال أسيد بن أبي إياس يخرض مشركي قريش على علي عليه السلام...

في كل مجمع غاية أخزاكم  
 لله دركم ألمّا تنكروا  
 هذا ابن فاطمة الذي أفناكم  
 أعطوه خرجاً واتقوا تضريره  
 اين الكهول وأين كل دعامة  
 أفناهم قعصاً وضرباً يفتري  
 وقال عبدالله بن رواحة:

لهن علياً يوم بدر حضوره  
 وكائن له من مشهد غير خامل  
 جذع أبر على المذاكي القرع  
 قد ينكر الحر الكريم ويستحي  
 ذبحاً وقتلا قعصة لم يذبح  
 فعل الذليل وبيعة لم ترح  
 في العضلات واين زين الأبطح  
 بالسيف يعمل حده لم يصفح (٣)

إلى آخر الآيات:

ولماذا لا يسمى عليه السلام بالموت الأحمر، وهو الذي تقول بعض الروايات: ان جبرئيل قد نادى بين السماء والارض في بدر: لافتي الا على لاسيف إلا ذوالفقار... ويقال: ان هذه المناداة كانت في أحد وستأتي انشاء الله وهو الذي قتل من المشركين في بدر نصف السبعين وشارك في

(١) - المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٦٨.

(٢) - نورالقبس ص ٢٤٩.

(٣) - اسد الغابة ج ٤ ص ٢٠/٢١، وترجمة الامام علي (ع) من تاريخ دمشق، بتحقيق المحمودي ج ١ ص ١٥، وارشاد المفيد ص ٤٧، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢١ والبحار ج ١٩ ص ٢٨٢ وأنساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٨٨ وتيسير المطالب ص ٥٠.

والجذع: الأسد. والمذاكي: الخيل بعد مضي خمس سنين من عمرها، وضربه فأقعصه: أي قتله مكانه. ولم يصفح: أي لم يضرب بصفح السيف.

(٤) - المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٠، والبحار ج ١٩ ص ٢٩٢. والمرعبل: المقطع.

## النصف الآخر (١)...

وقد عد الشيخ المفيد ستة وثلاثين بأسمائهم ممن قتلهم علي (ع) (٢).  
وقال ابن اسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلي (٣).

وقال الطبرسي والقمي: إنه قتل منهم سبعة وعشرين (٤) وقال اسامة بن منقذ: قتل أربعة وعشرين سوى من شارك فيهم (٥)، وقال الشبلنجي: قال بعضهم: «إن أهل الغزوات أجمعت على أن جملة من قتل يوم بدر سبعون رجلاً قتل علي منهم أحداً وعشرين نسمة باتفاق الناقلين. وأربعة شاركه فيهم غيره، وثمانية مختلف فيهم (٦)».

وعد الواقدي اثنين وعشرين. ثمانية عشر منهم قتلهم علي، وأربعة مختلف فيهم (٧)، وعد المعتزلي وابن هشام والتلفيق بينها تسعة وعشرين قتلهم علي، وأشرك في قتلهم من أصل اثنين وخمسين (٨).

وهذا الاختلاف ليس ذا أهمية... فان من يذكرون أساءهم—  
في حدود الخمسين أو أقل أو أكثر بقليل (٩)... فن هؤلاء نجد أن علياً قد قتل نصفهم أو أزيد... ولو أنهم اهدتوا إلى أسماء الباقي لا رتقى عدد من قتلهم علي (ع) إلى نصف السبعين أوزاد، عدا عن شرك في قتلهم، ثم جاء من

(١) — راجع: نهج الحق الموجود في ضمن دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٣. ولم يعترض عليه ابن روزبهان بشيء.

(٢) — الارشاد ص ٤٣/٤٤، والبحار ج ١٩ ص ٢٧٧ و ٣١٦ عنه وعن اعلام الورى ص ٥٩/٥٠.

(٣) — المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢٠، والبحار ج ١٩ ص ٢٩١.

(٤) — راجع: تفسير القمي ج ١ ص ٢٧١ والبحار ج ١٩ ص ٢٤٠ عن مجمع البيان.

(٥) — لباب الآداب ص ١٧٣.

(٦) — نور الأبصار ص ٨٦.

(٧) — مغازي الواقدي ج ١ ص ١٤٧—١٥٢.

(٨) — راجع: سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٦٥—٣٧٢ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٠٨—٢١٢.

(٩) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢١٢ وابن هشام والواقدي وغيرهم...

بعدهم فذكروا من عدوهم في ضمن الخمسين، واعتبروهم الجميع... ويلاحظ: أن البعض يعرف ممن قتلهم علي عليه السلام أشخاصاً، لا يعرفهم البعض الآخر، وبالعكس... وذلك يؤيد صحة ما ذكره الشيخ المفيد وغيره ويؤكداه...

وعلى كل حال... فقد كان ممن قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام في بدر: طعيمة بن عدي، وأبو حذيفة بن أبي سفيان، والعاص بن سعيد بن العاص، الذي أحجم الناس عنه، ونوفل بن خويلد، وكان من شياطين قريش. والعاص بن هشام بن المغيرة (١).

### رواية مكذوبة:

وزعم البعض أن عمر بن الخطاب هو الذي قتل العاص بن هشام بن المغيرة (٢)... ويروون: أن عمر قد قال لسعيد بن العاص: إنه ما قتل أباه، وإنما قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة (٣).

وهو كلام مشكوك فيه:

فإن العاص هذا ليس خالاً لعمر؛ لأن حنتمة لم تكن بنت هشام بن المغيرة، وإنما هي بنت هاشم بن المغيرة، وقد غلط العلماء من قال: إنها بنت هشام (٤)...

وقال ابن حزم: إن هاشماً لم يعقب سوى حنتمة (٥).

وقال ابن قتيبة: «وأم عمر بن الخطاب حنتمة بنت هاشم بن

(١) — المنقح ص ٤٥٦، والأغانبي ط ساسي ج ٣ ص ١٠٠.

(٢) — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٦٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٥ وراجع نسب قريش لمصعب ص ٣٠١.

(٣) — مغازي الواقدي ج ١ ص ٩٢، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٩، ونسب قريش لمصعب ص ١٧٦، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٠، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨١، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٣ والاصابة، والاستيعاب.

(٤) — تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٩.

(٥) — جمهرة أنساب العرب ص ١٤٤.



المغيرة، ابنة عم ابيه (١)».

بل لقد قيل: إن حنتمه هي بنت سعد بن المغيرة (٢)...

واحتمال البعض ان يكون أراد: أنه قتل هذا الذي من قبيلة أمه،  
ويعدّ الناس كل افراد قبيلة الأم أحوالاً كما قال، الشاعر:

ولو أني بليت بهاشمي      خوولته بني عبدالمدان

هذا الاحتمال خلاف الظاهر المتبادر من كلمة «خالي» فان اطلاق  
كلمة أحوال على القبيلة لا يلزم منه صحة أن يقول: فلان خالي، وهو ليس  
بخاله حقيقة فيصح قولهم: بنو مخزوم اخواننا، ولا يصح أن يقال: فلان المخزومي  
خالي، لأن هذا الثاني ينصرف إلى الخوالة الحقيقية.

بل لقد انكر البعض أن تكون حنتمه مخزومية أصلاً، وقالوا: إن  
هاشماً وجدها مرمية في الطريق، فأخذها، ورباها، ثم زوجها الخطاب،  
وانما نسبت إلى هاشم بالتبني والتربية، كما هو عادة العرب (٣).

ما هو الصحيح إذن...

ولعل الأقرب إلى الاعتبار، والمنسجم مع الوقائع والاجواء السياسية  
والاحداث، هو الرواية التي ذكرها المعتزلي، والشيخ المفيد، وملخصها:

أن عثمان بن عفان، وسعيد بن العاص حضرا عند عمر أيام خلافته؛  
فصار عثمان إلى مجلسه الذي يشتهي، ومال سعيد إلى ناحية، فنظر إليه عمر،  
وقال:

مالي أراك معرضاً؟ كأنني قتلت أباك؟ إنني لم أقتله، ولكن قتله  
أبو حسن. وفي رواية المفيد، أنه قال: فلما رأيت ذلك (يعني هياجه للحرب)

(١) — الشعر والشعراء ص ٣٤٨.

(٢) — تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٠.

(٣) — دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٥٦.

هبتة وزغت عنه، فقال: الي أين يابن الخطاب، وصمد له علي فتناوله. فوالله ما فارقت مكاني حتى قتله...

وكان علي عليه السلام حاضراً، فقال:

اللهم غفراً، ذهب الشرك بما فيه، ومحا الاسلام ماتقدم؛ فالك تهيج الناس علي؟!!

فكف عمر. فقال سعيد: أما إنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب(١)...

فهذه الرواية التي تتضمن نجاة عمر على يد علي، ليس فيها: أنه قتل خاله العاص بن هشام... والذي لم يكن خالاً له— كما قلنا— أو على الأقل يشك كثيراً في ذلك...

وفي هذه الرواية دلالات أخرى لانتحفي، ولا سيما في كلام علي عليه السلام، وسعيد.

#### إشارة:

و يلاحظ: أن حرب بدر وأحد وغيرها قد أثرت في قلوب القرشيين أثراً بعيداً، حتى: «قيل: كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين في كتيبة تواصت خوفاً منه. ونظر اليه رجل، وقد شق العسكر، فقال: قد علمت ان ملك الموت في الجانب الذي فيه علي»(٢).

#### قتلي المشركين في القليب:

وأمر رسول الله (ص) بالقليب أن تعور، ثم أمر بالقتلى، فطرحوا فيها... ثم نادى أهل القليب رجلاً رجلاً: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؛ فإني قد وجدت ما وعد ربي حقاً، بسئ القوم كنتم لنبيكم، كذبتموني،

(١) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٤٤/١٤٥، والارشاد ص ٤٦.

(٢) — محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني ج ٢ ص ١٣٨.

وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس.

فقال عمر: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد ماتوا؟

فقال (ص): ما أنتم باسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني (١).

وقد انكرت عائشة قول النبي (ص) لقد سمعوا ما قلت. وقالت: إنما قال: لقد علموا. واحتجت لذلك بقوله تعالى: انك لا تسمع الموتى الآية... وبقوله تعالى... وما أنت بمسمع من في القبور (٢).

وفي البخاري عن قتادة: إن الله رد إليهم أرواحهم فسمعوا. وهذا أجاب البيهقي (٣).

ونقول: إنه لو ثبت ما ذكره وصح؛ فلامانع من أن يكون معجزة لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله الطاهرين...

وأجاب الحلبي: بأنه لامانع من ابقاء السمع على حقيقته، لأنه إذا قوي تعلق أرواحهم بأجسادهم أمكنهم أن يسمعوا بحاسة سمعهم، لبقاء محل تلك الحاسة.

والسمع المنفي في الآيتين هو السماع النافع، وقد أشار السيوطي إلى ذلك فقال:

سماع موقى كلام الله قاطبة جاءت به عندنا الآثار في الكتب وآية النفي معناها سماع هدى لا يقبلون ولا يصغون للادب

لأنه تعالى شبه الكفار الأحياء بالأموات في القبور في عدم انتفاعهم

(١) - راجع: فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٤/٢٣٥، وصحيح البخاري هامش الفتح نفس الموضع، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨٦، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٢، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٣/٣٣٤.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٢ وليراجع، مسند أحمد ج ٢ ص ٣١ و٣٨، وغير ذلك.

(٣) - راجع: البخاري باب غزوة بدر، وليراجع: كلام المعتزلي في شرح النهج ج ١٤ ص ٢٧٩.

بالاسلام النافع (١).

### مهجع سيد الشهداء:

و يقولون: إن مهجع (مولى لعمر) هو أول من خرج بعد أن اصطفت الصفوف، فقتل، فنقل بعض المشايخ: أنه أول من يدعى من شهداء هذه الأمة، وأن النبي (ص) قال يومئذ: مهجع سيد الشهداء (٢).

ولكن ذلك مشكوك فيه... اذ :

١- لما ذا كان أول من يدعى من شهداء هذه الأمة، ولماذا لا يكون ياسر والدعمار أو أمه سمية هما أول من يدعى من شهداء هذه الأمة؟!...

ولماذا لا يكون عبيدة بن الحارث، الذي قتل قبل مهجع هو أول من يدعى منهم؟!...

٢- قوهم: إنه أول من خرج بعد أن اصطفت الصفوف لا يمكن قبوله . فان أول من خرج من المسلمين هم: علي وحزرة وعبيدة بن الحارث...

٣- وكيف يمكن الجمع بين كون مهجع هو سيد الشهداء، وروايتهم: ان حمزة هو سيد الشهداء، كما سيأتي في غزوة احذان شاء الله؟!.. ويقولون أيضاً: إن علياً قد ذكر ذلك بقوله: «وحزرة سيد الشهداء عمي»، وفي قوله: «ومنا سيد الشهداء حمزة (٣)».

٤- وكيف يجتمع قوهم: بأن أول قتيل من المسلمين هو مهجع، مع قوهم: إن أول قتيل من المسلمين هو عمير بن الحمام (٤)؟!...

(١) - راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٢.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١، وراجع المصنف ج ٥ ص ٣٥١.

(٣) - الاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٢٧٣، والاصابة ج ١ ص ٣٥٤ والسيرة الحلبية ج ٢

ص ٦١ وترجمة حمزة في كل كتاب رجال...

(٤) - الاصابة ج ٣ ص ٣١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١.

وحاول الحلبي الجمع: بأن عميراً أول قتيل من الأنصار، وذلك أول قتيل من المهاجرين. ثم أجاب عن هذا بأن أول قتيل من الأنصار هو حارثة بن قيس... ثم رده بأن حارثة كان أول قتيل بسهم لم يدراميه (١).

ولكن من الواضح: أن ذلك ليس إلا تلاعباً بالالفاظ... فانه إذا قيل: فلان أول قتيل من المسلمين، أو في بدر، لا ينظر في ذلك الى آلة قتله أو بلده، أو نسبه... والإلقال أول قتيل من المهاجرين مثلاً، أو من الأنصار، أو بسهم، أو نحو ذلك...

### ذوالشمالين:

واستشهد في بدر ذوالشمالين (سمي بذلك لأنه كان يعمل بيديه جميعاً): عمير بن عبد عمرو بن نضلة، بن عمرو بن غبشان (٢) وتذكرهنا قضية سهو النبي، وحيث إن الكلام فيها يطول، فنحن نرجئ، الكلام عنها إلى الفصل الآتي بعد وقعة بدر بعنوان: بحوث ليست غريبة السيرة... فإلى هناك... وقبل المضي في الحديث عن الاسرى والغنائم، وغير ذلك من موضوعات، نود أن نشير إلى الملاحظات التالية...

### الف: اهتمام علي برسول الله في بدر:

عن علي عليه السلام قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً لانظر إلى رسول الله (ص) ما فعل. قال: فجئت، فاذا هو ساجد يقول: يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم، لا يزيد عليها. فرجعت إلى القتال. ثم جئت، وهو ساجد يقول ذلك أيضاً... فذهبت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، حتى فتح الله عليه (٣).

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦١.

(٢) - راجع: سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٣٧، والطبري في ذيل تاريخه ص ١٥٧، والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٤٩١، ونسب قریش لمصعب الزبيرى، ص ٣٩٤، والاصابة ج ١ ص ٤٨٦ وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٩.

(٣) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ عن البيهقي وعن النسائي في اليوم واللييلة، وحياة

ولا يعني ذلك: انه لم يشارك في القتال في بدر أصلاً، فلعله شارك فيه في مراحل الأولى، حيث لا بد من تشجيع المسلمين، وتقوية قلوبهم، حتى إذا تحقق له (ص) هذا الهدف انصرف إلى الابتهاال والدعاء.

و يلاحظ هنا:

١- ان علياً عليه السلام يتعاهد النبي (ص) باستمرار، ولا يغفل عنه لحظة واحدة، حتى في هذا الموقف، الذي تبلغ فيه القلوب الحناجر، وتزيغ الأبصار...

كما و يلاحظ: أنه (ع) كان باستمرار يتعاهد النبي (ص)، و يأخذ على عاتقه عهدة حفظه وحراسته، فقد:

قال يحيى: حدثنا موسى بن سلمة، قال: سألت جعفر بن عبدالله بن الحسين عن اسطوان علي بن أبي طالب. فقال: إن هذه المحرس كان علي بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلي القبر، مما يلي باب رسول الله (ص) يحرس النبي (ص) (١). وذكر السمهودي هذه الاسطوان في كتابه باسم «اسطوان المحرس».

٢- يلاحظ: مدى اهتمام الرسول (ص) في هذه اللحظات الحرجة بالدعاء، والاتصال بالمبدأ الأعلى، مصدر القوة والفتح والظفر... يتصل به ليهبهم اليقين، والصبر، وليشملهم بعناياته والطفاه... فبدون ذلك لا يمكن النصر، ولا قيمة للظفر...

٣- كما أننا نجد أمير المؤمنين عليه السلام، رغم أنه كان اكثر الناس عناء في هذه الحرب، وهو الذي قتل نصف السبعين، وشارك في النصف الآخر- نجده- ينسب الفتح والظفر إلى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله

---

الصحابة ج ١ ص ٥٠٢ عنه وعن كز العمال ج ٥ ص ٢٦٧ عن الحاكم، والبخاري، وأبي يعلى، والفريابي.

(١)- وفاة الوفاء ج ٢ ص ٤٤٨.

وسلم، ولا يرى له، ولا لغيره أثراً يستحق الذكر في هذا المجال...

### باء: الحرب مصيرية:

لقد كان كل من الفريقين يعتبر: أن هذه الحرب مصيرية بالنسبة إليه... فالمسلمون يعتبرون: أنهم إن غلبوا فلن يعبد الله في الأرض بعد... والمشركون أيضاً يريدون أن يأخذوا المهاجرين أخذاً ليعرفوهم ضلالهم وان يجزروا اهل يثرب جزراً، حتى لا يتجرؤا على ممالأة عدوهم ابداً، حتى لا يستطيع أحد أن يعترض طريق تجارتهم... وحتى تهايم العرب... نعم هذا هوالمهم لدى جماعة متهاكمة على المال والجاه... ولأجل ذلك بالذات آذوا النبي (ص) ومن معه، وأخرجوهم، وحاربوهم... وهم أبناؤهم، وإخوانهم وأباؤهم، وذوو اقرباتهم...

نعم... لقد كان حب الدنيا بالنسبة إليهم هو كل شيء، وليس قبله ولا بعده شيء، وهو الذي دفعهم لارتكاب تلك الجرائم والموبقات تجاه ذورهم: من التعذيب، والسخرية، ثم اخذ الأموال، والاخراج من الديار... ثم الحرب العوان لجذ أصلهم، واستئصال شأقتهم...

### جيم: الهزيمة، وعدم تكافؤ القوى، والامداد بالملائكة

قد يحدث أن يغلب جيش قليل العدد نسبياً جيشاً أكثر عدداً، وذلك حينما تكون ثمة امتيازات في هذه القلة تفقدها تلك الكثرة، كالتسلح، او الانضباطية، والبراعة، أو كونها تملك خطة حربية معينة.

ولكن الأمر كان بين المسلمين والمشركين بالعكس تماماً... فالتجربة الحربية، والكثرة، والسلاح، والعدة وغير ذلك كله كان في جانب المشركين، مع عدم وجود خطة حربية معينة، لدى المسلمين، وإنما هم يواجهون حرباً فرضها عليهم عدوهم في الزمان والمكان الذي أراد...

مع وجود امتيازات لصالح المشركين حتى في هذه الناحية أيضاً.

أما أسلوب الحرب... فلا جديد فيه... وإنما على كل من الفريقين

أن يعتمد الاساليب المعروفة... وفي قریش مشاهير فرسان العرب... الذين  
امتازوا في الحروب التقليدية بخبرتهم وبعد صيتهم...

ولكن النتائج التي تمخضت عنها هذه الحرب، لا تتلاءم مع تلك  
العدة وذلك العدد، ولا مع الامتيازات التي كان يتمتع بها أحد الفريقين دون  
الآخر.

فقد كانت خسائر المشركين أضعاف خسائر المسلمين... وما هو وجه  
النسبة بين ثمانية إلى أربعة عشر شهيداً من المسلمين... وبين سبعين قتيلاً  
وسبعين أسيراً من المشركين؟!... مع أن كل الامتيازات كانت في جانب  
هؤلاء على أولئك...

وما هو السر، وما هو السبب ياترى؟!..

والجواب: ان الله تعالى قد قال: «إذير يكهم الله في منامك قليلاً ولو  
أراكم كثيراً لفشلتم، ولتنازعتم في الأمر، ولكن الله سلم، إنه علم بذات  
الصدور. و إذير يكوهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً، ويقللكم في أعينهم،  
ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» (١).

وقال تعالى: «و إذز ين لهم الشيطان أعمالهم، وقال: لا غالب لكم  
اليوم من الناس، وإني جار لكم» (٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نصرت بالرعب، وجعلت لي  
الأرض مسجداً وطهوراً» (٣).

وؤستنتج من ذلك: أنه قد كان ثمة الطاف وعنايات، بل وخطة  
إلهية، تتلخص في:

١- تقوية قلوب المسلمين بما في ذلك اسلوب التقليل والتكثير المشار  
إليه في الآيات الشريفة...



٢- ما أمدهم الله به من الملائكة.

٣- إلقاء الرعب في قلوب أعدائهم...

بيان ذلك : أن هدف كل من المتحاربين هو الذي يعين نتيجة الحرب، ومصيرها، على صعيد الخسائر المادية والبشرية، وحتى على صعيد التأثير في حركة التاريخ، من جميع الجهات، وعلى مختلف المستويات...

وقد بيّنا مراراً وتكراراً: أن هدف المشركين من الحرب هو الحصول على الحياة التي يريدون، وعلى الامتيازات التي يتوقعون أن يجدوا فيها ما يحقق آمالهم العراض بالرفاهية والزعامة والسيادة...

و إذا كانوا يجاربون من أجل الحياة الدنيا... فكيف يمكن أن يضحوا بحياتهم... إن ذلك ليس الإنقضاً للغرض، وتضييعاً للهدف...

و يدلنا على هذا المعنى، أنهم يذكرون: إنه لما رأى طليحة بن خويلد كثرة انهزام أصحابه قال: و يحكم ما يهزمكم؟! قال رجل منهم: وأنا أحدثك ما يهزمننا: إنه ليس منا رجل إلا وهو يجب أن يموت صاحبه قبله، و إنا لنأبى قوماً كلهم يجب أن يموت قبل صاحبه (١)».

ولما ولى الزبير يوم الجمل بلغ علياً فقال: «لو كان ابن صفية يعلم: أنه على حق ما ولى الخ (٢)».

و يقول حميد الطوسي، أحد اكابر قواد المأمون: «إننا قد أيسنا من الآخرة. وإنما هي الدنيا؛ فلانحتمل والله لأحد تنغيصها علينا (٣)».

أما هدف المسلمين أو بالأحرى بعضهم، وهم الذين جزروا قریشاً جزراً، كعلي وحزرة وأمثالهما ممن كان لهم نكاية في العدو... فقد كان هو الفوز الأخرى، و يعتبرون أنهم إنما يقدمون على

(١) - سنن البيهقي ج ٨ ص ١٧٦، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٧٧٠ عنه.

(٢) - مصنف عبدالرزاق ج ١١ ص ٢٤١، وهذا يؤيد أنه قتل وهو منهزم، كما يصرح به البعض.

(٣) - نشوار المحاضرات ج ٣ ص ١٠٠.

الحسينين: النصر وهو فوز أخروي وديني، أو الشهادة، وهي فوز أيضاً حتى دنيوياً...

و إذا كانوا يعدون الموت فوزاً كالنصر العسكري، و إذا كانوا يعتبرون فرارهم خذلاناً ووبالاً ودماراً وموتاً لهم، بل وشرّاً من الموت، حتى ولو أدى إلى حفظ حياتهم، وكانت في المستوى الأعلى من الرفاهية والراحة الجسدية والنعيم الدنيوي، لأنها سوف يعقبا الدمار في الآخرة والعذاب الأليم... فان حياتهم هذه تكون مرفوضة عندهم، ولا يريدونها، بل هم يكرهونها ويهربون منها أكثر مما يكره المشركون الموت، ويهربون منه...

كما عبر عنه ذلك الرجل لطليحة بن خويلد كما قد منا...

ويذكر أيضاً: انه لما سمع عمير بن الحمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعد من يستشهد بالجنة، وببئ عمير تمرات يأكلهن، قال: بخ بخ، ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، أو قال: لئن حييت حتى أكل تمراتي، إنها لحياة طويلة. ثم رمى التمرات من يده، وقاتل حتى قتل (١)...

ومن هنا... فقد كان طعم الموت لدى أصحاب الحسين عليه السلام أحلى من العسل، كما هو معروف... بل وحتى الامهات كن إذا علمن بأن ولدهن في الجنة لم يجدن ألم المصاب، بل وربما فرحن لاستشهاد ابنائهن... وحين قتل حارثة بن سراقة بسهم غرب، قالت أمه: «يا رسول الله، أخبرني عن حارثة؛ فان كان في الجنة صبرت، وإلا فليرن الله ما أصنع، يعني من النياح. (وفي رواية: وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء وفي رواية: لم أبك ولم أحزن، وإن يكن في النار بكييت ما عشت في الدنيا)...

وفي رواية: إنه (ص) لما أخبرها: أن ولدها في الجنان رجعت وهي

(١) - راجع: الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٦، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨٠، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٩، والبدية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٧ عن مسلم وأحمد، وسنن أبيه ج ٩ ص ٩٩، والحاكم مختصراً ج ٣ ص ٤٢٦ وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٢٤ عن بعض من تقدم.

تضحك وتقول: بخ يا حارث(١).

كما أن عمير بن أبي وقاص الذي استشهد يوم بدر، حينما أراد (ص) أن يخلفه بكى (٢) فاجازه وأمثال ذلك كثير.

وتقول هند بنت عتبة لرملة بنت شيبه، وكانت من المهاجرات:

لحى الرحمان صابئة بوج ومكة أو بأطراف الحجون  
تدين لعشر قتلوا أباهما أقتل أبك جاءك باليقين(٣)  
 وأمثال ذلك كثير لا مجال لتتبعه واستقصائه...

ومن كل ما قدمناه يتجلى مدى حرص هؤلاء على الموت أو النصر،  
 وحرص أولئك على الحياة... فالمسلمون يرون الموت انتقالاً، والشهادة عطاء  
 وأولئك يرون الموت خسراناً، والموت فناء ودماراً...

وقد تحدث الله عن بني اسرائيل الذين يهتمون بالدنيا: وليس للآخرة  
 مكان في تفكيرهم، وحتى في عقائدهم، فقال: «قل: إن كانت لكم الدار  
 الآخرة عند الله خالصة، من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. ولن  
 يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم، والله عليم بالظالمين. ولتجدنهم أحرص الناس  
 على حياة، ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، وما هو بمزحزحه  
 من العذاب أن يعمر، والله بصير بما يعملون(٤)».

ومن كل ذلك يتجلى مدى حرص هؤلاء على الموت أو النصر، وحرص  
 أولئك على الحياة والسلامة...

(١) - راجع: مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٢٠٨، والبدایة والنهاية ج ٣ ص ٢٧٤ عن الشيخين،  
 وسنن البيهقي ج ٩ ص ١٦٧ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٦٥٢-٦٥٣ عنهم وعن كنز العمال ج ٥ ص  
 ٢٧٣ و ٢٧٥ وج ٧ ص ٧٦ وعن ابن سعد ج ٣ ص ٦٨.

(٢) - نسب قريش لمصعب الزبيرى ٢٦٣، والاصابة ج ٣ ص ٣٥ عن الحاكم والبغوي، وابن  
 سعد، والواقدي.

(٣) - نسب قريش لمصعب ص ١٥٦ والاصابة ج ٤ ص ٣٠٧.

(٤) - البقرة ٩٤-٩٦.

ولذلك ... احتاجت الحرب الى: أن يريهم الله في بادئ الأمر المسلمين قليلاً؛ ليتشجعوا على خوض الحرب براحة فكر واطمينان إلى السلامة والبقاء...

ثم... وبعد نشوب الحرب كان لا بد وأن يروا المسلمين كثيراً؛ فأمد الله المسلمين بالملائكة، وكثرهم بهم، والتقى في قلوب المشركين الرعب... وقد أخبر الله عن هذه المرحلة التي سوف تأتي بعد نشوب الحرب بقوله: «سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان(١)». وواضح: أن القضاء على الجبان الخائف مهما كان قوياً أيسر، وأسهل من القضاء على الضعيف المقدم، الذي لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه...

ومن هنا فقد كانت المعركة لصالح هؤلاء دون أولئك، الذين لا يمكنهم إلا أن يتجنبوا مواجهة الأبطال، وملاقات الرجال...

فالمسلمون والمشركون أنفسهم كانوا على المشركين... وهذا ما يفسر قول أمير المؤمنين عليه السلام: «مالقيت رجلاً إلا أعانني على نفسه(٢)».

وكان لإمداد المسلمين بالملائكة ناحية أخرى لا بد من ملاحظتها، فانه حين يكون من الممكن أن لا تكون درجة المعرفة واليقين قد بلغت لدى بعض المسلمين المستويات العالية... وحين يكون احتمال الانهيار لدى البعض، أو على الأقل أن يضعفوا عن مواجهة هذه النازلة... موجوداً... فان الله يلطف بالمسلمين، ويمدهم بالملائكة بشرى منه، وتثبيتاً، ويقلل المشركين في أعينهم في بادئ الأمر، ليتشجعوا على حربهم... إلى غير ذلك من أسباب النصر التي تفضل عليهم بها...

ومن هنا أيضاً... نعرف لماذا كانت القتلى في جانب المشركين أضعاف الشهداء في جانب المسلمين، وأسر من المشركين سبعون، ولم يؤسر من

(١) - الانفال ١٢.

(٢) - نهج البلاغة/الحكم رقم: ٣١٨.

المسلمين أحد... وهذه النتائج لاختصاص بيدر، وإنما تشمل كل المعارك التي كانت بين الايمان والكفر... وماحديث كربلاء عن أذهاننا ببعيد...

### دال: حقد قریش على الأنصار:

١- لقد اتضح من كلمات أبي جهل المتقدمة: أن قریشاً كانت تتعمد الحاق اكبر عدد ممكن من الخسائر في صفوف الأنصار، حتى لقد أمر أبوجهل أصحابه بأن يجزروا أهل يثرب جزراً. ولكن موقفهم بالنسبة للقرشيين كان مختلفاً، فقد طلب أبوجهل: أن يأخذوهم أخذاً، ليدخلهم مكة، ويعرفوهم ضلاتهم... ولعل موقفهم هذا من القرشيين يرجع إلى رغبتهم في الحفاظ على علاقاتهم فيما بينهم، لأن كل قرشي من المسلمين له أقارب وعشيرة في مكة، ولن يرتاح هؤلاء لقتل ابنائهم، حتى وإن كانوا يخالفونهم في العقيدة والرأي... وهذا هو المنطق القبلي الذي كان يسيطر على عقليات المشركين، ويحكم تصرفاتهم، ومواقفهم حتى في هذه الظروف الدقيقة والحرجة بالذات...

٢- وأما بالنسبة إلى أهل يثرب فقد كان الحال مختلفاً تماماً... فقد كانت مراجل حقد قریش في أشد الغليان على أهل يثرب، الذين آووا ونصروا. وقد عبر أبوجهل عن ذلك لسعد بن معاذ في فترة سابقة، وها هو يعود فيامر بجزر أهل يثرب جزراً...

ولقد استمر هذا الحقد عشرات السنين، وقد اكده وزاده حدة: معارضة الأنصار في الخلافة في قصة السقيفة، ثم كونهم إلى علي عليه السلام أميل، وقد ناصروه في حروبه، التي تزعمت قریش الجانب الآخر منها (١) حتى لقد قال معاوية في صفين لنعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلد: «ولقد غمني مالقيت من الأوس والخزرج، واضعي سيوفهم على عواتقهم، يدعون إلى النزال، حتى لقد جبنوا من أصحابي الشجاع، وحتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قيل: قتله الأنصار، أم والله لالقيتهم مجدي وحديدي (٢)»...

(١) - راجع المصنف ج ٥ ص ٤٥٦/٤٥٨ وغير ذلك.

(٢) - شرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٨٤/٨٥ وراجع ص ٨٧ و٤٤.

إلى آخر الكلام.

ويقول النعمان بن بشير، في كلام له مع الأنصار: «ثم لم ينزل خطب قط إلا هونتم عليه المصيبة (١)».

ثم كان موقف الانصار تجاه شيخ بني أمية عثمان بن عفان ومشاركتهم بشكل فعال في الثورة ضده، فزاد ذلك في حقد قريش عليهم وتمالؤها ضدهم، حتى ليقول معاوية، وإن كان ذلك لاهداف سياسية لاتحقی:

لاتحسبوا أنني انسى مصيبتته وفي البلاد من الأنصار من أحد (٢)  
وقد عمق معاوية هذا الحقدما استطاع الى ذلك سبيلاً، ثم جاء بعده يزيد فانتقم منهم في واقعة الحرة شر انتقام بعد أن قتل أهل بيت نبيهم في كربلاء...

وأخيراً... فقد روى أحمد حديث ابن عمر: الذي يقدم فيه اهل بدر من المهاجرين على أهل بدر من الأنصار (٣).

وقد تقدم جانب مما يتعلق بهذا الموضوع حين الكلام عن سر ارسال المهاجرين في السرايا في أول الأمر؛ فلاغنى لمن أراد استكمال هذا البحث عن مراجعة ذلك الموضوع...

٣- ومن الجهة الثانية... فان قريشاً تريد أن تلقن الأنصار في حرب بدر درساً لن ينسوه، حتى لايعود والمثلها من الممالة لأعداء قريش، إلى حدأنهم مكنوا للمسلمين: أن يبلغوا هذا القدر من القدرة والشوكة... حتى لقد طلب أبوجهل - الذي كان يثق أولاً بالنصر-: أن لايفلت من أيدي أهل مكة أحد من اليثريين.

(١) - شرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٨٨.

(٢) - شرح النهج ج ٨ ص ٤٤.

(٣) - مناقب الامام أحمد ص ٢٣٥.

أضف إلى ذلك كله: أن أهل المدينة كانوا قحطانيين، أما أهل مكة فعدنانيون.

### لماذا أهل بيته أولاً:

ولعل كل ما قدمناه آنفاً وسواه هو السر في تقديمه (ص) أهل بيته في الحرب؛ لتكون التضحيات منه وفي نفسه أكثر، وذلك حفاظاً على مستقبل الأنصار، وليخفف من حدة أحقاد أعدائهم عليهم، والتي سوف تؤثر في المستقبل أثرها المرير والبغيض...

### هاء: بدر... وأثرها على علي (ع) وأهل بيته:

ويلاحظ هنا: أن أكثر قتلى المشركين كانت نهايتهم على أيدي المهاجرين، ولاسيما أمير المؤمنين عليه السلام— ثم عمه حمزة—، فقد قدمنا: أن علياً (ع) قد قتل نصف السبعين وشارك في النصف الآخر...

ومن هنا نجد قریشاً لم تستطع أن تحب علياً وأهل بيته، رغم أنها تتظاهر بالاسلام، وتحاول الحصول على الامتيازات عن طريقه، ورغم النصوص القرآنية والنبوية الآمرة بحبتهم ومودتهم...

وقد أخرج الحاكم أن العباس جاء إلى رسول الله (ص)، وهو مغضب، فقال: ما شأنك؟ فقال: يا رسول الله، مالنا ولقریش؟. فقال: مالك ولهم؟ قال: يلقي بعضهم بعضاً بوجه مشرقة، فإذا لقونا لقونا بغير ذلك. قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى استدر عرق بين عينيه، فلما أسفر عنه، قال: والذي نفس محمد بيده، لا يدخل قلب امرء الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله إلخ (١)...

ولقد شكى أمير المؤمنين عليه السلام من قریش: أنهم قطعوا رحمة

(١)— مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٣٣ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، وراجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٦٩، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ عن تقدم...

ومالاً و عليه عدوه (١) — كما سنشير إليه في واقعة أحد إن شاء الله تعالى ...

وعن ابن عباس: قال عثمان لعلي: «ما ذنبي إذالم يحبك قریش، وقد قتلت منهم سبعين رجلاً كأن وجوههم سيوف الذهب (٢)».

هذا... وقد ظل الأحلاف يتحينون الفرص للأخذ بثارات بدر وأحد، وغيرهما... وقد فشلوا في حرب الجمل وصفين... إلى أن سنحت لهم الفرصة — بزعمهم — في واقعة كربلاء المشهورة، ثم ما أعقبا من ظلم واضطهاد لاهل البيت وشيعتهم...

ونجد أن يزيد الطاغية لم يستطع أن يخفي دوافعه وكفره، وأنه يريد الثأر لاشياخه في بدر، فتمثل بأبيات ابن الزبيري. واطاف إليها إنكاره الوحي والنبوة فقال:

وهو ينكت ثنايا سيد شباب أهل الجنة بالقضيب:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا: يا يزيد لاتشل
قد قتلنا القرم من أشياخهم	وعدلناه ببدر فاعتدل...
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولاوحي نزل...
لست من خندف إن لم انتقم	من بني أحمد ما كان فعل...

وليراجع مقاله قتادة لخالد القسري حول بدر (٣)... وقيادة من

اكابر محدثي البصرة، وهو مشهور ومعروف.

(١) — وإذا كانت الضربات متوجهة إلى القائد المعصوم؛ فانه يستطيع أن يتحمل، وأن يصمد، ويواجهها بالحكمة والروية وبما أوتيته من علم وعقل وصبر... أما غيره فلربما يصعب عليه تحمل الصعاب، أو اتخاذ الموقف المناسب لتجاوزها... ولأجل هذا نجد النبي (ص) كان يؤثر أن يكون علي (ع) هو المتعرض لقریش دون غيره...

(٢) — معرفة الصحابة لأبي نعيم الورق ٢٢ مخطوط في مكتبة طوب قهوسراي رقم ٤٩٧/١، ١٨، و شرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ٢٢.

(٣) — البحار ج ١٩ ص ٢٩٨-٣٠٠، وروضة الكافي ص ١١١-١١٣.



## الشهداء من الانصار

ومع أن المهاجرين كانوا يمثلون خمس أربع الجيش الاسلامي في بدر إلا أن الشهداء من المهاجرين كانوا بالنسبة إلى شهداء الأنصار بنسبة واحد إلى اقل من اثنين أو ثلاثة على اختلاف النقل، مع أن الامر كان يجب أن يكون اكثر من ذلك بكثير إذا لوحظت الكمية العددية...

### كلام هام للعلامة الطباطبائي:

وللعلامة الطباطبائي كلام هام يرتبط فيما نحن فيه، لا بأس بإيراد موجز عنه هنا، وهو:

قال تعالى: «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين، و إن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ذلك بأنهم قوم لا يفقهون.

الآن خفف الله عنكم، وعلم أن فيكم ضعفاً؛ فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين، و إن يكن منكم الف يغلبوا ألفين باذن الله، والله مع الصابرين... ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يتخن في الارض، تريدون عرض الدنيا، والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم(١)».

فعلل تعالى غلبة العشرين على المئتين بأن المئتين لا يفقهون، أي ولأن العشرين يفقهون.

وذلك لأن المؤمنين إنما يقدمون عن ايمان بالله تعالى، وهذا الايمان قوة لا تدانيها قوة؛ لانه قائم على الفقه الصحيح، الموجب لتحليلهم بكل السجايا الفاضلة، كالشجاعة والشهامة، والجرأة، والاستقامة، والوقار، والطمأنينة، والثقة به تعالى، واليقين بانه مقدم على احدى الحسينين: النصر

الصحيح في سيرة النبي ج ٣  
أوالشهادة. وبأن الموت ليس فناء كما يعتقد الكفار، وإنما هو السعادة،  
والانتقال إلى دارالبقاء...

أما الكفار: فيعتمدون على تسويل الشيطان، وهوى النفس...  
ولا تثبت النفس على هواها الى حد تقبل الموت الا فيما ندر...

ففقهاء المؤمنين، ومعه العلم والايان، هو السر في انتصارهم في بدر، وجهل  
الكفار ومعه الكفر والهوى هو الموجب لانهم...  
...

وأما بعد ذلك ... وحيث زاد عدد المسلمين. فقد ضعفوا في القوة  
الروحية، بسبب قلة نسبة الفقه المشار إليه في الآية الاولى بقوله تعالى: «ذلك  
بأنهم قوم لا يفقهون» وقلة الصبر المشار إليه في الآية الثانية بقوله تعالى: «والله  
مع الصابرين».

وسبب هذا الضعف هو: أن كل جماعة أو فئة تسعى للوصول إلى  
هدف حيوي: دنيوياً كان أو دينياً. فانها في بادئ الأمر تشعر بالمواع وتواجه  
المحن التي ترى أنها تهدد وجودها وبنيتها، فتستيقظ همها الدافعة للجهاد في  
سبيل هدفها المشروع عندها، وهون عليها بذل أنفسها وأموالها في سبيله...

فاذا جاهدت وتقدمت نحو غاياتها، وصفالها الجوبعض الصفاء، وكثر  
جمعها، فانها تبدأ بالاستفادة من نتائج تضحياتها، وتتنعم وترتاح وتطمئن لجنى  
ثمرات ما بذلته وقدمته...

وتبدأ قواها الروحية المحركة بالخمود...

وواضح: أنه مهما قلت أفراد تلك الجماعة، أو ذلك المجتمع، فانهم  
ولاشك يكونون متفاوتين في درجات ايمانهم بهدفهم، وفي مستوى تفكيرهم  
ووعيمهم. وفي سجايهم بشكل عام... وكلما كثر افراده كلما زاد فيهم ضعفاء  
الإيمان والمنافقون، والذين في قلوبهم مرض، ويتدنى مستوى القوى الروحية في  
متوسط الأفراد عموماً...

وقد اثبتت التجربة... أنه كلما قلت أفراد الجماعة وقوي خصومها

ومنا فسوها؛ وأحاطت بها المحن والفتن، فانها تكون اكثر نشاطاً في العمل،  
وأحد في الأثر...

وكلما كثر افرادها، فانها تصير اكثر خموداً، وأقل تيقظاً، وأسفه حليماً...  
وغزوات النبي (ص) خير شاهد على ما نقول. فليقارن بين عدة وعدد،  
وظروف وحالة المسلمين في غزوة بدر... وبين عدتهم وعدددهم، وظروفهم في  
غيرها، وليلاحظ بين نتائجها، ونتائج غيرها، كأحد، والخندق، وخيبر،  
وحنين، وهي أقساها، حتى لقد قال تعالى: «و يوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم  
فلم تغن عنكم شيئاً، وضائق عليكم الارض بما رحبت، ثم وليتم مدبرين...  
الآيات (١)».

وهكذا... فانه يتضح مفاد الآيات التي نحن بصدددها ولربما يشير إلى  
ذلك أيضاً الآية الثالثة المتقدمة التي اشارت إلى أنهم رغبوا في الاسرى لأنهم  
يريدون عرض الدنيا...

هذا... وإذا كانت الآيتان الأوليان متضمنتين لبيان طبع القوى  
الروحية في زمانين مختلفين، فلا مانع من نزول الآيتين دفعة واحدة، فان وجود  
حكيمين مختلفين في زمانين لا يوجب نزول الآية المتضمنة لاحدهما في زمان  
والمتضمنة للآخر في زمان آخر. إذا كان ذلك الحكم حكماً طبيعياً وليس  
حكماً تكليفاً...

ثم ذكر أيده الله: أن ظاهر التعليل في الآية الاولى بالفقه، وفي الثانية  
بالصبر مع كون المقاتل مؤمناً في الآيتين، يدل على أن الصبر يرحج الواحد في  
قوة الروح على مثليه، والفقه يرحجه على خمسة أمثاله... فاذا اجتمعا في واحد  
ترجح على عشرة أمثال نفسه (٢) والصبر لا يفارق الفقه وان جاز العكس (٣).

(١) - التوبة الآية ٢٥.

(٢) - مقتضى كلامه: أنها لو اجتمعا رجح على سبعة أمثال نفسه... ولكن ظاهر الآيتين: أن  
الفقه يرحجه على عشرة أمثال نفسه، لأن بالفقه يحصل الصبر، وسائر السجاياء... والصبر يرحجه  
على مثليه...

(٣) - راجع: الميزان للعلامة الطباطبائي ج ٩ ص ١٢٢-١٢٥.



## الفصل الثالث

الغنائم والاسرى



## قسمة الغنائم:

وغنم المسلمون من المشركين مئة وخمسين من الابل، وعشرة أفراس، وعند ابن الأثير: ثلاثين فرساً، ومتاعاً وسلاحاً، وانطاعاً، وادماً كثيراً (١).

واختلف المسلمون في هذه الغنائم: هل تختص بالمهاجرين، أو تتعداهم إلى من كان خلفهم من الجيش يقوم بمهمات أخرى... فأرجأ النبي (ص) تقسيم الغنائم بسبب هذا الخلاف وجمع الغنائم، وسلمها لعبدالله بن كعب، وأمرهم بمعاونته في حملها وحفظها، ونزل قوله تعالى - كما يقال -:

«يسألونك عن الانفال، قل: الانفال لله وللرسول؛ فاتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين (٢)»...

هذا... ولم يقسم رسول الله (ص) الغنائم إلا وهو في طريقة إلى المدينة، وذلك من أجل أن تخف حدة الخلاف فيما بين أصحابه، وتعود إليهم حالتهم الطبيعية، بعيداً عن نزوات آمالهم الدنيوية...

فقسمها بينهم آنئذٍ، ولم يخرج منها الخمس...

---

(١) - راجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ١٠٢ و ١٠٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٣ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١١٨.

(٢) - الانفال الآية ١.

## النبي (ص) لم يأخذ الخمس في بدر:

وأما لماذا لم يأخذ النبي (ص) الخمس من غنائم بدر؟

فيمكن أن يكون لأجل أن آية الخمس لم تكن قد نزلت بعد، مما يعني: أن تشريع الخمس قد تأخر عن غزوة بدر... ونجد هنا من يقول: إن أول خمس خمسة كان في غزوة بني قينقاع (١).

ولكننا لانستطيع أن نظمن إلى صحة ذلك ؛ وذلك لأن بعض النصوص تفيد: أن أول خمس أخذه (ص) كان في سرية عبدالله بن جحش أي قبل بدر بأشهر...

بل نجد أن ابن عساكر يذكر في حديث مناشدة علي عليه السلام لأصحاب الشورى قوله: «نشدتكم بالله، أفيكم أحد كان يأخذ الخمس مع النبي (ص) قبل أن يؤمن أحد من قرابته غيري وغير فاطمة؟. قالوا: اللهم لا (٢)».

فهذا النص يدل على أن تشريع الخمس كان في مكة في بدء الدعوة، وحتى قبل أن يسلم أحد من أهل بيته...

ولكن في هذا النص اشكال، وهو أن جعفرأ قد اسلم في بدء الدعوة أيضاً وحمزة قد اسلم في حدود السنة الرابعة أو الخامسة، وكذلك أبوطالب... أي قبل ولادة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها...

ويمكن أن يجاب عن ذلك:

أولاً: إن أباطالب لم يكن ثمة بحاجة للمال... وكذلك النبي (ص)

(١) - الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢١١.

(٢) - ترجمة الامام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ٩٠ وراجع ص ٩٥ وراجع مناقب الخوارزمي ص ٢٢٥، وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٢٢. وفي هامش ترجمة الامام علي ج ٣ ص ٨٨/٨٩ مصادر كثيرة لحديث المناشدة.



وخديجة... وقد كانوا في الشعب ينفقون من أموال خديجة وأبي طالب كما تقدم...

وأما جعفر... فلم يعلم: أنه كان يستحق من الخمس، فلعله كان ملياً من المال... وكذا حمزة...

وثانياً: يمكن أن يكون الخمس قد شرع في بدء البعثة، وقبل أن يسلم أحد، من أهل بيته (ص) فخمست خديجة أموالها؛ فنال علياً من ذلك ماناله... وبعد أن ولدت فاطمة... صارت تشاطر علياً في الخمس...

ولا يلزم من ذلك النص أن تكون فاطمة قد ولدت في أول البعثة، أو قبلها، كما ربما يتوهم...

ويمكن أن يكون (ص) لم يأخذ الخمس في بدر، لأنه أراد— باذن من الله، وسماحة من نفسه، ومن أولى القربى—: أن يعطي المحاربين سهاماً أوفر، تأليفاً لهم وترغيباً، خصوصاً وانها أول حرب يخوضونها ضد المشركين... ولا سيما بعد أن رأى حرصهم على الحصول على المال في هذه المناسبة بالذات، كما أشرنا إليه، ويتضح ذلك أكثر حين الحديث عن الاسرى...

### النبي يرث الخمس على أصحابه باستمرار:

بل يقولون: إنه (ص) لم يأخذ الخمس من الغنائم مطلقاً، بل كان يرثه على أصحابه، فقد جاء.

١— في قصة حنين: «ثم تناول (أي النبي (ص)) من الارض وبرة من بعير، أو شيئاً، ثم قال: والذي نفسي بيده، مالي مما أفاء الله عليكم ولا مثل هذه إلا الخمس، وهو مردود عليكم (١)».

٢— وعن ابراهيم بن عطاء، عن أبيه: أن زياداً، أو ابن زياد، بعث عمر ان بن حصين (رض) ساعياً؛ فجاء ولم يرجع معه درهم. فقال له: أين

المال؟ قال: وللمال أرسلتني؟ أخذناها كما كنا نأخذها على عهد رسول الله (ص)، ووضعناها في الموضع الذي كنا نضعها على عهد رسول الله (ص)... قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح (١)...

ولا يريد: أنه كيف يكون هذا صحيحاً، ونحن نعلم: أنه (ص) قد أعطى فاطمة بعض قلاع خيبر من الخمس... فان النبي (ص) كان يقسم الخمس على أصحابه ومستحقه من أهل بيته، ومنهم فاطمة ولا يأخذ هو منه شيئاً...

ولا يعني ذلك: أن الخمس ليس حقاً وملكاً لأهل البيت... بل هو ملك لهم، ولكن النبي (ص) كان يوزعه على أصحابه معونة لهم، ورفقاً بهم وعطفاً عليهم...

وهذا... وإن كان غير مختص بالخمس... إلا أنه يدل على أن السعاة الذين كان يرسلهم (ص) كانوا مفوضين بتقسيم المال على فقراء البلد، مهما كان ذلك المال كميةً، أو نوعاً وجهةً...

٣— كما أن عمير بن سعد، قد فعل مثل ما فعل عمران بن حصين، فسأله أوفعاتبه عمر بن الخطاب. فأنكر عليه عمير أن يسأله عن ذلك. ثم أخبره أنه قد وضعه مواضعه، ولو قد نال عمر منه شيئاً لأتاه به. فقال عمر: فاجئتنا بشيء؟ قال: لا (٢).

نعم... هذا كان حال النبي (ص) معهم... ولكن غير النبي (ص) قد استأثر بالفئ، ومنعه أهله... بل حرم ورثة النبي (ص) من ميراثه...

وعلى كل حال... فلو قيل — على سبيل الاستبعاد —: ومتى اخذ النبي (ص) خمس الأرباح وسائر الاموال، والذي تلتزم به الشيعة؟ قيل لهم:

(١) — مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٧١، وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٨١ عنه.

(٢) — راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٨٢، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٧، وحياة الصحابة ج ٢ ص ١٤٦ عنها وعن: كنز العمال ج ٧ ص ٧٩ عن ابن عساکر...

ومتى أخذ(ص) خمس الغنائم الذي لا تلتزمون بسواه؟!... فانه كان يرده عليهم، ولا يأخذ منه مقدار وبرة...

وأخيراً... فان من المناسب أن نتكلم حول تشريع الخمس في الأرباح والأموال. وذلك في فصل مستقل سيأتي إن شاء الله، بعد تمام الكلام على وقعة بدر في فصل: «بحوث تسبق السيرة». إن شاء الله تعالى، فإلى هناك ...

### اكتفاء الناس في عهد علي عليه السلام:

أخرج أبو عبيد و غيره: «أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان. فقال: أغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فقسّم الحبال، فأخذها قوم، وردها قوم فأكرههم على أخذها(١)».

وهذا يعني: أن الناس قد وصلوا في عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى درجة الكفاية، حتى إنهم ليردّون العطاء.

وكيف لا يصلون الى هذه الدرجة، وأمير المؤمنين(ع) هو الذي يقول: «أنا أهنت الدنيا(٢)».

وسيرته في بيت مال المسلمين أشهر من ان تحتاج إلى بيان؟!...

بينما نجد في عهد غيره: أن البعض ربما لا يجد ما يستربه نفسه سوى رقعتين، يجمع احدهما على فرجه، والأخرى على دبره، فكان يدعى: ذا الرقعتين(٣).

(١) - الأموال لابي عبيد ص ٣٨٤، وكنز العمال ج ٤ ص ٣٧٨، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٣٦ وترجمة الامام علي(ع) من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ١٨١ وانساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٣٢.

(٢) - البداية والنهاية ج ٨ ص ٥ عن البغوى، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣١٠.

(٣) - مصنف عبدالرزاق ج ٦ ص ٢٦٧ وراجع ٢٦٨، وسنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٩.

## ملاحظة هامة: الخمس... والطبقية:

ويمكن أن يرد سؤال: هل صحيح ان تشريع الخمس لآل الرسول معناه تبني مبدأ الطبقة، والالتزام به؟! وكذلك فهو يعني القبول بمبدأ التمييز العنصري، كما يحلو للبعض أن يقول؟.

والجواب: لا... فان هذا الذي يعطى لهؤلاء لا يعني سوى سد حاجتهم المادية— بعد ان حرمت عليهم الزكاة— كما كانت الزكاة لسد الحاجة المادية لغيرهم، من دون أن تعطي لذلك الغير أي امتياز

نعم... في اعطاء هذا الخمس لهؤلاء تكريم للنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وتأكيد على قدسيته ومكانته في نفوس الناس، مع عدم الانتقاص من حق ولا من مكانة أحد... الأمر الذي يعطي للناس زخماً عقيدياً، ومن ثم سلوكياً تحتاج إليه الأمة... ويلاحظ اهتمام القرآن في هذا الأمر في غير مورد، كقوله تعالى: يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض... (الحجرات ٢٢)، كما انه تعالى قد امرهم بالصلاة والتسليم عليه...

كما أن هذا الاعطاء ليس بلا حدود، ولا قيود: بحيث لا بد وأن تتكسد الأموال عند طائفة معينة، مع حاجة الآخرين إليها... فلا يعطى لكلٍ إلا بمقدار مؤونة سنته وما يرفع حاجته، كما في الروايات والفتاوى... كما أن أمر جميع الخمس: سهم الامام والسادة معاً بيد الامام، أو المجتهد... ولكننا نجد: أنه يمكن اعطاء مبالغ ضخمة من الزكاة لمستحقها؛ بحيث ينتقلون من الفقر إلى الغنى دفعة واحدة...

ومن جهة ثانية... فان الخمس— إلى جانب امور اخرى— قد ساهم مساهمة فعالة في حفظ الدين على مدى التاريخ... فهو الذي حفظ ارتباط الناس بالمرجعية الدينية، وساهم في بعث الثقة، المتبادلة فيما بينهم، وساعد الناس على التغلب على آثار إهمال، واضطهاد الحكام لهم، وسد الكثير من حاجاتهم، وساهم في إنشاء المؤسسات التي تخدم المجتمع، وترفع من مستواه

روحياً، ومادياً وفكرياً... وجعل بإمكان القيادة الدينية، وكذلك القاعدة الشعبية: أن تعيش حرة في تفكيرها، وفي مواقفها، من دون ارتباط بالحاكم الجائر، أو خضوع له، ولم يعد بإمكانه أن يمارس ضدهم أي ضغط يروونه في غير صالح الدين، ولا أن يستعملهم أداة لتحقيق مآربه، والوصول إلى غاياته... فهم لا يستمدون مكانتهم واعتبارهم، ولا لقمة عيشهم منه، ولا يفترض عليهم أي ارتباط به، إلا في حدود الروابط العقيدية والدينية...

ومن هنا نعرف مدى تأثير الخمس في نجاح الثورة الاسلامية الايرانية، بقيادة زعيمها آية الله العظمى، والقائد الديني: السيد روح الله الموسوي الخميني أطال الله عمره، ونصره على أعدائه بحق محمد وآله الطاهرين— بالإضافة إلى العوامل الأخرى التي ساهمت أيضاً في هذا النجاح...

ومن جهة ثالثة... فإنه من أجل حفظ هذا الدين... ومن أجل أن تبقى فئة تشعر بانها مسؤولة عن الدفاع عن هذا الدين، والمحاماة عنه... فإن من الطبيعي أن يكون أقرب الفئات إلى الشعور بهذه المسؤولية الكبرى هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدافع من الشعور الطبيعي... ويزيد هذا الشعور ويزكيه، ويجعلهم أكثر اندفاعاً إلى التصحية في سبيله جعل هذا الخمس؛ بمثابة ضمانة لهم، ولعوائلهم، ووسيلة لتلبية حاجاتهم، التي تفرضها مسؤولياتهم تلك...

وإنه إذا كانت الوهابية، وهي من اسخف العقائد، قد استطاعت بفضل هذه العصبية أن تفرض وجودها، وتحتفظ ببقائها؛ حيث وجدت من يعتبرون أن وجودهم مرهون بوجودها— وهم آل سعود— ورأوا أن العصبية لها والحفاظ عليها مما لا بد منه في بقاء ملكهم وسلطانهم...

إنه إذا كان كذلك... فإن العقيدة الحققة، تكون أولى بتدبير إلهي كهذا، يحفظ وجودها، ويساعد على بقائها... ويخفف من الاخطار الجسام

التي سوف تواجهها... وقد رأينا: أن المذاهب التي لم يرض عنها الحكام، حينها ووجهت بأدنى مقاومة أو معارضة كان مصيرها التلاشي والاندثار، لعدم وجود ضمانات بقاء لها— أما مذهب أهل البيت، الذي هو رسالة الله الصافية ففيه الكثير من الضمانات التشريعية... التي تساعد على استمراره وبقائه في وجه أعتى القوى الظالمة، والحاقدة ولو استمر الاضطهاد له ولا تباعه القرون والقرون، كما قد كان ذلك بالفعل...

وليكن ذلك هو أحد الأدلة على عظمة هذا الدين، وعلى شمولية وصفاء الاسلام الحنيف...

### بعض المتخلفين... وغنائم بدر:

الف: طلحة، وسعيد بن زيد:

ويقولون هنا: إن طلحة وسعيد بن زيد لم يحضرا بدرأ، وذلك لأن رسول الله (ص) قد ارسلهما ليتجسسا له خبر العير؛ فرجعا إلى المدينة بعد خروجه (ص) إلى بدر، فخرجا إليها، فوجداه قد عاد منها... فضرب لهما النبي (ص) بسهميهما من الغنائم (١).

ولكن ذلك لا يصح. وذلك:

١— إننا نجد نصاً آخر يقول: إنها كانا في تجارة للشام، فقدا بعد رجوعه (ص) من غزوة بدر، فضرب لهما (ص) بسهميهما بعد رجوعهما (٢).

ولكن يرد سؤال: لماذا يضرب لهما بسهميهما دون سائر من تخلف؟! وهل لمن لا يحضر غزاةً حق في غنائم تلك الغزاة شرعاً؟!...

(١) — راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧ و ١٨٥ وغيره...

(٢) — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٣٩، ٣٤٠ والتنبيه والاشراف ص ٢٠٥، ولكنه ذكره بلفظ قيل. والاصابة ج ٢ ص ٢٢٩، والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٢١٩.

و إذا كان النبي (ص) يتسامح مع المسلمين في الاموال؛ فانما كان يتسامح مع من حضر الحرب دون من لم يحضر.

٢- إن السيوطي - تبعاً لغيره - لا يقرّ بهذه الفضيلة لهما، بل ينكرها على كل من عدا عثمان، فهو يقول: «وضرب لعثمان يوم بدر، ولم يضرب لأحد غاب غيره، رواه أبوداود عن ابن عمر، قال الخطابي: هذا خاص بعثمان، لأنه كان يمرض ابنة رسول الله (ص) (١)»... .

٣- لقد جاء في حديث مناشدة علي عليه السلام لأصحاب الشورى - وفيهم طلحة - قوله: «أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر، وسهم في الغائب؟ قالوا: لا (٢)».

باء: عثمان بن عفان:

ويقولون: إن الرسول (ص) قد اسهم لعثمان بن عفان في غنائم بدر، لأن الرسول (ص) قد أمره بالتخلف ليمرض زوجته رقية بنت رسول الله (ص)، فضرب له (ص) بسهمه وأجره، وعدّوه من جملة البدرين (٣)...

ونحن لانصدق ذلك ، وذلك لمايلي:

١- ماتقدم من مناشدة علي عليه السلام لأصحاب الشورى، وفيهم عثمان...

٢- إن ثمة رواية اخرى تقول: إنه تخلف عن بدر، لانه كان مريضاً بالجدري (٤)، فأى الروايتين نصدق؟!

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٥ .

(٢) - ترجمة الامام علي من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمدي ج ٣ ص ٩٣، واللاكي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٢ .

(٣) - راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٦/١٤٧ و ١٨٥ وأي كتاب تاريخي آخر.

(٤) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٥ و ١٤٦ .

٣— إن بعض نصوص رواية عثمان تذكر أن النبي (ص) قد خلف أسامة بن زيد مع عثمان لأجل رقية.. وأنه—يعني أسامة— كان له دور من نوع معين حينما جاء الخبر بانتصار المسلمين في بدر.. مع أن أسامة لم يكن له من العمر حينئذٍ أكثر من عشر سنين!!...

٤— إننا نجد: أن عبدالرحمان بن عوف يعير عثمان بتخلفه عن بدر، فقد لقي الوليد بن عقبة؛ فقال له الوليد: ما لي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟! فقال له عبدالرحمان: أبلغه: أني لم أفر يوم عينين—قال عاصم: يقول: يوم أحد— ولم أتخلف يوم بدر.. ولم أترك سنة عمر... فخير الوليد عثمان... فيقولون: إنه اعتذر عن تخلفه يوم بدر بتمر يرضه رقية (١)...

وبمثل ذلك اعتذر ابن عمر— كما يقولون— لذلك الذي كان يعترض على عثمان بمثل ذلك (٢)...

ولكن ما ذكر من الاعتذار لا يجدي؛ إذ كيف خفي هذا العذر على صحابي كبير، كعبدالرحمان بن عوف، ثم على ذلك الرجل الطاعن على عثمان؟!.

وإذا كان قد ضرب له بسهمه وأجره؛ فهذه فضيلة كبرى، لا يمكن أن تخفى على ابن عوف الذي كان حاضراً في بدر واحداً، ولا سيما وأن النبي (ص) كان قد آخى بين عبدالرحمان وعثمان في قضية المؤاخاة فكيف يعيره عبدالرحمان بما هو فضيلة له، وهو الذي زف له الخلافة، وآثره بها على سيد وخير الأمة بعد نبيها أمير المؤمنين عليه السلام؟!...

(١)— مسند أحمد ج ١ ص ٦٨ وراجع ٧٥ والأوائل ج ١ ص ٣٠٦/٣٠٥ ومحاضرات الادباء للراغب المجلد الثاني ص ١٨٤ والدر المنثور ج ٢ ص ٨٩ عن أحمد، وابن المنذر والبدية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٧. وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٢/٢١، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٧٨، والغدير ج ٩ ص ٣٢٧ وج ١٠ ص ٧٢ عن أحمد وابن كثير والرياض النضرة ج ٢ ص ٩٧.

(٢)— مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٩٨، والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٦٢٩ ومسند أحمد ج ٢ ص ١٠١ والبدية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٧ عن البخاري والغدير ج ١٠ ص ٧١ عن الحاكم وص ٧٠ عن أحمد وعن صحيح البخاري ج ٦ ص ١٢٢.



... أم أنهم قد افتروا عليه في ذلك، وطعنوا عليه بما كان الاجدر بهم أن يتمدحوه عليه؟! ...

وابن مسعود أيضاً حينما أشخصه عثمان من الكوفة، وقدم المدينة، وعثمان يخطب على منبر رسول الله (ص)، فلما رآه عثمان قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دويبة سوء، من يمشي على طعامه يقيء و يسلمح.

فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكن صاحب رسول الله (ص) يوم بدر، ويوم بيعة الرضوان (١) فهو يعرض، بعثمان الذي تغيب عن هذين المواطنين...

وكذلك فقد دخل على سالم بن عبد الله رجل، فطعن على عثمان بمثل ماتقدم من عبدالرحمان بن عوف، ومن ذلك الرجل مع ابن عمر (٢).

هـ — وأخيراً... فاننا نستبعد أن يكون (ص) قد خلفه على ابنته ليرضاها... فان الظاهر: أن عثمان لم يكن مهتماً كثيراً لحال رقية، ولا لمرضاها... وهو الذي قارف ليلة وفاتها — ومنعه رسول الله (ص) من النزول في قبرها كما سيأتي في بحث وفاة رقية إن شاء الله تعالى...

ونرجح: أنه تخلف عن بدر في جملة من كرهوا الخروج مع النبي (ص)... كما تقدم في أول الحديث عن بدر.

## الغارات على الفضائل:

ولا أدري... فان ثمة رواية تقول:

إن أبا أمامة بن ثعلبة كان قد اجمع الخروج إلى بدر، وكانت أمه مريضة، فأمره النبي (ص) بالمقام على أمه، وضرب له بأجره وسهمه،

(١) — انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٦، والغدير ج ٩ ص ٣ عنه و ص ٤ عن الواقدي.

(٢) — الغدير ج ١٠ ص ٧٠ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٩٤.

فرجع (ص) من بدر، وقد توفيت، فصلى رسول الله (ص) على قبرها (١).

فترى أنه لافرق بين هذه الرواية، وماروي بالنسبة لعثمان... فأبي الروائتين قد حرفت وغيرت الشخصيات فيها لصالح الآخرين؟!..

وإننا بعد أن قدمنا ما في رواية عثمان من الاشكال... وبعد أن كان ثمة جهازيتهم في وضع الفضائل لشيخ بنى أمية، حتى ليكتب معاوية الى الافاق في ذلك... فاننا نرجح أن رواية أبي أمامة هي التي أغار محترفو التحريف والتزوير عليها، ليعوضوا عثمان عما فاته من شرف حضور حرب بدر... .

ولكن يبقى أن اعطاء النبي (ص) سهما من الغنائم لغير علي ينافيه حديث المناشدة السابق. إلا أن يقال: إن النبي (ص) قد اعطاه من الخمس الذي كان يرده عليهم، كما قد منا... .

### قتل اسيرين:

وقد أسر من المشركين سبعون كما تقدم، وتحرك (ص) نحو المدينة، فلما بلغ الصفراء أمر أمير المؤمنين علياً عليه السلام بأن يضرب عنق أسيرين هما: عقبة بن أبي معيط، ذوالسوابق السيئة المعروفة مع المسلمين والنبي (ص) في مكة، والنضربن الحارث (٢)، الذي كان يعذب المسلمين في مكة... .

فقال عقبة: يا محمد، ناشدتك الله والرحم. فقال له (ص): وهل انت إلا عالج من أهل صفورية؟. وفي نص آخر: أنه (ص) قال له: وأنت من قريش؟ ما أنت إلا عالج— أوهودي— من أهل صفورية، لانت في الميلاد اكبر من أبيك الذي تدعى له، حنّ قدح ليس منها، قدمه ياعلي، فاضرب

(١) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧، وراجع: الاصابة ج ٤ ص ٩ عن أبي أحمد الحاكم، والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٤، وأسداً الغابة ج ٥ ص ١٣٩.

(٢) — وقد نص على أن علياً هو الذي ضرب عنق النضربن الحارث في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٨ عن الزهري وغيره.

عنقه، فقدمه علي فضرب عنقه (١).

وفي رواية: أن عقبة قال أيضاً: يا محمد، من للصبية؟ قال:  
النار (٢).

وعند السهيلي: إن الذي قال: حن قدح ليس منها، هو عمر بن  
الخطاب (٣).

وقد كان لعقبة هذا موقف سيئ تجاه رسول الله (ص) قبل الهجرة؛  
فأوعده رسول الله (ص) إن هو وجده خارجاً من جبال مكة، أن يضرب عنقه  
صبراً (٤). وهكذا كان...

و يلاحظ هنا:

**الف: نسب عقبة:**

إن سر قول النبي (ص) له: انه عالج من أهل صفورية، هو أنهم يقولون  
إن أمية جد أبيه كان في صفورية، فوقع على أمة يهودية لها زوج، فولدت أبا  
عمرو—وهو ذكوان—على فراش اليهودي، لكن أمية استلحقه بنفسه بحكم  
الجاهلية... وقيل: كان ذكوان عبداً لامية، فتبناه. فلما مات أمية خلف  
ذكوان على زوجته. وعند السهيلي: يقال: كان أمية قد ساعى أمة، أو بغت له  
أمة فحملت بأبي عمرو فاستلحقه بحكم الجاهلية (٥).

(١) — راجع: الروض الانف ج ٣ ص ٦٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٧ و ١٨٦ والبحار ج ١٩ ص ٢٦٠  
و ٣٤٧ ومصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٢٠٥، وتفسير القمي ج ١ ص ١٦٩ والواقدي، وذكر ابن  
هشام في سيرته ج ٢ ص ٢٩٨، قتل علي له، بلفظ: قيل.

(٢) — مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٢٠٥ و ٣٥٢ و ٣٥٦، وربع الابراج ج ١ ص ١٨٧ والكامل  
لابن الاثير ج ٢ ص ١٣١، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٨.

(٣) — الروض الانف ج ٣ ص ٦٥.

(٤) — راجع: الغدير ج ٨ ص ٢٧٣ و ٢٧٤ عن ابن مردويه، وإبي نعم في الدلائل باسناد صححه  
السيوطي.

(٥) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧، وراجع: الروض الانف ج ٣ ص ٦٥.

قال الفضل بن العباس، مجيباً الوليد بن عقبة بن أبي معيط على أبيات

له:

أتطلب ثاراً لست منه ولاله واين ابن ذكوان الصفوري من عمرو  
كما اتصلت بنت الحمار بأمرها وتنسى أباهما إذ تسامى أولي الفخر (١)

وسأل معاوية دغفلاً النسابة— وكان كبير السن— عن أمية جده،  
فقال: نعم، رأيته أخفش أزرق دميماً، يقوده عبده ذكوان. فقال: ويحك،  
كف؛ فقد جاء غير ما ذكرت. ذلك ابنه. فقال: انتم تقولون ذلك (٢).

ولكن ماجاء في تفسير القمي، من قوله (ص) له: لأنت في الميلاد  
أكبر من أبيك... يدل على أن عقبة كان من نطفة رجل آخر... وذلك الرجل  
من أهل صفورية. وأنه كان ينسب إلى أبي معيط زوراً وكذباً...

وقد قال الامام الحسن عليه السلام، مثل كلمة الرسول (ص)  
للوليد بن عقبة، فراجع (٣).

ويقول الزمخشري: «إن أبا معيط نفسه كان علجاً من أهل  
صفورية، ومن الاردن، قدم به أبو عمرو بن أمية بن عبد شمس؛  
فادعاه (٤)».

### النار للصبية:

ونجد أنه (ص) قد حكم بالنار للصبية، الذين منهم الوليد الفاسق،  
الذي كان والياً لعثمان على الكوفة؛ فشرب الخمر، وزادهم في الصلاة وهو  
سكران!!! وهو من الصحابة!!!... فليتأمل إذن... في دعوى البعض  
عدالة كل صحابي، وليراجع مقالنا حول عدالة الصحابة في كتاب دراسات

(١) - الغدير ج ٩ ص ١٥٥ عن الطبري ج ٥ ص ١٥١.

(٢) - الروض الانف ج ٣ ص ٦٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٧.

(٣) - شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٢٩٣ عن الزبير بن بكار في كتاب المفارحات.

(٤) - ربيع الابراج ج ١ ص ١٧٨.

ومحوث في التاريخ والاسلام...

و يعتبر قول النبي(ص) هذا عن الصبية بمثابة إخبار عن الغيب الذي أطلع الله عليه، وعرفه أن ليس في أولئك الصبية أحد يستحق الكرامة والنعمى... ولكن قد شاءت السياسة والعصبية تحكيم هؤلاء الصبية في أموال الناس واعراضهم ودمائهم، وجعلهم مصدراً للأمور، والمخططين للسياسة في الخلافة المغتصبة من أصحابها الشرعيين... ثم احتلوا مكاناً عظيماً في عقائد الناس؛ فيجب حسب زعمهم: ان نعتقد بعدالة هؤلاء، مهما اجترحوا من السيئات وكانوا من الآثمين!!.

جيم: لماذا الطعن في نسب عقبة؟!:

وإنما قال له النبي(ص): إنما أنت عالج من أهل صفورية، أو نحو ذلك — مع أنه (ص) لم يكن سبباً ولا فاحشاً، ولا متفحشاً؛ ليعلم الناس عدم صحة تقرب ابنائه من بعده بالهيئة الحاكمة، التي سوف توليهم جلائل الاعمال، على أساس هذه القرى المدعاة، وليجعلوا من ثم مال الله دولاً، وعباده خولاً، وليكونوا مصدراً للفتن والمؤامرات، كما كان الحال بالنسبة للوليد الفاسق، وغيره من ولاة ومقربي الهيئة الحاكمة باسم الدين... والاسلام... وليس حكمها إلا حكم القبيلة والعشيرة، وحكم الجاهلية بالتعبير الأدق والأوفى...

دال: انكار قتل النضر بن الحارث في بدر:

ويذكر ابن سلام: أن ابن جعدبة كان ينكر قتل ابي عزة الجمحي صبراً. و: «كان ينكر قتل النضر بن الحارث في يوم بدر صبراً، فقال: أصابته جراحة؛ فارتث منها، وكان شديد المداوة، فقال: لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً مادمت في أيديهم، فمات. فأخبرت أبي سلاماً بقول ابن جعدبة في أبي عزة، فقال: قد قيل: إن النبي(ص) لم يقتل أحداً صبراً إلا عقبة بن أبي معيط يوم بدر(١)».

ولكن هذا يخالف ما هو ثابت عن المؤرخين، ولا نرى داعياً للوضع والاختلاق فيه. ولذا... فلانرى للعدول عن النصوص التاريخية الثابتة مبرراً ولا مجالاً...

### مصير الباقين من الأسرى:

ولما رأى الأنصار: ماجرى للنضر ولعقبة، خافوا أن يقتل (ص) جميع الأسارى، فقالوا: يا رسول الله، قتلنا سبعين، وهم قومك وأسرتك، أجبنا أصلهم؟. هبهم لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء وأطلقهم...

وكان أبو بكر يرجح أخذ الفداء أيضاً، وقال: أهلك، وقومك، إستان بهم، واستبقهم، وخذ فدية تكون لناقوة على الكفار... أو قال: هؤلاء بنوا العم، والعشيرة، والاخوان...

فكره النبي (ص) أخذ الفداء حتى رأى ذلك سعد بن معاذ في وجهه، فقال: يا رسول الله، هذه أول حرب لقينا فيها المشركين، والاثخان في القتل أحب إلينا من استبقاء الرجال.

وقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك، فقد مهمم، واضرب أعناقهم، ومكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكني من فلان أضرب عنقه، ومكن حزة من العباس فيضرب عنقه، فان هؤلاء أئمة الكفر...

ونزل في هذه المناسبة قوله تعالى: «ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا، والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (١)».

ولما رأى النبي (ص) اصرارهم على أخذ الفداء أخبرهم: أن أخذ الفداء سوف تكون عاقبته هو أن يقتل من المسلمين بعدد الأسرى، فقبلوا ذلك، وتحقق ما أوعدهم به في واقعة أحد، كما سنرى (٢)...

(١) - الانفال ٦٧/٦٨.

(٢) - راجع هذه النصوص في المصادر التالية، وإن كان كثير منها يذكر انه (ص) قد مال الى قول



وتقرر الأمر على الفداء، وجعل فداء كل أسير من ألف إلى أربعة آلاف، وصارت قریش تبعث بالفداء أولاً بأول. وأعطى (ص) كل رجل من أصحابه الأسير الذي أسر، فكان هو يفاديه بنفسه (١).

وفي بعض النصوص: أن سهيل بن عمرو جاء بفداء أسرى بدر، فطلب منه (ص) أن يخبره بما تريد قریش في غزوه (٢).

هذا... ما نظمنا إلى صحته من النصوص التاريخية هنا...

### لونزل العذاب... ما نجا إلا ابن الخطاب:

ولكننا نجد روايات أخرى تعكس هذه القضية، وتقول: إنه (ص) مال إلى رأي أبي بكر، بل وانزعج من مشورة عمر، فنزل القرآن بمخالفته وموافقة عمر، فلما كان من الغد، غدا عمر على رسول الله، فإذا هو وأبو بكر يكيان؛ فسأل عن سبب ذلك، فقال الرسول (ص): إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، لو نزل عذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب...

وفي عدد من المصادر: عن ابن عباس، عن ابن عمر: أنه (ص) قال: أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة، وأنزل الله: ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض إلخ (٣).

أبي بكر، وبعضها يذكر أنه لم يرد إلا قتلهم فراجع: الطبري ج ١ ص ١٦٩، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٠، وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٧ والبحار ج ١٩، وأسباب النزول للواحدى ص ١٣٧ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٢ وكنز العمال ج ٥ ص ٢٦٥ عن أحمد ومسلم، والترمذي، وأبي داود، وابن أبي شيبة، وأبي عوانة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان وإبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي. والدر المنثور ج ٣ ص ٢٠١-٢٠٣ ومشكل الآثار ج ٤ ص ٢٩١/٢٩٢ ومغازي الواقدي ج ١ ص ١٠٧-١٠٨ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٦.

(١) - المصنف ج ٥ ص ٢١١.

(٢) - المصدر السابق.

(٣) - راجع: المصادر المتقدمة جميعاً، وفواتح الرحموت بهامش المستصفي للغزالي ج ٢ ص ٢٦٧، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٣ والمستصفي للغزالي ج ٢ ص ٣٥٦.

ونحن نرتاب— في ما ذكر آنفاً جداً، وذلك:

أولاً: لماذا مانحاً من العذاب إلا عمر... وماذنب سعد بن معاذ ليعذب؟ اليس هو من الموافقين لعمر، كما نصح عليه غير واحد، بل هو المبتدئ بهذا الرأي على حد تعبير المعتزلي؟ (١) وماذنب ابن رواحة؟ أليس هو من الموافقين لعمر أيضاً (٢)؟

ولا يعقل أن يكون قوله تعالى: «تريدون عرض الحياة الدنيا» وقوله: «لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم» خطاباً للنبي (ص)؛ إذ لم يكن (ص) طالباً لعرض الدنيا، ولا مستحقاً لذلك العذاب العظيم؛ لأن معنى ذلك: هو أن الله تعالى قد أمره بأمره، وبينه له، ثم خالفه، والعياذ بالله، فإن الالتزام بهذا من أعظم العظائم وجريمة من أكبر الجرائم (٣).

و يدلنا على أن الله تعالى قد أبلغ نبيه أن اللازم هو قتل الأسرى... «أن حل الفداء كان قد علم من واقعة عبدالله بن جحش، التي قتل فيها ابن الحضرمي؛ فانه أسر فيها عثمان بن المغيرة، والحكم بن كيسان، ولم ينكره الله تعالى. وذلك قبل بدر باز يد من عام (٤)».

وذلك يدل على أنه قد كانت ثمة أوامر خاصة بالنسبة لأسرى بدر بينها النبي (ص) لهم، وأصروا على مخالفتها، فاستحقوا العذاب العظيم، ثم عفا الله عنهم، رحمة بهم، وتألفاً لهم...

و يدل على ذلك أيضاً: أنه قد جاء في بعض النصوص: «أن جبرئيل

(١) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٧٥/١٧٦ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٢ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨١، ومغازي الواقدي ج ١ ص ١١٠ و١٠٦.

(٢) — البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٧، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٧٠، والروض الأنف ج ٣ ص ٨٣، وأسباب النزول للواحي ص ١٣٧، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٢، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٣ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، والترمذي، وأحمد...

(٣) — راجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٥٩.

(٤) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٢.



نزل على النبي (ص) يوم بدر، فقال: ان الله قد كره ما صنع قومك من أخذ الفداء من الأسارى. وقد أمرك أن تخيرهم: بين أن يقدموهم ويضربوا أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم... .

فذكر ذلك (ص) لأصحابه، فقالوا: يا رسول الله، عشاثرنا و إخواننا(١)، بل نأخذ فداءهم، فنتقوى به على عدونا، ويستشهد منا عدتهم(٢)».

مما يعني: أن تخيرهم هذا كان بعد تأكدهم على رغبتهم في أخذ الفداء، فأباح لهم ذلك

ولماذا يبكي النبي(ص) نفسه، وقد نص ابن الأثير، وغيره على أن النبي(ص) مال الى القتل(٣).

بل ذكر الواقدي: أن الاسرى قالوا: لو بعثنا لأبي بكر، فانه أوصل قريش لارحامنا، ولانعلم أحداً أثر عند محمد منه؛ فبعثوا إليه فجاءهم فكلموه، فوعدهم أن لا يألوهم خيراً، ثم ذهب إلى النبي(ص) فجعل يفثوه و يلينه، وعاوده بالأمر ثلاث مرات، كل ذلك والنبي(ص) لا يجيب(٤)...

وثانياً: لو سلمنا أن النبي كان يميل إلى رأي أبي بكر من أول الأمر، وجلس يبكي مع صاحبه— كما في كثير من المصادر المتقدمة— فلماذا يقول لعمر: لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة. إذ كيف لا يكون هو مع من استحق العذاب، وهو الذي وافقهم، وهوي ما هو يته نفوسهم.

وثالثاً: إن الالتزام بما ذكره معناه تكذيب قوله تعالى: وما ينطق عن

(١) — هذه الكلمة تشير إلى أن الذين قالوا ذلك هم من المهاجرين...

(٢) — تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٣ عن فتح الباري، عن الترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم بأسناد صحيح ومصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٢١٠، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص

٢٩٨، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٤ قسم ١.

(٣) — الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٦.

(٤) — مغازي الواقدي ج ١ ص ١٠٧—١٠٨.

الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

كما أنه لا معنى لأمر الله تعالى لهم بأطاعة الرسول: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول»... ثم إذا أطاعوه يؤنبهم، ثم يتهدهم. لقد كان يجب أن يتوجه التأنيب والتهديد للرسول، والمدح والثناء لهم، لأنهم عملوا بوظيفتهم...

ورابعاً: إن مجرد الإشارة عليه بالفداء لا تستوجب عقاباً، إذ غاية ما هناك: أنهم قد اختاروا غير الأصلاح... وإذن... فلا بد وأن يكون ثمة أمراً آخر قد استحقوا العقاب به، وهو أنهم حين أصروا على أخذ الفداء قد أصروا على مخالفة الرسول، والتعلق بعرض الحياة الدنيا في مقابل إرادة الله للأخرة— تريدون عرض الحياة الدنيا والله يريد الآخرة— بعد بيان النبي(ص) لهم، إذ لا عقاب قبل البيان ثم المخالفة...

ولكن الله تكرم وتفضل عليهم، وغفر لهم هذه المخالفة، وأباح لهم أخذ الفداء تأليفاً لهم... على ما فيه من عواقب وخيمة... وقد بلغ من حبههم لذلك أنهم قد قبلوا بهذه العواقب أيضاً...

هذا... وللعلامة الشيخ محمد حسن المظفر في دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٦٠/٥٩ كلام آخر في تفسير آخر... ولم نذكره لأنه عندنا محل نظر.

وخامساً: إنه قد جاء: انه لما كان يوم بدر تعجل الناس من المسلمين فأصابوا من الغنائم، فقال رسول الله(ص): لم تحل الغنائم لقوم سود الرؤس قبلكم، كان النبي—يعني من السابقين—إذا غنم هو اصحابه جمعوا غنائمهم، فتنزل نار من السماء على كلها، فانزل الله عزوجل: لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم. فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً... وقد قوى الطحاوي هذه الرواية في شأن نزول الآية فراجع(١).

وبعد بطلان ما ذكره ونسبوه إلى النبي(ص) وبطلان أن تكون الآية عتاباً له(ص)... يعلم عدم صحة استدلالهم بهذه الآية على جواز الاجتهاد، والخطأ

(١) — مشكل الآثار ج ٤ ص ٢٩٢ و ٢٩٣.

فيه على النبي(ص)... وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى . هذا عدا عن الأدلة القاطعة الدالة على أن كل ما يصدر منه(ص) حق، موافق للحق والشرع، ووفق أوامر إلهية قاطعة...

### بين رأي عمر... ورأي ابن معاذ:

لقد روى الطبري عن محمد بن اسحاق، قال: لما نزلت هذه الآية: ما كان لنبي أن يكون له أسرى. قال رسول الله(ص): لو نزل عذاب من السماء لم ينج إلا سعد بن معاذ، لقوله: يا رسول الله، الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال(١).

ولعل هذا هو الصحيح... ولكن قد حرف لصالح الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، لأهداف لتخفي.

و إنما قلنا: إنه هو الصحيح؛ لأنه اسد الآراء، وهو الموافق لمراد النبي(ص)، أما رأي عمر، فقد كانت تعوزه الدقة والموضوعية، كما سنرى...

وأما أبو بكر وغيره من الأنصار، فقد تقدم أنهم أصروا على أخذ الفداء، طمعاً بالمال، وطمعاً في أن يخففوا من حدة عداة قريش لهم... وأيضاً لأن فيهم الاخوان والأهل والعشيرة— على حد تعبير أبي بكر، ولأن هذا الأخير قد وعد الاسرى بأن يبذل جهده لصالحهم، كما تقدم عن الواقدي... وقد حاولوا أن يقنعوا النبي(ص) بوجهة نظرهم، ولو بالاساليب العاطفية، كقولهم له: «أهلك، وقومك، وأسرتك، أتجد أصلهم». كما أن أبا بكر قد أقام دليلاً مصلحياً على ذلك. وهو أن يتقوى المسلمون بما يأخذونه من الفداء ضد الكفار... ولكن النبي(ص) ظل يكره ذلك، ولا تقنعه أقوالهم، فان رأي ابن معاذ هو الصحيح، مضافاً إلى اعتبارات أخرى، لم تكن لتخفي على النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم...

ونزلت الآية الشريفة لتصوب موقف الرسول(ص)، ثم ترخص لهم في أخذ الفداء، بعد أن قبلوا بأن يقتل منهم بعدد من يفدى من المشركين...

## قتل الأسرى هو الأصوب:

وذلك:

١- إن المأسورين كان فيهم عدد من سادات قریش، ومن هم رأس الأفعى، وقد حاربوا الرسول والمسلمين، وأخرجوهم من ديارهم، ولاقوامهم شتى انواع الاهانات والاذى. وهؤلاء الذين لا يرتدعون ولا يرجعون، بل يصرون على استئصال شأفة الاسلام، ولا يقبلون باى خيار منطقي يعرض عليهم...

وبعد مانالهم من ذل الهزيمة، وذل الأسر، قد أصبحوا اكثر حقداً على الاسلام والمسلمين... ولسوف يعانني: المسلمون منهم لو بقوا احياء ما يعانون مما أشار إليه(ص)، حيث أوعد المسلمين إن هم فادوهم: أن يقتل منهم بعددهم.

٢- كما أن قتلهم جزاء اعمالهم إن لم يقبلوا الاسلام يكون ايضاً ضربة عسكرية وروحية موفقة لقریش... وإضعافاً لشوكة المشركين.

وقد كان لهم دورهام بعد ذلك في وقعة أحد وغيرها، وأثر بارز في الحاق الاذى بالمسلمين... وما أحسن قول سعد بن معاذ: «انها أول حرب لقينا فيها المشركين، والاثخان في القتل احب إلي من استبقاء الرجال».

٣- ويرى البعض: أن الله تعالى يريد بالتأكييد على قتل الاسرى: «أن يفهم المسلمين: أن النظرة إلى المال مرفوضة، مهما كانت الظروف، إلا إذا كانت في خدمة الهدف الاعظم وهو الدين.»

٤- وإذا كان النبي(ص) لا يجابي قومه على حساب دينه وعقيدته، وقد قتلهم؛ لأنهم أرادوا أن يمنعوهم من أداء رسالته، ويطفئوا نورالله؛ فانه سوف لا يجابي غيرهم، إذا أرادوا أن يطفئوا نورالله، وأن يقفوا في وجه دعوته ودينه... وهذا سوف يؤثر في ارهاب قریش والمشركين في جزيرة العرب

كافة، ولسوف يسهل على النبي(ص): أن يقنعهم بأن من الأفضل لهم أن يتركوا محاولاتهم العدوانية جانباً؛ فإن الوقوف في وجه الدعوة سوف لا يكون حصاده إلا الدمار والفناء لهم.

٥- ثم إن قتلهم سوف يطمئن الأنصار إلى أن النبي(ص) لسوف لن يصلح قومه، ولن يعود إليهم ماداموا مصرين على شركهم. وبالتالي فهولن يترك الانصار ولن يتخلى عنهم، لأنه يعتبر- انطلاقةً من تعاليم دينه- أن رابطة الدين هي الأقوى، ولا قرابة فوق قرابة العقيدة، ولانسب ولارحم فوق نسب الاسلام والايامن... ولذلك فلاجمال لأن تساور المخاوف نفوس الأنصار، هذه الوسواس، والمخاوف التي عبروا عنها في بيعة العقبة، وبعد ذلك في فتح مكة، من أنه ربما يصلح قومه، أو: أدركته رغبة في قومه...

مع موقف عمر من الاسرى:

إننا نلاحظ:

١- أن عمر بن الخطاب يطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن يضرب علي عليه السلام عنق أخيه عقيل، وحمزة يضرب عنق أخيه العباس، ويعتبرهم أئمة الكفر...

وهو طلب غريب حقاً، كما أن تركه زعماء قريش أغرب وأعجب- ولاسيا وهو يسمع الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم يأمر الجيش- وعمر من ومع الجيش- بعدم قتل بني هاشم وهؤلاء بالذات وبعض من غيرهم، لأنهم خرجوا مكرهين... هذا عدا عن أنه كان يعرف دفاعهم عن النبي(ص) في مكة، ودخولهم معه الشعب، وتحملهم المشاق والمتاعب في سبيله...

٢- وبعد هذا... فانه يلاحظ: أنه لم يشهد معركة بدر أحد من بني عدي- كما تقدم(١)- وهم قبيلة عمر، وإذن... فتكون الضربة في جلد

(١)- وراجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٤٣، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١ ومغازي الواقدي

غيره... وماذا بهم لو قتل الناس كلهم مادام لا يخاف على قومه وأهله...

ومن هنا نعرف: أن ما أضافه بعضهم، حين ذكره لقول عمر: ومكني من فلان، فأضاف كلمة: «قريب لعمر»، كما يظهر من مراجعة الروايات التي تذكر كلام عمر هذا... إن هذه الاضافة لا تصح، إذ لم يكن أحد من أقارب عمر في بدر، إلا إذا كانت قرابة من ناحية النساء، وهي ليست بذات أهمية لديهم آنئذٍ— لو كانت.

وعلى كل حال... فقد سبقنا العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه إلى اساءة الظن بعمر، حين فتح مكة، حتى إنه ليقول له— حين اكثرفي شأن أبي سفيان، وأصر على قتله—: «لا، مهلا يا عمر، أما والله، ان لو كان من رجال بني عدي بن كعب ماقلت هذا، ولكنك عرفت: أنه من رجال بني عبد مناف(١)».

٣— وأيضاً... فان من الواضح: أن قتل الأقارب أمر مستبشع، تنفر منه النفوس، ولربما يوجب ذلك ابتعاد الناس عن الاسلام، ومنعهم حتى من التفكير في الدخول في دين يكلفهم مباشرة قتل اخوانهم... بل وقد يدفع ضعفاء النفوس من المسلمين إلى الارتداد، إذا رأوا أنفسهم مكلفين بقتل أحبائهم وآبائهم بأيديهم، مع امكان أن يقوم غيرهم بهذا الأمر...

### انين العباس في الوثاق:

وعلى كل حال... فقد كان من جملة الأسرى عباس وعقيل... وقد سهر النبي(ص) ليلة، فقال له بعض أصحابه: مايسهرك يا نبي الله؟ قال: أنين العباس. فقام رجل من القوم؛ فأرخى من وثاقه، فقال رسول الله(ص):

ج ١ ص ٤٥، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٢١، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣١٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥، واي كتاب تاريخي شئت، يذكر بدرأورجوع من رجع عنها قبل نشوب الحرب...

(١)— مجمع الزوائد ج ٦ ص ٦٧، عن الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، وحياة الصحابة ج ١

ما بالي ما أسمع أنين العباس؟ فقال رجل من القوم: إني أرخيت من وثاقه شيئاً. فقال:

«فافعل ذلك بالاسارى كلهم(١)»

وهذه هي الرواية القرية والمعقولة، التي تمثل عدل النبي(ص) ودقته في مراعاة الاحكام الالهية، وصلابته في الدين... وهي المناسبة لمقامه الاسمى، وما عرف عنه من كونه لا تأخذه في الله لومة لائم، لا تلك الروايات التي تمثل النبي(ص) متحيزاً إلى أقاربه، وأنه هو الذي طلب منهم أن يرخوا من وثاق العباس فقط... فان النبي(ص) لم يكن ليرفق بأقاربه، ويعنف بغيرهم... والرواية التي تقول هذا— لم ترد على الوجه الصحيح والكامل... إلا أن يقال: إن علم النبي بأنه قد خرج مكرها، فكان ذنبه أخف من ذنب غيره، يبرر أن يتصرف تجاهه بهذا النحو. ولكن الأمران كان كذلك إلا أن حكمة النبي(ص) وعدله انما يقتضى أن يعامل العباس كغيره من الاسرى ولايفسح اي مجال للايراد والاشكال... ولذلك نرى أنه لما قال له العباس إنه خرج مستكرهاً، قال له النبي: «أما ظاهر أمرك فقد كنت علينا» كما سيأتي...

والظاهر: أن مكان العباس كان قريباً من النبي(ص)، فمنعه أنينه من الراحة، لأنه كان يعطف عليه خاصة دون غيره من الاسرى...

فداء العباس، وإسلامه:

وغنم المسلمون من العباس عشرين أو أربعين أوقية ذهباً— والأوقية أربعون مثقالاً— فطلب أن تحسب من فدائه. فقال(ص): فأما بشي؛ خرجت تستعين به علينا؛ فلانتركه لك...

(١)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٠، وصفة الصفوة ج ١ ص ٥١٠. وعند عبدالرزاق في المصنف ج ٥ ص ٣٥٣: ان أنصارياً قال له(ص): أفلا أذهب فأرخي عنه شيئاً؟ قال: إن شئت فعلت ذلك من قبل نفسك، فانطلق الأنصاري، فأرخي عن وثاقه، فسكن(ص) ونام...

— قالوا: وذلك لأنه خرج بها ليطعم بها المشركين (١)—

وأمره (ص) بمفاداة نفسه، وعقيلاً، ونوفلاً ابني أخيه... فأنكر أن يكون له مال؛ فقال له (ص): أعط ما خلفته عند أم الفضل، فقلت لها: إن أصابني شيء، فأنتقيه على نفسك وولدك... فسأله من أخبره بهذا، فلما عرف: أنه جبرئيل قال: مخلوفة ما علم بهذا أحد إلا أنا وهي، أشهد أنك رسول الله، فرجع الاسارى كلهم مشركين، إلا العباس وعقيلاً ونوفلاً كرم الله وجوهمهم، وفيهم نزلت هذه الآية: قل لمن في أيديكم من الاسرى: ان يعلم الله في قلوبكم خيراً، يؤتكم خيراً مما أخذ منكم، ويغفر لكم والله غفور رحيم (٢)...

وفي نص آخر: انه (ص) قال للعباس: يا عباس، إنكم خاصمتم الله فخصمكم (٣)...

وفي رواية أخرى: أنه لما طلب منه الفداء ادعى: أنه كان قد اسلم، لكن القوم استكروهوه. فقال له (ص): الله أعلم باسلامك، إن يكن ماتقول حقاً؛ فان الله يجزيك عليه؛ فأما ظاهر أمرك فقد كنت علينا (٤)...

وهذا... يدل على أنه لا مجال لدعوى: أن العباس كان قد اسلم قبل بدر سرراً، كما عن البعض (٥).

ومما يدل على أنه لم يكن في بدر مسلماً—عداعما تقدم: أنه لما أسر يوم بدر أقبل المسلمون عليه، يعيرونه بكفره بالله، وقطيعة الرحم، وأغلظ له علي القول: فقال العباس: مالكم تذكرون مساوينا، ولا تذكرون محاسننا؟ فقال له علي: ألكم محاسن؟ قال: نعم، إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحیی الكعبة،

(١)— اسباب النزول للواحي ص ١٣٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٨.

(٢)— الآية ٧٠ في سورة الانفال والرواية معتبرة السند في تفسير البرهان ج ٢ ص ٩٤ وراجع: تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٣٨، وغير ذلك...

(٣)— البحارج ١٩ ص ٢٥٩ و ٢٧٤ عن الخرائج والجرائح ص ١٨٤.

(٤)— المصدران السابقان، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٨.

(٥)— راجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٨ و ١٩٨، وطبقات

ابن سعد ج ٤ ص ٢٠ قسم ١.



ونسقي الحاج، ونفك العاني. فأنزل الله تعالى: ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر(١).

وفي رواية أخرى: أنه قال: لئن سبقتمونا بالاسلام والجهاد والهجرة، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج؛ فأنزل الله تعالى: أجعلتم سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله الآية(٢).

وفي نص آخر: ان الانصار كانوا يريدون قتل العباس، فأخذه الرسول منهم، «فلما صار في يده: قال له عمر: لأن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب، وماذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك(٣)».

بل لقد جاء أنه لم يظهر للعباس اسلام إلا عام الفتح(٤)...

وهذا التعبير هو الأقرب إلى الصواب... فإنه إن كان قد اسلم في بدر: كما يدل عليه ماتقدم... ولا سيما رواية تفسير البرهان المتعبرة سنداً... فانما أسلم سراً... لأن قريشاً لم تكن لتتحمل وجود مسلم، فيما بينها هذه السنوات الطويلة، وحروبها مع محمد قائمة على قدم وساق، يقتل أبناءها واخوانها ويعور عليها طريق متجرها، ويذلها بين العرب، ولا سيما إذا كان ذلك المسلم هو عم ذلك الرجل وقريبه... وصادقته مع أبي سفيان لم تكن لتسمح له بالبقاء في مكة، فان القرشيين قد نكلوا بأحبائهم فكيف يسكتون عن اصداقائهم... وشروطها على النبي(ص) في الحديبية أدل دليل على شدتها في هذا الأمر، وعدم تسامحها فيه على الاطلاق...

(١) — الآية ١٧ من سورة التوبة. والحديث في: أسباب النزول للواحي ص ١٣٩، وليراجع الدر المنثور ج ٣ ص ٢١٩ عن ابن جرير، وأبي الشيخ عن الضحاك، لكن الآية هي آية سقاية الحاج الآتية.

(٢) — الآية ١٩ من سورة التوبة. والحديث في: أسباب النزول للواحي ص ١٣٩، والدر المنثور ج ٣ ص ٢١٨ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه و عبد الرزاق، وابن أبي شيبة وأبي الشيخ.

(٣) — البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٨ عن الحاكم، وابن مردويه، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ عن كنز العمال ج ٧ ص ٦٩ عن ابن عساکر.

(٤) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٩.

إلا أن يكون يكتّم اسلامه بينهم و يتظاهر بما يرضيهم، حفاظاً على مصالحه وأمواله وعلاقاته... وهذا هو الانسب والأوفق بالصواب...

### إشارة:

ومادنا في الحديث عن العباس، فلا بأس بالإشارة إلى أن من الملاحظ: أنه كان يهتم في المال ويحب الحصول عليه.

ولقد رأيناه يطالب النبي (ص) بالمال، لأنه أعطى فداءه وفداء عقيل في بدر... فقد جاء: أنه لما جاء للنبي (ص) مال من البحرين، وصار يقسمه، جاء العباس، فقال: «يا رسول الله، إني أعطيت فدائي، وفداء عقيل (رض) يوم بدر، ولم يكن لعقيل مال، أعطني هذا المال.» فأعطاه (ص) (١).

وليلاحظ أسلوبه للحصول على بقية من المال، بقيت بعد القسم بين الناس في الرواية التالية:

أخرج ابن سعد: أنه بقي في بيت مال عمر شيئاً بعدما قسم بين الناس، فقال العباس لعمر، وللناس: رأيتم: لو كان فيكم عم موسى (ع) أكنتم تكرمونه؟ قالوا: نعم. قال: فأنا أحق به، أنا عم نبيكم (ص): فكلم عمر الناس؛ فأعطوه تلك البقية التي بقيت (٢).

وعلى كل حال... فقد حصل على ما كان يتمناه، حتى لينقلون عنه قوله حينما أعطاه (ص): أما أحداً وعد الله فقد أنجز لي، ولا أدري الأخرى: «قل لمن في أيديكم من الأسرى: إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم، ويغفر لكم» هذا خير مما أخذ مني، ولا أدري ما يصنع بالمغفرة (٣).

(١) — مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢٩ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وصحاحه وطبقات ابن سعد ج

٤ قسم ١ ص ٩، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٠ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) — طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٢٠ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٣٤.

(٣) — مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢٩ وتلخيصه للذهبي وصحاحه، وطبقات ابن سعد ج ٤ قسم

١ ص ٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٠، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٢٥.

### مؤامرة على حياة النبي(ص):

وكان قد أسر لعمير بن وهب ولد، فاتفق عمير مع صفوان بن أمية سراً على أن يقدم عمير المدينة، ويقتال النبي(ص) في مقابل أن يقضي صفوان دين عمير...

وتكاتما على هذا الأمر، وشحذ عمير سيفه وسمّه، وقدم المدينة؛ فأذن له الرسول بالدخول، فخاف منه عمر؛ فأخذ بحمالة سيفه في عنقه، ثم دخل به على الرسول.

فلما رآه(ص) قال لعمر: أرسله يا عمر. فأرسله، فاستدناه، ثم سأله عما جاء به؛ فقال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم - يعني وهباً - فأحسنوا فيه. فقال(ص) فما بال السيف؟ قال: قبجها الله من سيوف، وهل أغنت شيئاً...

فأخبره(ص) بما جرى بينه وبين صفوان في الحجر... فأسلم عمير. فقال(ص): ففقهوا أخاكم في دينه، وأقرؤوه القرآن، وأطلقوا أسيره، ففعلوا ذلك...

ثم لحق عمير بمكة يدعو إلى الله، ويؤذي المشركين بإذن منه(ص)، وحلف صفوان الايكلمه ولاينفعه بنافعة...

### موقف النبي(ص) من قلائد زينب:

وبعثت زينب بنت الرسول(ص) بفداء زوجها أبي العاص بن الربيع، وكان من جملة ما بعثت به قلائد كانت خديجة جهزتها بها...

فترحم الرسول صلى الله عليه وآله على خديجة، ورق لزينب رقة شديدة، وطلب من المسلمين أن يطلقوا لها أسيرها؛ ففعلوا... وأطلقه صلى الله عليه وآله وسلم في مقابل أن يرسل إليه زينب بسرعة... فوفى بما وعد وأرسلها، وجرى لها حين هجرتها ما سوف نشير إليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى...

## سؤال... يحتاج إلى جواب:

ويرد هنا سؤال: هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاطفياً حقاً إلى هذا الحد... إلى حد تدفعه رفته إلى اطلاق أسير كان يمكن للمسلمين أن يساوموا عليه، ويحصلوا على مايقوهم ضد عدوهم؟!

وهل كان يرغب في مراعاة جانب أقاربه اكثر من الآخرين؟ وهل هذا ينسجم مع رسالته وسجاياه وأخلاقه؟!...

الجواب: لا... فان ثمة مصلحة في هذا الموقف، تعود على الاسلام والمسلمين بالنفع والخير العميم...

و إلا لكان موقفه صلى الله عليه وآله وسلم من هؤلاء لا يختلف عن موقفه من غيرهم، ممن هم على شاكلتهم... وموقفه من عمه أبي لهب لعنه الله ليس بعيداً عن أذهاننا...

و إن في موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم هنا تأكيداً على أن الاسلام يحترم و يقدر مواقف الآخرين وخدماتهم و خديجة من هؤلاء... وأنه لسوف يشجع كل ما يكون في هذا الاتجاه، من أي كان، وعلى أي مستوى كان...

وفيه أيضاً... انقاذ لنفس من مقاساة العناء والالام بين المشركين، الأوهي زينب رحمها الله... وقد استطاع الآن انقاذها، فلم لا يفعل؟!...

هذا كله عدا عن أنه لم يطلق أبا العاص من غير فداء، فقد أرسلت زينب بالفداء، فما هو المبرر لامسأكه؟...

## أستاذ المعتزلي وقضية زينب:

هذا... ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي عن رفته(ص) في هذا الموقف: «قرأت على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري - (وقد

قرظه المعتزلي في موضع آخر (١) -) رحمه الله هذا الخبر؛ فقال: أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد؟ أما كان يقتضي الكرم والاحسان أن يطيب قلب فاطمة بفدك، ويستوهب لها من المسلمين؟! أتقصر منزلتها عند رسول الله (ص) عن منزلة زينب أختها، وهي سيدة نساء العالمين؟! هذا إن لم يثبت لها حق، لا بالنحلة، ولا بالارث (٢)».

### فداء الأسير تعليم الكتابة:

قال المقرزي: «وكان في الاسرى من يكتب، ولم يكن في الانصار من يحسن الكتابة، وكان منهم من لامال له، فيقبل منهم أن يعلم عشرة من الغلمان، ويخلي سبيله؛ فيومئذ تعلم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من غلمان الأنصار...»

خرج الامام أحمد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان ناس من الاسرى يوم بدر، لم يكن لهم فداء؛ فجعل رسول الله (ص) فداءهم أن يعلموا أولاد الانصار الكتابة... ثم ذكر المقرزي قصة من ضربه معلمه، ثم قال: وقال عامر الشعبي: كان فداء الاسرى من أهل بدر أربعين أوقية؛ فن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين. فكان زيد بن ثابت ممن علم» (٣).

ونقول: إن جعل فداء الاسرى هو تعليم عشرة من أطفال المسلمين، ليعتبر أول دعوة في التاريخ لمحو الأمية، سبق الاسلام بها جميع الأمم... وقد

(١) - فقد وصفه في شرحه للنهج ج ١٢ ص ٩٠ بأنه: «لم يكن امامي المذهب، ولا كان يبرأ من السلف، ولا يرتضي قول المسرفين من الشيعة» ووصفه في ج ٩ ص ٢٤٨ بأنه كان «منصفاً، وافر العقل». ونقل في هامش البحار ج ١٩ عنه أنه وصفه بالوثاقة والامانة، والبعد عن الهوى والتعصب، والانصاف في الجدل، مع غزارة العلم، وسعة الفهم، وكمال العقل.

(٢) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٩١.

(٣) - راجع: التراتيب الادارية ج ١ ص ٤٨/٤٩ عن المطالع النصرانية في الأصول الخطية لابن الوفاء نصر الدين الهوريني، وعن السهيلي ومسنند أحمد ج ١ ص ٢٤٧ والامتناع ص ١٠١، والروض الانف ج ٣ ص ٨٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٣، وطبقات ابن سعد ج ٢ قسم ١ ص ١٤.

أتى الحكم بن سعيد بن العاص النبي فسأله عن اسمه فأخبره فغيّر اسمه إلى عبدالله، وأمره ان يعلم الكتاب بالمدينة (١).

وذلك يعبر عن مدى اهتمام الاسلام بالعلم في وقت كانت فيه اعظم الدول كدولة الاكاسرة تعاقب بأشد العقوبات من يتعلم القراءة والكتابة من غير الهيئة الحاكمة... وكان العربي يرى أن معرفة الرجل بالكتاب عيب كما تقدم في أول الكتاب...

وهذا الاسلام قد جاء ليطلق أعدى أعدائه في أدق الظروف، وأخطرها في مقابل تعليمهم لعشرة من غلمان المسلمين... مع أنه ربما يكون قتل هؤلاء الاسرى— كما قدمنا— أو استخدامهم في مهمات المسلمين، أو لا اقل جعلهم وسيلة للضغط السياسي على قريش له أهمية كبيرة بالنسبة لهذا المجتمع الناشئ، الذي يولد في مجتمع يرفضه، ويحاول القضاء عليه، وأمامه طريق طويل وشاق من النضال والكفاح من أجل الحياة والبقاء، واقامة الدولة الاسلامية، ونشر تعاليم رسالة السماء...

### معاملة الاسرى:

ويلاحظ: أن المسلمين الذين ذاقوا الأمرين على أيدي المشركين، يظفرون الآن بعدوهم، ويصير اولئك الذين عذبوهم، وأخرجوهم من ديارهم، وسلبوهم أموالهم، وقطعوا أرحامهم— يصيرون— أذلاء في أيديهم، وتحت رحمتهم... فاذا تراهم صانعين بهم، وبأي نحو وكيفية سوف يأخذون بثاراتهم منهم...

التوقعات كثيرة... ولكن ماجرى كان مخالفاً لكل التوقعات؛ فهم لم يحاولوا أن يأخذوا بثاراتهم، ولا اغتتموا الفرصة التي أتاحت لهم. بل صدر الأمر لهم من القائد الأعظم بكلمة واحدة: استوصوا بالاسرى خيراً...

(١)— نسب قريش لمصعب الزبيري ص ١٧٤ والاصابة ج ١ ص ٣٤٤ عنه.

فأطاعوا الأمر، حتى كان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه (١).

وعلى هذه فقس ماسواها

هذه من علاه احدى المعالى

---

(١) - راجع: الطبري ج ٢ ص ١٥٩، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٣١، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٩ و ٣٠٠ ومغازي الواقدي ج ١ ص ١١٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨٨.





## الفصل الرابع:

نهاية المطاف



## اهل بدر مغفورهم:

ويقولون: إن عمر بن الخطاب طلب— في مناسبة— من الرسول: أن يضرب عنق حاطب بن بلتعة، لأنه خان الله ورسوله. فقال له النبي(ص): أليس من أهل بدر؟ لعل— أو إن— الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة... أو... فقد غفرت لكم(١).

قال الحلبي: «وهو يفيد: أن ما يقع منهم من الكبائر لا يحتاجون إلى التوبة عنه؛ لأنه إذا وقع يقع مغفوراً. وعبر فيه بالماضي مبالغة في تحققه. وهذا كما لا يخفى بالنسبة للآخرة، لا بالنسبة لأحكام الدنيا. ومن ثم لما شرب قدامة بن مظعون الخمر في أيام عمر حدّ، وكان بدرياً... وقال الحلبي أيضاً: وفي الخصائص الصغرى، نقلاً عن شرح جمع الجوامع: ان الصحابة كلهم لا يفسقون بارتكاب ما يفسق به غيرهم(٢)».

نقول وروا عنه(ص) أيضاً قوله: لن يدخل النار أحد شهد بدرأ(٣)...

(١)— راجع: البخارى، كتاب المغازي، غزوة بدر وج ٩ ص ٢٣ ط مشكول، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٣٧، عن أحمد، وأبي داود، وابن أبي شيبة، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٤ وج ٣ ص ٣٢٨ عن الخمسة، ما عدا ابن ماجة، وجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٣ وج ٩ ص ٣٠٤/٣٠٣ عن أحمد، وأبي يعلى، والبخاري، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٦٤/٤٦٣ عن بعض من تقدم، والسيرة الحلبيّة ج ٢ ص ٢٠٣ و١٩٢.

(٢)— السيرة الحلبيّة ج ٢ ص ٢٠٣ و٢٠٤، وليراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٧/٢٣٨.

(٣)— فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٧ عن أحمد، وسنده على شرط مسلم.

و نقول: لقد عرفت أن شرب البدرى للخمر لا يضر، ولا يحتاجون للتوبة من الكبائر... و إذن... فليكن الزنا حتى بالمحارم غير مضر لهم... وكذلك تركهم الصلاة وسائر الواجبات وغيرها!... وليكن أيضاً قتل النفوس كذلك... ولقد قتلوا عشرات الألوف في وقعتي الجمل وصفين، وكذلك... فقد قتلوا العشرات سراً وجهراً، غيلة وصبراً... فان ذلك كله لا يضر، ولا يوجب لهم فسقاً، ولا عقاباً!!...

وقد اعتبروا دفاع علي عليه السلام عن الحق، وامعانه في قتل الناكثين والقاسطين والمارقين— بعد أن تناسوا أقوال الرسول واخباراته الصادقة عن هذه الفئات الضالة— اعتبروا ذلك جرأة منه على الدماء، وأن سببه هو أن الله رخص لأهل بدر في أن يفعلوا ماشاؤا(١)!!...

نعم... و إذا صح ما ذكره عن أهل بدر فلا يبقى معنى لتكليف البدرين بالشرائع والاحكام، ولماذا يتعبون ويشقون، مادام قد تأمن لهم دخول الجنة، فليتنعموا في حياتهم الدنيا، وليستفيدوا من لذائذها حلالاً كانت أوحراماً!!...

ثم إننا لاندرى لماذا يعاقب البدرى في الدنيا، إذا كان النبي(ص) نفسه قد منع عمر من عقاب حاطب الذي خان الله ورسوله، واحتج لهذا المنع ببدرية حاطب؟! و إذا كان الله قد غفر لهذا البدرى، فلماذا يعاقب، أليس عقابه حينئذٍ بلا ذنب جناه؟ ولا خطيئة اقترفها؟!... ولكن الحلبي: لما رأى أن عمر قد أقام الحد على قدامة اضطر إلى عدم اسقاط العقاب الدنيوي عن أهل بدر، ولولا ذلك لكنا رأينا يسقطه أيضاً محتجاً باسقاط النبي(ص) له عن حاطب. ولكن وبعد أن كان المعني هو عمر بالذات فلا بد من بناء الفقه والحكم على أساس فعله، وعدم الالتفات إلى فعل النبي وقوله وتقريره..

نعم... لقد استنبط الحلبي كل هذه الأحكام من الحديث الشريف الذي عبر بكلمة: «لعل» فليت شعري: كم كان سوف يستنبط من الاحكام لو أنه ثبت لديه الجزم بالمغفرة لهم؟!...

ولكن الحقيقة هي أن حديث المغفرة لأهل بدر— لوصح— فلم يكن فيه كلمة «اعملوا ماشئتم»... كما أنه إنما هو بالنسبة لما سبق لهم من ذنوب، لا بالنسبة لما سوف يقترفونه بعد... ولذلك نجد عمر يحاسبهم و يقيم عليهم الحدود بلا فرق بينهم وبين غيرهم... ولو كان قوله: «اعملوا ماشئتم» ثابتاً لا احتج به قدامة على عمر، ليدرأ الحد عن نفسه، ولا احتج أيضاً بموقف النبي (ص) من حاطب، كما أن عمر نفسه لم يكن ليقدم على مخالفة امر نبوي بهذا الوضوح والمعروفية...

وعلى كل حال... فلا بأس بمراجعة مقال لنا حول عدالة الصحابة في كتابنا: «دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام»...

### من هم أفضل من أهل بدر:

وعداعما قدمناه فاننا نجد سعد بن أبي وقاص يكاد يفضل جيشه في حرب المدائن على أهل بدر، فيقول: «والله، إن الجيش لذو أمانة، ولو لا ما سبق لأهل بدر لقلت وأيم الله: على فضل أهل بدر، لقد تتبعت من أقوام هنات وهنات فيما أحرزوا، وما أحسبها ولا أسمعها من هؤلاء القوم (١)»...

بل إن كعب بن مالك يفضل ليلة العقبة على بدر، وإن كانت بدرأً أذكر في الناس منها (٢).

نعم... هذا شأن بدر عندهم... وشأن غيرها... ولكنهم لم يحكموا لغير البدرين بالجنة، لأنه ليس فيهم من يهتمون بإدخاله الى الجنة. أوتفرض السياسة تبرير اعمالهم ومواقفهم المخالفة للاسلام والقرآن والانسانية... هذا... رغم أن سعداً يعتبر أن في اهل بدر من صدرت منهم هنات وهنات أنزلت من مقامهم، وخففت من ميزانهم...

(١) — حياة الصحابة ج ٣ ص ٧٥٨ عن تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٨.  
 (٢) — البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣ عن البخاري، وأبي داود، والنسائي نحوه، مرفقاً ومختصراً، وروى الترمذي بعضه والبيهقي ج ٩ ص ٣٣ وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٧٥ عن تقدم وعن الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٦٦.

### عودة خيبة:

ورجع المحاربون إلى مكة بأسوأ حال من الحق والغيط، فهاهم أبوسفیان عن النوح علي قتلاهم، ومنع الشعراء من ندب القتلى؛ لألا يخفف ذلك من غيظهم، ويقلل من عداوتهم للمسلمين... وأيضاً... حتى لا يبلغ المسلمين حزنهم فيشمتوا بهم...

وحرّم أبوسفیان الطيب والنساء على نفسه حتى يغزو محمداً... وكذلك كان موقف زوجته هند، التي اعتزلت فراشه، وامتنعت عن الطيب...

ولما رجع المشركون طلبوا من أصحاب العير: أن يواسوهم في تلك العير، فأنزل الله تعالى: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقو نهاثم تكون عليهم حسرة». وقيل: نزلت هذه الآية في المطعمين في غزوة بدر، الذين كانوا ينحرون الجزر حسبما تقدم، ولعله هو الأنسب والأوفق بمفاد الآية...

### عودة ظفر:

وأرسل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يبشر أهل المدينة بالنصر المبين، فلم يصدق البعض ذلك في بادئ الأمر، ثم تأكد لديهم أنه حق، ففرح المؤمنون، واستقبلوا الرسول فرحين مسرورين... ويقولون: إن زيد بن حارثة كان هو البشير، فلم يصدقه الناس حتى اختلى بولده أسامة، واكله ذلك... وهذا لا يصح، لأن أسامة كان حينئذ طفلاً، لا يتجاوز عمره العشر سنوات...

وفي الطريق إلى المدينة فقد المسلمون رسول الله (ص)... فوقفوا. فجاء صلى الله عليه وآله وسلم ومعه علي عليه السلام.

فقالوا: يا رسول الله، فقدناك؟

فقال: إن أبا الحسن وجد مغصاً في بطنه، فتخلفت عليه (١).

ويقال: إنه (ص) قدم المدينة حينما كانوا مشغولين بدفن زوجة عثمان، كما سيأتي الحديث عنه في فصل ما بين بدر وأحد ان شاء الله...

وقدم الاسارى المدينة بعد قدومه (ص) بيوم؛ ففرقهم بين المسلمين، وقال: استوصوا بهم خيراً... إلى أن فداهم أهل مكة...

### بعض نتائج حرب بدر:

لقد تقدم الكثير مما يمكن استخلاصه في هذا المقام. ولذا... فلانرى حاجة إلى الاطالة هنا، ولذلك فنحن نكتفي هنا بلمحة خاطفة ضمن النقاط التالية:

١- إن قريشاً التي كانت تحب الحياة قد واجهت في بدر ضربة روحية قاسية جداً، وأصابها هلع قاتل، وهي ترى أن حياتها مع هؤلاء المسلمين قد أصبحت في خطر حقيقي... وقد كان لهذا الخوف والهلع أثر لاينكر على حروبها اللاحقة مع المسلمين... فان الخائف اللجوج بطبيعته يتخذ كافة الاحتياطات لتأمين النصر لنفسه مع احتفاظه بالحياة.

ولذا... فقد حاولت قريش في حملتها اللاحقة أن تكون اكثر دقة وتركيزاً، وأوسع حشداً واستعداداً، من أجل القضاء على هذه الحركة التي تراها تهدد مصالحها وامتيازاتها في المنطقة، اجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، وغير ذلك.

٢- ومن الجهة الأخرى فقد قويت نفوس المسلمين، وشجعهم هذا الانتصار غير المتوقع على مواجهة ما كان إلى الأمس القريب يرعبهم حتى احتمال، فضلاً عن التفكير فيه، أو مواجهته... وقد كان هذا الانتصار بحيث صعب على بعض أهل المدينة التصديق به...

نعم... لقد زادهم هذا الانتصار ايماناً و يقيناً وثقة بدينهم ونبينهم... كما أنه قد أعاد لهم الثقة بأنفسهم بشكل ملحوظ... ولاسيما مع ملاحظة حجم الخسائر التي مني بها عدوهم.

٣- وقد أعانتهم تلك الغنائم، التي حصلوا عليها إلى حد كبير على

مواجهة مشاكلهم الاقتصادية الملحة، كما أنها فتحت شهية الطامعين، وجعلتهم على استعداد، بل ويتطلعون إلى نظائرها...

٤- وأيضاً... فقد أصبح ينظر إلى المسلمين في المنطقة على أنهم قوة فعالة، لا بد وأن يحسب حسابها، وهابتهم القبائل، وبدأت تخطب وذهم، وتتقرب إليهم، ولم يعد من السهل عليها أن تنقض ما أبرمته معهم من معاهدات...

بل واصبحت تتوقع لهم انتصارات أخرى أيضاً. بل يقول اليعقوبي عن وقعة ذي قار، التي كانت بعد بدر بأربعة أشهر:

«وأعز الله نبيه، وقتل من قريش، فأوفدت العرب وفودها إلى رسول الله، وحاربت ربيعة كسرى. وكانت وقعتهم بذى قار. فقالوا: عليكم بشعار التهامي. فنادوا: يا محمد، يا محمد. فهزموا جيوش كسرى (١)».

وبعد هذا... فإن من الطبيعي: أن يترك ذلك أثراً على محاولات قريش للتحالف مع القبائل ضد المسلمين، ويخفف من تحمس كثير منها إلى عقد مثل هذه التحالفات.

### النجاشي... يفرح لنتائج بدر:

ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر، واستأصل وجوههم ورؤساءهم عرف النجاشي بالأمر من عين له؛ ففرح فرحاً شديداً، وجلس على التراب، ولبس ثياباً خلقة؛ لأنه أراد شكر الله لاجل هذه النعمة، وبشر المسلمين بذلك...

### كلمة أخيرة:

هذا... ولا بد من الإشارة إلى أن من اعجاز الاسلام: أنه (ص) قد حارب أعتى القوى بأشواب من الناس، لا تشدهم ولا تجمعهم أية رابطة— سوى رابطة الدين... وأمامهم عدو تشده إلى بعضه البعض عصبية وأواصر مختلفة، ومصالح مشتركة، وليس من الطبيعي أن يتحقق النصر لقوم هم



اشواب من الناس وهمج رعا عى فة تكون على عكس ذلك تماماً، ولأجل ذلك قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي (ص) يوم الحديبية: «... وإن تكن الأخرى (أي الحرب) فاني لأرى وجوها، وأرى أشواباً من الناس، خليقاً أن يفروا عنك (١)»... وهم الغوغاء الذين إذا اجتمعوا ضروا، و إذا تفرقوا نفعوا (٢).

نعم... لقد حارب أعتى القوى وأكثرها تلاحماً وتعاضداً— باشواب من الناس، ولم يكن ذلك في معركة واحدة، ليقال: إنها ربما تكون صدفة خاضعة لبعض العوامل والظروف الاستثنائية، بل استمر ذلك عدة سنوات... ولعل إلى ذلك يشير قوله تعالى: «وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما الفت بين قلوبهم، ولكن الله الف بينهم» (٣).

وقبل الحديث عن أحداث ما بين بدر وأحد... لا بأس بأن نتكلم عن بعض الموضوعات التي ترتبط بما تقدم بنحو من الارتباط والاتصال، وذلك في الفصل التالي...

(١) — المصنف ج ٥ ص ٣٣٥. (٢) — نهج البلاغة، الحكم ١٩٩.

(٣) — الانفال ٦٣.



## الفصل الخامس:

بجوت ليست غريبة عن السيرة



## تمهيد:

لقد وعدنا القاري فيماسبق بالتعرض إلى بعض البحوث التي ترتبط ببعض الاحداث بنحو أو بآخر...

والآن لقدحان الوقت للوفاء بذلك الوعد؛ ولتكن هذه البحوث بمثابة استراحات للقارئ... تبعده ولو قليلاً عن جوالسيرة والاحداث المتلاحقة والمتنوعة، لتركز على أبحاث، ربما يرغب في أن لايمر عليها مروراً سريعاً و عابراً...

والابحاث التي نريد عرضها في هذا الفصل، وبعد أن انتهينا من الكلام على غزوة بدرالكبرى... هي التالية:

١- بعض خصائص الشيعة...

٢- اشجعية ابى بكر

٣- العصمة عن السهو والخطأ والنسيان والذنب اختيارية...

٤- الخمس بين السياسة والتشريع...

# البحث الأول

## بعض خصائص الشيعة:

لقد تقدم معنا في غزوة بدر: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر أصحابه بأن لا يبدأوا المشركين بقتال...

وقلنا هناك: ان أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أصحابه أن لا يبدأوا أعداءه بقتال...

فقد جاء أنه عليه السلام نادى في الناس يوم الجمل: لا يرمين رجل بسهم، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف، ولا تبدؤا القوم بالقتال، وكلموهم بالطف الكلام، قال سعيد: فلم نزل وقوفاً حتى تعالى النهار؛ حتى نادى القوم بأجمعهم: يا ثارات عثمان الخ... وبذلك أيضاً أوصى أصحابه في صفين (١).

نعم. وقد

١- صار ذلك شعار الشيعة فانهم كانوا لا يبدأون، أحداً بقتال ايضاً قال الجاحظ، وهو يتحدث عن كردويه الاقطع الايسر (وهو من بطارقة

---

(١) - سنن البيهقي ج ٨ ص ١٨٠، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥٠٣ عنه وراجع تذكرة الخواص ص ٧٢ و ٩١، والفتوح لابن اعثم ج ٣ ص ٤٥ و ج ٢ ص ٤٩٠ وانساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٤٠ ومناقب الخوارزمي ص ١٨٣.

سندان الشجعان) و كان لا يضرب أحداً إلا حطمه، وكان إذا ضرب قتل -  
قال الجاحظ:

« كان كردويه مع فتكه واقدامه يتشيع؛ فكان لا يبدأ بقتال حتى  
يبتدأ» (١).

٢- وقد كان النبي (ص) قد أسر أباعزة الجمحي في بدر، ثم من عليه لأجل بناته الخمس، وأخذ عليه العهد أن لا يعود إلى حرب المسلمين، وأن لا يظهر عليه أحداً، ولكنه عاد فنقض العهد، وآلب القبائل وشارك في معركة أحد، فأسر وطلب العفو، فرفض النبي (ص) طلبه حتى لا يمسح عارضيه، في مكة، ويقول: إنه سخر من محمد مرتين...

ولسوف نتعرض لهذه القضية في آخر غزوة حراء الاسد إن شاء الله.

و بذلك يكون النبي (ص) قد ضرب المثل الاعلى للمؤمن اليقظ، الذي لا يخدع ولا يستغل ولا مجال لأن يسخر منه أحد... فهناك الكلمة التي لا يجهلها أحد: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»...

ولقد ورث شيعة أمير المؤمنين عليه السلام هذه الخصيصة عن امامهم الذي ورثها عن مؤدبه و مربيه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد عرفوا على مر الزمن باليقظة المتناهية، والنباهة العالية، بالاضافة إلى صفات نادرة أخرى...

فيذكر التنوخي. أن الحسن بن لؤلؤ قد قال لمن أراد ان يحتال عليه:  
«أتعاطي علي، وأنا بغداداي، باب طاقبي، وراق، صاحب حديث، شيعي، أزرق، كوسج؟» (٢).

٣- واشتهر الشيعة أيضاً: بالدقة والتحري في أمور دينهم، فقد كان أسد بن عمرو على قضاء واسط، فقال: «رأيت قبة واسط رديئة جداً، وتبين لي ذلك، فتحرقت فيها.

(١) - البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ ص ٣٣٣.

(٢) - نشوار المحاضرات ج ٥ ص ١٤/١٣ وراجع: المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ١٤٠.

فقال قوم من أهل واسط: هذا رافضي. فقيل لهم: ويلكم، هذا من أصحاب أبي حنيفة، كيف يكون رافضياً» (١).

و قد تقدم في تمهيد الكتاب: أن الجاحظ يذكر «ان بني أمية قد حولوا قبلة واسط» ويقول: «فاحسب ان تحويل القبلة كان غلطاً» (٢).

فيرى بعض المحققين أنها قد حولت إلى بيت المقدس؛ لأن عبد الملك قد بنى القبلة على الصخرة، وأمر الناس بالحج إليها، والطواف حولها، والسعي، والنحر، وغير ذلك من أمور الحج...

وقد منا أيضاً: أننا نستقرب جداً أن يكون استحباب التياسر في القبلة لخصوص أهل العراق، مردّه ذلك... وأنه حكم وقتي من دون الزام فيه، لتلايق المؤمنين في حرج في مقابل السلطة الغاشمة...

٤- لقد كان الشيعة معروفين بشدة الغيرة على نسائهم، ولذلك نجد زكريا القزويني يقول عن أهل المدائن: «أهلها فلاحون، شيعة، امامية، و من عاداتهم: أن نساءهم لا يخرجون نهراً أصلاً» (٣)...

و هذا الأمر موجود حتى الآن في بعض مدن الشيعة في إيران كما في قصبة خسرو شاه من توابع تبريز فانك لا تكاد تجد امرأة في شوارع المدينة نهراً أصلاً...

وليس هذا إلا اقتداء منهم بسيدتهم الزهراء صلوات الله و سلامه عليها، التي كانت لا تخرج إلا ليلاً، إلا إذا اضطرت إلى ذلك لخصومة سياسية أو إثبات حق، أو نحو ذلك...

٥- لقد كان حجر بن عدي واصحابه معروفين بأنهم: «ينتقدون على الأمراء، ويسارعون في الإنكار عليهم، و يبالغون في ذلك» (٤). وهذا

(١) - تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٦، ونشوار المحاضرات ج ٦ ص ٣٦.

(٢) - رسائل الجاحظ ج ٢ ص ١٦. وراجع تمهيد الكتاب.

(٣) - آثار البلاد، وأخبار العباد ص ٤٥٣.

(٤) - البداية والنهاية ج ٨ ص ٥٤ عن ابن جرير، وغيره...



هو مذهب الشيعة، وهذه هي عقيدتهم...

نعم... على عكس غيرهم ممن يوجب السكوت والتسليم...

٦- و من خصائصهم يعني حجرين عدي و اصحابه: أنهم «يتشددون في الدين (١)» حتى لقد جعل ذلك من أسباب الطعن عليهم...

٧- إنهم رغم اضطهاد الحكام لهم كانوا في بغداد اصحاب يسار، (٢)... والظاهر: أن مرّة ذلك إلى أنهم كانوا يبرّون بعضهم بعضاً، في مقابل حرمان الحكام لهم، و اضطهادهم إياهم. فكانوا يهتمون بقضاء حاجات بعضهم البعض، و حل مشاكلهم، وتسيير أمورهم...

٨- و من خصائصهم كذلك بعد صيتهم (٣)، أي شيوع ذكرهم الحسن، وهذا يعني أنهم كانوا مستقيمين في سلوكهم، و موافقهم، و علاقاتهم، و غير ذلك ...

٩- و من خصائصهم محافظتهم على الصلاة في أول وقتها، و يدل على ذلك قصة المأمون مع يحيى بن اكنم، وفي آخرها قال له المأمون: «إن الشيعة أشد رعاية لاوقات الصلاة من المرجئة...» (٤).

وأما غيرهم، فقد روى مالك عن القاسم بن محمد، أنه قال: ما أدركت الناس إلا وهم يصلون الظهر بعشي (٥)...

وقال الجاحظ: «وتفخرهاشم عليهم (أي على بني أمية) بأنهم: لم يهدموا الكعبة، ولم يحولوا القبلة، ولم يجعلوا الرسول دون الخليفة، ولم يهتموا في اعناق الصحابة، ولم يغيروا أوقات الصلاة» (٦).

وهذا... وما تقدم يدل على مدى تأثر الناس بسيرة و روحية

(١)- المصدر السابق...

(٢)- أحسن التقاسيم ص ٤١.

(٣)- المصدر السابق.

(٤)- الموفقيات للزبير بن بكار ص ١٣٤، وراجع: عصر المأمون ج ١ ص ٤٤٥.

(٥)- موطأ مالك، مع تنوير الحوالك ج ١ ص ٢٧.

(٦)- آثار الجاحظ ص ٢٠٥.

حكامهم الأمويين...

١٠- ومن خصائص الشيعة العلم...

١١- و من خصائصهم الجود و الكرم... و يدل على هذا، و على سابقه: ماروى من أنه دخل عبدالله بن صفوان على عبدالله بن الزبير، وهو يومئذ بمكة، فقال: أصبحت كما قال الشاعر:

فان تصبك من الأيام جائحة      لأبك منك على دنيا ولادين

فقال: وماذاك يا أعرج؟ فقال: هذا عبدالله بن عباس يفقه الناس، وعبيدالله أخوه يطعم الناس، فما أبقيا لك؟... فأحفظه ذلك، فأرسل صاحب شرطته، عبدالله بن مطيع، وقال له: انطلق إلى ابني عباس، فقل لهما: أعمدتما إلى راية ترابية قد وضعها الله فنصبتماها؟ بدّ داعني جمعكما، ومن ضوى إليكما من اهل الدنيا، والإفعلت و فعلت... فقال ابن عباس: ثكلتك أمك، والله ما أتينا من الناس غير رجلين: طالب فقه، أو طالب فضل. فأبي هذين تمنع؟!، فقال أبوالطفيل:

لا دَرَدَرَ الليالي كيف تضحكنا      منها خطوب أعاجيب وتبكيها  
ومثل ما تحدث الأيام من غير      يابن الزبير عن الدنيا تسليها  
كنا نجيب، ابن عباس فيقبسنا      علماً و يكسبنا أجراً و يهدينا  
ولا يزال عبيدالله مترعة      جفانه، مطعماً ضيفاً و مسكينا  
فالبروالدين والدنيا بدارهما      ننال منها الذي نبغي إذا شينا  
إن النبي هوالنور الذي كشفت      به عمايات باقينا و ماضيها  
ورھطه عصمة في ديننا و لهم      فضل علينا وحق واجب فينا  
ولست فاعلمه أولى منهم رحماً      يا ابن الزبير ولا أولى به ديننا  
ففيهم تمنعهم عنا و تمنعنا      عنهم و تؤذيهم فينا و تؤذينا  
لن يؤتي الله من أخزى ببغضهم      في الدين عزاً و لافي الارض تمكيناً (١)

فابن الزبير يعتبر راية العلم، و راية الجود من الرايات الترابية. التي

اكتسبها أتباع أبي تراب منه صلوات الله وسلامه عليه...

١٢- ومن خصائص الشيعة ابتعادهم عن العصبية، فقد قال كثير عزة، حينما قتل آل المهلب بالعقر: ما أجل الخطب!، ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف، وضحى بنومروان بالكرم يوم العقر... ثم انتضحت عيناه باكياً. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فدعا به، فلما دخل عليه قال: «عليك بهلة الله، أترابية وعصبية (١)»؟!...

وموقف أهل البيت عليهم السلام من العصبية، ومن التمييز القبلي والعنصري، معروف واضح... وموقف غيرهم -الآخر- واضح أيضاً، وهذا موضوع طويل الذيل، لامناص لنا من إرجاء الأفاضة فيه إلى فرصة أخرى...

١٣- وكذلك... فإن من خصائص الشيعة رضوان الله تعالى عليهم، الابتعاد عن الشراب، بدليل ما ذكروه من أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد على نبيذ لهم، وفيهم منصور النمري. فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا: إنما تعاف الشراب لأنك رافضي (٢)...

١٤- قال الزمخشري: «ليلة الغدير معظمة عند الشيعة، محياة فيهم بالتهجد... وهي الليلة التي خطب فيها رسول الله بغدير خم على اقتاب الابل، وقال في خطبته: من كنت مولاه فعلي مولاه (٣)».

١٥- الأدب و الشعر حتى لقد قال الشاعر: «وهل رأيت أديباً غير شيعي». هذا عداعن خصيصة العلم والتحقيق والتدقيق...

نعم... وهذا ما حضرنا الآن مما يرتبط بهذا الموضوع، ونأمل أن يوفقنا الله للاطلاع على المزيد من الخصائص التي امتازها الشيعة على غيرهم، والله هو الموفق والمسدد...

(١)- الاغانى ج ٨ ص ٣٦.

(٢)- الاغانى ج ١٢ ص ٢٣.

(٣)- ربيع الأبرار ج ١ ص ٨٤/٨٥.

## البحث الثاني

### أبوبكر في العريش، وشجاعة أبي بكر:

وروا أيضاً: ان أمير المؤمنين عليه السلام سأل عن أشجع الناس، فقالوا له: أنت، فرفض ذلك، وقرّر هو نفسه: أنه لما كان يوم بدر جعلوا للنبي (ص) عريشاً، وقالوا: من يكون مع رسول الله، لألآيهوي إليه أحد من المشركين؟ «فوالله مادنا منا أحد إلا أوبكر، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله، لايهوى إليه أحد إلاهوى إليه، فهو اشجع الناس (١)»...

قال الحلبي الشافعي: «وبه يرد قول الشيعة والرافضة: أن الخلافة لا يستحقها إلا علي، لانه أشجع الناس»، ثم استدل هو ودحلان على أشجعية أبي بكر: بأن النبي (ص) قد أخبر علياً بأنه يقتل على يد ابن ملجم، فكان إذا دخل الحرب، ولاقى الخصم، علم أنه لا قدره على قتله، فهو معه كالنائم على فراشه. أما أوبكر؛ فلم يخبر بقاتله، فكان إذا دخل الحرب لا يدرون هل يقتل أو لا، ومن هذه حاله يقاسى من التعب ما لا يقاسيه غيره...

---

(١) — تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٦/٣٧، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٧ و قال: فيه من لم اعرفه، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧١، ٢٧٢ عن البزار وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٦١ عنها، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٦، والفتح المبين لدحلان بهامش سيرته النبوية ج ١ ص ١٢٢. وعن: الرياض النضرة ج ١ ص ٩٢.

بحوث ليست غريبة ..... ٢٨١  
و مما يدل على شجاعته تصميمه على حرب مانعي الزكاة، مع تثبيط  
عمرله عن ذلك ...

وأنه حين توفي الرسول (ص) طاشت العقول، وأقعد علي، وأخرس  
عثمان، و كان أبو بكر أثبتهم.

وأما كونه لم يشتهر عنه في الحروب ما اشتهر عن علي؛ فلأن النبي  
(ص) كان يمنعه عن مبارزة الشجعان (١).

و يقول دحلان: «إن الشجاعة والثبات في الامرهما الالهتان في أمر  
الامامة، لاسيما في ذلك الوقت المحتاج فيه إلى قتال أهل الردة  
وغيرهم (٢)» ...

وقالوا أيضاً: «أبو بكر كان مع النبي (ص) على العريش يوم  
بدر مقامه مقام الرئيس، والرئيس ينهزم به الجيش، وعلي مقامه مقام مبارز،  
والمبارز لا ينهزم به الجيش» (٣).

هذا كل ما عند القوم من الأدلة على أشجعية أبي بكر من سائر  
الصحابة... حتى علي عليه السلام...

عدم صحة ماتقدم:

و نحن نقطع بعدم صحة كل ماتقدم، أو عدم دلالة، و بيان ذلك  
عدا ماتقدم من عدم صحة قضية العريش من أساسها:

### الف: فرار أبي بكر في المواقف:

لقد أقر دحلان بأن الشجاعة والثبات هما الأهمان في أمر الامامة،

---

(١) - راجع فيما تقدم: الفتح المبين لدحلان بهامش سيرته النبوية ج ١ ص ١٢٣-١٢٥ والسيرة  
الحلبية ج ٢ ص ١٥٦، وعن تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٢٢.  
(٢) - الفتح المبين لدحلان بهامش سيرته النبوية ج ١ ص ١٢٤-١٢٦.  
(٣) - تاريخ بغداد للخطيب ج ٨ ص ٢١، والمنتظم لابن الجوزي ج ٦ ص ٣٢٧ وراجع:  
العثمانية للجاحظ ص ١٠.

ونحن نجد أبا بكر يفر في غير مشهد. و فراره في خيبر و حنين معروف، ولسوف يأتي ذكر مصادره في غزوة خيبر (١)... و قال ابن أبي الحديد المعتزلي المعترف بخلافة أبي بكر يذكر فراره هو و عمر:

و ما أنس لأنس الذين تقدما و فرهما و الفرّ قد علما حوب  
و للراية العظمى و قد ذهبها بها ملابس ذل فوقها و جلابيب  
إلى أن قال:

أحضرهما أم حضر أخرج خاضب و ذان هما أم ناعم الخد مخضوب  
عذرتكما إن الحمام لمبغض و إن بقاء النفس للنفس مطلوب  
ليكره طعم الموت و الموت طالب فكيف يلذ الموت و الموت مطلوب

ولكننا نقول لابن أبي الحديد: بل يلذ الموت لمن بلغ الدرجات العالية  
من اليقين و المعرفة بجلال و عظمة الله، و ما أعده لعباده الصالحين و المجاهدين  
في سبيله. و الناصر ين لدينه...

و فرأبو بكر أيضاً في أحد... و يقول الاسكافي: إنه لم يبق معه حينئذ  
سوى أربعة بايعوه على الموت، و ليس أبو بكر من بينهم (٢) و سيأتي ذكر ذلك  
في غزوة أحد مع مصادره إن شاء الله تعالى...

و فر أيضاً في حنين... حيث لم يبق معه (ص) سوى علي (ع)،  
و العباس، و أبي سفيان بن الحارث، و ابن مسعود (٣)...

نعم... لقد شهد أبو بكر المشاهد كلها... و ليس فقط لم تؤثر عنه اية  
بادرة تدل على شجاعة و اقدام، بل ثبت عنه ما يدل على عكس ذلك تماماً...

(١) - و قد رواه البزار بسند صحيح، و رواه أيضاً الطبراني، و الايجي، و البيضاوي، و ابن عساكر،  
فراجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٤، و المواقف كما في شرحه ج ٣ ص ٢٧٦، و أقره شراحه،  
و المطالع ص ٤٨٣، عن البيضاوي في طوابع الانوار، و ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ ابن  
عساكر بتحقيق المحمدي ج ١ ص ٨٢، و الغدير ج ٧ ص ٢٠٤. و سيأتي المزيد إن شاء الله  
تعالى...

(٢) - الغدير ج ٧ ص ٢٠٦ عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٣.

(٣) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٣.

وإذا كان له عذر في بدر، حيث جعلوه مع النبي (ص) في العريش — المكذوب! — لا يفارقه فاين كان عنه في أحدوحنين وهو ازن وغيرهما، حينما كان النبي (ص) يجد نفسه محاطاً بالمشركين، الذين يريدون اطفاء نور الله عزوجل... فهل كان أبو بكر في تلك الوقائع في عريش رئاسته، وكان النبي (ص) هو الجندي المحارب بين يدي رئيسه أبي بكر، الذي يهزم الجيش بانزاهمه؟!.

وأين كان في خيبر حينما كشف ياسر اليهودي المسلمين، حتى انتهى إلى موقف النبي (ص)، وقاتل (ص) بنفسه... وارسل الى علي (ع) الذي كان في المدينة لرمد عينيه؛ فجاءه... وكان ما كان...

وفي أحد خلص العدو إلى رسول الله (ص)، فذث بالحجارة حتى وقع لشقه، وشج في وجهه، إلى آخر ماجرى... وأصابته في حمراء الاسد أذايا وشج في وجهه...

إلى غير ذلك من أمور...

وأما قولهم: إنه (ص) كان يمنعه من القتال... فهل منعه في أحد وحنين، وخبير، وسائر المشاهد. وهل كان يمنعه، ثم يباشر هو بنفسه القتال، حتى يتعرض للصابة بجسده الشريف؟!... كل ذلك دفاعاً عن الرئيس، أبي بكر بن أبي قحافة؟!...

واخيراً فقد قال الاسكافي عن ابي بكر: انه «لم يرم بسهم قط، ولا سل سيفاً ولا اراق دمأ وهو أحد الاتباع غير مشهور ولا معروف. ولا طالب ولا مطلوب».

و خلاصة كلام الاسكافي الطويل: أنه لا يمكن قياس ابي بكر برسول الله (ص) ولا جعله رئيساً يهلك الجيش بهلاكه. لأن النبي (ص) هو صاحب الجيش، والدين الجديد. وهو الذي يراه عدوه و صديقه: أنه السيد والرئيس، وهو الذي احنق قریشاً والعرب بدينه الجديد، ثم وترهم بقتل رؤسائهم و اكابهم... وهو الذي يرتبط به مصير الجيش...

أما أبو بكر، فلا أثر له هنا، ولا كان اعداء الاسلام يقصدونه بالقتل

وانما هو كأبي مهاجري آخر، مثل عبدالرحمن بن عوف، و عثمان وغيرهما. بل كان عثمان ابعدمنه صيتاً. واشرف مركباً، فلم يكن قتله في احد تلك المعارك ليضعف الاسلام، ولا تعنى آثاره... فكيف يجعل رسول الله (ص)، الذي كان وقوفه وقوف رعاية وتدبير، و ظهر و سند، يحرس أصحابه، و يدبر امورهم، و يعين مواقفهم و توجب سلامته الطمأنينة لهم... و لو كان في اول المحاربين، لانشغلت نفوسهم بمصيره، و شغلهم الاهتمام به عن عدوهم، و لا يكون لهم فئة يلجئون اليها، و من يكون قوة و عدة لهم، يعرف مواضع خللهم، و اذا رأى مصلحة في اقدمه بنفسه اقدم.

ولو كان ابوبكر شريكا للنبي بالنبوة و كانت العرب تطلبه مثله لصح قوتهم... و أما وهو اضعف المسلمين جناحاً و أقلهم عند العرب ترة، و لاحارب ابداء، بل هو أحد الاتباع فكيف يجوز أن يجعل بمقام و منزلة رسول الله؟!

ثم ذكر الاسكافي قصة مبارزته لولده عبدالرحمن في احد، و اعتبر قول الرسول (ص) له: امتعنا بنفسك، كان لعلمه بأنه ليس اهلاً للحرب و ملاقة الرجال، و أنه لو بارز لقتل... ثم ذكر قوله تعالى: فضل الله المجاهدين على القاعدین اجراً عظيماً، و آيات أخرى، و أضاف أنه لو كان الجبان و الضعيف يستحقان الرئاسة لتركها الحرب، لكان حسان بن ثابت أحق بها.

ولقد كانت قریش تريد قتل النبي (ص) اولاً و علي عليه السلام ثانياً، لأنه اشبه الناس به و أقربهم اليه و أشدهم دفعا عنه، لأن قتل علي (ع) يضعف النبي (ص)، و يكسر شوكته... و قد وعد جبير بن مطعم غلامه و حشياً بالحرية إن هو قتل محمداً او علياً او حمزة، ولم يذكر ابابكر، و لمقاربة حال علي (ع) لحال النبي (ص) وجدنا النبي (ص) يخاف و يحذر عليه، و يدعوله بالسلامة و الحفظ انتهى باختصار (١).

باء/حراسة أبي بكر للنبي:

وأما حديث انه وقف بالسيف على رأس رسول الله (ص) لايهوى



أحد من المشركين بسيفه إلا أهوى إليه... فلا يمكن أن يصح أيضاً:

١- إذ رغم ضعف أسناد هذه الرواية (١)... يكذبها قولهم: المشهور ان سعد بن معاذ كان مع جماعة من الأنصار يحرسون الرسول (ص) في العريش، ويضيف البعض إليهم علياً أيضاً... (٢).

ولعلمهم ذكروا علياً لما تقدم من أنه كان لا يغفل عن رسول الله (ص)، فكان يقاتل قليلاً ثم يأتي إليه ليفتقده...

وإذا كان النبي و أبو بكر في داخل العريش، وهؤلاء مع ابن معاذ يحرسونها في خارجه، فكيف وصل إليه المشركون، وكان إذا أهوى أحدهم إليه أهوى إليه أبو بكر بالسيف؟.

وأليس حال هؤلاء الحراس أشد من حال أبي بكر، الذي يوجد من يدافع عنه في الخارج، وهو مطمئن البال في الداخل؟!...

٢- يقول الاميني: أضف إلى ذلك: أن حراسة النبي لا تختص بأبي بكر، ولا بابن معاذ، فقد حرسه غيره في مواقع و غزوات أخرى كبلال، و ذكوان و سعد بن أبي وقاص بوادى القرى. و ابن أبي مرثد ليلة وقعة حنين، والزبير يوم الخندق، و محمد بن مسلمة يوم أحد، والمغيرة يوم الحديبية، وأبو أيوب الأنصاري ببعض طريق خيبر... وقد استمرت هذه الحراسة إلى أن نزل قوله تعالى في حجة الوداع؛ والله يعصمك من الناس، فترك الحرس، هذا كله على فرض تسليم حراسة أبي بكر له... (٣).

و ماتقدم وإن كان ربما يكون للنقاش فيه مجال... إلا ان السهمودي قال وهو يتحدث عن «أسطوان المحرس»:

قال يحيى: حدثنا موسى بن سلمة، قال: سألت جعفر بن عبد الله بن

(١) - ضعف أسنادها الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٦١.

(٢) - البداية و النهاية ج ٣ ص ٢٧١ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٦ و ١٦١.

(٣) - الغدير ج ٧ ص ٢٠٢. و نقل ما ذكر عن: عيون الأثر ج ٢ ص ٣١٦، و المواهب اللدنية ج

١ ص ٣٨٣، و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٤، و شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٤.

الحسين عن أسطوان علي بن أبي طالب، فقال: إن هذه المحرس كان علي بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلي القبر مما يلي باب رسول الله (ص)، يحرس النبي (ص) (١).

٣- ويقول الأميني أيضاً: إنه لو كان حديث سيف أبي بكر في حراسته للنبي صحيحاً لكان أبو بكر أولى وأحق بنزول القرآن في حقه من علي و حمزة و عبدة، الذين نزل فيهم: هذان خصمان اختصموا في رهم الآية... و قوله تعالى: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. و لكان أحق من علي بقوله تعالى: هو الذي أيدك بنصره و بالمؤمنين، وغير ذلك من الآيات.

وكان حقاً على رضوان الذي نادى يوم بدر:

لا سيف إلا ذو الفقار      ولا فتى إلا على

أن ينوه باسم أبي بكر و سيفه المشهور على رأس رسول الله، حيث لم يجروا أحدهما على القيام بذلك، و به حفظ رسول الله والدين... (٢).

**جيم: أبو بكر في ساحة الحرب:**

قولهم: إنه كان في العريش ينا فيه:

١- قولهم الآخر: إنه كان على الميمنة أوفى الميمنة يوم بدر (٣)...

٢- وقولهم إن ولده عبدالرحمان قال له: يا أبت لقد أهدفت لي يوم بدر مراراً فصدفت عنك (٤).

٣- وقولهم إن عبدالرحمان دعا يوم بدر إلى البراز، فقام إليه والده

(١) - وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٤٨.

(٢) - راجع الغدير ج ٢ ص ٤٦-٥١ و ج ٧ ص ٢٠٢/٢٠٣ بتصريف...

(٣) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٥٨ و البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٥.

(٤) - الروض الانف ج ٣ ص ٦٤، وفي مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٧٥ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ عن الكزج ص ٥ ص ٣٧٤: أن ذلك كان يوم بدر.

أبو بكر ليبارزه، فقال له الرسول: متعنا بنفسك (١)... و قد تقدم تعليق الاسكافي على هذه القضية... و ستاتي أيضاً في واقعة أحد ان شاء الله تعالى...

### دال: الاخبار بحرب أمير المؤمنين (ع) للننا كئين والقاسطين:

وأما عن اخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لامير المؤمنين عليه السلام بحاربته للننا كئين والقاسطين، و بقتل ابن ملجم له... فهو مع خصمه كالنائم على فراشه، فنسجل هنا:

١- إن الاسكافي يقول: إن اخباره (ص) إياه بقتال الننا كئين والقاسطين... انما كان بعد أن وضعت الحرب اوزارها، ودخل الناس في دين الله أفواجا، و وضعت الجزية، ودان العرب قاطبة له (٢)...

٢- وأما اخباره (ص) بانه سوف يستشهد على يد ابن ملجم... فانما قال له في غزوة العشيرة، حينما كناه بأبي تراب: إن أشقى الاولين والآخرين يخضب لحيته من رأسه، لكنه لم يعين له وقت ذلك، فلعله بعد شهر، ولعله بعد سنوات...

٣- ولو أننا سلمنا ذلك... فكيف يكون كالنائم على فراشه، مع انه يمكن أن يتعرض للجرح والكسر، أو لقطع بعض اعضائه... فهل تأكد لدى هؤلاء: أنه كان في مأمن من كل ذلك، حتى أصبح عندهم مع خصمه كالنائم على فراشه؟!... و لماذا كان المسلمون يتمدحون شجاعته، و يقرضها الله و رسوله في غير مقام و يعتبرونها امتيازاً له، و من اسباب مدحه و عظمته عندهم... فلو كان ذلك صحيحاً لكان الكل اشجع من علي حتى النساء.

٤- إنهم يروون: أنه (ص) قال للزبير: إنه سيقاتل علياً وهو له ظالم، و نزل في حق طلحة قوله تعالى: ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن

(١)- سنن البيهقي ج ٨ ص ١٨٦ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٣/٣٣٢ عن الحاكم عن الواقدي.

(٢)- شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٧.

تنكحوا أزواجه من بعده... ويروون أيضاً قصة أحجار الخلافة... وغير ذلك من الروايات الكثيرة جداً في حق كثير من الصحابة... كما أن النبي (ص) نفسه كان يعلم بأن هذا الدين سيظهر، ولسوف يدخل مكة ظافراً، وسيحصل المسلمون على كنوز كسرى وقيصر... إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه... فهل بطل بذلك جهادهم؟!...

### هاء: حرب مانعي الزكاة:

وأما حرب أبي بكر لمانعي الزكاة، فلم يكن بنفسه وإنما بغيره، ومن أجل الحفاظ على مكانته وموقعه في الحكم. وذلك لأنهم أنكروا عليه تصديه للخلافة، وأخذوا ما ليس له بحق، وكذلك كان الحال في قتال من أطلقوا عليهم كلمة «أهل الردة».

وواضح: أن العناد في الرأي لا يدل على شجاعة في القتال... فرمما تجد الجبان يصرع على رأيه الذي سوف ينفذه غيره أكثر من الشجاع...

### واو: ثباته حين وفاة الرسول (ص):

وأما عن ثباته حين وفاته (ص) فنشير إلى ما يلي:

١- يقول العلامة الأمين رحمة الله تعالى: إنه إذا كان الميزان في الشجاعة هو ما ذكر من ثباته عند موته (ص) فإن أبا بكر يكون أشجع من النبي (ص) نفسه، فانه لم يثبت عند موت جماعة عاديين، كعثمان بن مظعون، حين قبله وهويبيكي، وله شهيق، والدموع تتحادر على خديه (١).

وعثمان أيضاً كان أشجع من النبي (ص)؛ لأن موت زوجته، ابنة رسول الله (ص) لم يمنعه عن مقارفة النساء ليلة وفاتها، وكان يبكي على ابنته (٢).

(١) - الغدير ج ٧ ص ٢١٤ عن: سنن البيهقي ج ٣ ص ٤٠٦، حلية الاولياء ج ١ ص ١٠٥، والاستيعاب ج ٢ ص ٤٩٥، واسد الغابة ج ٣ ص ٣٨٧، والاصابة ج ٢ ص ٤٦٤، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٥٨، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٨١.

(٢) - الغدير ج ٢ ص ٢١٤ وج ٣ ص ٢٤ عن: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٤، ومستدرک الحاكم ج ٤ ص ٤٧، والاستيعاب ج ٢ ص ٧٤٨، وصححه، والاصابة ج ٤ ص ٣٠٤ و ٤٨٩.

٢- إن ما ذكره من تخييل عمر، واخراس عثمان، و اقعاد علي ووالخ... إن صح... كان مانعاً عن خلافتهم- على حد قول دحلان- لأنهم ما كان لهم تلك الشجاعة والثبات في الأمور، اللذان هما الالهان في الأمور... فكيف قبلوا بخلافتهم، وهم فاقدون لأهم أمر يحتاج إليه في الامامة؟...

وعن اقعاد علي (ع) نقول: كيف؟ وقد قضى النبي (ص) في حجره، وهو الذي تولى غسله، وكفنه، و دفنه دونهم...

٣- إن ما ذكر من ثباته حين موته (ص) إنما يكون دليلاً لو كان لموت النبي أثر عليه... وهو مع ذلك قد تحمل ذلك الأثر، وقاوم تلك الصدمة... مع اننا نجد امير المؤمنين عليه السلام يواجهه بحقيقة: أن موت النبي (ص) لم يكن يعنيه، حتى اضطر ابوبكر إلى الاستشهاد بالناس على حزنه على النبي (ص) كما سيأتي في غزوة أحد، حين الكلام على: «لا سيف إلا ذو الفقار». إن شاء الله تعالى...

و على كل حال... فان ما ذكره لاثبات أشجعية ابى بكر لا يفيد شيئاً في اثباتها، ولا يسمن ولا يغني من جوع...

## البحث الثالث:

### ذوالشمالين... وسهو النبي (ص):

قد تقدم أن ذوالشمالين قد استشهد في بدر... ولكن ثمة رواية تنافي ذلك ، وملخصها: أن اباهريرة ادعى: أنه حضر مع النبي (ص) يصلي الظهر او العصر؛ فسلم الرسول (ص) في ركعتين، فقال ذوالشمالين بن عبد عمرو- وكان حليفاً لبني زهرة: أخففت- أو أقصرت- الصلاة أم نسيت؟ فقال (ص): ما يقول ذواليدنين؟. قالوا: صدق يا نبي الله. فأتهم الركعتين اللتين نقص.

وللرواية نصوص أخرى مختلفة، في بعضها: أنه (ص) أجاب ذاليدنين بقوله: كل ذلك لم يكن... وفي بعضها: أنه وقف متكئاً على خشبة المسجد مغضباً، وخرج سرعان من الناس يخبرون بقصر الصلاة... وفي بعضها أنه قام فمضى فلحقه أبو بكر وعمر وذواليدنين (١).

(١) - صحيح البخاري الباب الثالث من أبواب ماجاء في السهو في الصلاة، وصحيح مسلم، في أبواب السهو، وفتح الباري ج ٣ ص ٧٧ حتى ص ٨٣ و البخاري بهامشه ومصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٢ ص ٢٩٦/٢٩٧ و ٢٩٩ و مسند أحمد ج ٢ ص ٢٧١ و ٢٨٤ و موطأ مالك ج ١ ص ١١٥، ونقل عن كنز العمال ج ٤ ص ٢١٥ و ٢١٤ عن عبدالرزاق وابن أبي شيبه، وتهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٨٦، والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٤٩٢/٤٩١ والاصابة ج ١ ص ٤٨٩ و ٤٢٩ واسد الغابة ج ٢ ص ١٤٦ و سنن البيهقي ج ٢ ص ٢٣١ و سنن النسائي باب مايفعل من سلم من الركعتين ناسياً وتكلم وغير ذلك .

وقد وردت هذه الرواية في كتب الشيعة بأسانيد صحاح أيضاً...  
وقد رواها سماعة بن مهران، والحسن بن صدقة، وسعيد الاعرج، وجميل بن  
دراج، وأبوبصير، وزيد الشحام وأبوسعيد القماط، وأبوبكر الحضرمي،  
والحرث بن المغيرة...

وليس لنا إشكال على الروايات الواردة من طرق الشيعة... وأما  
الروايات الواردة من طرق غيرهم... ففيها بعض مواقع للنظر...

### فأولاً

قال النووي. بعد أن ذكر بعض نصوص الرواية: «وأشبه هذه  
الالفاظ المصرحة بأن أبا هريرة حضر القصة، وهو مسلم. وقد اجتمعوا على  
أن أبا هريرة إنما أسلم عام خيبر، سنة سبع من الهجرة، بعد بدر بسبع سنين...  
وكان الزهري يقول: إن ذااليدين هو ذوالشمالين، وأنه قتل ببدر، وأن قصته  
في الصلاة كانت قبل بدر الخ... (١)».

وقد صرح بأن ذااليدين هو نفسه ذوالشمالين في رواية وردت عن  
الصادق(ع)(٢)... وكذا في طبقات ابن سعد وغيره(٣)... كما أن بعض  
الروايات الأخر قد جمعت بين اللقبين(٤)...

و عليه فحكم صاحب الاستيعاب وغيره على القول باتحادهما بأنه  
غلط؛ استناداً إلى رواية أبي هريرة المتقدمة(٥) في غير محله... بل العكس  
هو الصحيح: أي أن الظاهر: هو أن أبا هريرة هو الذي تصرف في الرواية،

(١) - تهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٨٦.

(٢) - الكافي للكليني ج ٣ ص ٣٥٧، والوسائل ج ٥ ص ٣١١.

(٣) - راجع طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١١٨.

(٤) - هي رواية مسند أحمد، وكنز العمال عن عبدالرزاق وابن أبي شيبة والمصنف لعبدالرزاق  
ج ٢ ص ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٩... ونقل قول الزهري باتحادهما: في الاستيعاب بترجمة ذياليدين،  
وكذا في الطبري، وشرح موطأ مالك للسيوطي، وتهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٨٦ وغير  
ذلك...

(٥) - الاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٤٩١ واسد الغابة ج ٢ ص ١٤٢/١٤٥/١٤٦.

وجعل نفسه مع الحاضرين لتلك الصلاة...

وأما رواية عمران بن الحصين الدالة على أن ذا اليمين هو الخرباق... فيجوز أن يكون الخرباق لقباً لذي الشمالين...

وقولهم: الخرباق السلمي... لا يضر؛ لأن سليماً كان أحد أجداد ذي اليمين أو ذي الشمالين (١).

وقد صرح ابن قتيبة باتحادهما، وقال: وقد يقال: إن اسمه الخرباق...

### وثانياً:

قولهم: انه وقف متكئاً على خشبة في المسجد مغضباً، لم نفهم له معنى، إذ لماذا يقف مغضباً هكذا بلا جهة؟ ولا سيما إذا كان قد استقبل الناس بوجهه— كما في بعض الروايات— فان استدبار القبلة، ولو ساهياً مبطل للصلاة. والصحيح: انه ما برح من مجلسه، كما في رواية الكليني (٢)، هذا كله لوقلنا: ان الكلام الاختياري لمصلحة الصلاة لا يبطل الصلاة ايضاً...

### وثالثاً:

كيف يصح منه (ص) نفي كل من النسيان وقصر الصلاة بقوله: «كل ذلك لم يكن»، او نحو ذلك؟!...

وقولهم: إنه أخبر عن اعتقاده...

يخالف ظاهر الكلام، الذي يفهم منه ان كل ذلك لم يكن في الواقع...

وأخيراً... فان الروايات عن اهل البيت في هذا الموضوع قريبة من

(١) - راجع طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١١٨ والاصابة ج ١ ص ٤٨٩ واسد الغابة ج ٢ ص

٨٤٥-١٤١

(٢) - الكافي ج ٣ ص ٣٥٦.



التواتر، ومنها خمس معتبرات... لكن ليس فيها ما يوجب الاشكال بما تقدم ولا ما يوجب ردّها، وقد كتب التستري رسالة في هذا الموضوع في او اخرج ١١ من كتاب قاموس الرجال فليراجعها من اراد...

### لماذا كان ما كان:

نعم... و من الممكن ان يسهي الله نبيه الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لمصلحة تقتضى ذلك ، وحاله حاله من الجلالة والرسالة.

ويمكن ان نذكر من وجوه المصلحة لذلك:

١- ان لا يغلو الناس فيه، فيؤهونه... او يثبتون له بعض الصفات التي ليست له...

٢- ان الله تعالى اراد ان يفقههم، كما في رواية الحسن بن صدقة، التي رواها الكليني (١)...

٣- ان الله تعالى هو الذي انساه رحمة للامة، الا ترى لو أن رجلاً صنع هذا لغير؟!، و قيل له: ماتقبل صلاتك ؛ فن دخل عليه اليوم ذاك ، قال: قد نسي رسول الله (ص)، و صارت اسوة الخ... (٢)... وقد ورد شبيه ذلك في نومه (ص) عن صلاة الصبح في السفر...

ايراد و جوابه: ولربما يقال: إن فعل النبي (ص)، وقوله، وتقريره حجة. وقضية السهو، تنافي ما اتفق عليه المسلمون من حجية فعله، بل وتنافي حجية قوله ايضاً... وهذا يبطل الوثوق به والاعتماد عليه... وهو مناف لحكمة النبوة والرسالة (٣).

ويمكن ان يجاب عن هذا: بأنه إنما ينافي ذلك لو أقر على سهوه، وأخذ الناس الحكم الخطأ عنه... ولكن إذا لم يقره الله عليه بل بينه له بنحو ما فانه

(١) - الكافي ج ٣ ص ٣٥٦.

(٢) - الكافي ج ٣ ص ٣٥٧.

(٣) - راجع: دلائل الصدق ج ١ ص ٣٨٤-٣٨٦.

لامانع منه عقلاً، ولاشراً (١).

هذا... ولا بأس بالتعرض هنا إلى العصمة عن السهو والنسيان والخطأ، ثم العصمة عن الذنوب، وأنها جميعاً هل هي اختيارية أم لا.

فالبحث يقع في ناحيتين: احدهما: العصمة عن النسيان، والسهو، والخطأ، والأخرى العصمة عن الذنب... فنقول:

### العصمة عن السهو والخطأ والنسيان اختيارية:

أما العصمة عن السهو والخطأ والنسيان فهي اختيارية على ما يظهر، وما جرى في قضية الصلاة؛ فانما هو انشاء من الله له؛ لمصلحة اقتضت ذلك لانسيان منه (ص)... ويمكن أن يقرب ذلك بما يلي:

أولاً: إن من يرن نفسه على الأينسى، أو على الضبط والتدقيق يصير أقدر على الحفظ وعدم النسيان... وتقل نسبة خطئه... بالمقايسة مع غيره ممن لا يبالي بالشيء حفظه أونسيه، زاد فيه أونقص منه... فاذا كان ذلك الأمر من اختصاصه، كان احتمال النسيان أو الخطأ فيه أقل... وكلما كان اهتمامه فيه أكثر. كلما كان نسيانه له وخطؤه فيه أقل أيضاً. وهذا الأمر يدرك بالوجدان... ويعلم بالتجربة...

وهذا صادق بالنسبة الى الانسان العادي... الذي نعرفه و نألفه. وكلما كانت الملكات والمدارك، والقوى النفسية، والفكرية ووالخ... للشخص قوية فإنه يكون أيضاً أكثر سيطرة على ذاكرته، وتصرفاته... ويقل احتمال الخطأ والسهو والنسيان عنده....

ونبينا الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو القمة في كل شئ... فهو الإنسان الأول الذي يمثل خلافة الله الحقيقية على وجه الأرض... وهو الإنسان الذي كان فانياً في الله، وليس له هم، ولا هدف إلا رضى الله، وتحقيق أهداف الله على وجه الأرض... فن الطبيعي أن لا يصل إليه أحد،

ولايدانيه مخلوق في الضبط والحفظ، ولاسيا فيمايتعلق بهدفة الاسمى ، وفي عبادته لربه، وطاعته له... وذلك أمر واضح لايتحاج إلى مز يدبيان.

وثانياً: هناك بعض الأمور التي توجب النسيان... وبمقدور كل أحد أن يتجنبها، ومن ثم يجنب نفسه ولايعرضها لآثارها ونتائجها... وقد ذكرت بعض الروايات طائفة منها... فمثلاً: قد ذكر ممايوجب النسيان أكل الجبن والكزبرة، وكثرة شرب الماء، والعبث ببعض الأعضاء... وكثرة الهم... الناشيء في الاكثر من كثرة الذنوب، ونحو ذلك ...

وهناك امور تزيد في الذاكرة، كعملية التذكر، وأمور اخرى لا مجال لذكرها... وقد ذكرت الروايات قسماً منها كاكل الزبيب ونحوه... و واضح أن القدرة على السبب تعتبر قدرة على مسببه... فيمكن أن يكلف الانسان بأن لاينسى الشيء الفلاني... أو أن يزيد من نسبة حفظه وضبطه، باعتبار قدرته على سبب ذلك... والتكليف بالمسبب الذي لايقدر عليه الانسان إلا بقدرته على سببه كثير في الشرع.

وثالثاً: إن ثمة آيات كثيرة جداً تلوم على النسيان. بل وفي بعضها وعيد بالعقاب عليه... أوجعل العقاب الذي يلاقه في الآخرة في مقابل النسيان الحاصل في الدنيا. ونذكر على سبيل المثال الآيات التالية:

«ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه؛ فأعرض عنها، ونسي ما قدمت يدها(١)» الكهف ٥٧.

«يخرفون الكلم عن مواضعه، ونسواحظاً مما ذكروابه» المائدة ١٣.

«فاليوم ننسأهم كما نساوالقاء يومهم هذا» الاعراف ٥١.

«ولا تكونوا كالذين نسواالله فأنسأهم أنفسهم» الحشر ١٩.

(١) — فان سياق الآية والتعبير بـ «ذكروا» لايناسب إرادة التجاهل من النسيان، كمايريد أن يدعيه البعض، وكذلك في سائر الآيات.

«نسوا الله فانسهم» التوبة ٦٧.

«أأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم؟» البقرة ٤٤.

«فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا» السجدة ١٤.

والآيات في هذا المجال كثيرة، لا مجال لنقلها كلها... كما أننا نجد بعض الآيات تنهى عن النسيان، والنهي لا بد وأن يكون عن أمر مقدور.

قال تعالى: «ولا تنس نصيبك من الدنيا» القصص ٧٧.

وقال تعالى: «ولا تنسوا الفضل بينكم» البقرة ٢٣٧.

ولعل فيما ذكرناه كفاية...

ولم نجد له عزمًا:

ولعل من الواضح ان الله تعالى قد أشار إلى اختيارية النسيان حين قال: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي، ولم نجد له عزمًا» (١).

فان هذه الآية تدل على أنه لو كان لآدم طاقة وتحمل، لما أقدم على ما أقدم عليه، مما يعني: أن النسيان ناشئ عن عدم القدرة على التحمل؛ فكلما زادت قدرة الانسان وعزمه، وطاقته، كلما قلت نسبة النسيان لديه؛ بمقتضى هذه الآية الكريمة.

ودليل آخر على اختيارية النسيان وهو ان قوله (ص): رفع عن أمتي النسيان... إنما هو رفع امتنان وتسهيل... والرفع إنما يكون لما يقبل الجعل والوضع.

عود على بدء:

وبعد كل ماتقدم، فان ما يمكن أن نطمئن إليه، هو أن الله قد أنسى نبيه الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم لمصلحة يراها، لأنه هو نفسه (ص) قدسها في صلاته، بحيث يفسح المجال للايراد: بأن معنى ذلك: أنه (ص) لم

يكن مهتماً في صلاته تلك ... وهو غير معقول ...

وقد تقدم عن الكافي: «إن الله تعالى هو الذي أنساه رحمة للأمة» ...

وفي صحيحة في الفقيه: «إنما فعل الله تعالى به ذلك رحمة لهذه الأمة».

وفي خبر الحسن بن صدقة: إنه تعالى أراد باسها نبيه تفيقه الناس ...

## العصمة عن الذنب اختيارية أيضاً:

### سؤال يحتاج إلى جواب:

ان المسلمين يعتقدون - عموماً - بعصمة جميع الانبياء، صلوات الله عليهم، ويزيد شيعة اهل البيت عليهم السلام ... وذلك لانه يجب اتباعهم، والافتداء بهم ... ولا يعقل تجويز ذلك فضلاً عن ايجابه، اذا كانت المعاصي تصدر منهم؛ لان معنى ذلك هو تجويز ارتكاب المعاصي نفسها، وهو غير معقول، لانها تخرج حينئذ عن كونها معاصي من جهة، ولان ذلك ينافي حكمة وسر ارسال الانبياء من الجهة الاخرى ...

ولسنا هنا في صدد بيان التفاصيل الكاملة، والبحث الشامل للاقوال المختلفة حول هذه القضية ... وانما نريد هنا - فقط - ان نجيب على السؤال التالي:

هل ان عصمة الانبياء والأئمة تعني: - كما يرى البعض - انهم لا يستطيعون ان يفعلوا الذنب، ولا يقدرّون على غير الطاعة، فهم مجبرون على الطاعة، مقهورون على الابتعاد عن المعاصي؟! .!

واذا كانوا مجبرين على ذلك ، فاهو وجه الفضل لهم؟! ولماذا لم نجبر نحن على مثله؟! ولماذا يعرضنا الله تعالى للوقوع فيما لا يرضى، ثم يعاقبنا على ذلك بالعذاب في النار، وحرماننا من الجنة؟! ...

وايضاً ... ان من يكون مجبراً على الطاعة، وعلى الابتعاد عن الذنب،

هل يحسن اثابته بالجنان، وابعاده عن العقاب والعذاب بالنيران؟!...  
 هذا هو السؤال الذي يفرض نفسه، ويلح علينا، وعلى كل مسلم  
 بالجواب عنه، واعطاء الحل المناسب له...

**الجواب:** ونحن في مقام الاجابة عن هذا السؤال نقول.  
 إن العصمة عن الوقوع في الذنوب والمعاصي اختيارية. والكلام حول  
 هذا يحتاج الى شيء من التفصيل، فنقول:

### الاسلام والفطرة:

إن من يدرس تشريعات الاسلام ويطالع تعاليم السماء، يخرج  
 بحقيقة قاطعة؛ وهي: ان تلك التعاليم والتشريعات منسجمة كل الانسجام  
 مع طبيعة الانسان وفطرته لولم تطغ على تلك الفطرة عوامل غريبة عنها وافدة  
 عليها... حتى إنك لتجد بعض من عاش في الجاهلية—كجعفر بن أبي طالب،  
 على ما رواه عنه في الامالي— وآخرين غيره قد حرم على نفسه الكذب،  
 وشرب الخمر، والزنا وعبادة الاوثان. ولقد صرح القرآن، وتعهد والتزم بان  
 يكون هذا الدين هودين الفطرة... بحيث لو ثبت منافاة اي من تشريعاته  
 وتعاليمه لفطرة الانسان لأمكن رفضه، والحكم عليه بانه غريب ودخيل،  
 وليس من تعاليم السماء في شيء... قال تعالى:

«فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها،  
 لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن اكثر الناس لا يعلمون...».  
 وما ذلك إلا لان الانسان— على حد تعبير العلامة الطباطبائي  
 حفظه الله تعالى—:

«...مفطور بفطرة تهديه الى تتميم نواقصه، ورفع حوائجه، وتهتف له  
 بما ينفعه وما يضره في حياته.

قال تعالى: ونفس وما سواها: فألمها فجورها وتقواها...»

والدين هو ذلك النظام الذي يهدي الانسان و يدلله على ما فيه خيره

وسعادته، ويحبّه ما فيه شقاؤه وبلاؤه... وهو يوافق ما الهمة الله لنفس الانسان، وعرفها اياه، وينسجم معه... ويحتضن العقل ويحفظه ويسدده من ان يزل او ان يميل في ادراكاته واحكامه نتيجة لطغيان الهوى، اوتزيينات النفس لشهواتها... حتى لقد قيل: العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج...

ولاجل ذلك نرى القرآن يعبر عن لا يتبع الدين، ولا يسير على منهاجه بقوله:

«أرأيت من اتخذ الهه هواه، أفأنت تكون عليه وكيلا؟. أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون، ان هم الا كالانعام، بل هم اضل سبيلا...».

وقال تعالى: «...ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، اولئك كالانعام بل هم اضل، اولئك هم الغافلون...» صدق الله العلي العظيم...

فهو يعتبر ان من اطاع هواه، واتبعه، ولم يهتد بهدى العقل ولم يسمع الاوامر والزواجر الالهية الموافقة لهدى العقل - يعتبر - انه في سلوكه هذا كالانعام، التي تسيرها غريزتها وشهواتها، ولا عقل لها تستنير بنوره، وتهتدي بهديه. ولا تنساق وراء شرع يرشدها الى احكام العقل.

بل لقد اعتبره اضل من الانعام، لان الانعام اذا تصرفت على خلاف مقتضيات العقل البشري، كما لو ظلمت، او افترست، او خرّبت او اتلفت، فانها لا تلام ولا تحاسب، لانها انما تصرفت بما يتوافق مع جبلتها و غريزتها و فطرتها، و شهواتها، حيث ان ذلك هو الذي يسيرها ويهيمن على سلوكها... ولا عقل لها لتهتدي بهديه، وتسترشد برشده. اما اذا تصرفت تصرفاً عقلياً احياناً، كما لو رأينا الذئب لا يعتدي على الشاة، والستور لا يلاحق الفأرة مثلاً... فاننا سوف نتعجب من ذلك، وتتناقله في مجالسنا، لان ذلك على خلاف ما عهدناه من فطرته وجبلته و غريزته وان كان لم يكن بدافع من عقله، حيث انه لا عقل له، وانما بسبب الدربة، والعادة، والألف...

اما الانسان... فانه لو ظلم، او كذب او اغتاب او أتلّف... او غير ذلك

مما هو في غير مصلحته، ومما هو على خلاف الدين، والعقل... فانه يكون قد تصرف على خلاف مقتضيات فطرته و جبلته، وانحرف عن مساره، وخرج عن انسانيته، فهو اذن اضل من الانعام...

اضف الى ذلك ... اننا حين نرى الانعام لا تقتحم ما يضرها، ونرى الانسان لا يتورع عن اقتحام ما يضره، ويهدم سعادته، استجابة لشهوته وهواه، و غريزته... فاننا لا بد وان نقول: ان الانعام تكون— ولاشك — اهدى منه وارشده...

وبعد هذا... و بعد ان اتضح: ان الانسان مجبول على السعي الى ما ينفعه، والابتعاد عما يضره.

وبعد ان عرفنا ان احكام الدين موافقة للفطرة وللطبيعة الانسانية... نعرف ان ابتعاد الانسان عما يضره و يشقيه، وسعيه الى ما فيه سعادته وراحته امر فطري فيه، لا يمكنه التخلف عنه، ولا التخلص منه... ولأجل ذلك نجد ان الانسان العاقل وان لم يكن مؤمناً— نجده— بحكم فطرته لا يقدم على الامور التي يقطع بضررها وفسادها؛ فهو لا يقدم— اذا كان بكامل قواه، و باختياره— على شرب السم مثلاً... بل هو لا يتواجد في امكنة يعلم ان تواجده فيها سوف يلحق به ضرراً بالغاً من نوع ما، ولا يقدم على قتل ولده او ماشا كل الآ اذا قهر على ذلك وغلب عليه جسدياً... او كان ثمة ما يهيم على عقله— كنوم او غضب او غير ذلك، مما يمنع عقله من التأثير والفعالية، والسيطرة على الموقف...

بل وحتى الطفل نراه يتجرأ اولاً على النار، ولكنه بعد ان تؤله، ويتيقن ذلك لا يمكن ان يقترب منها باختياره، الآ ان تغلبه قدرة قاهرة، او يسيطر على عقله سلطان النوم، او اي سلطان قاهر آخر...

واذن... فالبشر العقلاء— حتى من لا يؤمن بالله منهم وحتى الاطفال— معصومون عن شرب السم، وعن الالتقاء بالنفس بالنار، وعن كل ما يدركون ادراكاً قاطعاً ضرره، وسوءه. الآ اذا كان ثمة قوة قاهرة تغلب ارادتهم، او تزين لهم، وتخدعهم، او تهيم على عقولهم وتمنع من فعاليتها



وسيطرتها على الموقف...

### عناصر لابد منها في العصمة:

واذن... فان امتناع الطفل عن النار، والعقلاء عن تناول السم... يرتبط حتى الآن بالامور التالية:

الاول: ان الانسان مفطور على انتقاء مايكرس راحته وسعادته وتكامله... والابتعاد عما يوجب ضرره وبلاءه وشقاءه.

الثاني: ادراك واقع معين... وتقييمه على ذلك الاساس بشكل قاطع ونهائي...

الثالث: قوة العقل وسيطرته، وتحكمه بكل القوى والدواعي النفسية والشهوية، وقاهرته لها، وتوجيهها الى مافيه خير الانسان وصلاحه وراحته وسعادته.

الرابع: الاختيار والارادة، وعدم التعرض للقهر الجسدي، الذي ينتهي الى سلب الاختيار منه، وتعطيل ارادته...

فاذا تحققت هذه الامور... فان الانسان يكون معصوماً عن ذلك الشيء الذي ادرك بشكل قاطع ضرره وبلاءه، وملزماً بالسعي نحو ما يوجب تكامله ورفقيه، وانسانيته...

ولا يمكن ان نتصوره بعد تكامل تلك العناصر المتقدمة فيه، الا ان يسير على النهج القويم، والطريق المستقيم، فاعلاماً لما ادرك خيره وصلاحه، تاركاً لما ادرك ضرره وبلاءه... من كان ومهما كان.

واذا كان الناس مختلفين في درجات ادراكهم، سعة وعمقاً، وفي مستويات تفكيرهم، وقوة وضعف سيطرة عقولهم على سائر القوى الباطنية الكامنة فيهم، من الشهوات والغرائز... ومختلفين من حيث نوعية المدركات ايضاً— اذا كانوا كذلك — فان من الطبيعي ان تكون درجات عصمتهم متفاوتة، ومواردها مختلفة، كلٌ بحسب مدركاته، وقناعاته، وكفاءاته، وقواه

الكامنة فيه... ولذلك تجد العلماء عموماً أكثر التزاماً من غيرهم. بل ربما تجد من بينهم من لا تكاد تصدر منه أية مخالفة طول حياته وذلك لكثرة مدركاتهم، واختلاف نوعية وكيفية وعمق الإدراك لديهم، بالنسبة إلى غيرهم.

ولا يجب أن نعجب إذا رأيناهم أو بعضهم لا تصدر منه حتى خطيئة واحدة طول حياته.

فإن الله قد كلف كل البشر بالطاعات. كلها، والاجتناب عن كل المعاصي، وهذا التكليف يدل على أن بوسع كل مكلف أن لا يفعل أية معصية ابداً لأن القدرة شرط في صحة التكليف... والآ لكان عليه أن يستثنى، ويقول: اجتنبوا عن كل المعاصي الآ واحدة اوائنتين مثلاً، لأنكم لا تقدرُونَ عليها...

نعم ربما يكون الفرق بين هؤلاء، وبين النبي والامام: أن النبي والامام لا تخاطر في باله المعصية اصلاً، ولا يشتاقي إليها، لانكشاف الواقع له، ورؤيته مفسدتها رأي العين، واطلاعه على جلال وعظمة الله تعالى وملكوته. بخلاف سائر المكلفين فانهم قد لا يعرفون علل كثير من الاحكام، ولا اطلاع لهم على عظمة وجلال وملكوت الله بنسبة اطلاع اولئك، فيشتاقون إليها، ويمتنعون تعبداً وطاعة لله ليس الآ...

وخلاصة الامر: ان مستويات الناس مختلفة؛ فتختلف درجات التزامهم، والعلماء يكونون عادة أكثر التزاماً... وان كان ربما يوجد من بينهم— وان ندر— من يضعف عقله امام شهواته وغرائزه، فيضعف التزامه، وتقل نسبة معصوميته عنفاً في غيره... وهؤلاء قليلون، بل ربما لا يوجدون في العلماء الحقيقيين، ولذا نجد الله تعالى يقول: «انما يخشى الله من عباده العلماء» صدق الله العلي العظيم.

### التوضيح والتطبيق:

وحيث ان الانبياء، ثم الأئمة— بسبب التوفيقات والعنايات الالهية،

وفوق ذلك بسبب الوحي والاتصال بالسماء — هم القمة في سعة ادراكهم لآثار ومناحي السلوك الانساني، ولانهم القمة ايضاً في ادراك الواقع الذي يواجهونه، وما يترتب عليه من آثار ونتائج، ان سلباً وان ايجاباً على المدى البعيد والقريب على حد سواء، ادراكاً حقيقياً لا يقبل الشك ولا التردد.

ولانهم هم القمة في الملكات والقوى النفسية الفاضلة والفكرية، وهم احكم الناس حكمة، واعقلهم عقلاً، واشجعهم شجاعة، واكمل الخلق، وافضلهم في كل الصفات الكريمة، والاخلاق النبيلة العالية، ولانهم ايضاً لا يمكن ان يشدوا عن مقتضيات الفطرة، وسنن الجبلة الانسانية... وحين يكون عقلهم من القوة بحيث... لا تستطيع سائر القوى الباطنية من الشهوات والغرائز: ان تخدعه، وتسيطر عليه، بل هو الاقوى دائماً، وهو الذي يتحكم بها وينظمها ويسيرها، ويهيمن عليها...

— انه حين يكون الانبياء والأئمة كذلك — فانهم ولاشك سوف يكونون معصومين بحسب فطرتهم وجبلتهم عن الاقدام على اي ذنب او عمل مشين، كما لا يقدم الطفل على النار، والعقلاء على تناول السم، وعلى اي شيء يروونه مضرأً بشخصيتهم، وبوجودهم، وبصيرهم، ومستقبلهم...

واذن... فلا يلزم من العصمة الجبر والقهر، بحيث يكون المعصوم غير قادر على فعل المعصية تكويناً، بل هي بمعنى انها لا تصدر منه، وعلى حسب التعبير العلمي: انه لا يكون فيه مقتضى للمعصية، ولا توجد فيه علتها المؤثرة، بل لا يخطر في باله ارتكابها اصلاً، فيستحيل صدورها منه بهذا المعنى ليس الآ.

وهذا كما نقول: يستحيل ان يرمي الطفل نفسه في النار، فانه ليس بمعنى انه لا يمكنه ذلك، لان ذلك يمكنه بالبداهة، ولكن بمعنى انه لا يفعل ذلك

...

وكذلك هو كما نقول: يستحيل ان يصدر الظلم من الله، و لانقصد: انه لا يقدر عليه، اذلاشك في ان الله تعالى يقدر على تعذيب اطوع الناس له... وانما نقصد: انه لا يفعله، لانه ينافي حكمته، ولا ينسجم ولا يليق

بشأنه وذاته تعالى شأنه.

وكذلك عصمة النبي او الوصي، فانها ليست بمعنى انه لا يقدر على المعصية، بل بمعنى انه لا يقدم عليها، ولا تخطر له على بال، بحكم فطرته وسجيته وجبلته، على النحو الذي فصلناه فيما تقدم...

وبعد كل ماتقدم، فان اختيار الله لبعض عباده، واطهار المعجزة على يده يكشف لنا عن اكملته وعن عصمته، اذ لا يعقل ان يختار الله لقيادة الامة وهدايتها من تصدر منه الذنوب والمعاصي، حسبما اشرنا اليه...

### افضل الخلق محمد(ص):

هذا... واننا بملاحظة ما قدمناه نستطيع ان نفهم لماذا كان نبينا صلوات الله وسلامه عليه افضل الخلق اجمعين، حتى الانبياء والمرسلين... فانه وان كان الكل معصومين عن الذنوب، وكلهم كان يدرك آثار الذنوب وعواقبها وآثارها، وعلى معرفة واطلاع على جلال وعظمة وملكوت الله تعالى اكثر من غيرهم... ولكن نبينا الاكرم كان اكثر عمقاً واصالة في ادراكه لتلك الآثار، وابعادها، وانعكاساتها على كل الاجيال في مختلف الآجال، وعلى ذلك الجلال اللامتناهي، والعظمة التي لا تقاس... وما ذلك الا لانه كان الرجل الاكمل والافضل والاول في كل شيء: في عقله، في حكمته، في عمق ادراكه، في شجاعته، في كرمه، في حلمه، في كل صفاته الحميدة التي هي صفات الانسان الاول والمثال والقدوة... واذن فيكون هو الافضل من الكل، لان عصمته اكثر عمقاً واصالة، وابعداً، واوسع افقاً...

### علماء امتي افضل من انبياء بني اسرائيل:

كما اننا حين نواجه الحديث القائل: علماء امتي افضل من انبياء بني اسرائيل، لانستطيع ان نعتبره ناظراً الى هؤلاء العلماء الذين نعرفهم ونعيش معهم، والذين لا يمتنع ان تصدر منهم بعض الهفوات او يرتكبون بعض الصغائر، اذ من غير المعقول ان يكون هذا الرجل الذي يذنب افضل من ذلك المعصوم، الذي لا يصدر منه او لا يخاطر بباله الذنب اصلاً...

وتوجيه ذلك بان المراد: انهم افضل منهم من حيث المعرفة والعلم وسعة الافق لانهم اطلعوا على ما لم يطلع عليه اولئك الانبياء من انواع المعارف الدينية، والتاريخية وغيرها...

هذا التوجيه لا ينسجم مع منطق القرآن، الذي يجعل ملاك التفاضل هو التقوى والعمل الصالح: «ان اكرمكم عند الله اتقاكم»... وفي الحديث القدسي مامعناه: «لأدخلن الجنة من اطاعني ولو كان عبداً حبشياً. ولأدخلن النار من عصاني ولو كان سيداً قرشياً...».

فلا بد وان يكون المقصود بالعلماء الذين هم افضل من انبياء بني اسرائيل اناساً معصومين كأولئك الانبياء، ويزيدون عليهم بادراكهم ورؤيتهم رأي العين اثر كل حركة، وكل تصرف على الاجيال وعلى الامة... هذا مع كونهم قد عاصروا وعرفوا واطلعوا على تواريخ وعقائد وتحولات عصور وامم، وواجهوا ظروفًا ومشاكل مختلفة، تزيد على ما واجهه، وعرفه انبياء بني اسرائيل... ولانهم يملكون الطاقات والقدرات الهائلة التي تؤهلهم لاستيعاب كل المعارف، وكل الاحداث وادراكها، والتفاعل معها ومعرفة ابعادها وآثارها مهما دقت اوجلت، قربت او بعدت، ولتصير عصمتهم اكثر عمقاً واصالة، واكثر دقة وابعاداً حسباً فصلناه.

نعم... لا بد وان يكون مقصود النبي (ص) اناساً من هذا القبيل، ولم نجد في التاريخ الا اولئك الذين جعلهم الرسول (ص) احد الثقلين، وعدلاً للكتاب العزيز، ووجب على الامة التمسك بهم، والاهتداء بهديهم، والأئتمار باوامرهم، والانزجار بزواجرهم... الامر الذي كشف لنا عن عصمتهم، وهم الأئمة الاثنا عشر، الذين اولهم امير المؤمنين علي... وآخرهم المهدي صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين...

## البحث الرابع

الخمس بين السياسة والتشريع:

هذا... وللعلامة الباحثة المحقق الشيخ على الأحمدى دام تأييده بحث حول الخمس، أحببت أن أورد ملخصاً عنه مع زيادات وإضافات في المتن، ومراجعات وإضافات للمصادر بحسب ما رأينا: أنه يناسب المقام، فنقول:

قال تعالى: «واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول، ولذي القربى، واليتامى والمساكين وابن السبيل(١)».

معنى الغنيمة:

يرى علماء بعض فرق المسلمين: أن الغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار في ميدان الحرب والقتال... ويرى الشيعة تبعاً لائمهم: أنها— كما فسرها اللغويون—هي مطلق المال المأخوذ بلا بدل... فقد قال اللغويون: الغنم: الفوز بالشيء من دون مشقة. وغنم الشيء فاز به، والاعتنام انتهاز الفرصة... وغنم الشيء غنماً، فاز به بلا مشقة، وناله بلا بدل... وعند الراغب أن الغنم إصابة الشيء والظفر به، ثم استعمل في كل مظفور به(٢)... هذا ما ذكره

(١)— الانفال ٤١.

(٢)— راجع: لسان العرب، وأقرب الموارد، ومفردات الراغب، والقاموس، ونهاية ابن الأثير، و معجم مقاييس اللغة، وتفسير الرازي... وغير ذلك من كتب اللغة...

اللغويون في المقام...

ولكننا إذا راجعنا استعمالات كلمة غنم في الاحاديث،  
والخطب... فاننا نجد أنها تستعمل في مطلق الحصول على الشيء... وحسبك  
شاهداً على ذلك قوله: «من أخذها لحق وغنم (١)» و«يرى الغنم مغرمًا،  
والغرم مغنًا (٢)»، و «اغتنم من استقرضك (٣)»، و «الطاعة غنيمة  
الاكياس (٤)» و«الرهن لمن رهنته له غنمه وعليه غرمه» و«الصوم في الشتاء  
الغنيمة الباردة (٥)» وقال تعالى «عند الله مغنم كثيرة (٦)».

وفي الدعاء عند اعطاء الزكاة: «اللهم اجعله مغنمًا، ولا تجعله  
مغرمًا» و «غنيمة مجالس الذكر الجنة» وفي وصف الصوم: «هو غنم  
المؤمن (٧)».

الى غير ذلك مما لا يمكن حصره واستقصاؤه...

وعليه فالغنم هو مطلق الحصول على الشيء...

وأما قيد «بلامشقة» الذي أضافه البعض؛ فهو يخالف موارد  
الاستعمال السابقة وغيرها، والتزام المجاز فيها يلزم منه أن تكون أكثر  
استعمالات هذه الكلمة في الموارد المجازية...

بل إن نفس آية الخمس في القرآن، قد أطلقت الغنيمة على ما يحصل  
في الحرب بعد مشقة...

وأما ما ذكره البعض (٨) من أن هذه الكلمة كانت في الأصل لمطلق

- 
- (١) - نهج البلاغة الخطبة رقم ١١٨.  
(٢) - المصدر، الحكمة رقم ١٥٠.  
(٣) - المصدر، الكتاب رقم ٣١.  
(٤) - المصدر، الحكمة رقم ٣٣١.  
(٥) - نهاية ابن الأثير، مادة «غنم».  
(٦) - النساء ٩٤.

- (٧) - راجع: مقدمة مرآة العقول ج ١ ص ٨٤-٨٥.  
(٨) - هو العلامة الجليل السيد مرتضى العسكري في مقدمة مرآة العقول.

الغنيمة، ثم اختصت بغنائم الحرب... فلا يصح أيضاً... فاننا كما قلنا... نجد أن استعمالات هذه الكلمة في الحديث لا يختص في ذلك، بل هو في غيره أكثر، وعليه أدل... ومع فرض الشك فلا بد من الحمل على المعنى اللغوي.

و إذن... فالآية تدل على وجوب الخمس في مطلق ما يحصل عليه الانسان، ويظفر به ولو لم يكن من ميدان الحرب مع الكفار. وقد اعترف القرطبي: بأن اللغة لا تقتضى تخصيص الآية بغنائم الحرب، ولكنه قال: ان العلماء قد اتفقوا على هذا التخصيص (١) ومعنى كلامه: انهم قد اتفقوا على خلاف ظاهر الآية، وخلاف المتبادر منها...

### الخمس في كتب النبي (ص) ورسائله:

كما أن كتب النبي (ص) ورسائله الى القبائل لتؤكد وتؤيد: أن الخمس يجب في غنائم الحرب وغيرها، وأن المراد من الغنيمة هو الأعم. فلاحظ.

١- وصية النبي (ص) لبني عبد القيس، الذين قالوا له (ص): إنا لانستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة وسألوه عن الاشرية... فأمرهم بربع، ونهاهم عن أربع: أمرهم بالايمان بالله وحده. قال: أتدرون ما الايمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، واقام الصلاة، وابتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس، ونهاهم إلخ (٢)...»

(١) - تفسير القرطبي ج ٨ ص ١.

(٢) - البخاري ط مشكول ج ١ ص ٢٢ و ٣٢ و ١٣٩ و ج ٢ ص ١٣١، وج ٥ ص ٢١٣ وج ٩ ص ١١٢ وصحيح مسلم ج ١ ص ٣٦ و سنن النسائي ج ٢ ص ٣٣٣، ومسنند أحمد ج ١ ص ٢٢٨ و ٣٦١ وج ٣ ص ٣١٨، وج ٥ ص ٣٦، والأموال لابي عبيد ص ٢٠ والترمذي باب الايمان، وسنن ابي داود ج ٣ ص ٣٣٠ وج ٤ ص ٢١٩، وفتح الباري ج ١ ص ١٢٠ وكنز العمال ج ١ ص ٢٠ و ص ١٩ رقم ٦.



وواضح: أن عبدالقيس كانت قبيلة ضعيفة لا تجرؤ على الخروج من ديارها إلا في الشهر الحرام. ولا تستطيع حرباً ولا قتالاً... كما أن الخمس إنما يكون تحت اختيار القائد والأمير، وهو المسؤول عنه؛ فيأخذ منه الخمس ويرسله، ويقسم الباقي على الافراد.. وليس له ارتباط بالافراد... وظاهر أنه (ص) قد أمرهم بأوامر تختص بالفرد ومن وظائفه التي لا بد وأن يمارسها بكثرة كالإيمان، والصلاة، والزكاة، وكذلك الخمس؛ فانه أيضاً على حدّها، ولا يختلف عنها...

٢- وكتب (ص) لعمر بن حزم، حينما أرسله الى اليمن، كتاباً مطولاً، جاء فيه: «وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله (١)» والكلام في هذه الفقرة لا يختلف عن الكلام في سابقتها...

٣- وكتب (ص) لنبني عبد كلال اليمانيين، مع عمرو بن حزم، يشكرهم على امتثالهم ما أمرهم به، ويقول: «فقد رجع رسولكم، وأعطيتم من الغنائم خمس الله عزوجل (٢)».

فهم قد امتثلوا أمره (ص) الذي أرسله إليهم مع عمرو بن حزم،

(١) - تاريخ ابن خلدون ج ٢ وتونير الحوالمك ج ١ ص ١٥٧، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧٦، وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٤٢، وكنز العمال ج ٣ ص ١٨٦، والاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٥١٧، والخراج لابن يوسف ص ٧٧، ومسنند أحمد ج ٢ ص ١٥/١٤، وابن ماجه ج ١ ص ٥٧٣/٥٧٥/٥٧٧ وسنن الدارمي ج ١ ص ٢٨١-٣٨٥ وج ٢ ص ١٦١-١٩٥ والاصابة ج ٢ ص ٥٣٢ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٩٨-٩٩، والدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٣ والترتيب الادارية ج ١ ص ٢٤٨-٢٤٩، والترمذي ج ٣ ص ١٧.

وعن: رسالات نبوية ٢٠٤ والطبري ج ٢ ص ٣٨٨، وفتح البلدان للبلاذري ص ٨٠ واعلام السائلين ص ٤٥، ومجموعة الوثائق السياسية ١٧٥ وفريدون ج ١ ص ٣٤، واهدلى ٦٨ و الامتاع للمقرزي ٣٩ ١.

(٢) - الاموال لابن عبيد ص ٢١، وسنن البيهقي ج ٤ ص ٨٩ وكنز العمال ج ٣ ص ١٨٦ و ٢٥٢ و ٢٥٣ عن الطبراني وغيره، ومستدرك الحاكم ج ١ ص ٣٩٥ والدر المنثور ج ١ ص ٣٤٣، و شرح الموطأ للزرقاني ج ٣ ص ٣٨١ و مجمع الزوائد ج ٣، وسنن الدار قطنى ج ٤ ص ٨٩ وعن تهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ٢٧٣-٢٧٤ و جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٨٩ و مجموعة الوثائق السياسية ص ١٨٥ عن اهدلى ص ٦٧/٦٨ عن ابن حبان والبعث ص ١٤١.

وأرسلوا إليه الخمس، وهو (ص) يشكرهم على ذلك ... وواضح: أننا لم نجد في التاريخ: أن حروباً قد جرت بينهم وبين غيرهم بعد إسلامهم، وأنهم غنموا من تلك الحروب وخمسوها، وأرسلوها مع عمرو بن حزم...

٤- وكتب (ص) لقبيلتي سعد هذيم من قضاة، وجدام: «... وأمرهم: أن يدفعوا الصدقة والخمس الى رسوله: أبي، وعنيسة، وأمن أرسلاه (١)».

مع أن هذه القبيلة قد اسلمت جديداً ولم تخض حرباً بعد، ليكون المراد خمس المغانم.

وقد أوجب صلى الله عليه وآله وسلم الخمس في ستة عشر رسالة أخرى، بل أكثر، منه إلى القبائل ورؤسائها، وهي:

قبيلة بكاء، وقبيلة بني زهير، و حدس و لحم، وبني جديس وللاسبذيين، وبني معاوية، وبني حرقة، وبني قيل، وبني قيس وبني جرمر، ولأجنادة وقومه، وقيس وقومه، ومالك بن أحر، ولصيفي بن عامر، شيخ بني ثعلبة، والفجيع ومن تبعه - ونهشل بن مالك رئيس بني عامر، ولجهينة بن زيد وفي رسالة لليمن، والملوك حمير، والملوك عمان (٢).

(١) - طبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٢٤/٢٣ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٢٤ ومقدمة مرآة العقول ج ١ ص ١٠٣/١٠٢.

(٢) - راجع هذه النصوص في المصادر التالية: أسد الغابة ج ٤ ص ١٧٥ و ٢٧١ و ٣٢٨ و ج ٥ ص ٤٠ و ٣٨٩ و ج ١ ص ٣٠٠، والأصابة ج ٣ ص ٣٣٨ و ١٩٩ و ٥٧٣ و ج ١ ص ٥٣ و ٢٤٧ و ٢٧٨ و ج ٢ ص ١٩٧ و طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٧٤ و ٢٧٩ و ٦٦ و ٢٦٩ و ٢٧١ و ٢٦٨ و ٢٧٠ و ٢٨٤ و ج ٧ قسم ١ ص ٢٦ و ج ٥ ص ٣٨٥ ورسالات نبوية ص ٢٣٧ و ١٠٣/١٠٢ و ١٣١ و ٢٥٣ و ١٣٨ و ١٨٨ و ١٣٤ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٢١ و ٢٦٤ و ٢٧٣ عن اعلام السائلين و ٩٩/٩٨ و ٢٥٢ و ٢٥٠ و ٢١٦ و ١٩٦ و ١٣٨ و ٢٣٢ و ٢٤٥ و ١٨٠، وكنز العمال ج ٢ ص ٢٧١ و ج ٥ ص ٣٢٠ و ج ٧ ص ٦٤ عن الروياني وابن عساكر وأبي داود كتاب الخراج، وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠٣ و ج ٧ ص ٥٨ و ج ٩ ص ١٣، ومسنند أحمد ج ٤ ص ٣٦٣/٧٨/٧٧، وسنن النسائي ج ٧ ص ١٣٤، والأموال لابن عبيد ص ١٢ و ١٩ و ٢٠، والاستيعاب ترجمة عمر بن تولى، و ج ٣ ص ٣٨١، وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٥ و ٦٨ عن شرح المواهب

## نظرة في تلك الرسائل:

وربما يقال: إن المراد بـ «مغتم، وغنائم، ومغانم» في تلك الرسائل هو خصوص غنائم الحرب، ولكن ذلك لا يصح؛ وذلك لما يلي:

١- إن اعلان الحرب وقيادتها وتديرها كان آنئذ من شؤون الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو من نصبه، ثم من تولى الأمر بعده من الخلفاء أو من نصبوه... ولم يكن لأي من القبائل أن تتخذ قرار الحرب من عند نفسها، ولا يحدثنا التاريخ عن نشاط حربي مستقل لهم... ولو كان... فالمناسب أن يكتب (ص) بذلك إلى أمرائهم وقوادهم، الذين يتولون اخراج خمس الغنيمة وارساله إليه، ثم تقسيم الباقي على أهله...

٢- لقد كانت تلك القبائل تعيش في الحجاز والشام، والبحرين وعمان، واكثرها كان من القبائل الصغيرة، التي لا تقوى على حرب أحد، ليطلب منها اعطاء خمس غنائم حروبها.

٣- إنه لو كان المراد خمس غنائم الحرب... لكان معنى ذلك هو السماح لكل احد بأن يشن حرباً على العدو في أي زمان أو مكان شاء، وهذا من شأنه أن يحدث الفوضى، ويتسبب بمشاكل خطيرة على الدولة الاسلامية... ولا يصدر مثل هذا التشريع عن عاقل مدبر حكيم... مضافاً إلى أننا لا نجد في التاريخ شيئاً من هذه الفوضى المعلولة لتشريع كهذا...

٤- ما قدمناه من أن هذه الرسائل تتعرض لجملة من الاحكام التي

للزرقاني ج ٣ ص ٣٨٢، وصبح الاعشى ج ١٣ ص ٣٢٩ ومجموعة الوثائق عن اعلام السائلين ونصب الراهية، ومغازي ابن اسحاق، ومصنف ابن أبي شيبة، ومعجم الصحابة، والمنتقى، وميزان الاعتدال ولسان الميزان واليعقوبي، وصبح الاعشى، وأموال ابن زنجويه...  
وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٤٦ و ٧٥ وج ٢ ص ٣٥١ عن ابي نعيم وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٨٤، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٨٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٨، وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٥٨ و ٢٦٠ وسيرة زيني دحلان ج ٣ ص ٣٠ والمصنف ج ٤ ص ٣٠٠ وطبقات الشعراء لابن سلام ص ٣٨. ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٤٤.

ترتبط بالأفراد، كالإيمان بالله، وبالنبي، والزكاة، ومنها الخمس... الأمر الذي يجعلنا نطمئن إلى أن الخمس لا يختلف عن تلك الأحكام في ماهيته... وأنه مما تعم البلوى به للأفراد... لا أنه حكم نادر، لا يرتبط بهم فعلاً، ولا يتفق لهم ربما في عقود بل قرون كثيرة من الزمن...

### جباة الخمس:

ويظهر: أنه كان للنبي (ص) جباة للخمس، كما كان له جباة للصدقات، وقد أرسل عمرو بن حزم إلى اليمن، وقدم عليه بأخماس بني عبد كلال اليمنيين، وأرسل إليهم يشكرهم على ذلك...  
كما أن علياً قد خمس الركاز في اليمن (١).

وأرسل علياً عليه السلام ليأخذ خمس غنائم الحرب من خالد بن الوليد (٢).

بل ويقول ابن القيم انه (ص): «ولّى علي ابن ابي طالب الأخماس باليمن، والقضاء بها (٣)».

ومعلوم: أن أهل اليمن قد اسلموا طوعاً، ولم يكن بينهم وبين غيرهم حرب...

وكان محمية بن جزء رجلاً من بني زبيد استعمله رسول الله (ص) على الأخماس (٤).

والقول بأن المراد: إنه أرسل علياً (ع) على الصدقات فيها. يدفعه: أنه (ص) لم يكن يولى بني هاشم الصدقات، وقصة

(١) - نصب الراية ج ٢ ص ٣٨٢، ومصنف عبد الرزاق ج ٤ ص ١١٦، وجمع الزوائد ج ٣ ص ٧٨، وراجع: البحار ج ٢١ ص ٣٦٠ عن اعلام الورى.

(٢) - البداية والنهاية...

(٣) - زاد المعاد ج ١ ص ٣٢، وراجع سنن ابي داود ج ٣ ص ١٢٧ باب كيف القضاء.

(٤) - الأموال لابي عبيد ص ٤٦١.

عبدالمطلب بن ربيعة، والفضل بن العباس مشهورة (١). بل كان يمنع مواليه من تولى ذلك، فقد منع أبا رافع من ذلك، وقال له: «مولى القوم من أنفسهم، وإنا لا تحل لنا الصدقة (٢)».

### في السيوب الخمس:

وكتب (ص) رسالة لوائل بن حجر، وفيها: «في السيوب الخمس (٣)».

قال الزيلعي: «السيب العطاء، والسيوب الركاز (٤)». وتجد تفسير السيوب بالعطاء في مختلف كتب اللغة...

ولنا أن نتساءل: لماذا خصوا السيوب بالركاز الذي هو أحد أفراد السيب، والسيب عام ومطلق؟! وهل ذلك سوى الاجتهاد في اللغة، والتحوير والتزوير الباطل؟!...

(١) - مجمع الزوائد ج ٣ ص ٩١ وأسدالغابة ترجمة: عبدالمطلب بن ربيعة، ونوفل بن الحارث وعمية، وصحيح مسلم ج ٣ ص ١١٨ باب تحريم الزكاة على آل النبي (ص) وسنن النسائي ج ١ ص ٣٦٥ وسنن أبي داود، والأموال لابن عبيد ص ٣٢٩ ومغازي الواقدي ص ٦٩٦ ٦٩٧ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٩٣.

(٢) - سنن أبي داود كتاب الزكاة ج ٢ ص ٢١٢، والترمذي كتاب الزكاة ج ٣ ص ١٥٩ والنسائي كتاب الزكاة ج ١ ص ٣٦٦، ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٩١/٩٠ وكنز العمال ج ٦ ص ٢٥٢-٢٥٦ وأمال الطوسي ج ٢ ص ١٧ والبحار ج ٩٦ ص ٥٧ وسنن البيهقي ج ٧ ص ٣٢.

(٣) - أسدالغابة ج ٣ ص ٣٨، والاصابة ج ٢ ص ٢٠٨ وج ٣ ص ٤١٣، والبحار ج ٩٦ ص ٨٣ و ١٩٠ والاستيعاب هامش الاصابة ج ٣ ص ٦٤٣، وجامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٧٣، والعقد الفريد ج ١ باب الوفاء، والبيان والتبيين، والوسائل كتاب الزكاة باب تقدير نصاب الغنم، ومعاني الاخبار باب ٢٧٥ وشرح الشفا للقاري ج ١ ص ١٨ و تاريخ ابن خلدون ج ٢ والسيرة النبوية لدحلان هامش الحلبية ج ٣ ص ٩٤ والفائق للزمخشري، وعن: المعجم الصغير ص ٢٤٣، ورسالات نبوية ص ٦٧ و ٢٩٧ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٩/٥٨ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٠٦/٢٠٥ عن المواهب اللدنية، والزرقاني، ومادة سيب في نهاية ابن الاثير، ولسان العرب، وتاج العروس، ونهاية الادب وغريب الحديث لأبي عبيد في مادة: قيل وسيب، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٨٧.

(٤) - تبين الحقائق ج ١ ص ٢٨٨.

كما أنهم قد خصوه بالمال المدفون بالجاهلية... ولا ندرى سر ذلك أيضاً. فان لفظ سيوب لا اختصاص له في ذلك قطعاً. كما انه قد كان مستعملاً في الجاهلية أيضاً... ولا يعقل ان يعتبره أهل الجاهلية: أنه المال المدفون في الجاهلية!!.

والظاهر: أنهم أرادوا أن يوهونا بأنه بذلك يصير غنيمة من الكفار، الذين يجب حرهم، ليوافق مذهبهم في الخمس...

ونحن نقول: إن كتب اللغة تنص على أن السيب هو المهمل، والسائبة هي الحيوان بلاصاحب ومراقب، وقد كانت الناقة تسيب الجاهلية... وفي الحديث: كل عتيق سائبة... وهذا يقرب: أن المراد بالسيوب: كل متروك ومهمل، لا يدخل في حاجة الانسان فيجب فيه الخمس...

وثمة دليل آخر:

وكتب (ص) إلى بعض قبائل العرب: «إن لكم بطون الارض وسهوها، وتلاع الاودية، وظهورها، على أن ترعوا نباتها، وتشربوا ماءها، على أن تؤدوا الخمس (١)».

وسياق الكلام ظاهر ظهوراً تاماً في أن المراد ليس خمس غنائم الحرب، إذ لا مناسبة بين ذلك وبين جعل بطون الارض وسهوها وتلاع الاودية وظهورها لهم، وبين رعي نباتها، وشرب مائها، وبين الخمس، إلا أن يكون خمس ما يحصلون عليه من ذلك الذي جعله لهم... ويؤيد ذلك ويؤكد: أنه قد ذكر بعد الخمس هنا زكاة الغنم ايضاً، وأنهم إذا زرعوا فلسوف يعفون من زكاة الغنم... والظاهر أن ذلك ترغيب لهم بالزراعة...

الخمس في المعدن والركاز:

وايضاً... فإن من الثابت عندهم: أن «في الركاز الخمس» وكذا

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ٢ ص ١٦٧ وعن مجموعة الوثائق السياسية ص ٢١٩، ورسالات نبوية ص ٢٢٨، وكنز العمال ج ٧ ص ٦٥، وجمع الجوامع مسند عمرو بن مرة. ونقله في مقدمة مرآة العقول ج ١ عن نهاية ابن الأثير، وعن ابن منظور في لسان العرب في كلمة: صرم.

في المعادن (١) و يذكر الاصطخري أنهم كانوا يأخذون خمس المعادن (٢).

وقد عد غير مالك وأهل المدينة المعدن من الركاز الذي يجب فيه الخمس، واعتبروه كالغنيمة (٣). كما أن أبا عبيد يقول: إنه بالركاز أشبهه (٤).

كما أن عمر بن عبدالعزيز يكتب لعروة يسأله عن رأي السابقين في الخمس، فيجيبه عروة بأن العنبر بمنزلة الغنيمة، يجب أن يؤخذ منه الخمس (٥)...

ويقول الشيباني: إن الركاز والمعدن يجب فيها الخمس، وهما من المغنم (٦).

(١) - الاموال لأبي عبيد ج ٣٣، ٣٣٧، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٧٦، ٤٦٨، ٤٦٧، ونصب الرأية ج ٢ ص ٣٨٢، ٣٨١ و ٣٨٠. ومسنند احمد ج ٢ ص ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٥٤، ٢٧٤، ٣١٤، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٤٧، ٢٨٥، ٣١٩، ٣٨٢، ٣٨٦، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٥، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٦٧، ٤٧٥، ٤٨٢، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٠١ و ٥٠٧ و ج ٣ ص ٣٥٤، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٣٦، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٣٥ و ١٢٨ و ج ٥ ص ٣٢٦ و كتنز العمال ج ٤ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ و ج ١٩ ص ٨-٩ و ج ٥ ص ٣١١ ومستدرک الحاكم ج ٢ ص ٥٦ و مجمع الزوائد ج ٣ ص ٧٧-٧٨ وعن الطبراني في الكبير والاوسط وعن احمد والبخاري ومصنف عبدالرزاق ج ١٠ ص ١٢٨ و ٦٦ و ج ٤ ص ١١٧، ٦٥، ٦٤، ١١٦ و ج ٦ ص ٩٨ عن العنبر ومقدمة مرآة العقول ج ١ ص ٩٧ و ٩٦، ومغازي الواقدي ص ٦٨٢ وسنن البيهقي ج ٤ ص ٥٧ والطحاوي ج ١ ص ١٨٠، وسنن النسائي ج ٥ ص ٤٤ و ٤٥ والدراية والبخاري ط مشكول ج ٢ ص ١٥٩/١٦٠ في باب في الركاز الخمس وفي باب من حفر بئراً في ملكه والمهداية شرح البداية ج ١ ص ١٠٨ وخراج ابي يوسف ص ٢٦ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٣٩ و ٨٠٣ و سنن ابي داود ج ٣ ص ١٨١ و ج ٤ ص ١٩٦ و شرح الموطأ للزرقاني ج ٢ ص ٣٢١ وكتاب الأصل للشيباني ج ٢ ص ١٣٨ و سنن الدارمي ج ١ ص ٣٩٣ و نيل الاوطار ج ٤ ص ٢١٠ و الموطأ كتاب الديات والترمذي ج ١ ص ٢١٩ و ج ٣ ص ١٣٨ وابن عبدالبرفي التهيد وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٢٧ و ٢٢٥/١١ والعقد الفريد ونهاية الارب والاستيعاب.

(٢) - مسالك الممالك ص ١٥٨.

(٣) - راجع: الاموال لابن عبيد ص ٤٧٢. (٤) - الاموال ص ٤٧٤.

(٥) - مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٤ ص ٦٤/٦٥.

(٦) - كتاب الاصل للشيباني ج ٢ ص ١٣٨.

وعن جابر: «ما وجد من غنيمة ففيها الخمس»... ويقرب منه ما عن ابن جريج (١).

وأخيراً... فقد جاء: أن من أخذ شيئاً من أرض العدو فباعه بذهب أوفضه أو غيره فانه يخمس (٢).

وكل ماتقدم ليس من غنائم الحرب، كما هو معلوم...  
وحسبنا ما ذكرناه هنا: فان فيه مقنعاً وكفاية، لمن أراد الرشد والهداية...  
لطيفة:

لقد أوصى أبو بكر بخمس ماله وقال: «أوصي بمارضي الله به لنفسه، ثم تلا: واعلموا أننا غنمتم من شيء فأن لله خمسه (٣)».

هذا... ولا بأس بأن نذكر ملخصاً لبعض ما ذكره العلامة الباحثة السيد مرتضى العسكري في مقدمة كتاب مرآة العقول ج ١، مع بعض التقليل والتطعيم، حسب ما نراه مناسباً... ولا نذكر هنا إلا بعض النقاط التي لم تذكر في البحث السابق، فنقول...

### مواضع الخمس في الكتاب والسنة:

لقد نصت آية الخمس في الكتاب العزيز: على أن الخمس لله ولرسوله، ولذوي قرباه، ولليتامى، وللمساكين، وابتداء السبيل... وكان رسول الله (ص) يعطي ذوي قرباه من الخمس الى أن قبض (٤).

وأما اليتامى والمساكين في الرواية؛ فقد روي عن علي بن الحسين (ع): أنه قيل له: إن الله تعالى قال: «واليتامى والمساكين» فقال:

(١) - مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٤ ص ١١٦.

(٢) - مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ١٧٩، ١٨٠ و ١٨١ وج ٩ ص ٦٧ وتحف العقول ص ٢٦٠.

(٣) - مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٩ ص ٦٦.

(٤) - راجع تفسير الطبري ج ١٥ ص ٥٠٤ و ٥٠٦. وهامشه تفسير النيسابوري ج ١٥ واحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٦٥ و ٦١ والاموال لابي عبيد ص ٢٢ و ٤٤٧ و ٤٥٣ و ٤٥٤.



ايتامنا ومساكيننا (١) وفي روايات ائمة اهل البيت (ع): ان سهم الله ورسوله وسهم ذي القرنى للإمام (ع)، وسهم ايتامى لبني هاشم، والمساكين وابناء السبيل منهم، وبنو هاشم هم بنو عبد المطلب. وفي رواية عن الصادق (ع): أن المطلبى يشارك الهاشمي. ويشترك في الخمس الذكر منهم والانشى؛ فيقسم نصف الخمس على الطوائف الثلاث إذا كانوا فقراء، لقربتهم من رسول الله. ولافتقارهم الى ذلك في مؤنتهم. ولا يكفي انتسابهم الى عبد المطلب بالامومة ويكفي الانتساب بالابوة.

### ومن طريق غير أهل البيت (ع) نذكر:

الرواية التالية الواردة في الصحاح، التي تبين موضع الخمس في عصر الرسول (ص)، وهي:

عن جبير بن مطعم، قال: لما كان يوم خيبر— وفي رواية: حين— وضع الرسول (ص) سهم ذي القرنى في بني هاشم وبني المطلب، وترك بني نوفل وبني عبد شمس، فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبي (ص) فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء بنو هاشم لانكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم، فما بال اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وقربتنا واحدة؟ فقال رسول الله (ص): انا وبني المطلب لانفترق— وفي رواية النسائي: إن بني المطلب لم يفارقوني— في جاهلية ولا اسلام، وإنما نحن وهم شيء واحد، وشبك بين اصابعه (٢)...

(١) تفسير النيسابوري بهامش الطبري وتفسير الطبري ج ١٥ ص ٧.

(٢) صحيح البخاري باب غزوة خيبر ج ٣ ص ٣٦ وسنن ابي داود ج ٣ ص ١٤٥ و ١٤٦ وتفسير الطبري ج ١٥ ص ٥٠ ومسند أحمد ج ٤ ص ٨١، ٨٥ و ٨٣ وسنن النسائي ج ٢ ص ١٧٨ وسنن ابن ماجه ص ٩٦١ ومغازي الواقدي ص ٦٩٦ واموال ابي عبيد ص ٤٦٢/٤٦١ وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٠ و ٣٤٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٩ والمحل ج ٧ ص ٣٢٨ والبداية والنهاية ج ٤/ ص ٢٠٠ وشرح النهج ٢٨٤/١٥.

## مصير الخمس بعد الرسول (ص)

في عهد أبي بكر:

وإذا لاحظنا طبيعة العصر الذي عاش فيه أبو بكر، فإننا نجد: أن السياسة قد اتجهت نحو ارسال جيوش لإخضاع الفئات المعارضة للحكم الجديد، والتي لم تقبل بيعة ابي بكر... فوضع الخمس حينئذ وسهم ذوي القرى في السلاح والكراع؛ فقد ذكر المؤلفون: أن الصحابة بعد وفاته (ص) قد اختلفوا؛ فقالت طائفة سهم الرسول للخليفة بعده، وقالت طائفة: سهم ذوي القرى، لقرابة الرسول، وقال آخرون: سهم ذوي القرى لقرابة الخليفة؛ فأجمعوا على أن جعلوا هذين السهمين في الكراع والسلاح... وفي سنن النسائي، والاموال لابي عبيد: فكانا في ذلك خلافة ابي بكر وعمر... وفي رواية: فلما قبض الله رسوله رد أبو بكر نصيب القرابة في المسلمين فجعل في سبيل الله... وقريب منه رواية أخرى تضيف عمر الى ابي بكر... الى غير ذلك من الروايات (١).

في عهد عمر:

وفي زمن عمر اتسعت الفتوح فازدادت الثروات، ووزعوا الخمس على المسلمين، واراد عمر أن يعطي بني هاشم شيئا من الخمس فأبوا أن يأخذوا الاكل سهمهم؛ فأبوا عليهم ذلك وحرموهم منه... فقد جاء في جواب ابن عباس لنجدة الحروري حين سأله عن سهم ذوي القرى لمن هو؟... قوله: «هولنا اهل البيت، وقد كان عمر دعانا الى أن ينكح منه ايما ويخدم منه عائلنا، ويقضي منه عن غارمنا، فأبينا الا أن يسلمه لنا، وإني ذلك

(١) - راجع في ذلك كله وغيره مما يرتبط بالموضوع سنن النسائي ج ٢ ص ١٧٩ وكتاب الخراج ص ٢٤-٢٥ والاموال لابي عبيد ص ٤٦٣ وتفسير الطبري ج ١٥ - ص ٦ واحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٦٢ و ٦٠ وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٢ و ٣٤٣ وسنن ابي داود بيان مواضع الخمس ومسند احمد ج ٤ ص ٨٣ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٤١.

، فتركناه عليه...» ومثل ذلك روي عن علي أيضاً... وإن عمر عرض عليهم البعض، وأنه لم يبلغ علمه أنه إذا كثريكون كله لهم فأبوا الا الكل(١).

### في عهد عثمان:

واعطى عثمان خمس فتوح افريقيا مرة لعبدالله بن سعد بن أبي سرح (٢) وفي الغزوة الثانية اعطاه لمروان بن الحكم. وقال في ذلك اسلم بن اوس الساعدي، الذي منع من دفن عثمان في البقيع.

واعطيت مروان خمس العباد ظلماً لهم وحميت الحمى(٣).

وقد نقم الناس عليه ذلك لامرين: اولهما: أن الخليفين قبله وإن كانا قد أخذوا ذلك من مستحقه الا انها كانا يضعان تلك الاموال في النفقات العامة، وخصصها عثمان لاقربائه... الثاني: أن سيرة هؤلاء الذين كان يعطيهم هذه العطايا الهائلة من مال لا يستحقونه كانت سيئة جداً، وكانوا معروفين بالانحراف وعدم الاستقامة...

### سيرة علي(ع) في الخمس:

وقد سئل ابو جعفر الباقر(ع) عن علي(ع): كيف صنع في سهم ذوي

(١) - راجع الحديث في: الخراج لابي يوسف ص ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤ ومغازي الواقدي ص ٤٩٧ والاموال لأبي عبيد ص ٤٦٥، ٤٦٦ و ٤٦٧ وسنن النسائي ص ١٧٨ و ١٧٧ ج ٢ واحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٦٣ ولسان الميزان ج ٦ ص ١٤٨ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٨ باب النساء الغازيات يرضخ لمن ومسد أحمد ج ١٠ ص ٢٢٥ ومشكل الآثار ج ٢ ص ١٣٦ و ١٧٩ ومسد الشافعي ص ١٨٣ و ١٨٧ وحلية ابي نعيم ج ٣ ص ٢٠٥. وتفسير الطبري ج ١٠ ص ٥ و سنن ابي داود ج ٣ ص ١٤٦ كتاب الخراج وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ وكزالعمال ج ٢ ص ٣٠٥ والمصنف ج ٥ ص ٢٢٨ وراجع ص ٢٣٨ والسهيلي ٨٠٣ والمحاسن والمساوي ١/٢٦٤ ووفاء الوفاء ٩٩٥.

(٢) - راجع تاريخ الذهبي ج ٢ ص ٧٩ و ٨٠ وتاريخ ابن الاثير ط اورپاج ص ٣ ص ٧١ وشرح النهج ج ١ ص ٦٧.

(٣) - راجع في ذلك الكامل ج ٣ ص ٧١ والطبري ط اورپا قسم ١ ص ٢٨١٨ وابن كثير ج ٧ ص ١٥٢ وفتوح افريقيا لابن عبدالحكم ص ٥٨ و ٦٠ والبلاذري ج ٥ ص ٢٥، ٢٧ و ٢٨ و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٦ والاغانبي ج ٦ ص ٥٧.

القربى حين ولي امر الناس. قال: سلك به سبيل ابي بكر وعمر. قلت: وكيف وانتم تقولون ماتقولون؟ فقال: ما كان اهله يصدرون الاعن رأيه. قلت: فما منعه؟ قال: كره والله أن يدعى عليه خلاف ابي بكر وعمر(١).

وفي سنن البيهقي: أن حسناً، وحسيناً، وابن عباس، وعبدالله بن جعفر(رض) سألوا علياً(رض) نصيبهم من الخمس، فقال: هو لكم حق، ولكنني محارب معاوية، فإن شئتم تركتم حقتكم منه(٢).

فعلي إذن لم يغير شيئاً مما فعله ابو بكر وعمر في الخمس — لأن ذلك يؤلب الناس عليه، ويدعون عليه خلاف ابي بكر وعمر... وإذا كان يريد حرب معاوية فإن الامر يستوجب تقديم هذا الامر الأهم وتاجيل المهم الى وقت لا يكون فيه العمل به ذامضاعفات خطيرة...

### عهد معاوية:

لقد اجتهد معاوية في منع بني هاشم من الخمس، ومنع ذرية الرسول(ص) من ارثه، وزاد على ذلك: أنه صار يصطفي منه لنفسه الصفراء والبيضاء ولا يقسم بين المسلمين منه ذهباً ولافضة.

فعن علي بن عبدالله بن عباس، وابي جعفر محمد بن علي(ع)، قالوا: «ما قسم علينا خمس منذ زمن معاوية الى اليوم(٣)».

ولما امر عمر بن عبدالعزيز بدفع شيء من الخمس الى بني هاشم اجتمع نفر منهم، وكتبوا اليه كتاب شكره، لصلته رحيم وفيه: انهم لم يزالوا محقّوين منذ كان معاوية(٤).

كما أن زياداً كتب الى والي خراسان من قبله، الحكم بن عمرو

(١) — الاموال لابي عبيد ص ٤٦٣ والخراج ص ٢٣ واحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٦٣

وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٢٣.

(٢) — سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٦٣.

(٣) — طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٨٨ ط اورپا.

(٤) — نفس المصدر.

الغفاري يقول له عن الغنائم الكثيرة التي اصابوها: «أما بعد، فإن امير المؤمنين كتب أن يصطفى له الصفراء والبيضاء، ولا تقسم بين المسلمين ذهباً ولا فضة». وزاد الطبري: «الروائع (١)». على الصفراء والبيضاء ولكن الحكم رفض ذلك، وقسم الغنائم، فارسل اليه معاوية من قيده، وحبسه، فمات في قيوده، ودفن فيها، وقال: اني مخاصم (٢).

### في عهد الامويين حتى عمر بن عبدالعزيز

وبقي الخمس في ايدي الامويين يتصرفون فيه تصرف المالك حتى كان عهد عمر بن عبدالعزيز، فحاول أن يعيد للهاشميين بعض حقوقهم لمصلحة يراها... وقسم فيهم بعض ذلك، ووعدهم: أنه إن بقي لهم اعطاهم جميع حقوقهم (٣).

### آراء فقهاء اهل السنة في الخمس.

ولقد تضاربت آراء الفقهاء منهم تبعاً لما فعله الخلفاء، قال ابن رشد: واختلفوا في الخمس على اربعة مذاهب مشهورة. احدها: أن الخمس يقسم على خمسة اقسام على نص الآية، وبه قال الشافعي. والقول الثاني: انه يقسم على اربعة أخماس... القول الثالث: أنه يقسم اليوم ثلاثة اقسام، وأن سهم النبي (ص) وذي القرني سقط بموت النبي (ص) والقول الرابع: أن الخمس بمنزلة الفيء يعطى منه الغني والفقير... والذين قالوا يقسم اربعة اقسام او خمسة اختلفوا في ما يفعل بسهم رسول الله (ص) وسهم القرابة بعد موته، فقال قوم: يرد على سائر الاصناف الذين لهم الخمس. وقال قوم: بل يرد على باقي الجيش، وقال قوم: بل سهم رسول الله (ص) للأمام، وسهم ذي

(١) - مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي بهامشه ج ٣ ص ٤٤٢ وطبقات ابن سعد ط اوربا ج ٧ ص ١٨ والاستيعاب ج ١ ص ١١٨ واسد الغابة ج ٢ ص ٣٦ والطبري ط اوربا ج ٢ ص ١١١ وابن الاثير ط اوربا ج ٣ ص ٣٩١ والذهبي ج ٢ ص ٢٢٠ وابن كثير ج ٨ ص ٤٧.

(٢) - تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٣٧ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٤٢.

(٣) - راجع ذلك في طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٧ و ٢٨٩ والخراج ص ٢٥ وسنن النسائي باب قسم الفيء ج ٢ ص ١٧٨.

القرني لقربة الامام، وقال قوم: بل يجعلان في السلاح والعدة، واختلفوا في القرابة من هم (١).

وقال ابن قدامة انه: بعد ما روي: ان ابا بكر قسم الخمس على ثلاثة اسهم، ذكر أن هذا هو قول اصحاب الرأي— ابي حنيفة وجماعته— فانهم قالوا: يقسم الخمس على ثلاثة اقسام: اليتامى، والمساكين، وابناء السبيل وا سقطوا رسول الله (ص) بموته وسهم قرابته ايضاً... وقال مالك: الخمس والفى واحد يجعلان في بيت المال. قال ابن قدامة: «وما قاله ابو حنيفة فخالف لظاهر الآية؛ فإن الله تعالى سمي لرسوله وقرابته شيئاً، وجعل لها في الخمس حقاً، كما سمي الثلاثة الاصناف الباقية، فمن خالف ذلك فقد خالف نص الكتاب، واما حمل ابي بكر وعمر (رض) على سهم ذي القرني في سبيل الله، فقد ذكر لاحمد، فسكت، وحرك راسه ولم يذهب اليه، ورأى أن قول ابن عباس ومن وافقه اولى لموافقته كتاب الله وسنة رسوله (ص) (٢)».

ورأى ابو يعلي والماوردي أن تعيين مصرف الخمس منوط باجتهاد الخلفاء (٣).

### رأي اهل البيت، وشيعتهم في قضية الخمس

يقسم الخمس عند اهل البيت (ع) وشيعتهم الى ستة اقسام، ثلاثة منها لله ولرسوله ولذوي قرباه يقبض النبي (ص) هذه الاسهم في حياته، ويعود امرها الى الأئمة الاثني عشر من اهل بيته بعد وفاته (ص)، والاسهم الأخرى هي لفقراء بني هاشم، وابناء سبيلهم و يتاماهم مع وصف الفقير... وقالوا ايضاً: يجب اخراج الخمس من كل مال فازبه المسلم من جهة العدى او غيرهم. ولا يتوقف شيعة اهل البيت عند هذا ، بل يستدلون ايضاً

(١) — بداية المجتهد حكم الخمس ج ١ ص ٤٠١.

(٢) — المغني لابن قدامة ج ٧ ص ٣٥١ باب قسمة الفى والغنيمة.

(٣) — الاحكام السلطانية للماوردي باب قسم الفى ص ١٢٦ والاحكام السلطانية لأبي يعلى

بالاحاديث الكثيرة الدالة على ذلك، الواردة عن ائمة اهل البيت (ع)، الذين هم احد الثقلين الذين امرنا بالتمسك بهم وهم سفينة نوح وباب حطة هداانا الله جميعاً الى المزيد من محبتهم، والتمسك بهم ومتابعتهم في اقوالهم وافعالهم، وما ذلك على الله بعزيز.





## محتويات الكتاب

- ١ - محتويات الكتاب اجمالاً
- ٢ - محتويات الكتاب بالتفصيل



## ١ - محتويات الكتاب اجمالاً

تقديم

٣

### الباب الخامس :

من الهجرة الى بدر

- |         |  |
|---------|--|
| ١٦-٧    | الفصل الأول: النبي (ص) في المدينة          |
| ٧٤-١٧   | الفصل الثاني: اعمال تأسيسية في مطلع الهجرة |
| ١١٩-٧٥  | الفصل الثالث: قضايا واحداث غير عسكرية      |
| ١٣٣-١٢١ | الفصل الرابع: الجهاد في الاسلام            |
| ١٥٩-١٣٥ | الفصل الخامس: سرايا وغزوات قبل بدر         |

### الباب السادس بدر العظمى

- |         |   |
|---------|---|
| ١٩٨-١٦٣ | الفصل الاول: في اجواء القتال            |
| ٢٢٣-١٩٩ | الفصل الثاني: نتائج الحرب               |
| ٢٥٩-٢٢٥ | الفصل الثالث: الغنائم والاسرى           |
| ٢٦٩-٢٦١ | الفصل الرابع: نهاية المطاف              |
| ٣٢٣-٢٧١ | الفصل الخامس: بحوث ليست غريبة عن السيرة |



## ٢ - محتويات الكتاب بالتفصيل

٣

تقديم

الباب الخامس: من الهجرة الى بدر

### الفصل الاول: النبي ص في المدينة ٧ - ١٦

- |    |                           |
|----|---------------------------|
| ٩  | ورود النبي (ص) المدينة    |
| ١٠ | منزل النبي (ص) في المدينة |
| ١١ | ابن سلام .. والاسلام      |
| ١٦ | ملاحظة اخيرة هنا ..       |

### الفصل الثاني: اعمال تأسيسية في مطلع الهجرة ١٧ - ٧٤

١٩

بداية

- |    |                            |
|----|----------------------------|
| ٢٠ | ١ - بناء مسجد المدينة      |
| ٢٠ | الف: ابوبكر والعشرة دنانير |

- ٢١ باء: أحجار الخلافة
- ٢٣ جيم: عثمان وعمار
- ٢٤ ألم يكن عثمان في الحبشة؟! والجواب الصحيح هنا هو:
- ٢٥ سرانتصار النبي (ص) لعمار
- ٢٧ لماذا المسجد أولاً
- ٢٨ مشاركة النبي (ص) في بناء المسجد
- ٣١ جماعة خاصة بالنساء
- ٣١ ٢- تحقيق حول مبدأ التاريخ الهجري: من هو أول من أرخ بالهجرة
- ٣٢ بداية
- ٣٢ الحكاية كما يروها المؤرخون
- ٣٣ الرأي الأمثل
- ٣٥ من المشير بمحرم
- ٣٥ الموافقون على هذا الرأي
- ٣٧ كلام السهيلي
- ٣٨ ما نستند إليه
- ٤٠ عود على بدء
- ٥٥ والتاريخ المسيحي إذن لماذا؟
- ٥٦ دعوة مخلص
- ٥٧
- ٥٨ ٣- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
- ٥٩ عدد الذين كانت المؤاخاة بينهم
- ٦٠ المؤاخاة بين كلٍ ونظيره
- ٦٠ مؤاخاة النبي (ص) لعلي
- ٦١ تواتر حديث المؤاخاة

٦٢	تكنية علي (ع) بأبي تراب
٦٣	مع المنكرين لمؤاخاة النبي (ص) لعلي (ع)
٦٣	ونحن نقول
٦٥	مع قضية المؤاخاة
٦٥	الف: السموبالعلاقات الانسانية
٦٥	باء د ورمؤاخاة في بناء المجتمع الجديد
٦٦	الاول: الحق
٦٧	الثاني: المؤاساة
٦٧	خلة أبي بكر
٦٨	على أبي ذرأن لا يعصي سلمان
٦٩	٤ — أسس العلاقات في المجتمع الجديد
٧٠	نص الوثيقة
٧٤	٥ — موادعة اليهود

## الفصل الثالث:

### ١١٩—٧٥ قضايا وأحداث غير عسكرية

٧٧	عودة بعض المهاجرين الى الحبشة
٧٨	عائشة في بيت النبي (ص)
٧٩	استدلال طريف
٨٠	فاتحة عهد جديد
٨٠	تشرع الأذان
٨١	مناقشة روايات الأذان
٨٧	الكلمة الأخيرة

٨٨	حي على خير العمل في الأذان
٩٧	كلمة حول هذا الرأي
٩٧	سبب حذف هذه العبارة
٩٨	الزيادة في الصلاة
٩٩	قول آخر في فرض الصلاة
١٠٠	فرض الزكاة
١٠١	رواية تعارض ما سبق
١٠٢	فرض زكاة الفطرة
١٠٢	فرض الصيام
١٠٤	صيام يوم عاشوراء
١٠٥	كذب تلك الروايات
١٠٧	من فضائل يوم عاشوراء
١٠٧	يوم عزاء... و يوم عيد
١٠٨	وضع الاحاديث
١٠٩	أساليب مقاومة عاشوراء
١١٠	آية الصلح بين المؤمنين
١١٢	اسلام سلمان المحمدي
١١٣	ملاحظة
١١٣	بثرومة في صدقات عثمان
١١٧	بثراً يس
١١٧	حقيقة القضية
١١٨	تأبير النخل



١٣٣-١٢١

## الفصل الرابع: الجهاد في الاسلام

- ١٢٣ الاسلام والسيف  
١٢٤ ١- الحرب في الاسلام وفي غيره  
١٢٥ إشارة  
١٢٥ ٢- حيث لا بد من الحرب  
١٣٣ هل الاسلام قام بالسيف

١٥٩-١٣٥

## الفصل الخامس: سرايا و غزوات قبل بدر

- ١٣٧ غزواته وسراياه  
١٣٧ المهاجرون اولاً  
١٣٩ سرية عبد الله بن جحش الى بطن نخلة  
١٤٠ وصية النبي (ص) للسرايا  
١٤١ أ- تكتية علي (ع) بأبي تراب  
١٤٢ التزوير والافتراء  
١٤٢ لماذا الوضع والاختلاق  
١٤٤ قيمة هذه الكنية

- ١٤٥ ٢- لماذا المهاجرون فقط؟  
١٤٥ الف: على الانصار نصره (ص) في دارهم  
١٤٦ باء: مسألة الحرب والسلام..  
١٤٦ ظروف الأنصار الخاصة  
١٤٨ جيم: الحالة النفسية للمهاجرين

١٤٨	دالذ العريي .. وقضية الدم
١٥٠	قريش ... والأنصار
١٥٢	تزيير التاريخ
١٥٤	تأكيد النبي (ص) على بر الانصار
١٥٥	لاغنى في الحرب عن الانصار
١٥٦	٣ — لماذا السرايا؟
١٥٦	الاول: الموادعات والتحالفات
١٥٧	الثاني: مضايقة قريش
١٥٨	وصاياها (ص) لبعوثها
١٥٩	محاولة قرشية فاشلة.

## الباب السادس بدر العظمى

١٦٣—١٩٨	الفصل الاول: في اجواء القتال
١٦٥	الانتداب الى بدر
١٦٦	الذين يخشون الناس
١٦٨	رؤى اعاتكة
١٦٨	قريش تتجهز
١٦٨	موقف أمية بن خلف
١٦٩	مع قضية ابن خلف
١٧٠	رجوع طالب بن أبي طالب عن الحرب

- ١٧١ هكذا قالوا.. ونحن نقول
- ١٧٢ المكرهون والراجعون
- ١٧٢ موقف الرسول من المكرهين والراجعين
- ١٧٢ نظرة على موقف النبي (ص) من هؤلاء
- ١٧٣ النبي (ص) يستشير في أم الحرب
- ١٧٥ ١ - استشارة النبي (ص) أصحابه
- ١٧٦ ٢ - حرب قر يش هو الرأي
- ١٧٧ ٣ - التربية النفسية
- ١٧٧ ٤ - نظرة في الآراء حول الحرب
- ١٧٨ ٥ - سرّ سروره (ص) بكلام سعدوالمقداد
- ١٧٩ الحباب ذو الرأي
- ١٨٠ عدة وعدد المسلمين والمشرّكين
- ١٨٢ المشرّكون يدرّكون بغيرهم وعدوانهم
- ١٨٢ مواقع الجيشين
- ١٨٣ معنويات المسلمين.. والعنايات الثربانية
- ١٨٤ أهداف الحرب
- ١٨٤ في المواجهة
- ١٨٦ هدوء ما قبل العاصفة
- ١٨٧ الف: سرّ رعب المشرّكين
- ١٨٧ باء: نظرة في عروض النبي (ص) على المشرّكين
- ١٨٨ جيم: النبي (ص) لا يبدأ القتال
- ١٨٨ النبي (ص) في العريش
- ١٩٠ إشارة
- ١٩١ المبارزة
- ١٩٢ بعد قتل الفرسان الثلاثة

١٩٤	الف: غضب النبي (ص) لأبي طالب
١٩٤	باء: بدء النبي (ص) بأهل بيته
١٩٥	جيم: سخريه شيبية
١٩٥	دال: الحق الذي جعله الله تعالى للمسلمين
١٩٦	المعركة.. ثم الهزبية

١٩٩-٢٢٣

## الفصل الثاني: نتائج الحرب

٢٠١	نتائج الحرب
٢٠١	بطولات علي (ع)
٢٠٤	رواية مكذوبة
٢٠٥	ما هو الصحيح اذن؟
٢٠٦	إشارة
٢٠٦	قتلى المشركين في القلب
٢٠٨	مهجع سيد الشهداء
٢٠٩	ذوالشمالين
٢٠٩	الف: اهتمام علي (ع) برسول الله في بدر
٢١١	باء: الحرب مصيرية
٢١١	جيم: الهزيمة.. وعدم تكافؤ القوى والامداد بالملائكة
٢١٣	بيان ذلك
٢١٧	دال: حقد قریش على الأنصار
٢١٩	لماذا أهل بيته أولاً؟
٢٢٠	هاء: بدر واثرها على علي (ع)
٢٢١	الشهداء من الأنصار
٢٢١	كلام هام للعلامة الطباطبائي

- ٢٢٧ قسمة الغنائم
- ٢٢٨ النبي (ص) لم يأخذ الخمس في بدر
- ٢٢٩ النبي (ص) يرده الخمس على أصحابه باستمرار
- ٢٣١ اكتفاء الناس في عهد علي (ع)
- ٢٣٢ ملاحظة هامة: الخمس.. والطبقة
- ٢٣٤ بعض المتخلفين.. وغنائم بدر
- ٢٣٤ الف: طلحة وسعيد بن زيد
- ٢٣٥ باء: عثمان بن عفان
- ٢٣٧ الغارات على الفضائل
- ٢٣٨ قتل أسيرين
- ٢٣٩ الف: نسب عقبة
- ٢٤٠ النار للصبيّة
- ٢٤١ جيم: لماذا الطعن في نسب عقبة
- ٢٤١ دال: إنكار قتل النضر بن الحارث في بدر
- ٢٤٢ مصير الباقيين من الاسرى:
- ٢٤٣ لوزل العذاب.. مانجا إلابن الخطاب
- ٢٤٧ بين رأي عمر.. ورأي ابن معاذ
- ٢٤٨ قتل الاسرى هو الاصوب
- ٢٤٩ مع موقف عمر من الاسرى
- ٢٥٠ انين العباس في الوثاق
- ٢٥١ فداء العباس واسلامه
- ٢٥٤ إشارة
- ٢٥٥ مؤامرة على حياة النبي (ص)
- ٢٥٥ موقف النبي (ص) من قلائذ زينب
- ٢٥٦ سؤال.. يحتاج إلى جواب

٢٥٦	أستاذ المعتزلي وقضية زينب
٢٥٧	فداء الاسير: تعليم الكتابة
٢٥٨	معاملة الاسرى

## ٢٦٩-٢٦١

## الفصل الرابع: نهاية المطاف

٢٦٣	أهل بدر مغفور لهم
٢٦٥	من هم افضل من أهل بدر
٢٦٦	عودة خيبة
٢٦٦	عودة ظفر
٢٦٧	بعض نتائج حرب بدر
٢٦٨	النجاشي يفرح لنتائج بدر

## الفصل الخامس:

## ٢٧١-٢٢٣

## بحوث ليست غريبة عن السيرة

٢٧٣	تمهيد
٢٧٤	البحث الاول: خصائص الشيعة
٢٨٠	البحث الثاني: أبو بكر في العريش، وشجاعة أبي بكر
٢٨١	عدم صحة ماتقدم
٢٨١	الف: فرار أبي بكر في المواقف
٢٨٤	باء: حراسة أبي بكر للنبي (ص)
٢٨٦	جيم: أبو بكر في ساحة الحرب
٢٨٧	دال: الإخبار بحرب أمير المؤمنين (ع) للناكثين والقاسطين
٢٨٨	هاء: حرب مانعي الزكاة

٢٩٠	البحث الثالث: ذوالشمالين، وسهول النبي (ص)
-----	---

٢٩٣	لماذا كان ما كان؟
٢٩٣	إيراد وجوابه
٢٩٤	العصمة عن السهو والخطأ والنسيان اختيارية
٢٩٦	ولم نجد له عزمًا
٢٩٦	عود على بدء
٢٩٧	العصمة عن الذنب اختيارية أيضاً: سؤال يحتاج الى جواب
٢٩٨	الإسلام والفتنة
٣٠١	عناصر لا بد منها في العصمة
٣٠٢	التوضيح والتطبيق
٣٠٤	أفضل الخلق محمد (ص)
٣٠٤	علماء أمتي أفضل من بني اسرائيل
٣٠٦	البحث الرابع: الخمس بين السياسة والتشريع
٣٠٦	معنى الغنيمة
٣٠٨	الخمس في كتب النبي (ص) ورسائله
٣١١	نظرة في تلك الرسائل
٣١٢	جباة الخمس
٣١٣	في السيوب الخمس
٣١٤	وثمة دليل آخر
٣١٤	الخمس في المعدن والركاز
٣١٦	مواضع الخمس في الكتاب والسنة
٣١٧	ومن طريق أهل البيت نذكر:
٣١٨	مصير الخمس بعد الرسول (ص)
٣١٨	في عهد أبي بكر
٣١٨	في عهد عمر
٣١٩	في عهد عثمان
٣١٩	سيرة علي (ع) في الخمس
٣٢٠	في عهد معاوية

في عهد الأمويين حتى عهد عمر بن عبدالعزيز

٣٢١

آراء فقهاء أهل السنة في الخمس

٣٢١

رأي أهل البيت وشيعتهم في قضية الخمس

٣٢٢



جعفر مرتضى العاملى

# الصحيح

من سيرة النبى الاعظم  
صلى الله عليه  
وآله وسلم

الجزء الرابع

دراسة وتحليل

١٤٠٣ هـ.ق

الكتاب : ماهو الصحيح في سيرة النبي الاعظم (ص)  
المؤلف : جعفر مرتضى الحسيني العاملي  
حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف  
قم المقدسة ١٤٠٠ هـ - ق

## بسم الله الرحمن الرحيم:

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل بريته محمد وآله  
الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الأولين، والآخريين،  
الى قيام يوم الدين...

وبعد:

فهذا هو الجزء الرابع من كتاب: الصحيح من سيرة  
النبي(ص)، أقدمه للقراء الاعزاء، على أمل أن ينال رضاهم، مع رجائي  
الاكيد: أن يتحفوني بملاحظاتهم وآرائهم النافعة، ولهم مني جزيل الشكر  
وفائق التقدير.

جعفر مرتضى العاملي



## الباب السابع:

ما بين بدر وأحد...

شخصيات وأحداث	الفصل الأول:
قضايا وأحداث في المجال العام	الفصل الثاني:
غزوات وسرايا دفاعية	الفصل الثالث:
غدر اليهود، ومرحلة الاغتيالات المنظمة	الفصل الرابع:
حروب علنية بين اليهود والمسلمين.	الفصل الخامس:



# الفصل الأول:

شخصيات وأحداث





## تمهيد:

لقد لاحظنا الاحداث التي بين بدر وأحد، فوجدناها تنقسم إلى قسمين: أحدهما: يسير في الاتجاه الشخصي ظاهراً، بمعنى أنه يدور حول احداث مرتبطة بشخصيات معينة، ولكنها في نهاية المطاف لا بد وأن تؤثر على الجوالعام، أو استفيد منها للتأثير فيه بنحو، أو بآخر...

الثاني: الأحداث التي تصب في سير الاتجاه العام مباشرة، كالحروب، والاغتيالات، ونقض العهود، وماشاكل...

ونحن لا بد وأن نتحدث عن القسمين معاً، ونقدم الحديث على القسم الأول... فنقول: إن الحديث سوف يشمل البحوث التالية:

١- وفاة رقية زوجة عثمان، والملابس التي اكتتفت ذلك...

٢- زواج عثمان بام كلثوم بنت النبي(ص).

٣- هجرة زينب بنت النبي(ص)، وما يرتبط بذلك...

٤- زواج امير المؤمنين(ع) بالزاهراء: ظروفه وملابساته، ومناقشة بعض ما يذكر في ذلك... ويدخل في ذلك بحث:

ألف: أسطورة زواجه(ع) ببنت أبي جهل...

باء: بحث متى كان تحريم الخمر...

٥- أم سلمة في بيت النبي (ص).

٦- زواجه (ص) بحفصة.

٧- زواجه (ص) بزینب بنت خزيمة...

٨- سر تعدد زوجاته (ص)...

وتمر في خلال ذلك مناقشات لا بد منها لما قيل أو يقال، مما لا مجال لتجاهله والتجاوز عنه... فنقول:

### ١- وفاة رقية:

قيل: إن رقية بنت أوريبة النبي (ص) قد توفيت في السنة الثانية، في شهر رمضان، يوم النصر ببدر. وقيل: بل إن زيد بن حارثة جاء بشيراً بالنصر في حين كان عثمان واقفاً على قبرها يدفنها...

وقال النووي: إنها توفيت في ذي الحجة (١).

ونحن نرجح: أنها توفيت بعد رجوعه (ص) من بدر، وذلك استناداً إلى

مايلي:

١- ان رواية: ان عثمان تخلف عن بدر ليرضها محل شك؛ وذلك لما تقدم من تعيين عبدالرحمان بن عوف، وابن مسعود وغيرهم له بتخلفه عن بدر؛ فكيف خفي عليهم عذره، بل وفضله إذا كان (ص) قد ضرب له بسهمه وأجره كما يقولون...

هذا عدا عن الرواية التي تقول: إنه تخلف لأنه كان مريضاً بالجدري... وقد تقدم كل ذلك في وقعة بدر.

٢- لقد ذكر النووي: انها توفيت في شهر ذي الحجة بعد

بدر(١)... وأيضاً فقد ذكر ابن قتيبة: أنها توفيت لسنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً من مقدمه(ص) المدينة(٢).

وهذا معناه: أنها توفيت في محرم... وهذا يقوى ما ذكره النووي آنفاً، وإن كان هذا أكثر دقة وتحديداً...

٣— لقد روى ابن سعد، وغيره: أنه(ص) قال حينما توفيت رقية: الحقي بسلفنا عثمان بن مظعون، فبكت النساء على رقية؛ فجاء عمر بن الخطاب، فجعل يضرهن... إلى أن قال: فقعدت فاطمة على شفير القبر تبكي، فجعل يمسح عن عينها بطرف ثوبه(٣).

ورد الواقدي هذه الرواية: بأن رقية قد توفيت، والنبى(ص) غائب في بدر، فلعل المراد غير رقية، أو أنه(ص) أتى قبرها بعد قدومه، وبكاء النساء عليها بعد ذلك(٤).

ولكن ردُّ الواقدي هذا... لا يمكن قبوله... فان الرواية الآتفة صحيحة السند، ويعضدها ماتقدم وماسياتي...

وردّها استناداً إلى ماشاع من تمر يض عثمان لها من أجل تأكيدها استقر في نفوسهم من أنه(ص) قد ضرب لعثمان بسهمه وأجره، ليس بأولى من العكس، مع وجود التهمة في مستندهم هذا كما تقدمت الإشارة إليه في وقعة بدر...

٤— وقد جاء بسند صحيح على شرط مسلم، عن أنس: لما ماتت رقية بنت رسول الله(ص)، قال(ص): لا يدخل القبر رجل قارف أهله الليلة،

(١) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٦.

(٢) - ذخائر العقبى ص ١٦٣.

(٣) - راجع: طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٤ و ٢٥ و الاصابة ج ٤ ص ٣٠٤، ووفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٩٥، ومنحة المعبود في تلخيص مسند الطيالسي ج ١ ص ١٥٩، وليراجع قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٣٩ عن الكافي.

(٤) - راجع المصادر المتقدمة.

فلم يدخل عثمان القبر(١)...

وفي لفظ آخر ذكره البخاري، عن أنس قال: شهدنا دفن بنت رسول الله(ص)، ورسول الله(ص) جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان؛ فقال: هل منكم من أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبوطلحة: أنا؛ فنزل في قبرها(٢).

وحكم جمع بأن ذكر رقية في الرواية وهم، أَوْخَطَأ، استناداً إلى ماتقدم من كون رقية قد توفيت، والنبي(ص) في بدر(٣)...

وجوابه كجواب سابقه... وليس هذا بأولى من العكس، بل العكس هو المتيقن حسباً قدمنا آنفاً، وفي وقعة بدر.

### كلام ابن بطلال وغيره:

والمراد بالمقارفة هنا: المجامعة، كما جزم به ابن حزم وغيره... وعلى كل حال... فقد علق ابن بطلال على حديث المقارفة هذا بقوله:

«أراد النبي(ص) أن يحرم عثمان النزول في قبرها. وقد كان أحق

(١) - مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧، وتلخيصه هامش نفس الصفحة للذهبي، وسكت عنه، وليراجع: الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٣٠١ والاصابة ج ٤ ص ٣٠٤، وفتح الباري ج ٣ ص ١٢٧، ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٠ و٢٢٩ وعن تاريخ البخاري الاوسط.

(٢) - صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ١ ص ١٥٢ و١٤٦ ومشكل الآثار ج ٣ ص ٢٠٢ و٢٠٤ والاصابة ج ٤ ص ٣٠٤، والاستيعاب بهامشها ج ٤ ص ٣٠١، والمعتصر من المختصر لمشكل الآثار ج ١ ص ١١٤/١١٣ وسنن البيهقي ج ٤ ص ٥٣، ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧، ومسند أحمد ج ٣ ص ١٢٦ و٢٢٨، وذخائر العقبى ص ١٦٦ والمصنف لعبد الرزاق ج ٣ ص ٤١٤، وعن تاريخ البخاري...

(٣) - الاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٣٠١، ونهاية ابن الاثير ج ٤ ص ٤٦، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٦، والاصابة ج ٤ ص ٣٠٤ و٤٨٩ عن أبي عمرو ابن سعد، وعن البخاري ولكن قد رأينا أن البخاري لم يصرح بأنها أم كلثوم، نعم قد ذكر الرواية في رقية في تاريخه ثم ناقشها بما ذكره... والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧ عن البخاري، وفتح الباري ج ٣ ص ١٢٧ عنه و١٢٦ عن غيره، والروض الانف ج ٣ ص ١٢٧، وذخائر العقبى ص ١٦٦.

بها؛ لأنه كان بعلمها. وقد منهم علماً لا عوض منه؛ لأنه حين قال عليه السلام: أيكم لم يقارف الليلة أهله سكت عثمان، ولم يقل: أنا؛ لأنه كان قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه، ولم يشغله الهم بالمصيبة، وانقطاع صهره من النبي (ص) عن المقارفة؛ فحرم بذلك ما كان حقاً له، وكان أولى به من أبي طلحة وغيره، وهذا بين في معنى الحديث.

ولعل النبي (ص) قد كان علم ذلك بالوحي؛ فلم يقل له شيئاً؛ لأنه فعل فعلاً حلالاً، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً يشغله، حتى حرم ما حرم من ذلك بتعريض دون تصريح (١)». .

وقال ابن حبيب: «ان السر في اثار ابي طلحة على عثمان: ان عثمان كان قد جامع بعض جواريه في تلل الليلة؛ فتلطف (ص) في منعه النزول في قبر زوجته بغير تصريح (٢)».

وللعامة الأميني هاهنا كلام جيد ذكر فيه: أن النبي الداعي للستر على المؤمنين، والداعي للاغضاء عن العيوب، والناهي عن التجسس بنص القرآن العظيم عما يقع في الخلوات، يخرج هنا عن سجيته، ويخالف طريقته، ويعرض بعثمان هذا التعريض الذي فضحه، وحرمه مما هو حق له... الأمر الذي يدل على أن ما اقترفه عثمان كان أمراً عظيماً، لا مجرد كونه فعل أمراً حلالاً، ربما يكون قد اضطر إليه بسبب طول مرض زوجته، كما قد يحلو للبعض (٣) أن يعتذر؛ فإن ذلك لا يستدعي من النبي (ص) أن يقف هذا الموقف الحازم (٤) انتهى ملخصاً.

ونقول: نعم... ولعل عثمان قد ارتكب في حق رقية ذنباً عظيماً جداً لم يستطع التاريخ أن يفصح لنا عنه... بل نجد نصاً في الكافي يقول: إن

(١) - الروض الانف للسهيلى ج ٣ ص ١٢٧/١٢٨.

(٢) - فتح الباري ج ٣ ص ١٢٧.

(٣) - المصدر السابق.

(٤) - الغدير ج ٨ ص ٢٣٣.

رقية لما قتلها عثمان وقف النبي (ص) على قبرها؛ فرفع رأسه إلى السماء، فدمعت عيناه، وقال للناس: إني ذكرت هذه ومالقيت؛ فرقت لها، واستوهبتها من ضمة القبر (١).

ولعل مما يشير إلى ذلك ... مارواه في تقريب ابن الصلاح، عن تاريخ الثقفى: أن عثمان لما خطب وقال: الست ختن النبي على ابنتيه؟ أجابته عائشة: بأنك كنت ختنه عليها، ولكن كان منك فيها ما قد علمت (٢).

وبعد كل ماتقدم... فهل يمكن أن نصدق: أنه (ص) قال: إنه لو كان عنده ثالثة، أو عشرة، أو أربعين أو... لكان زوجها لعثمان! (٣).

### أكاذيب... وأباطيل:

والاكاذيب والاباطيل هاهنا كثيرة ونشير منها إلى مايلي:

١- إن هنا رواية تقول: إنه بعد موت رقية رأى النبي (ص) عثمان مهموماً لهفان (أو أنه يبكي بكاء شديداً)، فسأله (ص)؛ فقال: وهل دخل على أحد مادخل علي؟. ماتت ابنة رسول الله التي كانت عندي، وانقطع ظهري، وانقطع الصهر بيني وبينك؛ فبينما هو يحاوره إذ قال النبي (ص): يا عثمان، هذا جبريل (ع) يأمرني عن الله أن أزوجك أختها أم كلثوم، على مثل صداقها، وعلى مثل عسرتها؛ فزوجه اياها (٤).

عجيب!! أوليس هذا النبي (ص) نفسه هو الذي حرم عثمان من الدخول في قبر رقية؛ لأنه رفته إلى جارية في نفس ليلة وفاتها!؟

أوليس عثمان هو الذي عبرته عائشة بأنه كان منه في رقية وأختها

(١) - قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٣٩.

(٢) - قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٤٠.

(٣) - راجع؛ الغدير ج ٨ ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٤) - راجع: مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٤٩، وأسد الغابة ج ٥ ص ٦١٢ و ٦١٣ عن ابن المسيب، وذخائر العقبى ص ١٦٥/١٦٦ عن ابن عباس وأبي هريرة، وقال: أخرجها الفضائلي...

ماقد علم؟! ...

٢— ورواية أخرى مفادها: أن أبا هريرة دخل على رقية، فأخبرته: أن رسول الله كان عندها أنفأ، وسألها (ص) كيف تجد عثمان، فقالت: بخير. قال: اكرميه فانه من أشبه أصحابي بي خلقاً (١)...

ونحن لانزيد هنا على ماقاله الحاكم، وأيده الذهبي في تلخيصه: «هذا حديث صحيح الاسناد، واهي المتن، فان رقية ماتت سنة ثلاث (٢) من الهجرة عند فتح بدر، وأبو هريرة إنما اسلم بعد فتح خيبر (٣)».

هذا... مع غض النظر عن المناقشة الكبيرة في أن يكون عثمان من أشبه أصحابه به خلقاً؛ فإن المراجعة لسيرة عثمان وأخلاقه وسلوكه، لا يمكن أن تؤيد هذا بوجه من الوجوه، ونحيل القارئ إلى مورد واحد يكشف له عن خلق عثمان، وهو قضيته مع عمار حين بناء المسجد... هذا كله عدا عما ظهر منه في أيام خلافته من أمور نقمها الصحابة عليه، حتى انتهى بهم الأمر إلى أن قتلوه من أجلها...

وثمة روايات أخرى حول عثمان وزواجه برقية وأم كلثوم، تعرض لها العلامة الأميني في الغدير فمن أرادها فليراجعها (٤).

### كلمة أخيرة حول رقية وعثمان:

ويذكرون أخيراً... أن رقية كانت قبل عثمان متزوجة بابن أبي لهب وقد فارقت بالطلاق، وثمة رواية تقول: إن المبادرة بالطلاق كانت من

(١)— مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٨، وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة، وجمع الزوائد ج ٩ ص ٨١، وسيرة مغلطاي ص ١٧/١٦، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٤ عن الحاكم، وابن عساكر.

(٢) — الصحيح: سنة اثنتين

(٣) — مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٨، وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة.

(٤) — راجع: الغدير ج ٥ ص ٣٢٦، وج ٩ ص ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٠٣ و ٣٧٢ و ٣٧٤، وموارد أخرى لاجمال لذكرها.

جانب آل أبي لهب، انتقاماً منها ومن أبيها، لأنها صبت إلى دينه... وهذه الرواية هي المعروفة...

ولكننا نجد في مقابلها رواية حسنة الاسناد تقول: إن النبي (ص) قد طلب من عتبة طلاق رقية؛ وسأله رقية ذلك فطلقها (١).

ونحن... وإن كنا لانستغرب خبث نفوس آل أبي لهب، ولا يبعد أن تكون قد تعرضت عندهم للأذى، ولربما يستفاد ذلك من طلبها هي الطلاق... إلا أننا ربما نجد في هذه الرواية الثانية: أن النبي (ص) كان يسعى إلى أن لا يقره مسلمة مع مشرك، إن استطاع إلى ذلك سبيلاً....

وعلى كل حال... فإن عثمان قد تزوجها بعد طلاق ابن أبي لهب لها... ويظهر أن ذلك كان في الإسلام؛ كما تدل عليه الروايات المتقدمة (٢)، وإن كان البعض يحاول أن يدعى أنه تزوجها في الجاهلية، ولكن ماتقدم يدفعه...

ويدفعه أيضاً أن ابن شهر آشوب يذكر: أن عثمان قد عاهد أبابكر أن يسلم إذا زوجه النبي (ص) رقية (٣). وكانت رقية ذات جمال رائع (٤)، ومن أحسن البشر (٥) فلعل النبي (ص) زوجه إياها تألفاً له على الإسلام فأسلم... ويكون معنى قولهم - وإن كان ذلك بعيداً - إنه كان قد تزوجها في الجاهلية: أنه تزوجها ثم أسلم وفاء بعهد له لأبي بكر...

ولسوف يأتي بعض ما يتعلق بهذا أيضاً حين الكلام على زواج علي عليه السلام بفاطمة إن شاء الله.

- 
- (١) - مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٦/٢١٧ عن الطبراني. قال الهيثمي: وفيه زهير بن العلاء، ضعفه أبو حاتم، ووثقة ابن حبان، فالاسناد حسن.
- (٢) - راجع: ذخائر العقبى ص ١٦٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧ عن الدولابي، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٦.
- (٣) - مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٢.
- (٤) - المواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧ و ذخائر العقبى ص ١٦٢.
- (٥) - مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٤٧، وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة.



## ٢- زواج عثمان بأم كلثوم:

قال البعض: إنه في ربيع الأول من سنة ثلاث تزوج عثمان بأم كلثوم، وبني بها في جمادى الآخرة (١).

ولكن قد ذكر في قرب الاسناد عن الصادق عليه السلام: أن أم كلثوم ماتت ولم يدخل بها عثمان (٢).

وكان أبوبكر وعمر قد خطبا أم كلثوم، فلم يزوجها رسول الله (ص) (٣) فلما ماتت رقية خطب عثمان حفصة بنت عمر، فأبى عمر أن يزوجه، فبلغ ذلك النبي (ص)؛ فتزوج هو حفصة، وزوج عثمان أم كلثوم (٤).

وعن عائشة: أنه (ص) جاء أم كلثوم بعد ثلاث، فسألها عن زوجها، فقالت: خير رجل. فقال: أما إنه أشبه الناس بجدك إبراهيم، وأبيك محمد...

وعدا عن ان رواية قرب الاسناد المتقدمة تنكر أن يكون عثمان قد دخل بأم كلثوم؛ فانهم قد حكموا على خير عائشة هذا بأنه: موضوع (٥).

هذا... كله مع غض النظر عما تقدم من أن أخلاق عثمان لم تكن توافق أخلاق أبيها محمد... وأن الصحابة إنما قتلوه لاجل ذلك... وأما سؤال: إنه كيف يزوجه أم كلثوم وهو قد عرف سوء معاملته لرقية، فلسوف يأتي جوابه حين الكلام على تعدد زوجاته (ص) وسوف يأتي إن شاء الله في أواخر غزوة أحد بعض ما يتعلق بمعاملة عثمان لأم كلثوم، حين الكلام على سبب

(١) - الإصابة ج ٤ ص ٤٨٩، والاستيعاب بما مشها ج ٤ ص ٤٨٧.

(٢) - رجال المامقاني ج ٣ ص ٧٤/٧٣ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٠٦ وقرئ منه خبر الخصال في ص ٤٠٧ من القاموس.

(٣) - مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٤٩.

(٤) - ذخائر العقبى ص ١٦٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧. وقال: أخرجه الخجندی.

(٥) - لسان الميزان ج ٢ ص

وفاتها...

## ٣- هجرة زينب بنت النبي (ص):

ويقولون: إنه بعد شهر من وقعة بدر كانت هجرة زينب بنت (١) النبي (ص) إلى المدينة. حيث أرسل (ص) زيد بن حارثة، وانصارياً آخر ليأتيها... كما أن زوجها قد أمرها بأن تهاجر إلى أبيها، وفاء بالشرط الذي شرطه له حينما أسرف في بدر، وخرج بها جهاراً ليسلمها إلى زيد... فأنف القرشيون خروجها من بينهم على هذه الحالة؛ فخرجوا في طلبها؛ فأدركوها بذي طوى؛ فسبق إليها هبار بن الأسود، فروعها بالرمح وكانت حاملاً، فأهراقت الدم، ولما رجعت طرحت ذابطنها (وفي نص آخر: أنه دفعها، فسقطت على صخرة، فأسقطت، وأهراقت الدماء؛ فلم يزل بها مرضها حتى ماتت (٢)-)؛ فبرك حموها كنانة بن الربيع، ونثل كنانته؛ وتهدهم، فتكركر الناس عنه، ففاوضه أبوسفیان؛ فكان مما قاله له:

«قد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد أبيها؛ فيظن الناس إذا أنت خرجت بابنته جهاراً: أن ذلك عن ذل أصابنا، وأن ذلك مناوهن وضعف».

ثم طلب منه أن يرجعها إلى مكة، ثم يسلمها سرّاً... فقبل منه ذلك... وعادها، ثم أخرجها ليلاً، وسلمها إلى زيد، فقدم بها على رسول الله (ص).

وفي نص آخر: أنه لما أرجعها بقيت عند هند بنت عتبة؛ فكانت تقول لها: هذا بسبب أبيك. فأرسل الرسول (ص) زيد بن حارثة، ومعه خاتمه علامة لها، فأعطاه إلى راعي أبي العاص؛ فأوصله إليها، فسألته عن مكانه، ثم خرجت إليه ليلاً، فقدم بها على الرسول (ص) (٣).

(١) - أوربيسته.

(٢) - مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٤٤ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٤٦، وجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٦، وقال: رواه الطبراني، وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) - راجع في هذه الرواية: ذخائر العقبى ص ١٥٧، وجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٢.

وفي عام الفتح أرجع الرسول زينب إلى زوجها، كما سيأتي إن شاء الله...

وقد أهدر الرسول (ص) دم هباربن الاسود ورفيقه، كما ورد في رواية صحيحة على شرط أصحاب الصحاح والسنن (١)... وكما هو معروف ومشهور...

وقبل أن نمضي في الحديث، لابد من تسجيل النقاط التالية...

### الف: ماجرى لزينب... وما جرى لفاطمة:

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: «قلت: وهذا الخبر أيضاً قرأته على النقيب (٢) أبي جعفر رحمه الله؛ فقال: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أباح دم هباربن الاسود؛ لأنه روع زينب؛ فألقت ذابطنها؛ فظهر الحال: أنه لو كان حياً لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقت ذابطنها...

فقلت: أروي عنك مايقوله قوم: ان فاطمة روعت؛ فألقت المحسن؟!.

فقال: لا تروه عني، ولا ترو عني بطلانه؛ فاني متوقف في هذا الموضوع؛ لتعارض الأخبار عندي فيه (٣)».

وهكذا... فلقد خاف أبو جعفر: أن يتعرض لما تعرض له غيره ممن يروى فضائل أمير المؤمنين، وأهل البيت، وما جرى عليهم. لقد خاف على نفسه، أولاً أقل على مكانته واعتباره ومستقبله العلمي... ولا سيما إذا كانت هذه الرواية تتضمن اباحة دم عدد من كبار الصحابة!!.

(١) - راجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣١.

(٢) - قد تقدم في غزوة بدر حين الكلام على فداء الاسرى، حينما أرسلت زينب بالقلائد بعض مايعبر عن شخصية أبي جعفر هذا... فراجع.

(٣) - شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٩٣.

## باء: روايات اسقاط المحسن أين؟!!

وليت شعري... أين هي تلك الأخبار في اسقاط المحسن، التي قال عنها أبو جعفر: إنها موجودة ومتعارضة؟!!. فهذا نحن لانجد لها عيناً ولا اثرأ في كتبهم ومؤلفاتهم اليوم، إلا ماشدوندرو..

أليس يعني ذلك: أن هذه الأخبار قد اسقطت وقضي عليها كغيرها، من الكثير مما رأوه يضر بمصالحهم وبعقائدهم؟! وان كان قد بقي حتى الآن الكثير النافع، والقاطع، والذي لا مجال لأحد أن ينكره وأن يشكك فيه مما ليس فيه جرح بالغ، أو خزي فاضح...

ولأجل قضية اسقاط المحسن حرفوا كتاب: «المعارف» لابن قتيبة، فقد قال ابن شهر آشوب: المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

«وفي معارف القتيبي: أن محسناً فسد من زخم قنفذ العدوى(١)».

وقال الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ: «وزاد على الجمهور، وقال: إن فاطمة عليها السلام أسقطت بعد النبي ذكراً، كان سماه رسول الله (ص) محسناً، وهذا شيء لم يوجد عند أحد من أهل النقل، إلا عند ابن قتيبة(٢)».

ولكن الموجود في كتاب المعارف لابن قتيبة، المطبوع سنة ١٣٥٣ هـ ص ٩٢ هكذا:

«... وأما محسن بن علي؛ فهلك وهو صغير». وهكذا في سائر الطبعات المتداولة، الآن؛ فلماذا هذا التحريف، وهذه الخيانة للحقيقة وللتاريخ ياترى؟! (٣).

(١) - مناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٥٨.

(٢) - كفاية الطالب ص ٤١٣.

(٣) - وليراجع كتاب: بانوى كربلاء (فارسي) ط سنة ١٣٣٩ هامش ص ١٨-١٩ ودراسات وبحوث في التاريخ والاسلام (للمؤلف) ج ١ ص ٢٩.

ونسب المقدسي: اسقاط فاطمة لمحسن بسبب ضرب عمر لها إلى الشيعة (١)... وهو الذي يظهر من النووي والعسقلاني (٢)...

ولكن النظام قد أعلن رأيه في هذه القضية بشكل جعل من الصعب على الشهرستاني تجاهله، فقال عن النظام، إنه قال: «إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتى ألقى الجنين من بطنها، وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها (٣)».

وذكر البغدادي قول النظام بضرب عمر لفاطمة، وترك التصريح بأنها اسقطت جنينها (٤).

**جيم: عروة يتنقص فاطمة، وموقف السجاد منه:**

ويروى عروة بن الزبير قضية زينب تلك عن عائشة، وفي آخرها: «فكان رسول الله (ص) يقول: هي أفضل بناتي، أصيبت في. قال: فبلغ ذلك علي بن الحسين زين العابدين؛ فأتى عروة، فقال: ما حديث بلغني عنك أنك تحدثه، تتنقص فيه حق فاطمة؟! فقال عروة: ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب: أن اتنقص فاطمة حقاً هوها، وأما بعد، فلك أن لا أحدث به أبداً (٥)».

نعم... لا بد وأن ينكر عروة: أنه يتنقص فاطمة، ولو بأن يجعل المسؤولية تتوجه إلى عائشة نفسها؛ لأن تنقص فاطمة عليها السلام علناً، معناه

(١) - البدء والتاريخ ج ٥ ص ٢٠.

(٢) - ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٣٩، ولسان الميزان ج ١ ص ٢٦٨.

(٣) - الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٥٧ ط سنة ١٣٨٧ هـ . والمطبوع بهامش الفصل في الملل والنحل ج ١ ص ٧٣ مع تصريحه باسم «المحسن» في هذه الطبعة.

(٤) - الفرق بين الفرق ص ١٤٧/١٤٨.

(٥) - مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٣/٤٤، وصححه على شرطها، وتلخيص المستدرك للذهبي، وقال: انه حديث منكر. والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣١، وذخائر العقبى ص ١٥٨، وجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٢/٢١٣، عن الطبراني في الكبير، وفي الاوسط بعضه، ورواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، وحياة الصحابة ج ١ ص ٣٧٩ عن المجمع...

الكفر الصريح، وتكذيب القرآن، ولم يكن ذلك مقبولاً، ولا مستساغاً عند عامة المسلمين، رغم الدعايات الواسعة التي حاولت الحط من كرامة وشأن أهل البيت، وتعظيم ورفع أعدائهم ومناوئهم.

ولانريد أن نزيدها شيئاً على موقف السجاد، فانه قد أوضح لنا بما لا مجال معه للشك المرمى والهدف من روايتهم تلك. وقام عليه السلام ليؤدي رسالته في نصرة الحق وأهله...

ولكن مايلفت نظرنا هنا هو: أن الطحاوي يحاول أن يؤكد على صحة ماكذبه الامام السجاد، وأن يجده التأويل والمخرج... حتى لقد حكم بأن تفضيل زينب على سائر بناته (ص) إنما هو حينما كانت فاطمة صغيرة، ولم تكن بهذه المنزلة، ثم وفقت فاطمة إلى الاعمال الصالحة، وماوهب لها من الذرية؛ فصارت أفضل (١).

فان مانعرفه: هو أن فاطمة إنما فضلت على نساء العالمين بنفسها، وبعملها وجهادها هي، لا بما وهب لها من الذرية؛ فان مجرد أن يكون للانسان ذرية صالحة لايجعل له امتيازاً، مالم يكن هو بنفسه شريفاً وكرامياً وفاضلاً، فان أكرمكم عندالله أتقاكم...

وأيضاً... فاننا نعرف: أن الطحاوي نفسه يذكر: أن فاطمة لم تكن حينئذٍ صغيرة، لأنه يقول: إنها توفيت وعمرها ٢٥ سنة (٢)، مما يعني: أن عمرها كان حين هجرة زينب ١٧ سنة...

والغريب هنا: أنه يقول: إن كون فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام، لاينافي فضل فاطمة، لأنه يجوز أن يكون ذلك قبل بلوغ فاطمة (٣) مع أنه هو نفسه يقول: إن فاطمة كانت اكبر من عائشة بسبع سنين، لأن النبي توفي وعمر عائشة ١٨ سنة، وكان عمر فاطمة ٢٥ سنة عنده

(١) - مشكل الآثار ج ١ ص ٤٦-٤٧.

(٢) - مشكل الآثار ص ٤٧ وليراجع ص ٥١.

(٣) - المصدر السابق ص ٥٣.

(وقد قدمنا نحن أن العكس هو الصحيح) فراجع مباحث أول من اسلم، حول سبق عائشة إلى الاسلام، ومباحث العقد على عائشة، وانتقالها إلى بيت النبي(ص).

ثم... أو ليس البلوغ هو بلوغ تسع سنين، وقد كانت فاطمة يزيد عمرها حينئذ على تسع سنين على جميع الأقوال؟! كما أن آية التطهير قد نزلت بعد هجرة زينب بجوالي سنتين فقط، وقد شملت فاطمة دون زينب وعائشة.

وعلى كل حال... فاننا لانستغرب على الطحاوي ولا على غيره هذه التناقضات والغرائب فانما تلك: «شنشنة أعرفها من أخزم».

#### ٤- اقتران الزهراء(ع) بعلي(ع):

وتزوج أمير المؤمنين عليه السلام بفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان من السنة الثانية. وبنى بها في ذي الحجة من نفس السنة... هذا هو المعتمد والمشهور.

وقيل غير ذلك... فقليل: في السنة الأولى، وقيل في الثالثة بعد أحد، الى غير ذلك مما لا مجال له... وتبعاً لذلك نجدهم يختلفون في تاريخ ولادة الحسنين عليها السلام...

والصحيح أن عمرها حين زواجها عليها السلام كان تسع سنين— وقال آخرون غير ذلك — وقد تقدم تحقيق تاريخ ولادتها، وأنه بعد البعثة بخمس سنين، فلا حاجة لطالة الكلام في ذلك...

ومن الطريف هنا: أن البعض— كمغلطاي— يناقض نفسه، فيذكر أنها تزوجت بأمر المؤمنين(ع) بعد أحد، وعمرها ١٥ سنة. ولكنه يعود فيذكر في نفس الصفحة: أنها توفيت وهاتسع وعشرون سنة. ويضيف: وقيل ثلاثون، وقيل خمس وثلاثون(١)!! وعلى كل حال... فان كثيراً من المؤرخين

(١) — راجع: سيرة مغلطاي ص ١٧. والقول الأخير يدل على أنها ولدت قبل البعثة بجوالي ١٢ سنة، ولم يقل بذلك أحد...

يناقضون أنفسهم حينما يذكرون تاريخ ولادتها ووفاتها، وسنة زواجها، ومقدار عمرها، ومراجعة بسيطة، مع مقارنة خير شاهد ودليل على ما نقول... وهذا يدلنا على أن ذلك ليس من قبيل الصدفة، وإنما له دوافع واهداف لاجمال للافاضة فيها...

والحقيقة— وقد أشرنا إلى ذلك غير مرة—: أن عائشة هي التي كان لها ذلك السن العالي... وأما فاطمة عليها السلام فقد توفي النبي (ص) وعمرها ١٨ سنة، لكنهم عكسوا الأمر لحاجة في أنفسهم قضيت.

### حديث الزواج:

ولقد خطب أبو بكر وعمر (رض) فاطمة أولاً، فقال رسول الله (ص): إنها صغيرة، فخطبها علي؛ فزوجها منه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (١)...

وثمة نص آخر يفيد: أن أشرف قريش قد خطبوا فاطمة، فردهم النبي (ص) ومنهم عبدالرحمان بن عوف (٢) بإشارة من أبي بكر وعمر عليه، وكان قد خطبها أبو بكر فرده (ص)، ثم خطبها عمر فرده (٣).

(١)— مستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٦٧/١٦٨ وسكت عنه الذهبي في تلخيص المستدرك، وسنن النسائي ج ٦ ص ٦٢.

(٢)— البحار ج ٤٣ ص ١٠٨ و ١٤٠ عن ابن بطة في الابانة وعن غيره، وكفاية الطالب ص ٣٠٢/٣٠٣، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٦٨.

(٣)— صحيح ابن حبان، مخطوط في مكتبة: «قبوسراي» في استانبول، وسنن النسائي ج ٦ ص ٦٢، ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٦٧، ولم يتعقبه الذهبي والسيرة الحلبي ج ٢ ص ٢٠٦، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦١، وكفاية الطالب ص ٣٠٤، وفضائل الخمسة ج ٢ ص ١٣٣ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٣ و ١٨٠ وعن ابن عساكر ص ٧٩ عن ابي الحسن بن شاذان. وعن علي بن سلطان في مرقاته ج ٥ ص ٥٧٤ في الشرح، وليراجع ص ١٤٢—١٤٥.

والبحار ج ٤٣ ص ١٠٧ و ١٠٨ عن البلاذري في التاريخ، وابن شاهين في فضائل الائمة ص ١٢٥ و ١٣٦ و ١٤٠ وقال في ص ١٠٨: «قد اشتهر في الصحاح بالاسانيد عن أمير المؤمنين، وابن عباس، وابن مسعود، وجابر الانصاري، وانس بن مالك، والبراء بن عازب، وأم سلمة، بالفاظ مختلفة، ومعاني متفقة: أن أبا بكر، وعمر، خطبا إلى النبي (ص) فاطمة مرة بعد



وعلى كل حال... فقد قيل لعلي- وتصرح طائفة من الروايات أن أبابكر وعمر هما اللذان قصدها الى محل عمله، بعد أن ردهما النبي(ص) فقالا له(١)-: لم لا تخطب فاطمة؟... فخطبها عليه السلام إلى النبي فزوجه إياها... وصرح صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة: بأنه إنما زوجه إياها بأمر من السماء، كما صرحت به المصادر الكثيرة...

وجاء أن سعد بن معاذ، أو أم أيمن، أو جماعة من الأنصار قد طلبوا منه(ع) أن يخطب فاطمة(٢). ولا مانع من أن يكون الكل قد طلبوا منه ذلك لما يرون من مكانته وقرباه من النبي(ص)، بالإضافة الى أهليته في نفسه.

وقد عاتب الخاطبون النبي(ص) على منعهم، وتزويج علي(ع)، فقال(ص): والله، ما أنا منعتكم وزوجته بل الله منعكم وزوجه(٣).

وقد ورد عنه(ص) أنه قال: لولم يخلق علي ما كان لفاطمة كفو(٤)...



أخرى، فردهما»...

وكذلك فليراجع: ذخائر العقبى ص ٢٧-٣٠، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩٢، واسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٠، واللآلئ المصنوعة ج ١ ص ٣٦٥، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١، وجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٤ عن البزار، والطبراني، ورجاله ثقات و ص ٢٠٥ عن الطبراني أيضاً، وشرح النهج ج ١٣ ص ٢٢٨ وليراجع ص ٢٢٧ وقال: «وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة، منهم: أسماء بنت عميس، وأم أيمن، وابن عباس، وجابر بن عبد الله» والصواعق المحرقة ط سنة ١٣٧٥ هـ ص ١٣٩ و ١٤٠ و ١٦١ عن أحمد، وابن أبي حاتم، وأبي الخير القرويني والحاكمي، وأبي داود السجستاني. وكشف الغمة ج ١ ص ٣٥٣ و ٣٦٤ عن علي وام سلمة وسلمان، ومناقب الخوارزمي ص ٢٤٧، وجلاء العيون ج ١ ص ١٥٨ عن أمالي الشيخ، وكنز العمال ج ١٥ ص ١٩٩ و ٢٨٦ و ٢٨٨ عن ابن جرير، وأبي نعيم، وقال: ان الدولابي صححه في الذرية الطاهرة...

(١)و(٢)- راجع: المصادر المتقدمة... فان كثيرانها قد صرح بذلك ...

(٣)- البحار ج ٤٣ ص ٩٢.

(٤)- كنوز الحقائق للمناوى بهامش الجامع الصغير ج ٢ ص ٧٥ عن الفردوس للديلمى، وكشف

الغمة ج ٢ ص ٩٨ والبحار ج ٤٣ ص ١٤١-١٤٥.

وعلى كل حال... فإن في كيفية زفافها صنوات الله وسلامه عليها في الأول أو في السادس من ذي الحجة تفصيلات تظهر مالهما عليها السلام من الفضل والمزية... وكذلك هي تعبر عن البساطة التي تميزها زفاف بنت أعظم انسان على وجه الأرض على رجل هو أعظم وأفضل الناس بعد النبي (ص)، حتى لقد جاء: أن فراشها كان إهاب كبش ينامان عليه ليلاً، ويعلف عليه الناضح نهاراً...

وقبل أن نمضي في الحديث، لا بد من التعرض لبعض ما يرتبط بهذا الموضوع، فنقول:

### ألف: ميزات هذا الزواج:

ويقول العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين، وهو يتحدث عن ميزات هذا الزواج:

«وكانت أولى هذه الميزات: أنه زواج في السماء، وبأمر من الله تعالى، قبل أن يكون نسباً أرضياً، ومجرد ارتباط عاطفي، ويكفي في ذلك ما حدثنا به الخليفة عمر بن الخطاب إذ قال: «نزل جبريل فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة ابنتك من علي(١)».

وكان ثاني هذه الميزات: أن الله تعالى قد جعل الذرية النبوية الطاهرة محصورة بهذا الزواج المبارك، ومن طريق هذين الزوجين، وفي ذلك يقول الخليفة عمر بن الخطاب: «سمعت رسول الله(ص) يقول: «كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكل بني أنثى فعصبتهم لابنهم ما خلا ولد فاطمة فاني أبوهم وأنا عصبتهم(٢)».

ثم كان ثالث هذه الميزات: أن الزهراء عليها السلام وحيدة محمد التي لم يكن لها أخت في النسب الأبوي. أما زينب، ورقية، وأم كلثوم—

(١) — ذخائر العقبى ٣٠، و راجع شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ١٩٣.

(٢) — ذخائر العقبى ص ١٦٩، و قريب منه ما في شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ١٠٦.

وقد اشتهر بكونهن بنات محمد— فهن بنات خديجة رضي الله عنها من زوجها الأولين، ولم يؤيد التحقيق التاريخي المتعمق بنوتهن لمحمد (١)».

ونقول: إن التحقيق يؤيد أنهن ربيبات للنبي (ص) ولخديجة، ولسن بناته ولابناتها وقد تقدم...

**باء: لست بدجال:**

لقد روى غير واحد: أن علياً خطب فاطمة إلى رسول الله (ص)، فقال (ص): هي لك يا علي، لست بدجال... وفي نص آخر: خطب أبو بكر فاطمة إلى رسول الله (ص)، فقال النبي (ص): هي لك يا علي لست بدجال (٢).

وبما أن في هذه الكلمة تعريضا صريحا بمن خطبها قبل أمير المؤمنين، فقد حاول ابن سعد، والبخاري جعل التاء في «لست» للمتكلم، فقال ابن سعد: «وذلك أنه كان قد وعد علياً بها قبل أن يخاطب إليه أبو بكر و عمر (٣)». وقال البخاري: «معنى قوله: لست بدجال يدل على أنه كان وعده، فقال: إني لأخلف الوعد».

وقال الهيثمي: رجاله ثقات إلا أن حجراً (ابن عنبس) لم يسمع من النبي (ص) (٤).

ونحن نقول: إن كلام كل هؤلاء لا يصح وذلك:

(١) — كان ماتقدم هو كلام الشيخ آل ياسين في كتابه الامام علي بن أبي طالب (ع) سيرة وتاريخ ص ٢٧.

(٢) — طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٢، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٤ عن البخاري، والآل المصنوعة ج ١ ص ٣٦٥ عن العقيلي، والطبراني. وروى الحديث في الاصابة ج ١ ص ٣٧٤ عن الطبراني بنفس السند ونفس الراوي مع حذف كلمة «لست بدجال»، وهذا يعبر عن مدى انصاف وامانة العسقلاني في النقل!!!..

(٣) — طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٢.

(٤) — مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٤.

أولاً: لأن العقيلي قد روى هـ

الحديث بنص آخر يوضح أن التاء للمخاطب لا للمتكلم، فقال:  
عن حجر بن عنبس قال: لما زوج النبي (ص) فاطمة من علي قال: لقد زوجتك  
غير دجال (١).

فعنى هذا هو أن النبي (ص) يريد أن ينفي أن يكون قد زوج فاطمة  
رجلاً دجالاً، وليس يريد أن ينفي عن نفسه كونه دجالاً.

كما أنه لو كان يريد أن ينفي عن نفسه الخلف بالوعد لكان الانسب  
أن يقول: لست بمخلف وعدي أو نحو ذلك...

وحكمُ السيوطي على هذا الحديث بالوضع؛ لمكان موسى بن قيس،  
لا اعتبار به لأنه استند في ذلك إلى كلام العقيلي فيه، واتهامه له بالرفض—  
والعقيلي هو الذي يوثق عمر بن سعد قاتل الحسين!!.

وموسى بن قيس قد وثقه كل من تعرض له سوى العقيلي، فليراجع  
كلام ابن معين، وأبي حاتم، وأبي نعيم، وأحمد، وابن شاهين، وابن نمير (٢).

وأما حجر بن العنبس، فقوهم: لم يسمع من النبي (ص)، لاندرى  
مستنده، ونحن نرى: أنه يروي عن النبي، وقد عاصره، بل لقد ادرك  
الجاهلية، وذكره الطبراني في الصحابة (٣)... بل لماذا لا تكون نفس روايته  
هذه دليلاً على سماعه منه، كما يجعل نظائر المقام دليلاً على ذلك...

ولكن الحقيقة هي: أن ذنب حجر الوحيد هو: أنه حضر مع علي  
عليه السلام الجمل وصفين... وهؤلاء اهتمام خاص في تقليل عدد الصحابة  
الذين كانوا مع أمير المؤمنين، وتكثير غيرهم، ولربما نشير إلى هذا الأمر بنوع من  
التفصيل في موقع آخر إن شاء الله تعالى...

(١) — اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٥.

(٢) — تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٦٦/٣٦٧.

(٣) — الاصابة ج ١ ص ٣٧٤.

وثانياً: لقد نصت العديد من المصادر المتقدمة: على أنه لم يكن يخاطر في بال أمير المؤمنين عليه السلام خطبة فاطمة عليها السلام، وأنه لما عرض عليه أبو بكر وعمر ذلك قال: لقد نهتني لأمر كنت عنه غافلاً، ثم ذهب الى النبي (ص)، فخطبها، فأجابها... وهذا يدل على أن النبي (ص) لم يكن قد وعده بها...

كما أن الروايات تنص على أنه (ص) قد أجا بها بأنه ينتظر بها القضاء. ولو كان قد سبق منه وعد لعلي، لكان الانسب أن يقول لهما: إنها مخطوبة، أو انني وعدت بها فلاناً...

وإذن... فقد كان النبي يعرض بغير علي هنا، ممن له علاقة قرابية بهذا الأمر...

والغريب في الأمر: أننا نجد علياً عليه السلام نفسه يعرض بغيره في هذه الموضوع بالذات؛ ف «عن أسماء بنت عميس: أنها قالت: قيل لعلي: ألا تتزوج بنت رسول الله (ص)؟ فقال: مالي صفراء ولا بيضاء، ولست بمأبور—بالبء الموحدة، يعني غير الصحيح في الدين— ولا المتهم في الاسلام(١)».

وحيثما طلب منه سعد بن معاذ أن يخاطب فاطمة، قال له: «ما أنا بأحد الرجلين: ما أنا بصاحب دنيا يلتمس ما عندي، وقد علم مالي صفراء ولا بيضاء، وما أنا بالكافر الذي يترفق بها عن دينه، يعني يتألفه، إني لأول من أسلم(٢)».

ولربما يكون ذلك تعريضاً بعثمان، حيث قد تقدم: أنه كان قد عاهد ابابكر على أن يسلم إذا زوجه النبي (ص) رقية، التي كانت ذات جمال رائع...

(١) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٧.

(٢) — مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٧، ومصنف عبد الرزاق ج ٥ ص ٤٨٦، ومناقب الخوارزمي ص ٢٤٣، وكثير من المصادر المتقدمة، حين ذكر خطبة أبي بكر وعمر لفاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

وعلى كل حال... فان ردّ النبي (ص) لأولئك الكبار عن فاطمة كان له أثر كبير في نفوسهم، حتى لقد قال شريف مكة في قصيدته المشهورة:

تلك كانت حزازة ليس تبراً حين رُدّاعنها وقد خطبهاها

جيم: ترهات أبي حيان:

ومن الأمور الطريفة هنا: أن أباحيان التوحيدي - الناصبي المعروف - يروي عن أبي حامد المرو الروذي رسالة شفهية من أبي بكر لأمير المؤمنين عليه السلام، وفيها:

«ولقد شاورني رسول الله (ص) في الصهر؛ فذكر فتياً من قريش، فقلت له: أين انت من علي؟ فقال: إني لأكره ميعة شبابه، وحدة سنة. فقلت: متى كنفته يدك، ورعته عينك حفت بها البركة، وأسبغت عليها النعمة، مع كلام كثير خطبت به رغبته فيك، وما كنت عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء، ولكنني قلت ماقلت، وأنا أرى مكان غيرك، وأجد رائحة سواك، وكنت إذ ذاك خيراً منك الآن لي (١)».

عجيب!! وأين كانت هذه الرواية عن انظار المؤرخين، وكيف أجمعت كلمتهم، وتضافرت وتواترت رواياتهم على مخالفتها وتكذيبها... وعلى كل حال... فلسوف لانفيض في الحديث عن هذه الرواية؛ لأن ابن أبي الحديد المعتزلي قد كفانا مؤونة ذلك، وبين الكثير من امارات الوضع والاختلاق في هذه الرواية، فمن أراده فليراجع (٢).

دال: مايقال عن موقف فاطمة من الزواج:

وذكر الحلبي: أنه لما استشار الرسول (ص) فاطمة: «بكت، ثم

(١) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ٢٧٦. ونقله في الهامش عن: صحيح الاعشى ج ١ ص ٢٣٧-٢٤٧، ونهاية الارب ج ٧ ص ٢١٣-٢٢٩، ومحاضرة الابراج ج ٢ ص ١٠٢-١١٥، ونشرها ابراهيم الكيلاني مع رسالتين لابي حيان في دمشق سنة ١٩٥١.

(٢) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ٢٨٥-٢٨٧.

قالت: كأنك يا أبت إنما ادخرتني لفقير قريش؟ فقال (ص): والذي بعثني بالحق، ماتكلمت في هذا حتى أذن لي الله فيه من السماء. فقالت فاطمة (رض): لقد رضيت مارضي الله ورسوله (١)».

كما أننا نجد روايات تقول: إنه (ص) لما رأى تغيرها خشي أن يكون ذلك من أجل أن علياً (ع) لا مال له— فراجع المصادر الكثيرة المتقدمة...

وعن ابن اسحاق: أن علياً لما تزوج فاطمة، قالت للنبي (ص): زوجتني أعيمش، عظيم البطن... فقال النبي (ص): لقد زوجتكه وانه لأول أصحابي سلماً إلخ (٢).

ونحن لانصدق كل ذلك. أما:

**أولاً:** فلأن رواية الحلبي تدل على سوء ظن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بأبيها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أبر وأتقى، وأجل من أن يحتمل في حقها ذلك. وهي التي لو لم يخلق علي عليه السلام لم يكن لها كفؤ على وجه الأرض— وأيضاً هي التي أذهب الله عنها الرجس، وطهرها تطهيراً، إلى غير ذلك مما يدل على مقامها السامي، الذي نالته بفضل عمق إدراكها وحسن معرفتها وعظيم تقواها...

**وثانياً:** إن الذي يطالع سيرة فاطمة وحياتها، يخرج بحقيقة لا تقبل الشك، وهي: أنها لم تكن تقيم لحطام الدنيا وزناً أبداً، أوليست هي التي طحنت حتى مجلت يدها؟ ثم قبلت بالتسبيح عوضاً عن الخادم الذي كانت بأمس الحاجة إليه ليرفع عنها بعض ماتعانيه وتعرض له؟!...

أوليست هي التي بقيت ثلاثة أيام طاوية هي وزوجها وولداها

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٦، وليراجع: كشف الغمة ج ١ ص ٢٦٧ عن مناقب الكنجي، وكنز العمال ج ١٥ ص ٩٥، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٢، ونزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٦، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٩٥.

(٢)— مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٤٩٠، وأخرجه الطبراني، وأنساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٠٤ وراجع ما ذكره المحمودي في هامشه...

وفضة، وآثرت اليتيم والمسكين والاسير بالطعام؟! أو ليست هي التي رضيت باهاب كبش تنام عليه هي وزوجها ليلاً، و يعلفان عليه ناضحها نهاراً؟!!

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه...

### الرواية الصحيحة:

والرواية الصحيحة التي تنسجم مع سيرة و روح ونفسية الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وتنسجم مع نفسيات وخطط القرشيين، هي:

انه (ص) قال لابنته في رابع يوم زفافها: «كيف أنت يا بنية، وكيف رأيت زوجك؟! قالت له: يا أبت خير زوج، إلا أنه دخل علي نساء من قریش، وقلن لي: زوجك رسول الله من فقير لا مال له. فقال لها: يا بنية، ما أبوك بفقير، ولا بعلك بفقير.» ثم ذكر (ص) لها فضائل علي عليه السلام ومناقبه (١).

وروى المعتزلي: أن الرسول (ص) سأل فاطمة عن حالها، فقالت: لقد طال أسفي، واشتد حزني، وقال لي النساء: زوجك أبوك فقيراً لا مال له (٢). فقال لها: أما ترضين: أنني قد زوجتك أقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأفضلهم حلاًماً؟ قالت: بلى رضيت يا رسول الله...

وفي رواية أخرى ذكرها المعتزلي، زاد فيها: وما زوجتك إلا بأمر من السماء، أما علمت: أنه أخي في الدنيا والآخرة؟ (٣)

بل إن ثمة ما يدل على أن تعبيرهم اياها قد كان بعد سنوات من زواجهما، وهذا هو الراجح، لأن نساء قریش الحاققات انما كثرن بعد بدر واحد، والخندق.

(١) - مناقب الخوارزمي ص ٢٥٦، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٦٢ عن المناقب، وليراجع: البحار ج ٤٣ ص ٩٩ عن تفسير القمي، وجلاء العيون ج ١ ص ١٧١/١٧٠ عنه أيضاً.

(٢) - نعم إنها تتألم وتحزن لهذا الاسفاف في التفكير، وهذه النفوس المريضة، وهذه الروح الشريرة التآمرية.

(٣) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٢٦/٢٢٧.



وفي رواية الخوارزمي: أنها عليها السلام اقبلت وقد حملت الحسن و الحسين على كتفها وهي تبكي بكاءً شديداً، قد شهقت في بكائها. فقال لها النبي (ص): ما يبكيك يا فاطمة، لأبكي الله عينيك؟ فقالت: يا رسول الله، ومالي لأبكي ونساء قريش قد عيرنني، فقلن لي: إن أباك زوجك من رجل معدم لامال له: فقال (ص): لا تبكي يا فاطمة؛ فوالله، مازوجتك أنا، بل الله زوجك به الخ (١)...

نعم... وإذا عرف السبب بطل العجب... فان القرشيين بما فيهم نساؤهم، كانوا— في الاكثر— أعداء لعلي وآل علي عليه الصلاة والسلام، منذ فجر الاسلام، وحتى قبل ظهور الاسلام؛ فان العداة كان موجوداً بين الهاشميين، الذين كانوا— عموماً— ملتزمين اجتماعياً، ومحترمون أنفسهم، ولهم من الفضائل والمزايا ما يجعل غيرهم، ممن لم يكن لديه روادع دينية أو وجدانية، ينظر اليهم بعين الحنق والشنآن، والإحـن والاضغان... ثم جاء الاسلام، فكان بنوهاشم— ولاسيما أبوطالب وولده— أتباعه وحماته، والمدافعين عنه بكل غال ونفيس، ثم كانت ضربة قريش في بدر، و كان لعلي عليه السلام الحظ الأوفر، والنصيب الاكبر في اذلال قريش، وتحطيم كبريائها، وكذلك في أحد، والحدق، وغيرهما...

وإذن... فن الطبيعي: أن نجد نساء قريش يحاولن إيجاد المتاعب في بيت علي، واثارة الفتنة بين علي وزوجته الطاهرة... و فاطمة هي التي تشكوهن للرسول الاعظم (ص)، بعد أن تعبر عن زوجها بأنه: خير زوج... و يكون ذلك سبباً في أن يظهر الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام. و ذلك من أجل أن يبين لهم: أن المقياس ليس هو المال والحطام، وإنما هو الدين والعلم، والفضائل النفسية، والاخلاقية...

وقد رأينا: أنهم لا يزالون يهتمون بتنقص أهل البيت عليهم السلام وحتى فاطمة عليها السلام، فانظر على سبيل المثال ما جاء في الموسوعة العربية

الميسرة، (مادة فاطمة)... وفيها: أنها عليها السلام لم يكن لها أي دور سياسي أو اجتماعي (!! ) وأنها كانت ضعيفة! وأن الشيعة قد نسجوا لها الفضائل حتى لقد فضلوها على عائشة (!! ) . بل تنقصوها هي وزوجها في شعرهم أيضاً، حتى اضطر الشاعر العظيم الحسين بن الحجاج، المتوفى سنة ٣٩١ هـ أن يتصدى للرد عليهم، فهو يقول:

فكان قولك في الزاهراء فاطمة      قول امرئ لهج بالنصب مفتون  
عيرتها بالرحا والزاد تطحنه      لازل زادك حباً غير مطحون  
وقلت: إن رسول الله زوجها      مسكينة بنت مسكين لمسكين  
كذبت يا ابن التي باب استهاسلس      الاغلاق بالليل مفكوك الزرافين  
ست النساء غداً في الحشر يخدمها      أهل الجنان بحور الخرد العين

فجزاك الله يا ابن الحجاج عن ابنة رسول الله، وعن أبيها وزوجها خير الجزاء وأوفاه، وبارك الله في هذا الاخلاص لهم ولقضاياهم، وآمنك الله يوم الفرع الاكبر من كل خوف، إنه خير مأمول، واكرم مسؤول...

#### مقارنة:

ولابد لنا أخيراً من أن نلفت النظر إلى أنه لا بأس بالتأمل، وامعان النظر والمقارنة، بين ما يذكرونه عن مواقف سيئة لفاطمة (ع) تجاه أمير المؤمنين عليه السلام... و أنها قدر فضته أولاً؛ لأنه فقير... وما يذكرونه عن عثمان و زوجته، و أنها لما سئلت عنه قالت: «خير زوج...». مع أن القضية كانت على العكس تماماً؛ فان عثمان هو الذي كان يعامل زوجته معاملة غير مرضية، وفاطمة هي التي قالت عن زوجها: إنه خير زوج، ونساء قریش هن اللواتي حاولن الفتنة كما قدمنا...

ولكن السياسة قد اقتضت عكس المواقف، و تزييف الحقائق لحاجات في أنفسهم لاتبخى...

هاء: أم سلمة، و بنت عميس في زواج فاطمة:

أ- لقد ورد ذكر أم سلمة في بعض روايات تزويج فاطمة عليها السلام، مع أن أم سلمة إنما دخلت بيت النبي (ص) كزوجة له بعد تزويج فاطمة بأمر المؤمنين عليها السلام...

٢- وورد أيضاً في عدد من الروايات ذكر لاسماء بنت عميس... مع أن أسماء كانت حينئذٍ مع زوجها جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين في الحبشة، ولم تأت إلى المدينة الاعام خبير...

ويمكن الاجابة عن ذلك :

أولاً: بان المقصود هو أسماء بنت يزيد الأنصارية، ولكن شهرة بنت عميس، وأنس ذهن الرواة باسمها جعلهم يضيفون عمداً— للتوضيح بزعمهم— أوعن غير عمد تبعاً لسليقتهم، كلمة: «بنت عميس»... وبهذا أجاب أيضاً الكنجي الشافعي(١)...

كما أن أسماء بنت يزيد هذه كانت تكنى بأُم سلمة أيضاً، فلعلهم كانوا تارة يعبرون عنها باسماء، وأخرى يعبرون عنها بـ «أُم سلمة»...

وثانياً: إن من الممكن: أن تكون أم سلمة قد حضرت زفاف فاطمة عليها السلام في ذي الحجة من السنة الثانية؛ لأن أبا عمر صاحب الاستيعاب يقول: إن رسول الله (ص) تزوجها في السنة الثانية في شوال بعد بدر، بل قيل قبل بدر أيضاً(٢).

و لربما يؤيد ذلك : أن بعض الروايات تصرخ بانه(ص) كان حين تزويج فاطمة في بيت أم سلمة. و احتمال أن يكون المراد: «الذي صار فيما بعد بيتاً لها»، مخالف لظاهر الرواية التي هي صريحة في أن أم سلمة كانت حينئذٍ زوجة له (ص)(٣).

و لسوف يأتي الحديث عن تاريخ زواج أم سلمة عن قريب إن شاء الله تعالى...

أما الاربلي، فيرى: أن التي حضرت زفاف فاطمة عليها السلام هي

(١) — كفاية الطالب ص ٣٠٧/٣٠٨، وكشف الغمة للاربلي ج ١ ص ٧٣ عنه.

(٢) — راجع: الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٤٢١/٤٢٢، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٦ عن السمط الثمين، وسيرة مغلطي، وغير ذلك .

(٣) — البحارج ٤٣ ص ١٢٦ عن كشف الغمة ومناقب الخوارزمي ص ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٣.

سلمى بنت عميس أخت أسماء، لكن الرواة بدلوا اسمها باسم اختها لشهرتها،  
أوسها راو فتبعوه... (١).

وعلى كل حال... فثمة خلط و اشتباه بين أسماء بنت عميس و  
أسماء بنت يزيد في رواية أخرى حول ولادة الامام الحسن عليه السلام، و  
منشؤه الاشتباه في كيفية قراءة نص الرواية، و لسوف نتعرض له ان شاء الله  
حين الكلام على ولادة الامام الحسن صلوات الله و سلامه عليه...

واو: هذا ضرب الرحمان لعثمان بن عفان.

و يقولون: إن عثمان رأى درع علي تباع في السوق ليلة عرسه؛ فدفع  
لغلام أربع مئة درهم، وأرسله اليه وأقسم عليه أن لا يخبره بذلك، ورد الدرع  
معه، فلما أصبح عثمان وجد في داره أربع مئة كيس، في كل كيس أربع مئة  
درهم، مكتوب على كل درهم:

«هذا ضرب الرحمان لعثمان بن عفان»

فأخبر النبي بذلك ، فقال: هنيئاً لك يا عثمان...

وهذا كذب محض... ففي الحلبية: أن في فتاوى الجلال السيوطي:  
أنه سئل: «هل لهذه القصة أصل فاجاب عن ذلك كله: بأنه لم يصح. (٢) أي  
وهي تصدق بان ذلك لم يرد، فهو من الكذب الموضوع».

وقال ابن درويش الحوت: كذب شنيع (٣).

والعجيب أننا لم نجد لتلك الستة عشر الف درهم أترافي المتاحف  
العالمية، ولا تداولها الناس، ولا احتفظوا بها تبركاً و تيمناً بأنها من: «ضرب  
الرحمان لعثمان بن عفان»!!... مع أنهم قد احتفظوا بشعر نبيهم، وحتى  
بالخزق التي مست جسده، والمواضع التي صلى فيها... فهل كان نبيهم

(١) - كشف الغمة ج ١ ص ٣١٦/٣٦٧.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٦ و للرواية نص آخر يخالفها كثيراً في مناقب الخوارزمي ص

(٣) - الغدير ج ٥ ص ٣٢٢.

أعز عليهم من ربهم؟!... أوحى من عثمان؟ وهو الذي تؤيده السياسة على مر العصور، أما النبي فقد كانت ثمة محاولات لطمس اسمه، ومحو آثاره، كما اتضح من تمهيد الكتاب...

و كم كنت أود لو أنني أرى خط الرحمان، كيف هو؟ وأقارن بينه وبين قواعد الخطوط الموجودة على الأرض... وأنه هل يستطيع أن يضارع ما أنتجه الخطاطون البارعون من مخلوقاته؟!..

ولست أدري أيضاً: أين كان الأمويون عن هذه الفضيلة العظيمة، لشيخهم وخليفتهم؟! ولم لم يظهر واتلك الدارهم للمباهاة بها؟ أو على الأقل: لم لم يذكروا الناس بدعوات النبي (ص) له؟ حسب الرواية الأخرى التي تقول: إن عثمان قد اشترى الدرع من علي، فجاء به علي (ع) وبالمال إلى النبي (ص) فدعاه بدعوات...

وعلى كل حال... فلربما نتلكم عن نفقات عثمان في مثل هذا السبيل حين الكلام على تجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك ان شاء الله، كما أننا قد المحنا إلى ذلك من قبل، حين الحديث على بر رومة...

### زاي: أخوة علي:

وجاء أنه لما تزوج علي عليه السلام فاطمة، أمر (ص) علياً أن لا يحدث حدثاً حتى يأتيه، ثم جاء (ص)، فقال: أتم أخي؟! فقال أم أيمن: يا رسول الله، هذا أخوك وزوجته ابنتك؟!— وكان النبي (ص) أخى بين أصحابه، وأخى بين علي ونفسه— قال: إن ذلك يكون يا أم أيمن (١).

وهذه الرواية أقرب إلى الاعتبار من تلك الرواية القائلة: إنه لما خطب (ص) ابنة أبي بكر قال له أبو بكر: هل تصلح له؟ إنما هي بنت أخيه... وأنه (ص) أخبره: أنه أخوه في الإسلام وهو أخوه، وابنته

(١) — أنساب الاشراف بتحقيق المحمدي ج ٢ ص ١٣٥ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٩ عن الطبراني، و رجاله رجال الصحيح... وفيه في رواية أخرى لكن الجواب ليس موجوداً و حياة الصحابة ج ٢ ص ٤٦ عن الهيثمي...

تصلح له، فأنكحه حينئذ أبو بكر (١).

فان النبي (ص) لم يؤاخ أبا بكر ولا أحداً قبل خطبته عائشة، لأنه إنما آخى بين المهاجرين قبل الهجرة بقليل، وهو إنما خطب عائشة قبل الهجرة بحوالي ثلاث سنوات...

ولو كان أبو بكر يتوهم: أن أخوة الاسلام تمنع من ذلك، فان ذلك يعني: أن يكون أبو بكر قد بقي عدة سنوات بل من اول ظهور الاسلام يعتقد حرمة زواج أي مسلم بمسلمة، وهذا لا يتوهمه إلا أبو بكر، ولا يخطر ولم يخطر على بال أي من السذج والبسطاء، فكيف خطر في بال أبي بكر، الذي يعتقد فيه البعض كل حنكة وروية، وتعقل؟!...

حاء: متى كان تحريم الخمر:

ويروون عن علي بن الحسين (ع)، عن أبيه عن علي (ع): أنه بينما كان يستعد لنقل فاطمة (ع) وعنده شارفان من الابل، كان أخذهما من خمس غنائم بدر، قد أنا خهما إلى جانب حجرة لبعض الأنصار، وإذا بمحمزة بن عبدالمطلب قد خرج عليهما من بيت كان يشرب فيه، وعنده قينة تغنيه:

«ألا يا حمز للشرف للنواء»

— خرج عليهما — وهوسكران؛ فجب أسنمتها، و بقر خاصرتيها، وأخرج كبدهما، ومضى لسبيله.

فشكاه علي الى رسول الله (ص)، فجاء معه الرسول ورأى، فنظر اليه حمزة، و صعد النظر إليه، وقال: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟ فتركه (ص) وانصرف، وذلك قبل تحريم الخمر (٢).

(١) — راجع: مجمع انزواند ج ٩ ص ٢٢٥ عن الطبراني، و رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث و ص ٢٢٦ عن أحمد.

(٢) — البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٢ ص ١٢٠ كتاب الخمس حديث ١ و كتاب المغازي باب ١٢ و كتاب المساقات و صحيح مسلم كتاب الاشربة ج ٦ ص ٨٥ و ٨٦، و مستند أحمد ج ١ ص

وفي رواية: إن حمزة قد فعل ذلك في واقعة أحد، حتى إن الرسول إنما رضي عنه في وسط المعركة، و بعد أن حمل عدة حملات صاعقة على العدو (١).

وذلك لا يصح، أما:

أولاً: فلأن مختلف الروايات الواردة في زواج أمير المؤمنين عليه السلام تقول: إنه (ع) لم يكن يملك إلا درعه الحطمية، التي باعها وانفق ثمنها على الزفاف، وتضيف بعض الروايات فرسه أيضاً...

ولو كان عنده شارفان من الابل لكان الأولى أن يذكرهما للنبي صلى الله عليه وآله حينما سأله عما يملك، مما يريد أن يقدمه مهراً، فلتراجع الروايات المتقدمة...

وثانياً: إن من المعلوم: أن زفاف فاطمة قد كان قبل أحد بعدة أشهر، فكيف تقول الرواية الثانية: إن ذلك قد كان في أحد؟...

كما أنهم قد قرروا: أن حمزة كان يوم أحد وقبله صائماً (٢). فكيف يكون قد شرب الخمر، وفعل ما فعل في ذلك اليوم أوفى الذي قبله؟!...

وثالثاً: إن الخمر لم تكن سمعتها حسنة عند العرب، و كانوا يدركون سوءها، و حرّمها عدد منهم على نفسه قبل مجيئ الإسلام، مثل: عثمان بن مظعون، و عباس بن مرداس، و عبد المطلب، و جعفر بن أبي طالب، و قيس بن عاصم، و عفيف بن معد يكرّب العبدى، و عامر بن الظرب، و صفوان بن أمية

→  
١٤٢ و البداية و النهاية ج ٣ ص ٢٤٥، و الاصابة ج ٤ ص ٣٧٨ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦١ و تفسير البرهان ج ١ ص ٤٩٨، و تفسير الميزان ج ٦ ص ١٣١ كلاهما عن العياشي، و راجع مشكل الآثار ج ٢ ص ٢٨٧.

(١) - راجع: البحار ج ٢٠ ص ١١٥/١١٤ عن المجالس و الاخبار ص ٥٨/٥٧ و عن تفسير العياشي ج ١ ص ٣٣٩/٣٤٠.

(٢) - مغازى الواقدي ج ١ ص ٢١١، و شرح النهج ج ١٤ ص ٢٢٤.

وغيرهم (١).... وذلك لأنهم رأوها لا تناسب كرامتهم وسؤددهم، كما يظهر من رواية تنسب إلى أبي بكر؛ فقد روى ابن عساكر— وإن كان سيأتي عدم صحة هذه الرواية لكننا نذكرها لدلالاتها على سوء سمعة الخمر عند العرب—: أنه قيل له في مجمع من الصحابة: هل شربت الخمر في الجاهلية؟! فقال أعوذ بالله، فقلت: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي، واحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان متضيعاً في عرضه ومروءته الخ (٢).

وقال ابن الاثير: «وكان العباس بن مرداس ممن حرم الخمر في الجاهلية، فانه قيل له: ألا تأخذ من الشراب، فانه يزيد في قوتك؛ وجراءتك؟ فقال: لأصبح سيدقومي، وأمسي سفيهاً، لا والله لا يدخل جوفي شيء يحول بيني وبين عقلي أبداً» (٣).

ومن عرف حمزة، واطلع على سمونفسه، وعزته، وأنفته وسجاياه، فانه يرى: أنه لا يقصر عن هؤلاء، ولا عن غيرهم ممن حرمها على نفسه، إن لم يكن يزيد عليهم في كثير من الخصال والسجايا، التي تجعله يربأ بنفسه عن أمر كهذا...

ولعل حشر حمزة— بل وحتى أمير المؤمنين عليه السلام الذي ربي في حجر النبوة، ليس إلا من أولئك الحاقدين على الاسلام وحامته، وممن يهتهم الطعن في كرامة كل هاشمي، كما هو ظاهر سيرة الامويين و الزبيريين، وأذناهم و من يتزلف لهم، ولو بالكذب والدجل والافتراء...

ورابعاً: إن الأقوال والروايات تكاد تكون متفقة على مخالفة رواية الشارفين المذكورة... وذلك لأن رواية الشارفين تقول: إن تحريم الخمر كان حين زفاف فاطمة عليها السلام...

(١)— وأضاف في اسد الغابة ج ٣ ص ١١٣: ابابكر و عثمان بن عفان و عبدالرحمان بن عوف و عبدالله بن جدعان.

(٢)— الصواعق المحرقة ص ٧٣ عن ابن عساكر، وقال ابن حجر: وهو مرسل غريب سنداً و متناً...

(٣)— اسد الغابة ج ٣ ص ١١٣.



وروايات تحريم الخمر بعضها يقول: إنه كان في سنة الفتح، ولربما تدل عليه رواية عن ابي هريرة، أنه قال: لما نزل تحريم الخمر كنا نعلم إلى الحلقة، الخ... (١) ومن المعلوم: أن أباهريرة إنما اسلم عام خير... ومنهم من يقول: إنها حرمت سنة ست، أو سنة أربع، و الاقل منهم يقولون: إنها حرمت سنة الهجرة في آية سورة البقرة (٢)...

ونحن نقول: ان الصحيح هو انها حرمت في مكة قبل الهجرة كما سنرى...

### أدلة تحريم الخمر قبل الهجرة:

ونستدل على ذلك بمايلي:

١- عن معاذ بن جبل؛ إن أول ما نهى عنه النبي (ص) حين بعث شرب الخمر، وملاحاة الرجال (٣)...

وعن أبي الدرداء، أو معاذ بن جبل، عن النبي (ص) قال: إن أول شيء نهاني عنه ربي بعد عبادة الاوثان: شرب الخمر وملاحاة الرجال. قال الابشهبي: إن هذا من أقوال النبي (ص) المتفق عليها (٤)...

وقريب من ذلك ما روي عن أم سلمة عنه (ص) (٥)...

إلا ان يناقش في ذلك: بان نهي الله له لا يستلزم أن يكون (ص) قد أبلغ ذلك للناس مباشرة، إذ لعل ذلك كان مختصاً به لفترة من الزمن...

ويمكن الجواب بأن جعله مقترناً بعبادة الأوثان يشعر بأنه على حده

(١) - الفائق للزمخشري ج ١ ص ٣١٠.

(٢) - راجع هذه الأقوال ومصادرها في الغدير ج ٧ ص ١٠٢/١٠١.

(٣) - الغدير ج ٧ ص ١٠١ عن أوائل السيوطي ص ٩٠.

(٤) - مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥٣ عن البزار والطبراني، و البحار ج ٢ ص ١٢٧ بسند صحيح، والمستطرف ج ٢ ص ٢٢٠.

(٥) - مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥٣ عن الطبراني، وليراجع: سيرة المصطفى ص ٣٦٩.

ومن قبيله، في التشريع وفي التبليغ... هذا عدا عن أن رواية معاذ صريحة في أن الخمر كانت من أول ما نهى عنه النبي(ص)، إلا أن تقرأ «نهى» بالبناء للمفعول... وهو خلاف الظاهر جداً.

قال العلامة الطباطبائي: «وقد تحقق بما قدمنا في تفسير آية الخمر و الميسر: أن الخمر كانت محرمة من أول البعثة، و كان من المعروف من الدين: أنه يحرم الخمر والزنا»(١).

٢- وقد روى الكليني والشيخ الطوسي: ما يدل على أن الله مابعث نبياً إلا وفي علم الله عزوجل: أنه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم تزل الخمر حراماً الخ... (٢).

٣- قال أبوحاتم: كان النبي(ص) يدعو الخلق إلى الله وحده لا شريك له، و كان أبوجهل يقول للناس: «إنه كذاب يحرم الخمر، ويحرم الزنا»(٣).

٤- قال تعالى في سورة الاعراف التي نزلت في مكة قبل الهجرة: «قل: إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والاثم، والبغي بغير الحق»(٤)...

وقد فسرأئمة أهل البيت عليهم السلام: «الاثم» في الآية بالخمر (٥) ... كما أن أهل اللغة قد قرروا: أن الاثم معناه الخمر، قال الشاعر:

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول

(١) - تفسير الميزان ج ١٦ ص ١٦٣.

(٢) - الكافي ج ٦ ص ٣٩٥، وليراجع الباب الذي قبله: «أصل تحريم الخمر» والتهديب للشيخ...

(٣) - الثقات لابن حبان ج ١ ص ٦٩.

(٤) - الاعراف ٣٣.

(٥) - الكافي للكليني ج ٦ ص ٤٠٦.

وقال آخر:

نهانا رسول الله: أن نقرب الخنا وأن نشرب الاثم الذي يوجب الوزرا  
وقال آخر:

يشرب الاثم بالصواع جهاراً وتبرى المسك بيننا مستعاراً (١)  
هذا كله... عدا عن أن كون الخمر من الفواحش ظاهر، فان العرب  
كانوا يدركون سوءها كما يظهر من الحلبي (٢).

ولذا نرى: أن عدداً كبيراً منهم ممن يحترم نفسه، وشرفه، وسؤدده قد  
حرمها على نفسه، كأبي طالب عليه السلام وعبدالمطلب (٣) وجعفر بن  
إبي طالب (٤) وقيس بن عامر، و عامر بن الظرب، و صفوان بن أمية وغيرهم  
ممن تقدم.

بل إن عبدالله بن جدعان، الذي كان مولعاً بها، قد صرح بأنهم كانوا  
يسمونها بالسفاه، وأنه آنس بسببها الهوان، فهو يقول:

شربت الخمر حتى قال قومي أأست عن السفاه بمستفيق  
وحتى ما أوسد في مبيتٍ أبيت به سوى الترب السحيق  
وحتى اغلق الحانوت مالي وأنست الهوان من الصديق

ثم حرمها على نفسه؛ فلم يقرها (٥).

وبعد نزول هذه الآية، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ فلا يعقل  
أن يعتبرها العرب إلا من الفواحش. ثم ان عطف الاثم الذي هو الخمر على  
الفواحش، من باب عطف الخاص على العام لمزيد الاهتمام به، وحرصاً على

(١) - راجع في هذه الاشعار، كلاً او بعضاً: مجمع البيان في تفسير الآية في سورة الاعراف،  
ولسان العرب ج ٢ ص ٢٧٢، وتاج العروس ج ٨ ص ١٧٩، وفتح القدير ج ٢ ص ٢٠١،  
والغدير ج ٦ ص ٢٥٤.

(٢) - راجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٨.

(٣) - السيرة الحلبية ج ١ ص ١١٣.

(٤) - قاموس الرجال ج ٢ ص ٣٦٩ عن الامالي.

(٥) - نسب قریش لمصعب الزبيري ص ٢٩٢.

الردع عنه، لأنه مما تألفه النفوس عادة، وتميل إليه، فيحتاج إلى مزيد من التأكيد والتكرار.

هـ— لقد روى جماعة من المؤرخين: أن أعشى قيس خرج إلى رسول الله (ص) يريد الاسلام، وقد مدحه بقصيدة أولها:

ألم تغتمض عينناك ليلة أرمدنا      وبت كما بات السليم مسهدنا  
فلما كان بمكة أو قريباً منها، اعترضه بعض مشركي قريش— وهو أبوجهل أو أبوسفیان كما سئرى— فسأله عن أمره؛ فأخبره أنه جاء ليسلم، فقال له:

«يا أبا بصير، إن محمداً يحرم الزنا؟ فقال الاعشى: والله إن ذلك لامر مالي فيه من إرب. فقال: وإنه ليحرم الخمر؟ فقال الاعشى: أما هذه ففي النفس منها لعلالات. ولكنني منصرف فأرتوى منها عامي هذا، ثم آتية فأسلم، فانصرف راجعاً، ومات في عامه (١)».

وناقش البعض هذه الرواية: بأن الخمر إنما حرمت في سورة المائدة، وهي آخر منازل. وفي الصحيحين من ذلك قصة حمزة والشارفين. فان صح خبر الاعشى، وما ذكر له في الخمر، فلم يكن هذا بمكة، وإنما كان بالمدينة، ويكون القائل له: أما علمت أنه يحرم الخمر من المنافقين، أو من اليهود، فالله أعلم. وفي القصيدة ممّا يدل على هذا قوله: «فان لها في أهل يثرب موعداً». وقد أفيت للقالي رواية عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: لقي الاعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس— وهو مقبل إلى رسول الله (ص)؛ فذكر له: أنه يحرم الخمر، فرجع، فهذا أولى بالصواب (٢).

(١)— سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥—٢٨ والاعشاني ط ساسي ج ٨ ص ٨٦/٨٥ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٢/١٠١ والروض الأنف ج ٢ ص ١٣٦ وسيرة مغلطاي ص ٢٥ وتفسير الميزان ج ٦ ص ١٣٤، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦٢ ومحاضرات الادباء المجلد الثاني ص ٤١٨ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٣٥.

(٢)— راجع: الروض الانف ج ٢ ص ١٣٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٣ وسيرة مغلطاي ص

ونزيد نحن هنا: أن في رواية ابي الفرج وابن قتيبة: أن أباسفيان هوالذي كلم الاعشى، وأن ذلك كان والمشركون مع الرسول(ص) في هدنة(١).

ولكن هذه المناقشات لايمكن قبولها... فان قصة الشارفين قد تقدم أنها لايمكن أن تصح وكونها إنماحرمت في سورة المائدة أيضاً قد تقدم مافيه، وأنها قد حرمت قبل ذلك في سورة مكية، كما أن نزول القرآن بتحريمها لاينافي تحريمها على لسان النبي(ص) قبل ذلك ...

وأما قولهم: إن عامر بن الطفيل هوالذي قال للاعشى ذلك فلايمكن قبوله... إذ قد صرح آخرون: بأن القائل للاعشى ذلك هوأبوجهل، وبالذات في دار عتبة بن ربيعة في مكة(٢) وأبوجهل قتل في بدر قبل نزول سورة المائدة، وقبل هدنة الحديبية بسنوات— كما أن رواية القتيبي وابي الفرج قد صرحت بأن القائل للاعشى ذلك هو ابوسفيان(٣)...

وبعد تحديد تلك الروايات: أن هذا قد جرى قرب مكة، بل وفي مكة نفسها، وبالذات في دار عتبة بن ربيعة... فلايمكن الألتفات إلى رواية أخرى ربما يكون الرواة قد تصرفوا فيها لتلائم مايعتقدونه من أن الخمر قد حرمت بعد الهجرة... ولربما يكون هذا هوالسرفي تبديلهم كلمة «يثرب» بكلمة «مكة» في الشعر المنسوب إليه، وهوالدالية المتقدمة.

وإذا كان ذلك القول قد قيل في مكة أو بالقرب منها... فلايعقل أن يكون ذلك بعد الهجرة، وذلك لأن الاعشى كان يسكن: «منفوحة» باليمامة، والطريق بينها وبين المدينة مستقيم لايمر على مكة... والمرور على مكة لا يكون إلا بقصد مستقل لها، إذلايعقل سلوك طريق دائري كهذا لمن يريد

(١) — الاغانبي ط ساسي ج ٨ ص ٨٦، والشعر والشعراء ص ١٣٦.

(٢) — الروض الانف ج ٢ ص ١٣٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦٢، وليراجع البداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٣.

(٣) — الاغانبي ج ٨ ص ٨٦ والشعر والشعراء ص ١٣٦.

المدينة...

ولعل فيما ذكرناه ما يرجح، بل يقوي كون تحريم الخمر قد كان في مكة قبل الهجرة...

### لا تدرج في تحريم الخمر:

وبعد ما ذكرناه يعلم: أنه ليس ثمة تدرج في تحريم الخمر، وإنما حرمت بشكل نهائي وقاطع في مكة، ثم صارت تحصل تعديت ومخالفات. فكان يتكرر النهي عنها لاجل تلك المخالفات في الموارد الخاصة.

ويظهر ذلك من ملاحظة خصوصيات الآيات والموارد التي نزلت فيها...

والظاهر: أن ألف الناس للخمر، وحبهم لها، والتذاهم بها—مع أنهم يدركون مساوئها— يدل على أن تركها كان صعباً عليهم؛ لأنهم يرون أن ذلك لسوف يفقد لهم لذة تحبها نفوسهم، وأليفاً تهفو إليه قلوبهم...

ولذلك تراهم يسألون عنها، ويكررون السؤال، ويحييهم القرآن ببيان مساوئها، وبالزجر عنها، ولكنهم عنها لا ينتهون، وغير معاقرتها لا يطلبون... ولأحكام الله يخالفون... حتى الكبار منهم، وحتى أبوبكر وعمر، وابن عوف وغيرهم (١).

بل يظهر: أن بعضهم لم يتركها حتى بعد وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

### انتهينا! انتهينا:

ويقولون: انه بعد حرب بدر شرب عمر الخمر، وشج رأس

(١) — راجع: الدر المنثور، وتفسير الطبري، وجميع التفاسير، في آيات الخمر في سورة البقرة، والاعراف والنساء والمائدة، وجميع كتب الحديث في أبواب الاشربة حين الكلام على تحريم الخمر... والغدير للعلامة الأميني ج ٧ ص ٩٥-١٠٣ و ج ٦ ص ٢٥١-٢٦١.

عبدالرحمان بن عوف بلحي بعير، ثم قعد ينوح على قتلى بدر من المشركين في ضمن آيات تقول:

وكائن بالقليب قليب بدر من الفتيان والعرب الكرام  
وكائن بالقليب قليب بدر من الشيزي المكلل بالسنام  
أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام  
أيعجز أن يرد الموت عني وينشرني إذا بليت عظامي  
ألا من مبلغ الرحمان عني بأي تارك شهر الصيام  
فقل لله يمنعني شرابي وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك الرسول؛ فخرج مغضباً، فرفع شيئاً كان في يده؛ فضربه به، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فأنزل الله تعالى:

«إنما يريد الشيطان: أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله، وعن الصلاة؛ فهل أنتم منتهون؟» (١).

فقال عمر: انتهينا، انتهينا (٢)...

وتعبر عمر بـ «انتهينا انتهينا» موجود في عشرات المصادر، وإن كانت هذه القصة لم تذكر فيها (٣).

وسورة المائدة من أواخر ما نزل، بل يقال: إنها نزلت في حجة الوداع... وهذا يعني: أنهم ما كانوا يلتزمون كثيراً بالنواهي الواردة عن شرب الخمر، كما أشرنا إليه آنفاً...

وعلى كل حال... فإن روايات شرب عمر للخمر بعد الهجرة كثيرة جداً... فراجع: الدر المنثور في تفسير الآيات، أو أي كتاب تفسيري أو

(١) - المائدة ٩١.

(٢) - المستطرف ج ٢ ص ٢٢٠، وتفسير البرهان ج ١ ص ٣٧٠ و ٤٩٨. والميزان ج ٦ ص ١٣٦، والغدير ج ٦ ص ٢٥١ عن الزمخشري في ربيع الأبرار في باب اللهو واللذات، والقصف واللعب.

(٣) - راجع في هذه المصادر: الغدير ج ٦ ص ٢٥٢-٢٥٣.

حديثي آخر، ولاسيما كتاب الغدير للعلامة الاميني في مجلديه السادس والسابع حسبما تقدم...

بل نجد: أن ركوة عمر كانت تُسكر كل من يشرب منها، حتى بعد خلافته، وقضية إقامته الحد على من شرب من ركوته فسكر معروفة... وقد اعترض عليه بقوله: «يا أمير المؤمنين إنما شربت من ركوتك»؟! فكان اعتذار عمر عن ذلك بأنه إنما حده لسكره لا لشربه!! (١) وهذا فقه جديد، ماعهدناه من غيره!!... والكلام حول هذا الموضوع طويل جداً لا مجال له هنا...

### وأما أبو بكر:

فيقول الفاكهي: إن الذي أنشد الابيات المتقدمة في رثاء قتلى بدر هو أبو بكر (٢).

واعتمد نفظويه على هذه الرواية، فقال: شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم، ورثى قتلى بدر من المشركين (٣).

وقد بلغ شيوع شرب أبي بكر للخمر حدّاً اضطرت معه عائشة إلى التصدي للدفاع عن أبيها: فكانت تقول: «ما قال أبو بكر شعراً قط في جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية» (٤).

وعنها: «لقد حرم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية» (٥).

و يظهر: أن أم المؤمنين قد فشلت في الدفاع عن أبيها، ولذلك نرى

(١) - راجع: مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٩ ص ٢٢٤ والعقد الفريد ط دارالكتاب ج ٦ ص ٣٦٩، واحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٤٦٤، وحاشية ابن التركماني على سنن البيهقي المطبوعة معه ج ٨ ص ٣٠٦، والغدير ج ٦ ص ٢٥٨/٢٥٧ عنه وعن كنز العمال ج ٨ ص ١١٠.  
(٢) - الاصابة ج ٤ ص ٢٢، ونوادير الاصول ص ٦٦، وليراجع فتح القدير ج ١ ص ٤٧٢ عن ابن المنذر وذكر الطبري الرواية محرقة في تفسيره.

(٣) - الاصابة ج ٤ ص ٢٢.

(٤) - الصواعق المحرقة ص ٧٣ عن ابن عساكر بسند صحيح.

(٥) - الصواعق المحرقة ص ٧٣ عن أبي نعيم بسند جيد.



الزهري يروي عن عروة، عن عائشة: أنها كانت تدعو على من يقول: إن أبا بكر الصديق قال هذه القصيدة، ثم تقول: «والله ما قال أبو بكر شعراً في جاهلية ولا في اسلام» (١) ثم تنسب القضية الى رجل آخر يدعى أن اسمه أبو بكر بن شعوب...

ولكننا لاندرى ماتقول أم المؤمنين في قولهم المعروف: «كان أبو بكر شاعراً، وكان عمر شاعراً وكان علي أشعر الثلاثة» (٢).

ويعلق العلامة الأميني على تعليق الحكيم الترمذي على حديث شرب ابي بكر للخمر بقوله: «هو مما تنكر القلوب» (٣).

فيقول: «فكان الترمذي وجد الحديث دائراً سائراً في اللسن، غير انه رأى القلوب تنكره» (٤).

كما أن العسقلاني قد حذا حذو الترمذي، فانه بعد أن ذكر أن ابن مردويه يذكر ابا بكر وعمر فيمن شرب الخمر في بيت ابي طلحة... قال: «وهو منكر، مع نظافة سنده، وما اظنه إلا غلطا» (٥).

ثم إنه بعد ذكره لقضية: «تحيي أم بكر بالسلام» قال: «وأبو بكر هذا يقال ابن شعوب، فظن بعضهم أنه أبو بكر الصديق، وليس كذلك. ولكن قرينة ذكر عمر تدل على عدم الغلط في وصف الصديق، فحصلنا على تسمية عشرة» (٦) فهو كما ترى قد عاد وأقربان أبا بكر كان فيمن شرب الخمر في بيت أبي طلحة.

(١) - نوادر الاصول ص ٦٦ والمصنف ج ١١ ص ٢٦٦/٢٦٧ والاصابة ج ٤ ص ٢٢ والصواعق المحرقة ص ٧٣.

(٢) - كنز العمال ج ١٥ ص ٩٧ عن ابن عساكر، وأنساب الاشراف بتحقيق المحمدي ج ٢ ص ١٥٢ وترجمة علي من تاريخ ابن عساكر تحقيق المحمدي ج ٣ ص ٢٤٢ وفي هامشه عن كتاب الرجال لامحمد بن حنبل ج ١ ص ٣١٣ ط ١ وأنساب الاشراف ج ٢ ص ١١٤ و ١٥٣.

(٣) - نوادر الاصول ص ٦٦.

(٤) - الغدير ج ٧ ص ٩٦.

(٥) و(٦) - فتح الباري ج ١٠ ص ٣١ والغدير ج ٧ ص ٩٧/٩٨.

وعلى كل حال... فلا بأس بمراجعة ترجمة سعيد بن ذى لعدة في لسان الميزان وغيره، ومراجعة الغدير ج ٦ ص ٢٥١-٢٦١ وج ٧ ص ٩٥-١٠٣ وجميع كتب الحديث في ابواب الخمر، وكتب التفسير في تفسير الآيات وغير ذلك.

### الكذب على علي عليه السلام:

وأما محاولات حشر علي عليه السلام في أمر مشين كهذا... فهي محاولات فاشلة... فهو الذي زبي في حجر النبوة، وتهذب وتأدب منذ صغره على يدي أعظم رجل في التاريخ... ولم نعهد منه إلا الامتثال والخضوع المطلق لأوامر وتوجيهات الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم... وسيرته خير شاهد على ما نقول... ولسوف نرى أنه هو الذي حينما قال له الرسول (ص) يوم خيبر: «إذهب ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك مشى عليه السلام هنيئة، ثم قام، ولم يلتفت للعزمة، ثم قال: علي ما أقاتل الناس؟ قال النبي (ص) قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله الخ (١)».

ولعله لأجل هذا يأمر النبي (ص) رسوله إلى علي: أن لا يناديه من ورائه، كما ذكر عبدالرزاق في المصنف ج ٥ ص ٢١٧ وغيره. فالصحيح هو ما رواه القطان في تفسيره عن الحسن البصري، قال: إن علياً لم يقبل أن يشرب معهم في دار أبي طلحة، بل خرج من بينهم ساخطاً على ما يفعلون. قال الحسن:

«والله الذي لا إله هو ما شرها قبل تحريمها ولا ساعة قط (٢)».

وحسبنا ما ذكرناه هنا، فاننا لو أردنا استقصاء مخالفات الصحابة في هذا الموضوع لملائنا عشرات الصفحات من ذلك ومن مصادره... والحر تكفيه الإشارة...

(١) - صحيح ابن حبان، مخطوط في مكتبة: قيسراى في استانبول ترجمة علي عليه السلام وأنساب الاشراف، بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٩٣.

(٢) - تفسير البرهان ج ١ ص ٥٠٠ عن ابن شهر آشوب عن القطان في تفسيره.

## خطبة علي بنت أبي جهل:

وتحكي هاهنا قصة خطبة علي(ع) بنت أبي جهل— ومن حقها أن تذكر في السنة الثامنة من الهجرة، ولكن بما أنها لا ريب في اسطوريتها كما سيتضح، فإننا نذكرها هنا ونبين كذبها— لمناسبة واضحة بين الحديث عن زواجه(ع) بفاطمة، وخطبته لغيرها؛ ولذلك فنحن نقول:

## الحديث الموضوع:

في البخاري وغيره، عن المسور بن مخرمة، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول، وهو على المنبر: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يريد ابن أبي طالب: أن يطلق ابنتي، وينكح ابنتهم؛ فإنما هي بضعة مني، يريني ما أراها، ويؤذيني ما آذاها...

وفي البخاري وغيره أيضاً في رواية أخرى: عن المسور: إن فاطمة أتت رسول الله(ص) فقالت: يزعم قومك: أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل، فسمعتة حين تشهد يقول: إني انكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وأني أكره أن يسوءها. والله، لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد، فترك علي الخطبة...

وفي رواية أخرى لمسلم والبخاري وغيرهما: أن المسور قال: سمعت رسول الله (ص) على المنبر وهو يخطب في ذلك وأنا محتلم، فقال: إن فاطمة مني، وأنا أخاف أن تفتن في دينها... إلى أن قال: وإني لست أحرم حلالاً، ولا أحل حراماً، ولكن والله، لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً...

وذكر مصعب الزبيري: أن علياً خطب جويرية(١) بنت أبي

(١)— ويقال: اسمها العوراء. ويقال: جرمة. ويقال: جميلة. ويقال: الحيفاء. راجع فتح

جهل، فشق ذلك على فاطمة، فأرسل إليها عتاب: أنا أريحك منها؛ فتزوجها؛ فولدت له عبدالرحمان بن عتاب.

وقال ابن اسحاق: حدثني من لا أتهم: أن رسول الله (ص) كان يغار لبناته غيرة شديدة، كان لا ينكح بناته على ضرة (١).

وعند الحاكم: أن علياً خطب بنت أبي جهل؛ فقال له أهلها: لا تزوجك على فاطمة (٢).

وعند ابن المغازلي: أنه (ع) خطب أسماء بنت عميس؛ فأتت فاطمة إلى النبي (ص) فقالت: إن أسماء بنت عميس متزوجة علياً. فقال: ما كان لها أن يؤذي الله ورسوله (٣).

وقد نظم مروان ابن أبي حفصة هذه القصة في قصيدة يمدح بها الرشيد، فكان مما قال:

وساء رسول الله إذ ساء بنته      بخطبته بنت اللعين أبي جهل  
فدم رسول الله صهر أبيكم      على منبر بالمنطق الصادع الفصل (٤)

ونحن نعتقد: أنه لا ريب في كذب هذه الرواية، وذلك استناداً إلى ما يلي:

(١) - راجع هذه النصوص في: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والانصاف. وكتاب الخمس وكتاب المناقب، وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٤١ وفي فضائل فاطمة، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٦١٦، وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٢١، والمصنف ج ٧ ص ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٠ بعدة نصوص وفي هامشه عن عدد من المصادر، ونسب قريش ص ٨٧ و ٣١٢ وفتح الباري ج ٧ و ج ٦ و ج ٩ ص ٢٨٦، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٩٠، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٨٨ و ٥١ و ج ٤ ص ٦٤-٦٦، ومحاضرة الادباء المجلد الثاني ص ٢٣٤، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٨ وغير ذلك ونقل عن سنن ابي داود ج ١ ص ٣٢٤ و ٣٢٣.

(٢) - فتح الباري ج ٩ ص ٢٨٦.

(٣) - مناقب الامام علي لابن المغازلي ص ٣٦٥.

(٤) - شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٥.

أولاً: عداعن اختلاف الروايات كما يظهر بالمراجعة والمقارنة، فإن ماجاء في هذه الروايات لا ينسجم مع ماتقدم في بحث تكنية علي(ع) بأبي تراب: من أنه(ع) لم يسوء فاطمة قط...

وثانياً: عن بر يدة: أنه لما استلم علي عليه السلام الغنائم من خالد بن الوليد في غزوتهم لبني زبيد، حصلت جارية من أفضل السبي في الخمس، ثم صارت في سهم آل علي، فخرج عليهم علي عليه السلام ورأسه يقطر؛ فسألوه؛ فأخبرهم: أنه وقع بالوصيفة التي صارت في سهم آل علي...  
فقدم بر يدة في كتاب من خالد على النبي(ص)، وصار يقرؤه عليه بر يدة، ويصدق (أي بر يدة) مافيه، فأمسك (ص) بيده، وقال: يا بر يدة أتبغض علياً؟ قال: نعم. فقال(ص): لا تبغضه، وان كنت تحبه فازدد له حباً، فالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس افضل من وصيفة...  
وفي نص آخر: فتكلم بر يدة في علي عند الرسول، فوقع فيه فلما فرغ رفع رأسه، فرأى رسول الله غضب غضباً لم يره غضب مثله إلا يوم قر يظة والنضير. وقال: يا بر يدة، أحب علياً، فانه يفعل ما أمره... وكذا روي عن غير بر يدة(١).

وفي الرواية التي عند المفيد رضوان الله عليه: «فسار بر يدة، حتى انتهى إلى باب النبي(ص)، فلقيه عمر، فسأله عن حال غزوتهم، وعن الذي أقدمه؛ فأخبره: أنه إنما جاء ليقع في علي، وذكر له اصطفاؤه الجارية من الخمس لنفسه، فقال له عمر: إمض لما جئت له؛ فانه سيغضب لابنته مما صنع

(١) - راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ عن الطبراني، وخصائص النسائي ص ١٠٣/١٠٢ ومشكل الآثار ج ٤ ص ١٦٠، ومسنند أحمد ج ٥ ص ٣٥٩ و ٣٥١/٣٥٠ وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٢ وقال: رواه البخاري في الصحيح وحلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٤، وسنن الترمذي ج ٥ ص ٦٣٢ و ٦٣٩ و كنز العمال ج ١٥ ص ١٢٤-١٢٥ و ١٢٦-١٢٧، ومناقب الخوارزمي الحنفي ص ٩٢، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١١/١١٠ على شرط مسلم، وتلخيص المستدرك للذهبي بهامشه وسكت عنه، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ عن أحمد والترمذي، وأبي يعلى وغيره بنصوص مختلفة. والغدير ج ٣ ص ٢١٦ عن بعض من تقدم، وعن كنز العمال ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٤ و ٣٠٠ وعن نزل الابرار للبدخشي ص ٢٢ وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧١ وعن مصابيح السنة للبخاري ج ٢ ص ٢٥٧.

علي (١).

وثالثاً: وفي محاوراة بين عمر وابن عباس، كان مما قاله ابن عباس له: يا أمير المؤمنين، إن صاحبنا من قد علمت، والله إنه ما غير ولا بدل، ولا أسخط رسول الله (ص) أيام صحبته له، فقال: ولا في ابنة أبي جهل، وهو يريد أن يخطفها على فاطمة رضي الله عنها؟... قلت: قال الله في معصية آدم عليه السلام: «ولم نجد له عزماً» (٢)؛ فصاحبنا لم يعزم على اسخاط رسول الله (ص)، ولكن الخواطر التي لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه. وربما كانت من الفقيه في دين الله، العالم بأمر الله، فاذا ثبت عليها رجع واناب...

فقال: يا ابن عباس، من ظن أنه يرد بحوركم، فيغوص فيها معكم حتى بلغ قعرها؛ فقد ظن عجزاً (٣).

فابن عباس يصارح الخليفة بأن علياً لم يغضب الرسول، ولا أراد ذلك، ولا عزم عليه... وانكر قضية بنت أبي جهل، واعتبرها من الخواطر التي ربما تمر، ولا يقدر أحد على دفعها، وصدقه بذلك عمر.

ويلاحظ هنا مهارة ابن عباس في تكذيب هذه القضية حيث لم يواجه الخليفة الثاني صراحة بذلك، وإنما جاءه من الطريق المعقول والمقبول عنده، وقطع عليه كل طريق حتى قال له: «من ظن أنه يرد بحوركم إلخ...»

ويكاد النقيب أبو جعفر محمد بن أبي زيد، الذي وصفه ابن أبي الحديد بأنه منصف، ولا يمكن اتهامه بالتشيع — كما تقدم في غزوة بدر — يكاد أن يصرح بأن عمر هو الذي أوحى للناس بأن النبي قد غضب من علي في هذه القضية، فهو يقول عنه:

(١) — ارشاد المفيد ص ٩٣ وقاموس الرجال ج ٢ ص ١٧٣ عنه.

(٢) — طه ١١٥.

(٣) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٥١، ومنتخب كنز العمال ج ٥ ص ٢٢٩ بهامش مسند أحمد، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٢٤٩ عنه عن الزبير بكار في الموفقيات وقاموس الرجال ج ٦ ص

«ثم غاب علياً بخطبته بنت أبي جهل؛ فأوهم أن رسول الله (ص) كرهه لذلك، ووجد عليه (١)».

ورابعاً: قال الشيخ ابراهيم الانصاري ماملخصه— مع التقليل والتطعيم—إننا في نفس الوقت الذي نجد النبي(ص) يقول في خطبته: «إني لست أحرم حلالاً، ولا أحل حراماً» نجده يفرض على علي أن يطلق ابنته، إن أراد تزوج ابنة أبي جهل... مع أن الله قد جعل الطلاق بيد الزوج، وليس للزوجة ولا لابيها حق فرض ذلك عليه...

ثم هوينى علياً عن الزواج بالثانية، مع أن الله تعالى أحل الزواج من مثني وثلاث ورباع... وإذا كان يحرم على علي الزواج في حياة فاطمة لخصوصية لها (٢)، فلماذا يقدم علي على أمر محرم عليه حتى يضطر النبي (ص) إلى هذا الموقف... ولماذا يقدم على إيذاء فاطمة، وهو يسمع قوله(ص): فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيني؟! وكيف نوجه بعد هذا قوله(ص): لولا أن الله خلق علياً، لم يكن لفاطمة كفؤ، آدم فن دونه؟!!

بل إن الله تعالى هو الذي اختار علياً لفاطمة، فكيف يختار لها من يؤذيها ويغمها؟!!

ثم... ألم يكن لدى علي عليه السلام من الأدب والاحترام بمقدار ما كان لبني المغيرة؛ فيستأذنه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يستأذنه علي عليه السلام؟!!

ثم إننا لاندري ما حقيقة إيمان، وجمال، ومزايا بنت أبي جهل— التي كانت من الطلقاء (٣)— حتى جعلت علياً يقدم على خلق مشكلة بهذا الحجم له ولبني المغيرة، وحتى للنبي(ص) نفسه...

وأيضاً... لماذا لم يكلم النبي(ص) علياً سرّاً، ويطلب منه صرف

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٨٨.

(٢)— كما احتمله العسقلاني فتح الباري ج ٩ ص ٢٨٧.

(٣)— طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٩١.

النظر عن هذا الأمر؟! أم أنه فعل ذلك، فرفض علي حتى اضطر إلى فضحه وتأليب الناس ضده بهذه الصورة؟!!

وكذلك الحال بالنسبة لبني المغيرة، لماذا لا يردعهم عن تزويجه سرأً؟! أم أنه فعل ذلك، فلم يردعوا إلا بهذه الطريقة؟!... وإذا كانوا لا يردعون؛ فلماذا يستأذنون؟!...

واعذار العسقلاني عن ذلك بأنه (ص) أراد من خطبته على رؤوس الشهداء: أن يشيع ذلك الحكم، ويأخذوا به على سبيل الإيجاب أو الأولوية (١)

لا يمكن قبوله... إذ قد كان يمكن أن يشيع هذا الحكم - بالطرق الأخرى التي تشيع فيها سائر الأحكام... ولا سيما وأنه ليس من الأحكام العامة التي يتبلي بها عامة المكلفين...

وأيضاً... فإن ذلك لا يتناسب مع كلمات النبي القاسية على المنبر، ولا مع تعريضاته القوية المشعرة بأن علياً قد ارتكب أمراً عظيماً... هذا مع العلم بأنه (ص) لم يكن من عادته أن يواجه أحداً بما يعاب به؛ فكيف يعلن به على المنبر.

واعذار العسقلاني أيضاً عن ذلك: بأنه لعله مبالغ في رضا فاطمة عليها السلام، لأنها أصيبت بأمرها وإخوتها، فكان إدخال الغيرة عليها يزيد من حزنها (٢).

لا يصح أيضاً... فإن رضا شخص لا يبرر تنقص شخص آخر على أمر مباح بل مستحب... وكذلك... فإن كون فاطمة قد أصيبت، لا يبرر منع زوجها من العمل بما هو مباح له... وهل لم يصب أحد بأقربائه سواها؟ وهل كل من أصيبت بأقربائها تمنع زوجها من الزواج بأخرى؟! ولا سيما

(١) - فتح الباري ج ٧ ص ٦٨.

(٢) - فتح الباري ج ٧ ص ٦٩ وراجع: ج ٩ ص ٢٨٧.



بعد مرور السنوات العديدة على ذلك ...

وأيضاً... فان هناك تعريضه بعلي(ع)، وأنه حدثه ولم يصدقه... لاندرى كيف؟ ومتى؟... وأن أبا العاص (الذي بقي على شركه حتى اسلم مع طلقاء مكة كرهاً أو طمعاً، والذي صرح الصادق بنفاقه كمناسب إليه(١) -) قد حدثه، فصدقه، كيف؟ ومتى؟ وفي أي مورد؟!.

وبعد... فما معنى: أن لا تجتمع بنت عدو الله وبنت رسول الله عند رجل... وقد جمع عثمان بين رقية و أم كلثوم بنتي رسول الله كما يقولون... وبين فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس، ورملة بنت شيبه، و أم البنين بنت عيينة بن حصن، الذي كان من المنافقين...

وفاطمة... لماذا تتأذى من العمل بحكم إلهي مشرع في القرآن وعلى لسان أبيها؟!... ولماذا لا تكون مثال المؤمنة الراضية والمطمئنة، وابن هو إيمانها القوي وثباتها؟!... ولماذا لا تكون كأبي امرأة أخرى تواجه قضية كهذه؟!... وكيف بلغ بها الامر أن أصبح أبوها يخشى عليها الفتنة في دينها؟! كل ذلك لأن زوجها يريد التزوج من امرأة أخرى؟!...

ثم... الم تسمع قول أبيها: جدد الحلال أنف الغيرة(٢)؟ ولو كانت لم تسمع ذلك فلما لا يذكر أبوها ذلك حينما اشتكت من زوجها... أو على الأقل لماذا لا يتذكر هو ذلك، قبل أن يصعد المنبر ويتكلم بذلك الحماس والعصبية والقسوة؟! وهل يتناسب ذلك مع حكمته ونبيل أخلاقه، وسمونفسه، وما عرف به من الكظم والحلم... وهذا المأمون يجيب ابنته على شكواها من قضية كهذه: إنا ما انكحناه لنحظر عليه ما أباحه الله تعالى... فهل كان المأمون اعلى نفساً، و اكرم اخلاقاً منه(ص)؟! والعياذ بالله(٣).

(١) - مستطرفات السرائر ص ٤٧٠.

(٢) - محاضرات الادباء المجلد الثاني ص ٢٣٤.

(٣) - راجع: مقالاً للشيخ ابراهيم الانصاري في مجلة الهادي سنة ٥ عدد ٢ ص ٣٠-٣٣ بعنوان اسطورة تزوج على بنت أبي جهل. وتنزهه الانبياء للسيد المرتضى ص ١٦٨.

وخامساً: قال السيد المرتضى: «وبعد... فأين كان أعداؤه (ع) من بنى امية وشيعتهم عن هذه الفرصة المنتهزة؟! وكيف لم يجعلوها عنواناً لما يتخرصونه من العيوب، والقرووف؟! وكيف تمحلوا الكذب، وعدلوا عن الحق. وفي علمنا بأن أحداً من الاعداء متقدماً لم يذكر ذلك، دليل على انه باطل موضوع(١)».

وسادساً: وبعد كل ماتقدم: كيف يقول النبي(ص) لبنت أبي جهل (بنت عدو الله) على المنبر، وهو الذي منع الناس من أن يقولوا لعكرمة أخيها: (ابن عدو الله)، وقال كلمته الخالدة: يأتيكم عكرمة مهاجراً؛ فلا تسبوا أباه، فان سب الميت يؤذي الحي(٢).

وسابعاً: إن المسور بن مخرمة قد ولد في السنة الثانية للهجرة، فكيف يقول: إنه سمع النبي يخطب على المنبر وهو (يعني المسور) محتلم؟!.

ووجه ذلك ابن حجر بأن المراد بالاحتلام كمال العقل(٣) ويخالف هذا التوجيه كلاً من اللغة والعرف، فلا يقال لطفل عمره ست سنين: إنه محتلم مهما كان له من الدراية، ومن العقل والفتنة(٤).

### الرواية الاقرب إلى القبول:

وبعد... فان السيد المرتضى يرى: أن هذه الاسطورة إنما رواها الكرابيسى البغدادي، صاحب الشافعي. والكرابيسى معروف بنصبه وانحرافه عن أمير المؤمنين عليه السلام(٥).

ونحن... وإن كنا نرى: أنها بكيفيتها المتقدمة لاريب في بطلانها

(١) - تنزيه الانبياء ص ١٦٩.

(٢) - راجع مقال الانصاري في مجلة الهادي سنة ٥ عدد ٢ ص ٣٢.

(٣) - فتح الباري ج ٩ ص ٢٨٦.

(٤) - راجع مقال الانصاري أيضاً...

(٥) - تنزيه الانبياء ص ١٦٧.

وافتها لها... إلا أننا لئمانع في أن يكون لها أصل سليم عن كل ما قدمناه، ومنسجم مع روحية وعصمة النبي (ص) ووصيه، وبضعته الزهراء...

ولعل مارواه سويد بن غفلة والشعبي قريب من الواقعة الحقيقية، فقد ذكرنا: أن علياً (ع) خطب ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام، فاستشار علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال (ص): «أعن حسبها تسألني؟ قال علي: قد أعلم ما حسبها، ولكن أتا مني بها؟ قال: لا، فاطمة بضعة مني، ولا أحب أنها تحزن أو تجزع».

قال علي: «لا آتي شيئاً تكرهه (١)».

ولربما تكون فاطمة قد عرفت بقول عمر: عن النبي (ص): «إنه سيغضب لابنته» فاشتكته لذلك، لا غيرة من خطبة علي (ع) امرأة أخرى... فان فاطمة أجل وأرفع، واعمق ايماناً من أن تفكر في امر كهذا...

## ٥- أم سلمة في بيت النبي (ص):

وفي شوال السنة الثانية بعد بدر- كما قاله أبو عمر وغيره (٢)- وقيل: قبل بدر (٣)، وقيل: في السنة الرابعة (٤) تزوج الرسول صلى الله عليه وآله بأهه سلمة، أفضل نساء النبي (ص) بعد خديجة، وأول مهاجرة إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة، وعادت إلى مكة فكانت أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة أيضاً- كما يقولون...

ونحن نرجح: أنها دخلت بيت النبي (ص) في السنة الثانية، وذلك لما تقدم: من أنها قد حضرت زفاف فاطمة في ذى الحجة من السنة الثانية،

(١)- كنز العمال ج ١٦ ص ٢٨٠ عن أبي يعلى، والمصنف ج ٧ ص ٣٠١، وفتح الباري ج ٩ ص ٢٨٦ بأسناد صحيح عن الحاكم.

(٢)- الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٤٧١/٤٧٢، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٦ عن السمط الثمين عن أبي عمر، وذكره مغلطاي في سيرته بلفظ قيل.

(٣)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٦ وراجع سيرة مغلطاي ص ٥٥.

(٤)- سيرة مغلطاي ص ٥٥ وغيره كثير.

كزوجة للرسول (ص)... وان كنا قد احتملنا - فيما تقدم - انها الأنصارية... ولكن ذكر بيت أم سلمة في بعض الروايات والتصريح بزوجيتها له (ص) حينئذ (١)، وعلمنا بأنه (ص) كان كلما تزوج بامرأة بنى لها بيتاً، فلو كان قد تزوج أم سلمة في السنة الرابعة، فلم يكن قد بنى لها بيتاً في السنة الثانية... إن ذلك يقرب أن تكون أم سلمة كانت حينئذ زوجة له (ص)...

واحتمال أن يكون المراد: البيت الذي صار فيما بعد لام سلمة... لامبرر له؛ لأن الرواية تكاد تكون صريحة في كون أم سلمة كانت حاضرة، وكان يتعامل معها كزوجة...

وعلى كل حال... فقد خطب أم سلمة أولاً أبو بكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، ثم خطبها رسول الله (ص)، فقالت: مرحباً برسول الله (٢) إلخ. وذكرت له أنها غيرى، وأنها مصيبة. فرد النبي (ص) عذرها وتزوجها.

والظاهر أنه حين تزوجها لم تكن قد بلغت الخامسة والعشرين من عمرها، بدليل: أنهم يقولون: إنها توفيت في اوائل خلافة يزيد سنة اثنين وستين، ولها أربع وثمانون سنة (٣) فيكون عمرها حينها هاجرت إلى الحبشة حوالي ١٥ سنة.

وعذر أم سلمة المتقدم يدل على كمال عقلها، وحسن أدبها، وعلى أنها كانت تحسب للعواقب حسابها، فان كونها غيرى لربما يوقعها فيما لاتحب، وتكون سبباً في أذى النبي، أو عدم راحته... وكونها مصيبة لربما يعيقها عن القيام بواجباتها تجاه رسول الله (ص) على النحو الاكمل والأفضل.

(١) - البحار ج ٤٣ ص ١٢٦ عن كشف الغمة للاربلي ومناقب الخوارزمي ص ٢٤٨ و ٢٤٩ و

(٢) - طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٤، ولم يذكر غير أبي بكر، وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٨، والاصابة ج ٤ ص ٤٥٩.

(٣) - تهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢.

وقد كانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي الصائب (١). وكانت من أجمل الناس (٢). ولأجل ذلك نجد عائشة تقول: لما تزوج رسول الله (ص) أم سلمة حزنت حزناً شديداً؛ لما علمت من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها؛ فرأيت والله أضعاف ما وصفت من الحسن والجمال، فذكرت ذلك لحفصة— وكانت يداً واحدة الخ (٣). ثم ذكرت أن حفصة قد حاولت التخفيف من هموم رفيقتها في هذا المجال...

ولكن الظاهر أن ذكر حفصة هنا كان في غير محله، لأن الظاهر أنه (ص) قد تزوجها بعد ام سلمة لاقبلها كما سيأتي. فلا بد وأن تكون قد ذكرت لها ذلك و لم تكن حفصة حينئذ زوجه له (ص)، أو ان غير حفصة هي صاحبة القضية مع عائشة.

ام سلمة على العهد:

وعلى كل حال... فقد كانت أم سلمة خير زوج لرسول الله (ص)، وبقيت بعده على العهد، لم تغير ولم تبدل، وقرت في بيتها كما أمرها الله، وناصرت وصي رسول الله، وعادت أعداءه ومحاربيه، حتى ليذكر البيهقي: أن عائشة دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل، وقد كانت أم سلمة حلفت ألا تكلمها أبداً من أجل مسيرها إلى محاربة علي بن أبي طالب.

فقالت عائشة: السلام عليك يا أم المؤمنين.

فقالت: يا حائط، ألم أنك؟ ألم أقل لك؟!!

قالت عائشة: فاني استغفر الله وأتوب إليه (كيف تتوب إليه وهي عندما جاءها نعي علي أعتقت غلامها، وأظهرت الشماتة، وتكلمت بالكلام السيئ في حقه عليه السلام) كلميني يا أم المؤمنين.

(١) - الاصابة ج ٤ ص ٤٥٩ وحديث الافك ص ١٦١ عنه.

(٢) - تهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٥.

(٣) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٧، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٦، والاصابة ج ٤ ص ٥٩٩ عنه.

قالت: يا حائط، ألم أقل لك؟! أم أنك؟!  
فلم تكلمها حتى ماتت إلخ (١).

وبالمناسبة... فإن ولد أم سلمة، واسمه «عمر» قد كان والياً  
لأمير المؤمنين عليه السلام على فارس والبحرين. وكان معه يوم الجمل (٢).

### وفاة أم سلمة:

وقد توفيت أم سلمة في خلافة يزيد لعنه الله تعالى... ولا يصح قول  
البعض، كالواقدي وغيره (٣): أنها توفيت سنة تسع وخمسين، وصلى عليها  
سعيد بن زيد، أو أبو هريرة (٤).

نعم... لا يصح؛ وذلك:

أولاً: لأن سعيد بن زيد قد توفي في سنة خمسين، أو إحدى  
وخمسين (٥)، فكيف يكون قد صلى على أم سلمة التي توفيت بعد ذلك  
بسنين. وأبو هريرة؛ فإنه قد توفي سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين... فبالنسبة  
للقولين الأولين لا ريب في أنه قد توفي قبلها، وكذا بالنسبة للأخير، كما  
سنرى...

وثانياً: إننا لانرتاب في أن أم سلمة قد توفيت في خلافة يزيد، وذلك  
استناداً إلى ما يلي.

١- ما هو معروف وثابت، من أن النبي صلى الله عليه وآله قد أودع  
عند أم سلمة قارورة فيها من تراب كربلاء، فاذا رأته فاضت دماً؛ فقد قتل

(١) - المحاسن والمساوي للبيهقي ج ١ ص ٤٨١.

(٢) - قاموس الرجال ترجمة عمر بن أبي سلمة.

(٣) - راجع ترجمة أم سلمة في طبقات ابن سعد ج ٨، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٥، وتهذيب  
الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢.

(٤) - كما ذكره أبو عمر في الاستيعاب، وابن الكحال، وابن الأثير.

(٥) - تهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢، والاصابة ج ٤ ص ٤٦٠.

الحسين عليه الصلاة والسلام...

وهكذا كان، فقد عرفت استشهاد الامام الحسين عليه السلام، حينما  
فاضت هذه القارورة دماً (١).

قال ابن كثير: «والأحاديث المتقدمة في مقتل الحسين تدل على أنها  
عاشت إلى ما بعد مقتله (٢)».

٢— روى الطبراني بسند رجاله ثقات: أنها رحمها الله توفيت زمن  
يزيد بن معاوية سنة اثنتين وستين (٣).

٣— وقال الذهبي: إنها عمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد؛  
فوجت لذلك، وغشي عليها، وحزنت عليه كثيراً، ولم تلبث بعده إلا يسيراً،  
وانتقلت إلى الله تعالى (٤).

٤— عن شهر قال: أتيت أم سلمة أعزها بالحسين (٥).

٥— رأت أم سلمة النبي (ص) في المنام، وأخبرها بمقتل  
الحسين (٦).

٦— وقد روي بسند رجاله رجال الصحيح: أنها سمعت الجن تنوح  
على الحسين عليه السلام (٧).

(١) — راجع مصادر هذه القضية في كتاب: «سير تناوستنا» للعلامة الأميني، فإنه مشحون  
بالمصادر لها.

(٢) — البداية والنهاية ج ٨ ص ٢١٥.

(٣) — مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٦.

(٤) — مقتل الحسين للمقرم ص ٣٥٥ عن سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ١٤٢.

(٥) — مقتل الحسين للمقرم ص ٣٥٥ عن سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ١٤٦.

(٦) — تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٥٦، وتاريخ الخلفاء ص ٢٠٨، ومقتل الحسين للمقرم ص  
٣٥٥ عنها وعن: ذخائر العقبى ص ١٤٨ وعن امالي ابن الشيخ الطوسي ص ٥٦. وعن سير اعلام  
النبلاء ج ٣ ص ٢١٣.

(٧) — تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٨، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٩ عن الطبراني، وحياة  
الصحابة ج ٣ ص ٧٤٢ عنه.

٧— وروى مسلم في صحيحه: أن الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة، وعبدالله بن صفوان، دخلا على أم سلمة في خلافة يزيد بن معاوية؛ فسألا عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك حين جهز يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بعسكر الشام الى المدينة، فكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين (١).

هذا... وقد قال كثير من العلماء بأنها توفيت في خلافة يزيد، منهم: الذهبي— كما تقدم— ورجحه ابن كثير كما تقدم أيضاً، وابن أبي خيثمة، وابن حبان، وابونعيم، والياقعي وابن عساكر، وصححه (٢). وغيرهم...

ولعل الهدف من الاصرار على أنها قد توفيت سنة تسع وخمسين هو تكذيب تلك الفضيلة التي ثبتت للامام الحسين عليه السلام، والتي تظهر بشاعة وفضاعة تلك الجريمة التي ارتكبتها يزيد، ومن معه من الأمويين وأذناهم...

## ٦- حفصة في بيت النبي(ص):

وفي السنة الثالثة، وقال أبو عبيدة في الثانية في شهر شعبان عقد النبي(ص) على حفصة بعد انقضاء عدتها، بعد وفاة زوجها السابق خنيس بن حذافة المقتول في بدر، أو أحد، أو بعدها. والارجح الأول؛ لأن بعض الروايات تصرح بأن عمر قد عرض حفصة على عثمان «متوفى رقية بنت النبي(ص)». ورقية إنما توفيت بعد بدر أو في ذي الحجة— كما تقدم وهو الذي رجحناه...

وتقول بعض الروايات: ان عمر عرض حفصة على عثمان وابي بكر،

(١) — الاصابة ج ٤ ص ٤٦٠.

(٢) — راجع: الاصابة ج ٤ ص ٤٦٠، وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢، ومراة الجنان ج ١ ص ١٣٧ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢١٥ وغير ذلك.

(٣) — طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٥٨/٥٧ وليراجع الاصابة ج ٤ ص ٢٧٣ والاستيعاب بهامش

الاصابة ج ٤ ص ٢٦٨ و ٣٠٠.



فلم يجيباه إلى ماطلب، فشكا ذلك إلى رسول الله (ص)، فقال له: إن الله عزوجل قد زوج عثمان خيراً من ابنتك، وزوج ابنتك خيراً من عثمان...

وهذه الرواية وإن كانت صريحة في أن أم كلثوم أفضل من حفصة، وتلقي ظلالاً من الشك حول ماينسب إلى حفصة من الفضل... بالإضافة إلى أن سيرة حياتها وسلوكها مع النبي (ص) وبعده تجعل الباحث يميل إلى ضد ذلك الذي ينسبه محبوبهاها...

إلا أننا نجد: أن عرض عمر ابنته على أبي بكر، وعثمان غير مألوف، ولا معروف من الآباء، ولا ينسجم مع طبيعة العربي، وغروره، وحساسيته تجاه قضايا المرأة بشكل خاص، وبالأخص من قبل عمر، الذي له حساسية متميزة في هذا المجال، حتى لقد حرم زواج المتعة، الذي لم يكن معروفاً ولا مألوفاً في الجاهلية، انطلاقاً من هذه الحساسية بالذات، كما يبدو، ولذا فنحن نرى أن الرواية الاصبوب والأقرب هي التي تقول:

«لما توفيت رقية خطب عثمان ابنة عمر حفصة؛ فردّه، فبلغ ذلك النبي (ص)، فقال: يا عمر، أولاً أدلك على خير من عثمان؟، وأدل عثمان على خير له منك؟! قال: نعم يا نبي الله. قال: تزوجني ابنتك، وأزوج عثمان ابنتي. خرج الخنثدي (١)».

ويلاحظ: أنه لم يذكر في هذه الرواية: أن الله قد زوجه حفصة، و زوج عثمان أم كلثوم... وعدم ذكره هو الأقرب للصحة؛ فإن زينب بنت جحش كانت تفتخر على نساء النبي بأن الله هو الذي زوجها، أماهن فزوجهن أولياؤهن. ولو كان الله قد زوج حفصة حقاً لم يكن لكلام زينب هذا مجال.. وهكذا... فإن الشواهد تتضافر على تأييد هذه الرواية الأخيرة... ولسوف يأتي أيضاً كلام مهم آخر عن زواجه (ص) من حفصة، حين الكلام على سر تعدد زوجاته (ص).

### ٧- زينب بنت خزيمة في بيت النبي (ص):

وفي شهر رمضان المبارك من السنة الثالثة، وبعد تزوجه (ص) بحفصة، تزوج (ص) بزينب بنت خزيمة وماتت بعد شهرين، أو ثلاثة من اقترانها به، فهي أول أزواجه (ص) موتاً...

وقبل أن نمضي في الحديث لا بأس بأن نتوقف قليلاً لنلقي نظرة، ولنتأمل في الدوافع التي دعت النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى تكثير زوجاته؛ فنقول:

### دوافع تعدد زوجات النبي (ص):

إننا لا بد - قبل طرح أي سؤال من ملاحظة ما يلي:

إن حب الرجل للمرأة وإن كان أمراً طبيعياً، ولقد كان النبي (ص) رجلاً إنسانياً؛ فمن الطبيعي أن يميل إلى المرأة، ويشعر بالمتعة معها... ولكن أول ما يطالعنا في هذا المجال، هو أننا نلاحظ: أن أكثر زوجاته (ص) كن ثيبات: إما مطلقات، أو ترملن من أزواج قبله (ص)... مع أنه لو كان (ص) يهتم بأمور الجنس؛ فقد كان باستطاعته أن يتزوج خيرة الفتيات الابكار، ولوجد أولياء هن يفتخرون بمصاهرته لهم. وهو الذي حث وحبذواثنى على الزواج بالابكار، ورغب فيه بشكل واضح وملموس...

ونلاحظ أيضاً: أنه (ص) وهو في مكة قد بقي ٢٥ سنة مع زوجته الوفية، والتي كانت تكبره سناً على أشهر الأقوال، خديجة صلوات الله وسلامه عليها، ولم يتزوج عليها في حياتها أحداً، مع أن تعدد الزوجات كان مألوفاً لدى الناس آنئذٍ.

ونجد (ص) ثالثاً: يرفض عرض قريش عليه التزويج بأي النساء شاء، في مقابل أن يلين في موقفه، ويخفف من مواجهته لآلهتهم وعقائدهم.

ونلاحظ كذلك: أن نساءه (ص) كنّ على كثرتهنّ من قبائل شتى،

لا تكاد تجد منهن اثنتين من قبيلة واحدة، إلا من اللواتي لم يدخل بهن...

وبعد... فان جميع زوجاته-ايضا-باستثناء خديجة إنما دخلن بيت الزوجية عنده في المدينة المنورة، أي بعد أن تجاوز سن الخمسين، وبعضهن قبل وفاته (ص) بمدة قليلة.

وأيضاً... فان هذا التعدد لم يشغل النبي (ص) عن واجباته، ولا أخرجه عن اتزانه، ولا طغى على وقته ونشاطه، كما أن تاريخ حياته (ص) يشهد: بأنه (ص) لم يكن يهتم بهذه الأمور، بل كان مثال العفاف والطهر البالغ، ولم يلوث نفسه بأي مما كانت الجاهلية تبيحه، وتشيع في مجتمعه ممارسته، ولم يستطع أحد من أعدائه أن يصمه بشيء من ذلك .

وأخيراً... فان ما يجب الالتفات إليه هو: أنه (ص) قد خير زوجاته بين الرضا بحياة التقشف معه، وبين الطلاق والفراق...

وبعد ماتقدم فهل لنا الحق في أن نطرح هنا السؤال التالي؟!

إنه هل استيقظ فيه (ص) الشعور الجنسي في المدينة بالذات، وبعد شيخوخته، وفي أواخر عمره؟! وبالذات... هل استيقظ هذا الشعور على خصوص النساء اللواتي تاملن، أوطلقهن أزواجهن؟!

وأهل أراد حقاً أن يتذوق نساء القبائل المختلفة في الجزيرة العربية؟!...

ولماذا اختص ذلك بالعربية دون غيرها؟!...

أسئلة تلح بالاجابة عنها بوعي، ومسؤولية، وإدراك ...

### والجواب:

لا... فان ذلك كله لم يكن، وإنما كان زواجه المتعدد هذا لدوافع سياسية، واحكامية... وإنسانية... وانطلاقاً من مصلحة الاسلام العليا... ولتفصيل بعض ما يمكن تفصيله نشير الى النقاط التالية:

١- إن بعض موارد ذلك الزواج كانت دوافعه إنسانية بحتة، لكون تلك المرأة قد اسلمت وهاجرت، ثم توفي أو قتل عنها زوجها، ولا سبيل لها إلى الرجوع إلى أهلها المشركين؛ لأنها لا تستطيع أن تقاوم ضغوطهم النفسية والمادية عليها... هذا إن لم تتعرض للتعذيب الجسدي الوحشي، فيما لو أرادت أن تحتفظ بدينها وعقيدها فيما بينهم... ولا معيل ولا كفيل لها في هذا المجتمع الجديد...

هذا بالإضافة إلى أن تأييدها سيطلق اللسنة والأهواء في حقها وفي اتهامها، ويجعلها تتعرض لضغوط - وحتى إلى اغراءات، ربما لا تناسبها ولا تناسب موقعها ومصيرها في هذا المجتمع الغريب عنها... هذا... إن لم يؤد ذلك إلى أزمات قبلية ونفسية لا مبرر لها...  
و إذن... فخير كافل وخير معين وحافظ و ولي هو النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- إن زواجه بجويرية قد نشأ عنه: أن يطلق المسلمون مئة أهل بيت وعند دحلان مئتين - كما يقولون - من الاسرى من قبيلتها، فأسلم من قومها خلق كثير، على حد تعبير المؤلفين في السيرة النبوية (١).

و إذن... فهذا نوع من أنواع التأليف على الاسلام والترغيب فيه، كما كان (ص) يتألفهم بطرق أخرى كبذل المال لهم، وتزويجهم، وتوليتهم بعض الأمور وغير ذلك...

بل نجد عمرو بن العاص يذكر لنا نوعاً من أنواع التأليف لم يكن يخطر على بالنا؛ يقول عمرو: « كان رسول الله (ص) يقبل بوجهه، وحديثه على أشرف القوم يتألفهم بذلك ، فكان يقبل بوجهه وحديثه علي، حتى ظننت أنني خير القوم... » ثم ذكر أنه سأله عن نفسه وفلان وفلان، فأخبره أنهم افضل منه، فيقول عمرو: «فلو ددت أنني لم أكن سألكه (٢)».

(١) - سيرة المصطفى ص ٤٦٧.

(٢) - مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٥ عن الطبري بأسناد حسن، وفي الصحيح بعضه بغير سياقه، و حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٠٦ عن الترمذي في الشمائل ص ٢٥.

٣- إن زواجه بزینب بنت جحش قد كان لضرورة اقتضاها التشريع، حيث إنه (ص) كان قد تبني زيد بن حارثة - زوجها - وكان العرب يعتقدون: أن آثار التبني هي نفس آثار البنوة الحقيقية، فيحل له، ويحرم عليه، ويرث ويعامل - تماماً - كالابن الحقيقي بلا فرق...

ولم يكن مجال لقلع هذا المفهوم الخاطئ إلا بالاقدم على عمل أساسي لاجمال للريب، ولا للتأويل فيه... فكان زواج النبي (ص) من زوجة ابنه بالتبني هو الوسيلة الفضلى لقلع هذا المفهوم الخاطئ من أذهانهم... وهكذا كان...

٤- لقد كان بين كثير من القبائل التي كان عدد من زوجاته (ص) ينتمي إليها وبين المسلمين، وعلى رأسهم النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم حروب وقتلى، وكان لقضية الثار والدم عند العربي أهمية خاصة، كما المحنا إليه من قبل...

وبما أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد جاء لهداية الناس وإرشادهم، ولا بد لهم من الايمان به، والتسليم لأمره ونهيه... بل لا بد وأن تكون له مكانة ومحبة في نفوسهم تزيد على محبتهم لكل شيء آخر، حتى المال، والولد، والنفس بنص القرآن الكريم: «قل إن كان آباؤكم، وابناؤكم، واخوانكم، وأزواجكم، وعشيرتكم، وأموال اقتر فتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين(١)».

نعم... لا بد من ذلك... ولكن وبعد أن اضطر الى مواجهتهم بالحرب، وقهرهم، وتمكن من السيطرة عليهم، كان لا بد من تأليفهم وإيجاد علائق من نوع معين، تفرض عليهم، أو على الأقل على الكثيرين منهم - والنبي (ص) يهيمه حتى الفرد الواحد-: أن يرتبطوا به، ويتعاملوا معه تعاملًا واضحاً، ومن مركز الثقة المتبادلة... ويقطع الطريق عليهم في أي موقف

سليبي منه ومن دعوته...

وبعد أن يتمكن من شحنهم روحياً وعقائدياً يكون قد مهد الطريق للقضاء على الاحقاد والإحزن... ويمكن - من ثم - العمل يداً واحدة من أجل هدف واحد، وفي سبيل واحد...

ولهذا نجده يتحمل من بعض تلك النسوة أذى كثيراً، ويواجه صعوبات جمة معها، ولكنه لا يبادر الى قطع العلاقة معها نهائياً، وما ذلك إلا لأنه يتعامل مع زوجاته من موقفه السياسي الحرج، لامن جوبيت الزوجية (١).

هـ - وكشاهد على ماتقدم نذكر: أن زواجه بحفصة مثلاً كان - على ما يظهر زواجاً سياسياً؛ ويمكن أن يتضح ذلك من كلام أبيها عمر لها، حين طلقها النبي وأراد طلاقها مرة ثانية، فقد قال عمر لحفصة حينما تظاهرت هي وعائشة على النبي صلى الله عليه وآله، واعتزلها: «والله، لقد علمت: أن رسول الله لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله (ص) (٢)».

وحينما طلق رسول الله صلى الله عليه وآله حفصة في المرة الأولى، حثا عمر على رأسه التراب، وقال، ما يعبؤ الله بعمر، وابنته بعدها؛ فراجعها النبي رحمة لعمر (٣).

نعم... لقد كان موقف عمر حينما طلق النبي (ص) ابنته شديداً إلى الحد الذي يضطر معه النبي (ص) الى مراجعتها من جديد!!...

وقال لها أبوها عمر حينما أراد (ص) طلاقها في المرة الثانية: «إنه قد كان طلقك مرة، ثم راجعك من أجلي» أو: إن النبي طلقك وراجعك من

(١) - راجع كتاب: حديث الافك ص ١٦٥ للمؤلف...

(٢) - صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٥.

(٣) - اسد الغابة ج ٥ ص ٤٢٦، والاصابة ج ٤ ص ٢٧٣، والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٢٦٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٤ عن الطبراني.

أجلبي، أو نحو ذلك (٢).

وبعد كل ماتقدم فانه يتضح: أنه لا يصح قولهم: إنه (ص) إنما راجعها، لأن جبرئيل أمره بمراجعتها، لأنها صوامة قوامة (٢)... خصوصاً... وأن الصوامة القوامة لا تجعل النبي (ص) يضطر الى طلاقها مرتين، ثم يراجعها من أجل أبيها.

كذبة مفضوحة: ومن الكذب الواضح هنا ماروي من أنه لما طلقها النبي (ص) اغتم الناس. ودخل عليها خالها عثمان بن مظعون، وأخوه قدامة، فبينما هو عندها، وهم مغتمون، إذ دخل النبي (ص) على حفصة، وقال: يا حفصة، أتاني جبريل عليه السلام آنفأً فقال: إن الله يقرؤك السلام، ويقول لك: راجع حفصة؛ فانها صوامة قوامة، وهي زوجتك في الجنة. وثمة نص قريب من هذا ورجاله رجال الصحيح (٣).

نعم... إن هذا من الكذب الواضح؛ فان عثمان بن مظعون قد توفي قبل زواج النبي (ص) بها بمدة، وقضية الطلاق إنما حصلت في قضية لهامع مارية التي قدمت الى المدينة سنة سبع أوثمان...

هذا بالاضافة إلى أن الصوامة القوامة لا يعهد منها أن تؤذي النبي إلى حد يضطر معه إلى طلاقها مرتين.

والتي تؤذي النبي لا يعقل أن تكون معه في الجنة، والله تعالى يقول:

(١) - راجع هذه النصوص في: أسد الغابة ج ٥ ص ٤٢٦، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٤ عن الطبراني ورجاله رجال الصحيح، والاصابة ج ٤ ص ٢٧٣ عن أبي يعلى. وراجع: سيرة مغلطاي ص ٤٨.

(٢) - طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٥٨ و ٥٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٤ عن البزار والطبراني، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٢٥ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٢٦٩، وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٢٣٨.

(٣) - راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٤ عن الطبراني في الاوسط وفي السند من لم يعرفهم وفي ص ٢٤٥ مايقرب من هذا النص، وقال: ان رجاله رجال الصحيح. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٧/٤١٦ وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٥٨.

«والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (١)» وقال: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً مهيناً (٢)».

وبعد هذا... فلا يمكن أن نصدق: أن يأتي جبرئيل فيأمره بمراجعة من هذه حالها، ثم يحكم - علاوة على ذلك لها بالجنة... .

وليراجع بعض قضاياها في بيت النبي في ترجمتها في قاموس الرجال، وغيره...

### ولادة الامام الحسن (ع):

وولد الامام الحسن عليه الصلاة والسلام في النصف من شهر رمضان السنة الثالثة، على ماهو الأقوى؛ وكان رسول الله (ص) قد أمرهم أن يلفوه في خرقة بيضاء؛ فأخذته (ص)، وقبله، وأدخل لسانه في فيه، يمصه إياه، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وحلق رأسه، وتصدق بوزن شعره ورقاً (أي فضة) وطلّى رأسه بالخلوق. ثم قال: يا أسماء، الدم فعل الجاهلية (٣)...

وسأل علياً عليه السلام، إن كان قد سماه؛ فقال عليه السلام: ما كنت لاسبقك باسمه. فقال (ص): ما كنت لاسبق ربي باسمه. فأوحى الله إليه: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى؛ فسّمه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبر. قال: لساني عربي.

قال: سمه: «الحسن» فسماه الحسن (٤).

(١) - التوبة ٦١.

(٢) - الاحزاب ٥٧.

(٣) - راجع: البحار ج ٤٣ ص ٢٣٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٨، فيظهر: أنهم كانوا في الجاهلية يطلون رأس المولود بالدم، فهو (ص) هنا ينهى عن ذلك...

(٤) - البحار ج ٤٣ ص ٢٤١ وفي هامشه عن: علل الشرايع ج ١ ص ١٣١، ومعاني الاخبار ص ٥٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٨، وغير ذلك وليراجع مناقب ابن شهر آشوب، عن مسند أحمد، وتاريخ البلاذري، وفردوس الديلمي ويقول بعض المحققين: انه لم يجد في التوراة اسم شبر وشبير لابني هارون وقد ذكرت قصة ابناء هارون مفصلاً.



وهذا يدفع قولهم: إنهم سمو الحسن حرباً (١) أوحمة؛ فان علياً في أدبه وفضله لم يكن ليسبق النبي (ص) في تسميته. وعقّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن بكبشين. وقيل: بكبش. وقيل: إن فاطمة عليها السلام هي التي عقت عنه، وهو بعيد، مع وجود ابياها وزوجها عليها الصلاة والسلام...

وبقي أن نشير هنا إلى مايلي:

### الف: ذكر اسماء بنت عميس هنا:

إنه قد ورد في عدد من الروايات ذكر لاسماء بنت عميس هنا (٢) واسماء إنما كانت حين ولادة الحسن (ع) في الحبشة؛ فالظاهر: أن ذلك اشتباه من الرواة، حيث زادوا كلمة: «بنت عميس» تبرعاً من عند أنفسهم جرياً على عادتهم، لأنها هي الاعرف...

والمقصود هنا هو اسماء بنت يزيد الانصارية وليس هذا الاشتباه إلا في بعض الروايات فان رواية العيون (٣) لا تحريف فيها.

وقد اشتبه الأمر على المحقق التستري هنا (٤) بسبب اشتباهه في كيفية قراءة الخبر، فان السجاد يروي عن اسماء بنت عميس، وهي تروي عن فاطمة، عن اسماء بنت يزيد الانصارية، وفي الرواية تارة يكون الكلام للسجاد، فيكون مراده بنت عميس، وأخرى يكون الكلام لبنت عميس، فيكون مرادها اسماء الانصارية.

كما أن قولها في الرواية: «فدفعته» اعتبر المحقق التستري: أن التاء فيه للمتكلم، مع أنها تاء التأنيث، وهكذا... فراجع.

(١) - راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٨ عن أحمد، وابن أبي حاتم، والبحار ج ٤٣ ص ٢٥٤ و ٢٥٥ عن كشف الغمة، والاعراب الدخيلة ص ١٣ عن العيون ص ١٩٥.

(٢) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٧، وذخائر العقبى، والبحار ج ٤٣ ص ٢٥٥.

(٣) - الاعراب الدخيلة ص ١٤/١٣ عن العيون ص ١٩٥.

(٤) - راجع: الاعراب الدخيلة ص ١٤/١٣.

وعليه فلامعنى للحكم على هذه الرواية التي ذكرها التستري بأنها فيها تحريف أصلاً.

و يذكر هنا: أن اسماء كانت حينئذ في الحبشة، وقد أرضعت هناك ابن النجاشي ملك الحبشة، فصار لها منزلة عندهم (١).

### باء: الحسن والحسين، اسمان جديدان:

لقد ذكر البعض: أن العرب ما كانوا يعرفون اسمي: «الحسن، والحسين» إلى حين تسمية النبي (ص) لهما بهما، لا الذين كانوا من ولد نزار، ولا اليمن، مع سعة أفخاذهما، وكثرة ما فيها من الاسامي، وإنما يعرف فيها «حسَنَ وحَسِين» على وزن سعد، وسعيد. فهما اسمان قداخرهما الله لهما (٢).

### جيم: ارضاع أم الفضل للحسن:

لقدرووا: أن أم الفضل، زوجة العباس، قالت: قلت: يا رسول الله صلى الله عليك، رأيت في المنام: كأن عضواً من اعضائك في حجري. فقال (ص): تلد فاطمة غلاماً، فتكفليه؛ فوضعت فاطمة الحسن، فدفعه إليها النبي (ص)، فرضعته بلبن قثم بن العباس (٣).

ونحن نشك في هذه الرواية لأن العباس لم يكن قد هاجر حينئذ إلى المدينة. و كانت زوجته معه في مكة.

كما أننا نجد البعض ينكر أن يكون لقثم صحبة أصلاً (٤).

(١) — نسب قر يش لمصعب الزبيرى ص ٨١.

(٢) — البحار ج ٤٣ ص ٢٥٢/٢٥٣ عن المناقب عن ابي الحسين النسابة، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢١٨، وليراجع اسد الغابة ايضاً...

(٣) — راجع: البحار ج ٤٣ ص ٢٤٢ و ٢٥٥، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٨/٤١٩ عن الدولابي والبعوي في معجمه، والاصابة ج ٣ ص ٢٢٧ و ج ٤ ص ٤٨٧ عن ابن سعد بسند جيد، وقاموس الرجال ج ٧ ص ٢٨٤ عن نسب مصعب الزبيرى.

(٤) — راجع الاصابة، ترجمة قثم...

وقد رويت هذه الرواية تقريباً عن أم ايمن، وأنها أرضعت الحسين(ع)، إلا أن فيه بدل في حجري: «في بيتي»(١) فلعل هذه الرواية هي الصحيحة ثم نسبت الى أم الفضل من قبل العباسيين، الذين يهمهم اثبات أمر كهذا لمن ينتسبون إليه...

---

(١) - البحار ج ٤٣ ص ٢٤٣/٢٤٢ عن امالي الصدوق، وعن المناقب، وقال: أخرجه القيرواني في التعبير، وصاحب فضائل الصحابة..



## الفصل الثاني

قضايا وأحداث في المجال العام



## تحويل القبلة:

وقد جاء في الروايات: أنه بعد بدر كان تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة (١) وفي تفسير القمي: ان ذلك كان بعد الهجرة بسبعة اشهر، وصحح صاحب تفسير الميزان: أن ذلك كان في رجب، وقيل في النصف من شعبان. إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه...

وكان صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة يتوجه إلى بيت المقدس فصار اليهود يعبرونه، ويقولون: أنت تابع لنا تصلى إلى قبلتنا...

فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك غمًا شديدًا، وكان قد وعد بتحويل القبلة، فخرج في جوف الليل يقلب وجهه في السماء، ينتظر أمر الله تعالى في ذلك، وأن يكرمه بقبلة تختص به...

فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر— وقيل العصر— وكان في مسجد بني سالم، صلى الظهر بهم ركعتين؛ فنزل جبرئيل، فأخذ بعصديه، فحوله إلى الكعبة، فاستدارت الصفوف خلفه؛ فانزل الله عليه:

«قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره (٢)».

(١) — الوسائل ج ٣ أبواب القبلة باب ٢ حديث ١ و ٢ و ١٢ و ١٧ وفي هوامشها إشارة إلى مواضع عديدة من الكتاب والى مصادر كثيرة أيضاً.

(٢) — البقرة ١٤٤.

### فصلي ركعتين إلى الكعبة...

فقال اليهود، الذين شق عليهم ذلك ، والسفهاء: «ماولاً هم عن قبلتهم التي كانوا عليها (١)».

ويقال: إن المسجد الذي جرى فيه ذلك سمي بـ «مسجد القبلتين»، وقيل: بل سمي به مسجد آخر، بلغ المصلين فيه تحوّل النبي إلى الكعبة، فتحولواهم أيضاً في وسط صلاتهم، فسمي مسجدهم بذلك...

### تفسير وتحليل:

وجاء في بعض الاخبار عن الامام العسكري صلوات الله وسلامه عليه: ان هوى أهل مكة كان في الكعبة؛ فأراد الله أن يبين متبع محمد من مخالفه باتباع القبلة التي كرهها، ومحمد يأمرها...

ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها، والتوجه إلى الكعبة ليبين من يتبع محمداً فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافقه إلخ (٢)...

ولا يخفى أن ما ذكر في هذه الرواية هو من حكم تحويل القبلة، وفوائده، لا أنه هو السبب الأول والأخير لذلك... هذا كله على فرض صحة الرواية، والا فقد جاء بسند جيد مامفاده: أنه (ص) لم يكن يجعل الكعبة خلف ظهره في مكة بل كان يستقبلها هي وبيت المقدس معاً... ولكنه في المدينة استقبل بيت المقدس دون الكعبة حتى حوّل إليها (٣).

### مناقشات لابد منها

وربما يقال: كيف يغمّ صلى الله عليه وآله وسلم لتعير اليهود، فان

(١) - البقرة ١٤٢... وراجع: البحار ج ١٩ ص ١١٤ و ١٩٥ و ٢٠٢، واعلام الورى ص ٧١، وتفسير القمي ج ١ ص ٦٣، وراجع أيضاً: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٠/١٢٨، وتفسير الميزان ج ١ ص ٣٣٣/٣٣٤ عن الفقيه، ومجمع البيان والوسائل ج ٣ أبواب القبلة، الباب الأول والثاني...

(٢) - تفسير الميزان ج ١ ص ٣٣٣، وليراجع: البحار ج ١٩ ص ١٩٧.

(٣) - راجع: الوسائل ج ٣ ص ٢١٦.



وجود حكم شرعي موافق لهم، لا يوجب غمه، ولا فعالية تعبيرهم إياه؛ إذ ما أكثر الأحكام التي من هذا القبيل؛ فلماذا اختاروا منها تعبيره في موضوع القبلة فقط؟!... ولو قبلنا: أنهم فعلوا ذلك، فإنه صلى الله عليه وآله إذا كان يعلم أن في هذا الحكم مصلحة، فإنه يأنس به، ويرتاح له، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولذا فهو لا يغتم لتعبير أحد...

ويمكن الجواب عن ذلك: أنه يمكن أن يكون (ص) يرى: أن ذلك يهيئ الفرصة لاعداء الاسلام لفتنة المؤمنين عن دينهم، وصد غيرهم عن التوجه إليه، والدخول فيه؛ فإنه حينئذ يغتم ويهتم... و ينتظر الاذن من الله بتحويل القبلة لتفويت الفرصة على أعدائه... الذين سوف لن يدعوه وشأنه والذين يعيشون في المتناقضات... فإذا صلى إلى قبلتهم عيروه، وإذا تحول عنها، فسيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها... نعم وهذه هي طبيعة الانسان الذي لا يرى نفسه مسؤولاً عن مواقفه وحركاته وكلماته. ولا ينطلق في مواقفه إلا من موقع السفه، وعدم الثبوت...

### البراء بن معرور لم يصل غير الكعبة:

و يذكر هنا: أن البراء بن معرور خرج في سفر مع بعض قومه، فقال لهم: «يا هؤلاء، قد رأيت ألا أدع هذه البنية— (يعني الكعبة) مني بظهر، وأن أصلي إليها» فقالوا له: والله، ما بلغنا: أن نبينا يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه.

فأصر البراء على الصلاة إلى الكعبة، فكان يصلي إليها، وهم يصلون إلى الشام، حتى قدموا مكة، فسأل النبي (ص) عن ذلك، فقال (ص): «لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها»، فرجع البراء إلى قبلة النبي (ص)، فصلى إلى الشام. وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات.

ولما حضره الموت أوصى أن يدفن، وتستقبل به الكعبة، ففعلوا...

وكانت وفاته في صفر قبل قدوم النبي (ص) المدينة مهاجراً بشهر (١).

ونحن نلاحظ هنا: أنه (ص) لم يحكم ببطلان عمل البراء، ولا لأمه على ما فعله، غاية ما هناك أنه أعلمه أنه قد استعجل الأمر...

و يستفاد من هذا أن موافقة الحكم الانشائي مقبولة إلى حدّما... بل إن النبي (ص) نفسه كان يمثّل هذا الحكم الانشائي، حيث كان يتوجه إلى بيت المقدس، جاعلاً الكعبة بين يديه... وأما في المدينة... فقد نسخ الاتجاه إلى بيت المقدس من الأساس، بجميع مراتبه، ولم يكن يمكن استقبال الكعبة وبيت المقدس معاً، فلم يكن ثمة، خيار في ترك بيت المقدس، إلى الكعبة...

إلا أن يقال: إنه ليس في المقام حكم إنشائي، بالنسبة إلى الكعبة، بل كان الحكم فعلياً، على نحو التخيير مثلاً مع أرجحية بيت المقدس لمصلحة وقتية...

### تحول المصلين كيف كان:

وتواجهنا هنا أيضاً رواية تقول: إنه لما أخبر بنو عبد الأشهل بتحويل القبلة، وهم في الصلاة، وقد صلوا ركعتين إلى بيت المقدس، تحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة، فصلوا صلاة واحدة إلى قبلتين (٢).

وفي رواية أخرى: إن جبرئيل أخذ بيد النبي (ص) فحوّل وجهه إلى الكعبة، وحوّل من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء، والنساء مقام الرجال إلخ (٣).

وهذا يعني: أن النبي صلى الله عليه وآله قد ذهب مع جبرئيل إلى

(١) - أسد الغابة ج ١ ص ١٧٣-١٧٤ والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ١٣٦-١٣٧ و قاموس الرجال ج ٢ ص ١٦٠/١٦٧.

(٢) - الوسائل ج ٣ ص ٢١٦ والتهذيب ج ١ ص ٤٤.

(٣) - الوسائل ج ٣ ص ٢١٩، والفتاوى ج ١ ص ١٧٨.

الناحية الأخرى من المسجد وكذلك المصلون من الرجال، ثم جاء النساء إلى مكانهم فوقفن هناك .

وهكذا جرى في بني عبد الاشهل أيضاً ...

وهذا يدل على أن السير الذي كان في المسجد من ناحية إلى ناحية لم يقدح في صحة صلاتهم تلك ، مادام ان تحوهم هذا قد كان بامر من الله وفي طاعته .

ولكن ذلك لا يدل على عدم قادحية هذا المقدار من السير في سائر الصلوات في الظروف العادية لاحتمال اختصاص هذا التسامح بهذه الصلاة دون غيرها على الاطلاق .

### ثار قريش بأرض الحبشة:

وحين مني مشركوا قريش بتلك الهزيمة القاتلة في بدر قالوا: إن ثارنا عند ملك الحبشة، فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من أتباع محمد، فنقتلهم بمن قتل منا؛ فأرسلوا عمرو بن العاص، وعبدالله بن أبي ربيعة، ومعها الهدايا و التحف ...

فعرف الرسول (ص) بالأمر، فأرسل إلى النجاشي كتاباً يوصيه فيه بالمسلمين .

و يقولون: إن رسوله له كان عمرو بن أمية الضمري

ولكن ذلك محل شك ؛ فان عمرواً لم يكن قد اسلم بعد، لأنه إنما اسلم بعد أحد وهو إنما حمل كتاباً آخر ارسله النبي(ص) سنة ست أو سبع، كما سيأتي ان شاء الله تعالى ...

وعلى كل حال... فقد رفض النجاشي طلب عمرو، و رجع من مهمته خائباً خاسراً؛ لأن المسلمين كانوا عند ملك لا يظلم عنده أحد، على حد تعبيره (ص) عنه حسبما تقدم؛ ولأن النجاشي كان مسلماً سراً، كما يظهر من فرجه بنتائج حرب بدر... .

هذا... وتذكرهنا أمور تدل على إسلام عمرو بن العاص حينئذٍ، وقد اضر بناعنها، لأن من الثابت أنه لم يسلم إلا بعد سنوات من ذلك، وإنما يراد اثبات فضيلة له لا تثبت... .

### نهاية أبي هب:

وبعد واقعة بدر بأيام كانت نهاية أبي هب لعنه الله تعالى، فقد أصيب بالعدسة، فقتلته، وهي بثرة من جنس الطاعون، تخرج في موضع من الجسد، تقتل صاحبها غالباً... .

وقد تركه ابنه ليلتين، أو ثلاثاً بلا دفن، حتى اتن، وعابهم البعض على ذلك، فاستحيوا، ودفنوه. بأن وضعوه الى جنب جدار، ثم قذفوا الحجارة عليه حتى واروه (١)... وهكذا فلتكن نهاية الظالمين والمشركين شراً وماهم عليه من الشرك في الشر اعظم واعظم.

### غلبة الروم على الفرس:

وفي هذه السنة الثانية من الهجرة كانت غلبة الروم على فارس. ويقال: إن ذلك قد كان في نفس اليوم الذي التقى فيه الرسول بالمشركين في بدر، فنصر عليهم... .

وفرح المسلمون بانتصار الروم هذا؛ لأن الروم كانوا أهل كتاب، و فارس مجوس لا كتاب لهم... (٢)

وقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز، فقال: الم. غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد و يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله... .

(١) - البحار ج ١٩ ص ٢٢٨ وطبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٧٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٨ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢، وجمع الزوائد ج ٦ عن البزار والطبراني، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٨٨/٥٨٧ عنهم وعن دلائل أبي نعيم ص ١٧٠.

(٢) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٨.

إلا أن من المحتمل قريباً أن يكون مراد الآية الأخيرة: أنهم يفرحون  
بنصر الله لهم في بدر، لابنصر الروم على الفرس...

### رهان أبي بكر:

وتذكرهنا قضية ملخصها إن المشركين كانوا يحبون غلبة الفرس،  
لأنهم أصحاب اوثان، و كان المسلمون يحبون غلبة الروم لأنهم أصحاب  
كتاب... فأخبر النبي وهو في مكة بأن الروم سيغلبون الفرس، فقامر أبو بكر  
المشركين: إن ظهر الروم فله كذا، وإن ظهر الفرس فلهم كذا إلى خمس سنين  
(وذلك قبل أن يجرم القمار)؛ فأمره رسول الله (ص) بزيادة المدة معهم،  
فزادها. فلما ظهرت الروم قر أبو بكر، وحصل على ما أراد من المشركين،  
وعند كثيرين أنهم ظهروا عليهم في الحديبية لافي بدر (١).

### مناقشة رواية الرهان:

ونحن لانصدق هذه الرواية أما:

أولاً: فلتناقض صورها. و نكتفي بذكر التناقضات التي أشار إليها  
العلامة الطباطبائي مع بعض الزيادات، قال أده الله.

أقول: وفي هذا المعنى روايات أخر مختلفة المضامين في الجملة، ففي  
بعضها: أن المقامرة كانت بين أبي بكر وأبي بن خلف (وفي البداية والنهاية  
ج ٣ ص ١٠٨: أمية بن خلف) وفي بعضها: أنها كانت بين المسلمين و  
المشركين، كان أبو بكر من قبل المسلمين، وأبي من قبل المشركين.

وفي بعضها: أنها كانت بين الطائفتين. و في بعضها: بين أبي بكر

(١) - راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ١٥٠ و ١٥١ عن أحمد، والترمذي، وحسنه النسائي، وابن  
المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في الكبير، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في  
الدلائل، والفضياء في المختارة، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٨، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٨  
وحياة الصحابة ج ٣ ص ٦٩ عن بعض من تقدم وعن ابن جرير وعن تفسير ابن كثير ج ٣ ص  
٤٢٢ و ١٠٨ وغير ذلك...

والمشركين كما في هذه الرواية. و في بعضها ان الاجل المضروب: ثلاث سنوات و في بعضها: خمس، و في بعضها: ست، و في أخرى: سبع. ثم الاجل المضروب اولاً انقضى بمكة، وهو سبع سنين؛ فآدهم ابوبكر سنتين بامر النبي (ص)؛ فغلبت الروم. و في بعضها خلافه.

ثم في بعضها: أن الأجل الثاني انقضى بمكة. و في بعضها: أنه انقضى بعد الهجرة.

وكانت غلبة الروم يوم بدر. و في بعضها: يوم الحديبية...

و في بعضها: ان أبابكر لما قرهم بغلبة الروم أخذ منهم الخظر، وهو مائة قلوص، وجاء به إلى النبي (ص)؛ فقال: إنه سحت، تصدق به (١) انتهى.

و من التناقضات: أن الخظر في بعضها: أربعة قلائص، و في بعضها: خمس. و في بعضها: عشر. و في أخرى: مئة. إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف التي تظهر بالمراجعة والمقارنة...

وثانياً: قال العلامة الطباطبائي أيضاً:

«والذي تتفق فيه الروايات: أنه قامرهم؛ فامرهم. وكان القمار بإشارة النبي (ص). ووجه ذلك (أي في نفس الرواية كما في بعض نصوصها) بأنه: كان قبل تحريم القمار؛ فانه قد حرم مع الخمر في سورة المائدة، وقد نزلت في آخر عهد النبي (ص).

وقد تحقق بماقدمناه في تفسير آية الخمر والميسر: أن الخمر كانت

(١) — تفسير الميزان ج ١٦ ص ١٦٣، وللوقوف على المزيد من التناقضات، راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ١٥٠—١٥٣ عن مصادر أخرى غير ماقدمناه في هامش الصفحة السابقة، مثل ما نقله عن: ابن جرير، و ابني يعلى، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه، و ابن عساکر، و الترمذي و صححه، و الدارقطني في الافراد، و الطبراني، و أبي نعيم في الدلائل، و البيهقي في شعب الايمان، و ابن الحكم في فتوح مصر، و حياة الصحابة ج ٣ ص ٦٩.

محرمة في أول البعثة. و كان من المعروف عن الدين أنه يحرم الخمر والزنا.. على أن الخمر والميسر من الاثم بنص آية البقرة: «يسألونك عن الخمر والميسر، قل: فيها اثم كبير» الآية ٢١٩. والاثم محرم بنص آية الاعراف: «قل: إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والاثم والبغي» الآية... الاعراف ٣٣. والاعراف من العتائق النازلة بمكة؛ فمن الممتنع: أن يشير النبي (ص) بالمقامرة.

وعلى تقدير تأخر الحرمة إلى آخر عهد النبي (ص)، يشكل قوله لابي بكر، لما أتني بالخطر إليه: إنه سحت. ثم قوله: تصدق به؛ فلا سبيل إلى تصحيح شيء من ذلك بالموازن الفقهيّة. وقد تكلفوا في توجيه ذلك بما يزيد الأمر اشكالاً...

ثم إن مافي الرواية: ان الفرس كانوا عبدة أوثان، لا يوافق ما كان عليه القوم؛ فانهم وان كانوا مشركين، لكنهم كانوا لا يتخذون أوثاناً (١).

تتميم وتعقيب: ونقول: ان كلام سيدنا العلامة هنا صحيح، إلا أنه يمكن الاجابة على الفقرة الأخيرة، فيقال: إن عبارة الرواية، هكذا: «كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنهم أصحاب أوثان. و كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أصحاب كتاب». فن غير البعيد: أن يكون قوله: «لأنهم أصحاب أوثان» راجع للمشركين، أي أن سبب محبة المشركين لغلبة الفرس، هو كون المشركين أصحاب أوثان لا كتاب لهم؛ فأشبهوا الفرس في عدم الكتاب لهم، ولذلك فهم يميلون إليهم... و علة محبة المسلمين لغلبة الروم هو كون المسلمين أصحاب كتاب، أي والروم كذلك...

### سدة الابواب في المسجد لإلأباب علي(ع):

ولأبأس بالتعرض هنا لقضية سدة الابواب الشارعة في المسجد، غير

باب علي أمير المؤمنين عليه السلام... فنقول

لقد رأينا: أن في الأخبار ما يدل على أن هذه الحادثة قد كانت قبل  
استشهاد حمزة، وقبل وفاة رقية..

١- فعن أمير المؤمنين عليه السلام: لما أمر رسول الله (ص)  
بسد الابواب التي في المسجد خرج حمزة يجر قطيفة حمراء، وعيناه تذر فان يبكي؛  
فقال: ما أنا أخرجتك، وأنا اسكنته، ولكن الله اسكنه (١).

٢- وهذا المعنى رواية أكثر تفصيلاً عن سعد بن أبي وقاص،  
فراجع... (٢).

٣- عن أبي الحمراء حبة العرنبي، قال: لما أمر رسول الله (ص)  
بسد الابواب التي في المسجد شق عليهم. قال حبة: إني لأنظر الى حمزة بن  
عبدالمطلب، وهو يجر قطيفة حمراء، وعيناه تذر فان يقول: أخرجت عمك،  
وأبابكر وعمر، والعباس واسكنت ابن عمك الخ... (٣).

لكن ذكر العباس في الرواية في غير محله إذا كان حمزة هو القاتل له  
(ص)؛ لأن العباس لم يأت إلى المدينة إلا بعد سنوات من استشهاد حمزة،  
فلا بد وأن يكون ذلك من اقحام الرواة...

٤- وفي نص آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله  
(ص): انطلق فرهم، فليسدوا أبوابهم؛ فانطلقت، فقلت لهم، ففعلوا إلا حمزة؛

(١)- الغدير ج ٣ ص ٢٠٨ عن أبي نعيم في فضائل الصحابة. ورواه السهودي في وفاء الوفاء  
ج ٢ ص ٤٧٧ عن يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن عبدالله بن مسلم الهلالي عن أخيه،  
واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٥٢.

(٢)- ملحقات إحقاق الحق ج ٥ ص ٥٦٠ عن أرجح المطالب ط لاهور ص ٤٢١ عن أبي سعد  
في شرف النبوة...

(٣)- الدر المنثور ج ٦ ص ١٢٢، والاصابة ج ١ ص ٣٧٣، وإحقاق الحق ج ٥ ص ٥٧٠ عن  
أرجح المطالب ص ٤٢١ عن ابن مردويه وفضائل الخمسة ج ٢ ص ١٤٩.



فقلت: يا رسول الله، فعلوا الاحزمة؛ فقال رسول الله: قل لحمزة: فليحول بابه. فقلت: إن رسول الله يأمرك أن تحول بابك؛ فحول؛ فرجعت إليه، وهو قائم يصلي، فقال: إرجع إلى بيتك (١)...

٥- وهناك رواية أخرى عن حذيفة بن أسيد تذكر: أن رقية كانت حينئذ على قيد الحياة بالإضافة إلى حمزة، ففيها— أنه بعد أن أرسل إلى أبي بكر وعمر فأمرهما بسد أبوابها ففعلا: «ثم أرسل إلى عثمان— وعنده رقية— فقال: سمعاً وطاعة، ثم سد بابه»... إلى أن قال: «فقال له النبي (أي لعلي): اسكن طاهراً مطهراً. فبلغ حمزة قول النبي (ص) لعلي. فقال: يا محمد، تخرجنا وتمسك غلمان بني عبدالمطلب؟ فقال له نبي الله: لا، لو كان الامر لي ما جعلت من دونكم من أحد، والله ما أعطاه إياه إلا الله، وإنك لعل خير من الله ورسوله، أبشر؛ فبشره النبي (ص)؛ فقتل يوم أحد شهيداً (٢)».

ونحن نستبعد جراءة حمزة على النبي (ص) بهذا النحو... فلا بد وان يكون قد تساءل عن سر هذا التصرف، كما تساءل غيره؛ فاجابه بان الامر قد جاء من قبل الله تعالى...

٦- وفي رواية أخرى عن رجل من اصحاب رسول الله: أنه خرج مناديه (ص) يامرهم بسد أبوابهم، فلم يقيم أحد، وفي الثالثة: خرج، فقال: سدوا ابوابكم قبل أن ينزل العذاب، فخرج الناس مبادرين، وخرج حمزة بن عبدالمطلب يجر كسائه حين نادى سدوا ابوابكم الخ... إلى أن قال... فقالوا: سد ابوابنا وترك باب علي، وهو أحدثنا؟، فقال بعضهم: تركه لقربته.

(١)— كنز العمال ج ١٥ ص ١٥٥ و ١٥٦ عن البزار، ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٨ وجميع الزوائد ج ٩ ص ١١٥ باسناد رجاله ثقات الاحبة العربي وهوثقه، وذكره الاميني في الغدير ج ٣ ص ٢٠٩ عن المجمع وعن السيرة الحلبية ٣ ص ٣٧٤.

(٢) — مناقب الامام علي لابن المغازلي ص ٢٥٤ و ٢٥٥ والطرائف لابن طاووس ص ٦٢، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٣١/٣٣٢، وعن عمدة ابن بطريق ص ٩١، ونقله في احقاق الحق ج ٥ ص ٥٦٩/٥٦٨ عن المناقب لعبدالله الشافعي وعن أرجح المطالب ص ٤١٥ عن ابن مردويه وابن المغازلي.

فقالوا: حمزة أقرب منه، وأخوه من الرضاعة، وعمه إلخ (١)...

ولكننا نجد في مقابل ذلك، ما يدل على أن هذه القضية قد كانت بعد فتح مكة، إذ قد جاء في بعض رواياتها ذكر للعباس عم النبي (ص)، والذي لم يقدم المدينة إلا بعدالفتح...

١- فعن أبي سعيد الخدري: وأخرج رسول الله عمه العباس، وغيره من المسجد، فقال له العباس: تخرجنا، ونحن عصبتك وعمومتك، وتسكن علينا؟! فقال: ما أنا اخرجتكم وأسكنته، ولكن الله أخرجكم واسكنه (٢).

٢- وهناك رواية عن علي في ذلك، ويصرح فيها باسم العباس (٣).

٣- عن جابر بن سمرة، قال: أمر رسول الله (ص) بسد الأبواب كلها غير باب علي. فقال العباس: يا رسول الله، قدما أدخل انا وحمزة وأخرج؟ قال: ما أمرت بشي من ذلك، فسدها غير باب علي. قال: وربما مر وهو جنب (٤).

ولكن نفس هذه الرواية تقريباً... قد رويت عن جابر بن سمرة، وفيها: أن رجلاً قال ذلك ولا تصرح بالاسم (٥).

٤- وثمة رواية أخرى عن سعد بن أبي وقاص تصرح باسم

(١)- وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٨/٤٧٩ عن ابن زبالة، ويحيى.

(٢)- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١٧، وراجع: وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٩ عن يحيى، وكشف الغمّة ج ١ ص ٣٣٢.

(٣)- راجع: كنز العمال ج ١٥ ص ١٥٥، واللاكي المصنوعة ج ١ ص ٣٥١، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤، ومنتخب الكذبها مش المسند ج ٥ ص ٥٥.

(٤)- مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤-١١٥ عن الطبراني، بسند فيه ناصح، وهو متروك، والقول المسدد ص ٢٣ ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٨٠، والغدير ج ٣ ص ٢٠٦ عن بعض من تقدم، وعن: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧٤، وعن نزل الابرار ص ٣٥ واحقاق الحق ج ٥ ص ٥٥٥ عن مصادر أخرى.

(٥)- وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٨٠/٤٧٩.

قضايا وأحداث في المجال العام ..... ٩٣  
العباس... ولكن لها نص آخر جاء فيه: أن عمه اعترض عليه، من دون  
تصريح بالاسم (١).

٥— وعن ابى الطفيل في حديث منا شدة علي للمجتمعين يوم  
الشورى قال (ع): «سد النبي أبواب المهاجرين وفتح بابي، حتى قام إليه حمزة  
والعباس؛ فقالا: يا رسول الله سددت ابوابنا وفتحت باب علي؟ فقال النبي:  
ما أنا فتحت إلخ... (٢)».

ونحن نرجح: أن حديث سد الابواب قد كان قبل استشهاد حمزة بن  
عبدالمطلب رضوان الله تعالى عليه... وذلك لعدم وجود اختلاف في الروايات  
الدالة على ذلك من جهة... ولأننا نستبعد: أن يترك الصحابة أكثر من ثمان  
سنوات يرون في المسجد حتى في حال الجنازة من جهة ثانية... ولأننا كذلك  
نجد في ذكر كلمة «عمه» في بعض الروايات، ثم إبدالها بكلمة «العباس»  
في غيرها ما يشير إلى أن هذه الزيادة— عن عمد، أو عن غير عمد— قد  
جاءت من قبل الرواة أنفسهم اما اعتماداً على ما هو المركز في أذهانهم،  
أو لهدف سياسي معين...

وأخيراً... فان ذكر رقية في بعض النصوص الأخرى يؤيد بل يدل  
على صحة الروايات التي تصرح باسم حمزة رضوان الله تعالى عليه، لأن رقية قد  
توفيت في السنة الثانية، إما بعد بدر مباشرة، أو في ذي الحجة، كما تقدم...

### حديث سد الأبواب... في مصادره:

وقد ذكرت المصادر الكثيرة جداً بالاسانيد الكثيرة الصحيحة: أن  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد أمر بسد الأبواب، الاباب علي فأحدث  
ذلك هزة عنيفة بين المسلمين... ولاسيما وانه قد اجازله أن يدخل المسجد وهو  
جنب، كما في النصوص.

(١)— خصائص النسائي ص ٧٤/٧٥ واللاكي المصنوعة ج ١ ص ٣٤٦، والغدير ج ٣ ص ٢٠٧  
عن الأول.

(٢)— مناقب الخوارزمي الحنفي ص ٢٢٥.

وقال الناس في ذلك - ولا سيما قريش - قالوا: سددت أبوابنا، وتركت باب علي؟! فقال: ما بأمرى سددها، ولا بأمرى فتحها. أو قال: ما أنا أخرجتكم من قبل نفسي وتركتها، ولكن الله أخرجكم وتركه، وإنما أنا عبد مأمور، ما أمرت به فعلت، إن أتبع إلا ما يوحى إلي... أو ما هو قريب من هذا...

وفي بعض النصوص: أنه صعد المنبر، وهو في حالة غضب، بعد أن عصوا أمره مرتين، ولم يطيعوا إلا في الثالثة.

وعلى كل حال... فإن مختلف النصوص تؤكد غضبهم وحقنهم من هذا الأمر...

ويقول الجويني «حديث (سد الابواب) رواه نحو من ثلاثين رجلاً من الصحابة، أغربها حديث عبدالله بن عباس (١)».

وقد روى له السيوطي فقط حوالي أربعين طريقاً على ما قاله الحجة الشيخ المظفر (٢).

ومن رواه من الصحابة: علي (ع)، عمر بن الخطاب، ولده عبدالله، زيد بن أرقم، البراء بن عازب، عبدالله بن عباس، أبوسعيد الخدري، جابر بن سمرة، أبو حازم الاشجعي، جابر بن عبدالله، جابر بن سمرة، عائشة، سعد بن أبي وقاص، أنس بن مالك، بريده، أبو رافع مولى رسول الله (ص)، وحذيفة بن أسيد الغفاري، ابن مسعود أبوذر الغفاري، أم سلمة أم المؤمنين... ورواه أيضاً: عبدالمطلب بن عبدالله بن حنطب أبوالحمرء، وحبة العرنبي، وكيسان البراد وغيرهم (٣).

(١) - فرائد السمطين ج ١ ص ٢٠٨.

(٢) - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦٦.

(٣) - راجع المصادر التالية: مسند احمد ج ٤ ص ٣٦٩ وج ٢ ص ٢٦، وج ١ ص ١٧٥ و ٣٣١، و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤ و ١١٥ و ١٢٠ والخصائص للنسائي ص ٧٢-٧٥، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٢٥ و ١١٧ و ١٣٤، وتلخيصه للذهبي بهامشه، والقول المسدد ص ١٩-٢٦،

## النواصب، وحديث سد الابواب:

وبعد كل ماتقدم فلا يمكن أن يصغى لقول ابن الجوزي، وابن كثير، وابن تيمية: ان حديث سد الابواب ليس بصحيح، أو أنه من وضع الرافضة (١).

فان تواتر هذا الحديث في كتب اهل السنة وتصحيح حفاظهم لكثير

وفتح الباري ج ٧ ص ١٢-١٤، وإرشاد الساري ج ٦ ص ٨٤/٨٥، ووفاء الوفاء للمسهودي ج ٢ ص ٤٧٤-٤٨٠، والبحار ج ٣٩ ص ١٩-٣٤، عن كثير من المصادر والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٢، واللآلئ المصنوعة ج ١ ص ٣٤٦-٣٥٤. والصواعق المحرقة ص ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٥ و المناقب للخوارزمي ص ٢١٤ ٢٣٥ و ٢٣٨ و فرائد السمطين ج ١ ص ٢٠٥-٢٠٨ و مناقب الامام علي لابن المغازلي ٢٥٢-٢٦١ و سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١، و كنز العمال ج ١٥ ص ٩٦ و ١٠١ و ١٢٠ و ١٥٥، و انساب الاشراف، بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٠٦، و الاصابة ج ٢ ص ٥٠٩، و فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٣١ و ج ٢ ص ١٤٩-١٥٧ و حلية الاولياء ج ٤ ص ١٥٣، و الطرائف لابن طاووس ٦٠-٦٣، و ترجمة الامام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمودي ج ١ ص ٢٥٢-٢٨١ و ٣٢٧ و ٢١٩ و كفاية الطالب ص ٢٠١-٢٠٤ و تذكرة الخواص ص ٤١، و تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٠٥، و الدر المنثور ج ٣ ص ٣١٤، و علل الشرايع ص ٢٠١/٢٠٢ و كشف الغمة للاربلي ج ١ ص ٣٣٠-٣٣٥، و ينابيع المودة ص ٢٨٣، و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٢٩، و ذخائر العقبى ص ٧٧/٧٦ و ٨٧، و لسان الميزان ج ٤ ص ١٦٥، و راجع سنن البيهقي ج ٧ ص ٦٥ و شرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ١٩٥ و الغدير ج ٣ ص ٢٠١-٢١٥ عن غير واحد ممن تقدم، و ملحقات إحقاق الحق ج ٥ ص ٥٤٠ حتى ص ٥٨٦ عن كثير ممن تقدم و عن الخاوي للفتاوى ج ٢ ص ١٥ و غيره من المصادر وقد نقلنا بالواسطة عن: غاية المرام ص ٦٤٠ و ارجع الطالب ط لاهور ط ٤٢١ و الكشف ج ١ ص ٣٦٦، و احكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٤٨ و كنز العمال ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٧ و ٣٩١ و ٣٩٨ و ٤٠٨، و اخبار القضاة ج ٣ ص ١٤٩ و نزل الابرار ص ٣٤ و ٣٥ و الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٤٣ و السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧٣/٣٧٤ و رواه أيضاً: الطبراني في الكبير والاوسط و أبو يعلى وسعيد بن منصور، والضياء في المختارة والكلاباذي، و البزار والعقيلي و ابن السمان وكثير غيرهم.

(١) - اللآلئ المصنوعة للسيوطي، ج ١ ص ٣٤٧ و تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٠١ و منهاج السنة ج ٣ ص ٩، و القول المسدد ص ١٩ و فتح الباري ج ٧ ص ١٣ عن ابن الجوزي ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٦.

من طريقه، ورواية العشرات من الصحابة له— أي نحو ثلاثين صحابياً.

إن ذلك لا يمكن أن يخفى على أحد. وإذا جاز: أن يضع الرافضة مثل هذا الحديث، ويدخلوه في عشرات الكتب والمسانيد، فإنه لا يمكن الوثوق بعد بأي حديث، ولا كتاب، ولا في أي حافظ من أهل السنة ... هذا بالإضافة إلى ما في هذه الدعوى من رمي أمة بأسرها بالبله والتغفيل الذي لا غاية بعده...

و يكفي أن نذكر: أن العسقلاني بعد أن ذكر ستة من الاحاديث في سد الابواب الاباب علي، قال: «وهذه الاحاديث يقوي بعضها بعضاً، وكل طريق منها صالح، للاحتجاج، فضلاً عن مجموعها»... ثم ذكر أن ابن الجوزي لم يورد الحديث الا من طريق سعد بن ابي وقاص، وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصرأ على بعض طريقه عنهم، وأعلّه ببعض من تكلم فيه من رواته الخ(١).

وقال العسقلاني أيضاً بعد أن ذكر بعض طريقه: «فهذه الطرق المتظاهرة من روايات الثقات تدل على أن الحديث صحيح دلالة قوية، وهذه غاية نظر المحدث(٢)». وقال: «فكيف يدعى الوضع على الاحاديث الصحيحة بمجرد التوهم؟ ولو فتح هذا الباب لا ادعي في كثير من الاحاديث الصحيحة البطلان، ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون(٣)».

### خوخة، أو باب أبي بكر:

وفي البخاري، عن ابن عباس: سدوا الابواب إلا باب أبي بكر، وعن ابي بكر، وعن ابي سعيد الخدري عنه(ص): إن آمن الناس علي في صحبته، وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر،

(١) — فتح الباري ج ٧ ص ١٣ وراجع: ارشاد الساري ج ٦ ص ٨٥ وراجع: القول المسدد ص ٢٠ ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٦.

(٢) — القول المسدد ص ٢٣ واللائي المصنوعة ج ١ ص ٣٥٠ عنه باختلاف يسير في اللفظ.

(٣) — القول المسدد ص ٢٤/٢٥ وراجع ص ١٩ وعنه في اللائي المصنوعة ج ١ ص ٣٥٠.

ولكن اخوة الاسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر. أولاً يبقين في المسجد خوخة الاخوخة أبي بكر... قال ذلك في مرضه الذي مات فيه... وعند مسلم، عن جندب: قبل أن يموت بخمس ليال، وعند الطبراني، وأبي يعلى باسناد حسن: عن معاوية وعائشة ان ذلك بعد أن صب عليه (ص) من سبع قرب من آبار شتى (١).

وقد استدلووا بذلك على استحقاق أبي بكر للخلافة، ولا سيما وأنه قد ثبت أن ذلك كان في أواخر حياته (ص) (٢).

### ونقول:

١- ... انه بعد ان ثبت صحة حديث: سدوا الابواب إلا باب علي... وبعد أن اتضح: أنه لم يكن حين مرض وفاته (ص) أي باب مفتوحاً إلا باب علي، فاننا نعرف: أنه لا معنى لأن يأمرهم (ص) بسد هذه الابواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر (٣)، بعد أن لم يسمح النبي (ص) لذلك الرجل!! بكوة، ولو بقدر ما يخرج رأسه، حتى ولو بقدر رأس الابرّة (٤)!!

وبعد هذا... فاننا نعرف أنه لا يصح قولهم في وجه الجمع: إنهم بعد أن سد النبي (ص) أبوابهم استحدثوا خوفاً يستقربون منها الدخول إلى

(١) - راجع: البخاري، باب قول النبي (ص) سدوا الابواب إلا باب أبي بكر بهامش فتح الباري ج ٧ ص ١٢/١١ وباب الهجرة وفي كتاب الصلاة، وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٠٨ ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٢/٤٧١ عنها وعن الطبراني، وأبي يعلى، وابن سعد، والقول المسدد ص ٢٤/٢٥ واللاكبي المصنوعة ج ١ ص ٣٥٠ و ٣٥٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣٠ و ٢٢٩، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٠١، وتفسير الرازي ج ٢ ص ٣٤٧ والمصنف ج ٥ ص ٤٣١، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٤٦٩ عن مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٢.

(٢) - وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٢/٤٧٣، وفتح الباري ج ٧ ص ١٢ وارشاد الساري ج ٦ ص ٨٤ وراجع: القول المسدد ص ٢٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣٠.

(٣) - الغدير ج ٣ ص ٢١٣، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦١.

(٤) - وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٧، وراجع: فرائد السمطين ج ١ ص ٢٠٦ عن أبي نعيم، واللاكبي المصنوعة ج ١ ص ٣٤٩ و ٣٥١.

المسجد (١).

٢— هذا بالإضافة إلى أن الحديث قد تضمن من أبي بكر على النبي (ص) بصحبته له، وقد تقدم في حديث الغار: أن ذلك لا يصح... كما أنه قد تضمن حديث خلة أبي بكر... وتقدم في حديث المؤاخاة: أنه لا يمكن أن يصح أيضاً...

٣— وأيضاً... فإن البعض يذكر: أن بيت أبي بكر كان بالسنح، ويشك كثيراً، بل على حد تعبير التوربشتي: لم يصح: أن يكون له بيت قرب المسجد (٢)...

وأجيب: بأنه لا يلزم من ذلك أن لا يكون له دار مجاورة للمسجد، واستدل على ذلك بأنه قد كان لأبي بكر أزواج متعددة كأسماء بنت عميس، وغيرها، وبأن ابن شبة قد ذكر: أنه كان له في زقاق البقيع دار قبالة دار عثمان الصغرى، واتخذ منزلاً آخر عند المسجد في غربيه (٣).

ولكن ذلك لا يثبت ما يريدون إثباته؛ فإن تعدد أزواجه لا يلزم منه أن يكون له بيت في جانب المسجد، ولا سيما إذا كان له بيت في زقاق البقيع— بعيداً عن المسجد— في قبالة دار عثمان الصغرى... ثم لماذا لا يسكن أزواجه— لو كان له أزواج متعددون— في بيت واحد ذي حجر متعددة كغيره من أهل المدينة— ومنهم النبي (ص)— الذين كان لهم عدة زوجات...

ولعل هؤلاء قد اعتمدوا في ذكرهم بيتاً لأبي بكر عند المسجد على هذا الحديث بالذات... أو أنهم أرادوا بذكرهم بيتاً له كذلك أن يبدو يدالعون لهذا الحديث الذي توالفت عليه العلل والاسقام... تماماً كما جعلوا—

(١)— فتح الباري ج ٧ ص ١٣، والقول المسدد ص ٢٥، ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٧، وهم عن الطحاوي في مشكل الآثار، والكلاباذي في معاني الأخبار.

(٢)— فتح الباري ج ٧ ص ١٢، وارشاد الساري ج ٦ ص ٨٤، ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٣.

(٣)— المصادر الثلاثة المتقدمة...



حتى الآن— خوخة في المسجد من أجل تصحيح ذلك... ولكنهم لم يجعلوا باباً لعلي (ع)، وهو الذي ثبت أن النبي (ص) قد ابقى بابه مفتوحاً، وسد كل باب في المسجد سواه...

٤— وقد اعترف ابن عمر، وأبوه: أن علياً قد أوتي ثلاث خصال، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم: زوجه رسول الله (ص) ابنته وولدت له، وسد الابواب إلا بابه في المسجد، واعطاه الراية يوم خيبر (١).

فهذه الرواية صريحة في أنه (ع) قد اختص بذلك، كما اختص بالراية يوم خيبر، وبتزوجه فاطمة، وولادتها له...

ولو كان لابي بكر فضل هنا وامتيازه لم يسمح عمر ولا ولده لنفسيهما باختصاص<sup>(٤)</sup> بهذا الوسام. وامتيازه في قضية سد الابواب كامتيازه في قضية الراية يوم خيبر، حيث إن أخذ أبي بكر وعمر لها ليس فقط لم يكن امتيازاً لهما، بل كان وبالاً عليهما، كما هو معلوم...

٥— وأخيراً... فقد قال المعتزلي عن البكرية التي ارادت مقابلة الاحاديث في فضل علي: انها «وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، نحو: «لو كنت متخذاً خليلاً» فانهم وضعوه في مقابلة حديث الاخاء، ونحو سد الابواب؛ فانه كان لعلي عليه السلام؛ فقلبته البكرية الى أبي بكر (٢)».

وما أجل ماقاله الكميث في هذه المناسبة:

علي أمير المؤمنين وحقه من الله مفروض على كل مسلم وروجه صديقة لم يكن لها معادلة غير البتولة مرم

(١) — راجع: مسند أحمد ج ٢ ص ٢٦، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٥، والصواعق المحرقة الفصل ٣ باب ٩ و كنز العمال، وغير ذلك من المصادر المتقدمة...

(٢) — شرح النهج ج ١١ ص ٤٩.

وردّم أبواب الذين بنى لهم بيوتاً سوى أبوابه لم يردّم  
وان رسول الله أوصى بحقه إلخ...  
وقال السيد الحميري:

وخبر المسجد إذ خصه مجللاً من عرصة الدار  
إن جنباً كان وإن طاهراً في كل إعلان و اسرار  
وأخرج الباقي منه معاً بالوحي من انزال جبار  
وقال صاحب بن عباد:

ولم يك محتاجاً إلى علم غيره إذا احتاج قوم في قضايا تبدلوا  
ولا سدن خير المساجد بابه وابوابهم إذ ذاك عنه تسدد.

كلام ابن بطريق حول حديث سد الابواب:

ولابن بطريق كلام هنا نلخصه على النحو التالي:

إن الله تعالى قد أظهر الفرق بين أمير المؤمنين عليه السلام، وبين غيره،  
وإذا كان الحرام على غيره قد حل له، فإن ذلك يعني: أنه يمتاز على ذلك  
الغير... والنبي قد فتح ابواب الجميع على ظاهر الحال من الصلاح والخير، و  
النبي لا يعلم الا هذا الظاهر إلا ان يطلع الله على الباطن... و عليه فان كان  
تعالى قد سد ابوابهم على ظاهر الحال، فقد بينا: أنها كانت صالحة عند الكل؛  
ولذلك فتح أبوابهم أولاً، فلم يبق إلا انه قد سد أبوابهم، من أجل شئ يرجع  
إلى الباطن، وفتح بابه لأنه قد انفرد بصلاح الباطن دونهم، (أوفقل: انفرد في  
كونه القمة من الصلاح الباطني) بالاضافة إلى مشاركته لهم في صلاح  
الظاهر...

و بذلك ... امتاز صلوات الله وسلامه عليه، عليهم...

ثم إن منعهم من الجواز و اباحت له إما أن يكون بلاسبب، و هو عبث  
لا يصدر من حكيم، وإما أن يكون له سبب... و ذلك يدل على انفراده (ع)  
بملايشركه فيه غيره.

واقواله (ص) تعضد هذا التخصص، وتدلل على صلاح باطنه،

كقوله (ص): علي مني، وأنا منه. وقوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى. و قوله: أنت أخي في الدنيا والآخرة. وقوله: صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين قبل الناس. وقوله: من كنت مولاه فعلي مولاه. وقوله تعالى: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيراً... (١)» و غير ذلك من مناقبه ومآثره ومزاياه؛ فلولا ثبوت هذه المزايا له على غيره لما أنزله من نفسه بهذه المنازل، ولما أقامه من نفسه في شيء من ذلك، ولا أذن الله له بتخصيصه وتمييزه عن أمثاله وأضرابه الخ (٢)... انتهى ملخصاً...

### كلام العلامة المظفر:

و يقول العلامة الشيخ محمد حسن المظفر رحمه الله ما ملخصه:

إن هذه القضية تكشف عن طهارة علي، وأنه يحل له أن يجنب في المسجد، ويمكث فيه كذلك، ولا يكره له النوم فيه، تماماً كما كان ذلك لرسول الله (ص)... فإن عمدة الغرض من سد الابواب هو تنزيه المسجد عن الادناس وابعاده عن المكروهات، و كان علي عليه السلام كالنبي طاهراً مطهراً، ولا تؤثر فيه الجنابة دنساً معنوياً، و كان بيت الله كبيتته لكونه حبيبه القريب منه...

وابوبكر لم يكن ممن أذهب الله عنه الرجس وطهرهم تطهيراً؛ ليحسن دخوله للمسجد جنباً، ولا هو منه بمنزلة هارون من موسى ليتمكن الحاقه به.

هذا كله. عدا عن ضعف خبر باب أوخوخة أبي بكر بفليح بن سليمان (٣)، وباسماعيل بن عبدالله الكذاب الوضاع (٤).

(١) - الاحزاب ٣٣.

(٢) - راجع: كشف الغمة للاربيلي ج ١ ص ٣٣٣/٣٣٤.

(٣) - راجع كتاب: حديث الافك ص ٦٠/٦١ للمؤلف.

(٤) - راجع ص ٢١/٢٢ من دلائل الصدق ج ١.

وأما محاولة فضل بن روزهان إيهام، أن البيت كان للنبي، وكان علي(ع) ساكناً في بيت النبي(ص)، حيث قال: «كان المسجد في عهد رسول الله(ص)، وكان علي ساكناً بيت رسول الله(ص) لمكان ابنته الخ».

فهي محاولة فاشلة: وذلك لأن الأخبار قد صرحت بأن الباب لعلي، حتى تكلم الناس في استثناء بابه. ولو كان الباب للنبي(ص) لما كان ثمة مجال لكلامهم، واعتراضهم، وحسدتهم.

(أقول: بل لا مجال لاستثنائه أصلاً، لأن النبي أمرهم بسد أبوابهم، أما الباب الذي له فهو يعرف وظيفته، وتكليفه فيه).

وواضح: أن هدف ابن روزهان، هو أن يجعل المستثنى هو باب رسول الله(ص)، لأن البيت كان له، وإذن فلا يكون لعلي(ع) فضل... وهكذا... فان الهدف الأول والأخير له— بحسب ما يظهر من كلامه هو إنكار فضائل علي عليه السلام(١)... ولكن الله يابى إلا أن يتم نوره ويظهر دينه، وينصرو يعزوليته...

### سرقة طعمة:

ويذكر في السنة الثالثة، قبل وقعه أحد سرقة طعمة بن أبي ريق درعاً لجاره قتادة بن النعمان. وكانت الدرع في جراب من دقيق؛ فينتثر الدقيق منها من دارقتادة حتى باب طعمة، ثم خبأها عند يهودي...

وتبع أصحاب الدرع الدقيق، حتى انتهوا إلى باب طعمة، فسألوه عن الدرع، فأنكرها، وحلف بالله ماله علم بها...

ثم اتبعوا أثر الدقيق حتى باب اليهودي؛ فأخبرهم: أن طعمة أعطاه إياه.

فلما ظهرت السرقة فرطعمة إلى مكة مرتداً عن الاسلام، ونزل على

رجل فنقب بيته أيضاً، فسقط عليه حجر منعه من الدخول والخروج حتى أصبح؛ فأخذ ليقتل، ثم ترك للجائه إليهم، وأخرج من مكة... فقتل في سرقة أخرى...

### الارتداد... لماذا؟!

ليس عجباً... أن يسرق الانسان شيئاً ما، بدافع الحاجة أحياناً، أو بدافع الاضرار بخصمه أحياناً أخرى... أو لاقتضاء عاداته و ظروفه النفسية وغيرها، وخصوصاً مع عدم بنائه نفسه، وأخلاقه وعاداته— و سلوكه بصورة عامة على وفق المبادئ والمثل العليا التي يؤمن بها...

ولكن العجيب حقاً... أن يتخلى هذا الانسان عن عقيدته وفكره و قناعاته بسبب أمرتافه كهذا... وهذا إن دل على شيء؛ فانما يدل على أن هذه العقيدة لم تتخذ في نفسه صفة الأصالة والرسوخ الكامل... ولا اتصلت بعقله و بروحه. ولا هو تفاعل معها، وعاشها فكراً، وعقيدة وسلوكاً... وإنما كانت بالنسبة إليه نوعاً من الترف الفكري، أو انسياقاً في جو معين لم يربأساً من الانسياق معه، ولا ضرورة للتخلف عنه...

### ملاحظة: حد السرقة:

إن حد السرقة هو قطع اليد، واختلفوا فيما يقطع منها. فقال: قوم بأن القطع للأصابع فقط... وإن كان الجمهور على أن القطع من الكوع (١) على حد تعبير ابن رشد، واتفق على ذلك الائمة الاربعة: أبوحنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل (٢).

ولكن قدخالف الشيعة في ذلك، وذهبوا تبعاً لائمهم إلى أن القطع يجب أن يكون من أصول الأصابع... ويدل على ذلك من النصوص عن

(١) — بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٤٧. والكوع: هو طرف الزند الذي يلي الابهام، ومنه المثل: أحق يمتخط بكوعه.

(٢) — راجع: الفقه على المذاهب الاربعة ج ٥ ص ١٥٩.

أمير المؤمنين عليه السلام.

١- أن الجاحظ يذكر: ان أمير المؤمنين عليه السلام كان يقطع اليد من أصول الاصابع، حتى عدّ ذلك الجاحظ من المطاعن عليه (١)، وذلك يدل على شهرة ذلك عنه...

٢- روى عبدالرزاق، عن معمر، عن قتادة: أن علياً كان يقطع اليد من الاصابع، والرجل من نصف الكف (٢).

٣- ويشير الى ذلك : أنهم يروون: انه (ع) قد جيئ بسارق، فقال لقبتر: اذهب به يا لقبتر، فشد اصبغه، وأوقد النار، وادع الجزار ليقطع الخ... (٣) فان الظاهر: أنه أمر بشد اصبغه، ليكون القطع من أصول الاصابع...

٤- ويؤيد ذلك : قول عمر: لا تقطع الخمس (أي الاصابع) إلا في خمس (٤) أي دراهم.

٥- بل الظاهر: ان قطع الأصابع قد كان شائعاً قبل زمان عطاء، أي في الصدر الأول، كما يفهم من تساؤل ابن جريج، وجواب عطاء له، قال ابن جريج لعطاء: سرق الاولى. فقال: يقطع كفه. قلت: فما قولهم أصابعه؟!.

قال: لم ادرك إلا قطع الكف كلها (٥).

(١) - العثمانية ص ٩١.

(٢) - مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ١٠ ص ١٨٥.

(٣) - كنز العمال ج ٥ ص ٣١٦ عن مسند أبي يعلى، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٦٤ عنه.

(٤) - سنن الدارقطني ج ٣ ص ١٨٦، وأخرجه ابن المنذر والنسائي. وأخرجه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة وأبي سعيد... وفي هامش سنن الدارقطني عن: ابن شبرمة وابن أبي ليلى والحسن البصرى...

(٥) - مصنف عبدالرزاق ج ١٠ ص ١٨٥.

## الفصل الثالث

غزوات و سرايا دفاعية





## غزوات وسراياً

ونتكلّم اولاً عن خصوص ما كان بين المسلمين و بين المشركين، ثم نعقب ذلك بما كان منها بين المسلمين واليهود، في الفصل التالي.

فاما بالنسبة لما كان بين المسلمين وغير اليهود، فاننا نقول:

### غزة بنى سليم:

١- إنه بعد بدر بسبع ليالي- كمايقولون- غزا(ص) بنفسه بنى سليم، واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم، اوسباع بن عرفطة؛ فلما بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر اقام(ص) هناك ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا، وكان يحمل لواءه اميرالمؤمنين عليه السلام... و كان اللواء ابيض اللون.

ويدوان هذه هي نفس الغزوة التي يقال لها: «غزوة قرقرة الكدر». وسببها انه قد بلغه (ص): ان جمعاً من بنى سليم وغطفان بقرقرة الكدر (والظاهر أنهم كانوا ينوون غزواالمدينة) فسار اليهم في ماء تين من اصحابه... فغنم منهم خمسمائة بعير، فخمسها، وقسم الباقي على اصحابه... و وقع غلام اسمه يسار في سهمه؛ فاسلم، وراه النبي يصلي، فأعتقه... وقال الواقدي: إن قرقرة الكدر كانت في المحرم سنة ثلاث.

٢- ويقول الديمياطى ان غزوة بنى سليم هي نفس غزوة بجران،

حيث بلغه: ان جمعا كثيرا من بني سليم كانوا في بجران؛ فخرج اليهم في ثلاث مئة من اصحابه، لست خلون من جمادى الاولى سنة ثلاث— ولم يظهر وجهها للسير؛ فرجع ولم يلق كيدا.

٣— وارسل(ص) لعشر خلون من شوال في السنة الثانية، غالب بن عبدالله اللثبي في سرية إلى بني سليم وغطفان، فقتلوا منهم واحدا، واخذوا النعم، واستشهد ثلاثة من المسلمين...

ثم كانت:

### غزوة السويق:

بعد رجوعه(ص) من غزوة قرقرة الكدر اي في ذي الحجة من السنة الثالثة: فبعدان اصيبت قريش في بدر حلف ابوسفيان ان لايمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو ومحمدا (ص)، وقال:

كروا على يثرب وجمعهم	فان ما جمعوا لكم نفل
ان يك يوم القليب كان لهم	فان ما بعده لكم دول
آليت لا اقرب النساء ولا	يمس رأسى وجلدي الغسل
حتى تبديد واقبائل الأوس	والخزرج ان الفؤاد يشتعل.

فخرج في مائهتي راكب من قريش ليبر يمينه. وليثبت للناس: أن قريشاً لا تزال قادرة على التحرك. وأيضاً ليشد قلوب المهزومين في بدر.

فلما كان على بريد من المدينة (والبريد اثنا عشر ميلا) نزل هناك ، فاتصل ببعض بني النضير من اليهود، ثم ارسل بعض اصحابه الى بعض نواحي المدينة؛ فحرقوا بعض النخل، ووجدوا رجلين فقتلوهما، وهما: معبد بن عمرو وحليف له، ثم انصرفوا راجعين؛ فنذر الناس بهم؛ فخرج(ص) في طلبهم لخمس خلون من ذى الحجة، وجعل ابوسفيان واصحابه يلقون بجراب السويق(١) تحنفا للهرب؛ فجعل المسلمون يأخذونه، ولم يدركهم المسلمون،

(١) — السويق: قمح اوشعير يقلى ثم يطحن ليسف اما بماء، او عسل، او سمن.

فعادوا إلى المدينة بعد خمسة أيام.

قال الحسنی: «وانقلب فرار أبي سفيان عليه خزيًا وعارًا، بعد أن كان يظن أن غزوته هذه ترفع من شأنه وتعيد إلى قريش شيئاً من مكانتها(١)».

### غزوة ذي أمر:

وفي اول سنة ثلاث، اول اثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول، كانت غزوة ذي امر... ولربما تكون هي غزوة غطفان، جمع فيها دعثور بن محارب في ذي امر جمعاً من بني ثعلبة بن محارب لحرب الرسول، اوليصبوا من اطراف المدينة، فخرج الرسول اليهم، واصاب اصحابه(ص) رجلاً يقال له جبار (اوحباب)؛ فاسلم، ودلهم على الطريق اليهم؛ فسمعوا بمسير الرسول(ص)؛ فهربوا في رؤوس الجبال...

ويذكر هنا: انه اصاب الرسول(ص) مطر كثير؛ فنزع(ص) ثوبيه، ونشرهما على شجرة، واضطجع بمرأى من المشركين، واشتغل المسلمون في شؤونهم، فنزل إليه دعثور (زعيم المشركين الغطفانيين) حتى وقف على رأسه، ثم قال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال(ص): الله، ودفع جبريل في صدره، فوقع على ظهره، ووقع السيف من يده، فأخذ النبي(ص) السيف، وقال له: من يمنعك مني؟ قال: لا احد، اشهد ان لا اله الا الله، واشهد ان محمداً رسول الله. فأعطاه(ص) سيفه، فرجع إلى قومه، وجعل يدعوهم للاسلام... ونزلت هذه الآية: يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم، اذ هم قوم ان يسطوا اليكم ايديهم(٢) الآية...

ولعل هذه هي نفس غزوة ذي القصة، التي يقال: انها في المحرم سنة ٣ كما يلاحظ من قارن بينهما.

(١) - سيرة المصطفى ص ٣٨٢.

(٢) - سورة المائدة الآية رقم ١١.

## سرية القردة:

وفي جمادى الاولى، في السنة الثالثة كانت غزوة القردة. وكان اميرها زيد بن حارثة، في اول امارة له... وذلك : ان نعيم بن مسعود قدم المدينة مشركا، فشرب الخمر مع بعض اصحابه، وذلك قبل تحريم الخمر— تقدم ان الخمر كانت قد حرمت في مكة— واخبرهم بالغير.

وذلك : ان قريشاً قالت: «قد عور علينا محمد متجرنا، وهو على طريقتنا».

وقال ابوسفيان، وصفوان بن امية: ان اقننا بمكة اكلنا رؤوس اموالنا.

فاتفقوا بعد بدر على العدول عن طريقهم المعتاد الى الشام، وسلوك طريق العراق، فخرج جماعة فيهم صفوان، و ابوسفيان في تجارة اكثرها من الفضة. فبعث (ص) اليهم زيدا؛ فلقبهم على ماء يقال له: «القردة» فاصاب الغير وما فيها. واعجزه الرجال، ورجع بالغنيمة إلى الرسول (ص)، فخمسها، فبلغ الخمس عشرين الفاً، وقسم الباقي للسرية.

وقبل ان نبدأ في الحديث عن العمليات العسكرية بين بدر وأحد مع اليهود، نود ان نشير الى الملاحظات التالية:

## ملاحظات على ماتقدم

## ألف—الاعمى... والقضاء:

بالنسبة لاستخلاف ابن أم مكتوم، يذكر الحلبي رواية أبي داود القائلة: انه انما استخلفه على الصلاة؛ لأن الضرير لا يجوز له الحكم بين الناس في القضايا والاحكام؛ لانه لا يدرك الاشخاص، ولا يثبت الاعيان، ولا يدري لم الحكم، وعلى من (١)...

ونحن نشير الى مايلي:

١- ان تولية المدينة لايعني اصداره الاحكام، وتوليه منصب القضاء، لأن من الممكن حلّ مشاكل الناس بطريقة الصلح بين المتخاصمين، اوعلى ان يكون قاضى تحكيم يرضى بحكمه الخصمان، خصوصاً بملاحظة قصر فترة غيابه(ص) عن المدينة في سفراته تلك ... او بأن يوكل من له صلاحية القضاء بين الناس، ويكون هو الوالي العام الحافظ للنظام، والمنفذ لتلك الاحكام...

٢- ان حمل تولية المدينة من قبل النبي على توليه خصوص الصلاة بعيد جداً؛ فإن ذلك خلاف ظاهر تعبيرهم بأن النبي(ص) (استخلفه على المدينة)، خصوصاً اذا لاحظنا: انه قد استخلفه عليها اثنتي عشرة مرة، او يزيد...

٣- ان الاستدلال على عدم جواز تولي، الاعمى للقضاء بما ذكر مدفوع بأن طريق معرفة الاشخاص والاعيان لاينحصر بالنظر والرؤية؛ فيمكنه اثبات ذلك بالشهود، وليكن نفس توليته(ص) لابن ام مكتوم (لوثبت كون القضاء داخلاً في ولايته) اثنتي عشرة مرة دليلاً على جواز تولي الاعمى للقضاء...

باء- من أهداف تلك السرايا والغزوات:

إن العرب قدر أوا: أن النبي الذي خرج بالأمس إلى المدينة لاجئاً، لا قوة له، قد أصبح هو وأصحابه يقفون في وجه قريش، ويجلون اليهود- كما سنرى-، ويرسلون السرايا تهدد المسالك، ويقتلون ويأسرون...

وعرفوا: أن ثمة قوة يجب أن يحسب لها حسابها، ولا بد من التفكير ملياً قبل الاقدام على أي عمل... ولكن الغرور كان يستولي على بعض تلك القبائل إلى حد التفكير في الدخول في حرب مع النبي(ص) على حد تعبير البعض(١)...

ولعل لأجل ذلك كان(ص) يبادر إلى الهجوم، بمجرد أن يعرف: أنهم قد جمعوا واستعدوا له، أو أنهم يستعدون للاغارة على أطراف المدينة... أو بعد حصول الاغارة والافساد منهم، الأمر الذي يدلنا على أن تلك الغزوات والسرايا كانت وقائية بالدرجة الاولى، وتستهدف أموراً:

١- افشال مؤامرات الاعداء ، ورد كيدهم إلى نحورهم.

٢- إن ذلك منه(ص) كان يمثل حرباً نفسية للمشركين؛ فانه: ماغزي قوم في عقردارهم إلا ذلوا... وخصوصاً إذا كان انكسارهم بعد التعبئة الكاملة والشاملة منهم لحرب هذه الفئة بالذات...

فإذا كانت هزيمتهم على يده(ص)، وفي عقردارهم، وفي أوج قدرتهم واستعدادهم. فان ذلك سوف يحطم معنوياتهم، ويجعلهم مضطربين لأن يعدوا الى العشرة في المستقبل، قبل أن يقرروا أي موقف لهم تجاهه... وهذا مصداق آخر لكونه صلى الله عليه وآله وسلم قد نصر بالربع.

٣- ثم هناك الانعكاس الاعلامي في المنطقة على قريش بالذات؛ فإذا انهزموا نفسياً؛ فان هزيمتهم العسكرية سوف تكون أسهل وأيسر، وقد سئل أميرالمؤمنين عليه السلام: باي شيء غلبت الأقران؟

فقال: «مالقيت رجلاً إلا أعانني على نفسه.»

قال الرضي: يومئذ بذلك إلى تمكن هيبته في القلوب(١).

### جيم: الخمس:

قد رأينا: أنهم يذكرون: إنه(ص) في غزوة قرقرة الكدر قد خمس الغنيمة، وقسم الباقي على المحاربين. وقد تقدم بعض مايتعلق بالخمسة في غزوة بدر وبعدها...

(١) - نهج البلاغة، بشرح محمد عبده، قسم الحكم، رقم ٣١٨.

### دال: العتق... والصلاة:

يلاحظ: أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد أعتق الغلام يساراً، حيث رآه يصلّي... وقد رأينا الامام السجاد عليه السلام كان يعتق مواليه بعد أن يذكرهم بذنوبهم.

ولعل سر عتقهم في مناسبة الصلاة يعود إلى: أن عتقه لهم في مناسبة كهذه يهدف إلى ربطهم، ودفعهم إلى الالتزام بها... ولا سيما حينما تطرح قضية حاسمة في أسعد لحظات حياتهم، اللحظات التي ينالون فيها حريتهم، التي هي في الحقيقة عنوان هويتهم ووجودهم... وهذا في الحقيقة يكون دافعاً لهم لاكتشاف واقع وحقيقة الصلاة، ثم التفاعل معها بشكل جدي وعميق، ولتكون من ثم سبباً في تكاملهم الانساني، وسعيهم إلى الالتزام بسائر التعاليم الاخلاقية الانسانية الاسلامية...

كما أن ذلك يجعل هذا الانسان يرى في شخصية النبي (ص) مثلاً جديداً للانسان الهادف، الذي يعيش من أجل هدفه، ويقف في كل ما لهذه الكلمة من معنى... ويعرف: أنه لا يهدف إلى استعباد أحد، ولا يمكن أن يكون ذلك هدفاً له، وإنما هدفه الاسمي هو إعلاء كلمة الله تعالى فقط... وفقط. وهكذا... فمن يصبح عبداً لله بحق فهو جدير بالحرية حقاً.

وكذلك الحال كان بالنسبة للامام السجاد عليه الصلاة والسلام، وقد أشرت إلى هذا الموضوع في مقال مستقل، فمن اراده فليراجعه (١).

### هاء: التورية بالغزوات:

وقد رأينا أيضاً: أنه (ص) في غزوة بجران لم يظهر وجهها للسير... بل لقد كان من عادته (ص): أنه إذا أراد غزوة ورى غيرها (٢).

(١) - البحث هو بعنوان: «الامام السجاد باعث الاسلام من جديد» في كتابنا: دراسات وبحوث

في التاريخ والاسلام» ج ١ ص ٥٣-٦٦.

(٢) - المصنف ج ٥ ص ٣٩٨، والمنقح لابن تيمية ج ٢ ص ٧٦٥.

ولربما يدل هذا على إرادة تفويت الفرصة على عيون العدو وجواسيسه، إن كان له ثمة عيون وجواسيس، وأيضاً على المنافقين الذين يوادون من حادالله، وكذلك على اليهود الذين كانوا لا يألون جهداً، ولا يدخرون وسعاً في مساعدة أعدائه ضده، ولا أقل من أنهم كانوا يهتمون في أن يفوته أعداؤه، ولا يتمكن من الظفر بهم...

### واو: قریش في مواجهة الاخطار:

لقد كانت سرية زيد بن حارثة للاستيلاء على قوافل قریش. وقد سمعنا كلام صفوان وأبي سفيان الذي يوضح لنا: أن قریشاً قد أصبحت تعتبر حرها مع النبي والمسلمين حرباً مصيرية، ومعركتها معركة حياة أو موت. ولم يكن ذلك ليخفي على النبي (ص)، فكان دائماً على استعداد لكل طارئ، ويتتبع كل تحركات العدو، وقد طوقهم من جميع الجهات تقريباً.

ويكفي أن نذكر هنا قول صفوان بن أمية لقریش:

«إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا؛ فاندري كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يرحون الساحل... وأهل الساحل قدوادعوهم؛ فاندري أين نسكن. وإن آقنا في دارنا هذه اكلنا رؤوس أموالنا، فلم يكن لنا بقاء. وحياتنا بمكة تقوم على التجارة إلى الشام في الصيف، وإلى الحبشة في الشتاء...».

### زاي: مناقشة قضية دعثور:

وأما قصة دعثور مع الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم؛ فاننا وإن كنا لانستبعد وقوعها... ولكن قولهم: «إن آية: «إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية(١)» قد نزلت في هذه المناسبة... لا يصح. وذلك:

أولاً: إنه إذا كان المراد: أن الآية قد نزلت مباشرة حين وقوع قضية



دعثور، كما هو ظاهر التفرع بالفاء... فلا يصح؛ لأن الآية في سورة المائدة، وهي قد نزلت في أواخر حياته صلى الله عليه وآله وسلم مرة واحدة... وغزوة ذي أمر كانت— كما يقولون— في أوائل السنة الثانية للهجرة.

وثانياً: إن الآية تذكر: أن «قوما» قدموا بأن يبسطوا أيديهم إلى المسلمين، ودعثور شخص واحد، ولم نعهد إطلاق كلمة القوم على الواحد.

وقول البعض: إن قوله تعالى: لا يسخر قوم من قوم، يشمل سخرية فرد من فرد... من فرد...

لا يصح؛ لأنه إنما يشمله بالملك، لا بالظهور اللفظي، والآية التي نحن بصددنا إنما هي اخبار عن حادث وقع، وليس فيها شمول ملاكي، كما هو ظاهر...

كما أننا لم نعهد التعبير عن الرجل الواحد بضمير الجمع إلا في مقام التعظيم، وبضرب من التجوز وهو هنا يمتن على المسلمين جميعاً بأن الله قد صرف عنهم من هموا ببسط أيديهم إليهم، ولو كان المقصود هو النبي، فلماذا يعبر عنه بضمائر الجمع؟

ودعوى: أن ذهابه يكون سبباً لذهابهم وبسط اليد إليه بسط لها إليهم، لأنه قائدهم، وبه قوام اجتماعهم...

هذه الدعوى كماترى خلاف المنساق من الآية، وفيها ضرب من التجوز والادعاء كما قلنا... فلا يعتمد عليها إلا بدليل...

وثالثاً: قال الحسيني: «... وموضع التساؤل في هذه القصة: أن النبي (ص) هل كان ينفرد عن أصحابه في غزواته؟! وهل يتركه أصحابه وحيداً في تلك الفلاة، والمشركون على مقربة منهم؟! وهب أنه ذهب إلى الشجرة ليجفف ثيابه من المطر، ولكن كيف تركه ذلك الجيش المؤلف من: (٤٥٠) مقاتلاً، وخفي عليهم ذلك الرجل الذي تحدّر من الجبل لاغتياله، وهو

بعيد عن أصحابه إلخ؟... (١)».

ولعل الآية قد نزلت فيمن يهمل الرواة ابعاد التهمة عنهم، فلفقوا هذه  
المناسبة لابعاد الشبهة عن محبوبون.

## الفصل الرابع:

غدر اليهود...

و

مرحلة الاغتيالات المنظمة



## مع عقائد اليهود وآثارها:

إننا قبل أن نبدأ بالحديث عن العمليات العسكرية التي جرت بين المسلمين واليهود فيما بين بدر وأحد... نوّد أن نشير باختصار إلى بعض عقائد اليهود، ثم نشير إلى بعض ما يرتبط بمواقف وخطط اليهود، ومؤامرتهم على الاسلام، وعلى المسلمين، فنقول:

١- عنصرية اليهود: اليهود شعب عنصري، يؤمن بتفوق عنصره على البشر كافة... والناس لاقيمة لهم ولا اعتبار، وإنما خلقوا لخدمة الاسرائيليين وحسب. فكل الناس إذن يجب أن يكونوا في خدمتهم، وتحت سلطتهم، كما يقول لهم تلمودهم.

فقد جاء في التلمود ما ملخصه: ان الاسرائيلي معتبر عندالله اكثر من الملائكة، وأن اليهودي جزء من الله. ومن ضرب يهودياً فكأنه ضرب العزة الالهية، والشعب المختارهم اليهود فقط، وأما باقي الشعوب فهم حيوانات. ويعتبر اليهود غيراليهود أعداء لهم، ولايجوز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم. ويلزم التلمود الاسرائيليين بأن يكونوا دنسين مع الدنسين، ويمنع من تحية غير اليهودي إلا أن يخشوا ضررهم، ولايجوزون الصدقة على غير اليهودي. ويجوز له سرقة ماله وغشه. كما أن على الامميين أن يعملوا، ولليهود أن يأخذوا نتاج هذا العمل...

ويجيز التلمود التعدي على عرض الاجنبي، لأنها إن لم تكن يهودية

فهي كالبهيمة. وللإيهودي الحق في اغتصاب غير الإيهوديات.

ولايحوز للإيهودي الشفقة على غيره، ويحرم على الإيهودي أن ينجي غيره (١) إلخ ما هنالك مما لا يمكن الإحاطة به في هذه العجالة...

نعم... هذه هي نظرة الإيهود لغيرهم، وهذه هي حقيقة ما يبيتونه تجاه كل من هو غير إيهودي. وقد نعى الله تعالى عليهم هذه النظرة السيئة، فقال:

«وقالت الإيهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، قل: فلم يعذبكم الله بذنوبكم؟ بل أنتم بشر ممن خلق، يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء» (٢).

فهو يؤكد لهم: أنهم كغيرهم من الخلق، يعذبهم الله بذنوبهم، ولا فضل لهم على غيرهم؛ لأن التفاضل إنما هو بالتقوى والعمل الصالح...

٢- الإيهود... والمادة: والإيهودي أيضاً يؤمن بالمادة، ويرتبط بها بكل وجوده وطاقاته، فهو يحب المال وجمعه حباً جماً، وهو يعيش من أجله، ويعمل في سبيله بكل ما أوتي من قوة وحول... فهو من أجل المادة ولد... وفي سبيلها عاش ويعيش... وعلى حبها سوف يموت... وهو يتمنى لو يعمر ألف سنة ولا يموت، قال تعالى: «ولتجدنهم أحرص الناس على حياة» (٣)، ومن الذين اشركوا، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة» (٤).

ولعل سر ذلك يعود إلى أن توراة الإيهود المحرفة الحاضرة لم تشر بشكل واضح إلى البعث والقيامة، وإنما ورد حديث عن الأرض السفلى، والجب التي

(١) - راجع: الكنز المرصود ص ٤٨-١٠٦ ومقارنة الأديان (الإيهودية) لآحمد شلبي ص

٢٧٢-٢٧٤ عنه وعن: التلمود شريعة بني إسرائيل ٢٢-٢٥ و ٤٠-٤٤ و ٦٥.

(٢) - المائدة ١٨.

(٣) - تنكير (الحياة) للتحقير، أي مها كانت تافهة وحقيرة.

(٤) - البقرة ٩٦.

عند اليهود، ومرحلة الاغتيالات المنظمة ..... ١٢١  
يهوى اليها العصاة ولا يعودون «وان الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد».

ويقول البعض: إن الكتاب المقدس نفسه يعد الحياة الدنيا وحدها هي عالم الانسان، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعث وجنة أو نار... وثوابهم وعقابهم مقصوران على الحياة الدنيا.

وعلى العموم... فان فكرة البعث لم تجدها أرضاً خصبة في عالم اليهود، وقد حاول بعض طائفة الفريسيين القول بها، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة، أما باقي الفرق اليهودية، فلم تعرف عنها شيئاً.

وإذا كان الانسان لا يعتقد بالبعث، ويؤمن بأن الجزاء ليس إلا في هذه الدنيا، فمن الطبيعي أن يسعى إلى المنكرات واقتراف الآثام (١)...

كما أننا لا يجب أن نستغرب إذا رأينا: أن ارتباطهم بالناس مصلحي ونفعي، وأن المال واللذة هما المنطق الوحيد لهم في كل موقف، والمقياس للحق وللباطل عندهم.

كما أننا لا يجب أن نعجب، إذا رأينا: أن الشيوعية وهي التفكير الداعي إلى اعتبار المادة هي أساس الكون والحياة، وهي المحرك والمنطلق، وهي الغاية، وإليها ستكون النهاية... نعم... وهي المعيار والمقياس الذي لا بد وأن يهيمن على كل شؤون الحياة والانسان والكون، وكل نظمه وقوانينه، وعلاقاته... نعم... لا عجب إذا رأينا: أن هذا التفكير يبدأ من اليهود، وإليهم ينتهي (٢).

٣- ويعتقد اليهود: أن الله سيغفرهم كل ما يرتكبونه من جرائم

---

(١) - راجع: احكامهم هذه في كتاب: مقارنة الاديان: اليهودية ص ١٩٩ و ٢٠٠ واليهود في القرآن ص ٣٧.

(٢) - الحظر اليهودي ص ٦٨ وفيه: أن أعضاء المجلس الشيوعي الذي كان يحكم روسيا سنة ١٩٥١ كان يتألف من سبعة عشر عضواً كلهم يهود صرحاء باستثناء ثلاثة هم: ستالين، وفيرشيلوف، و مولوتوف... وهؤلاء الثلاثة زوجاتهم يهوديات، وفهم يهودي الام، وأولجدة، أوصيعة مجهول النسب من صنائع اليهود، كما أن المنظر الأكبر للشيوعية هو اليهودي كارل ماركس.

وعظائم، وهذا ما يشجعهم على الفساد والانحراف والامعان في المنكرات والجرائم، وقد ردّ الله تعالى على عقيدتهم هذه (١)، حيناً قال: «وقطعناهم في الارض أمماً، منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون. فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب، يأخذون عرض هذا الأدنى، ويقولون: سيغفر لنا، وان يأتيهم عرض مثله يأخذوه، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب: أن لا يقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه، والدار الآخرة خير للذين يتقون؛ أفلا تعقلون (٢)».

٣— وبعد ماتقدم، وبعد أن كان اليهودي لا يعتقد بالآخرة... فان من الطبيعي أن يكون اليهود شعباً جباناً، لأنه يخشى الموت، ويرهب الأخطار، لأنه يرى بالموث نهايته الحقيقية (٣)... ومن طبع الجبان أن يتعامل مع خصومه بأساليب المكر والخداع، والغدر والخيانة بالدرجة الأولى... من اسباب عدااء اليهود للاسلام...

ونشير هنا إلى أننا نلاحظ: أن اليهود يحاربون الاسلام من أول يوم ظهوره، ويحقدون عليه، رغم أنهم كانوا أول من بشر بظهور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مستندين في بشاراتهم تلك إلى الدلائل القاطعة التي يجدونها في كتبهم.. ونستطيع أن نذكر من أسباب عداوتهم للمسلمين وللإسلام:

١— إنهم قد وجدوا أن هذا النبي يدعو الناس الى دين هو نظام كامل وشامل للحياة... وأن هذا الدين قد جاء بنظام اقتصادي متكامل ومتوازن... واهتم بمحاربة الربا، والاحتكار، وجميع أنواع واشكال استغلال انسان لانسان آخر... وجعل في أموال الناس حقاً معلوماً للسائل والمحروم،

(١) - اليهود في القرآن ٤٤/٤٥.

(٢) - الاعراف ١٦٨/١٦٩.

(٣) - ويلاحظ: أن العرب في هذه الايام يجبنون عن مواجهة اليهود في حرب الكرامة والشرف... لماذا؟!... أليس لاجل ابتعادهم عن دينهم، واستسلامهم لانحرافاتهم وحبهم للحياة وقلة يقينهم بالموت والمعاد؟!.



فلم ينسجم ذلك مع أطماعهم، ومع ألفوه وأحبوه، بل رأوه يتنافى مع أهدافهم ومصالحهم، ومع نظرتهم للكون، وللحياة، والانسان...

٢- والذي زاد من حنقهم وحقدهم: أنهم كانوا يأملون أن يتم القضاء على هذا الدين من قبل قومه القرشيين، ومن معهم من ذؤبان العرب... فرضوا بالمعاهدة التي سلف ذكرها... ولكن فألهم قدخاب، فها هو الاسلام يزداد قوة واتساعاً ونفوذاً يوماً عن يوم، وها هو يسجل في بدرالعظمى أروع البطولات، وأعظم الانتصارات، فلم يعد يقرهم قرار، أو يطيب لهم عيش؛ فقد كانوا يرون أنه لا بد من القضاء على هذا الدين قبل أن يكتسح المنطقة، ويضرى بهم إعصاره الهادر.

٣- ومما زاد في حنقهم وقلقهم: أنهم رأوا النبي (ص) والمسلمين معه كما أنهم لا يخدعون... كذلك هم لا يستسلمون للضغوط، ولا تثنيهم المصاعب والمشقات مهما عظمت... وكلما زاد الاسلام اتساعاً كلما زاد الطموح لدى المسلمين، والضعف لدى خصومهم، و إذن... فلا بد من اهتبال الفرصة، ومناهضة هذا الدين والقضاء عليه بالسرعة الممكنة.

٤- ويقول الجاحظ: «إن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها، وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الاقارب، في شدة التمكن وثبات الحقد، وإنما يعادي الانسان من يعرف، ويميل على من يرى، ويناقض من يشاكل، ويبدوله عيوب من يخالط، وعلى قدر الحب والقرب يكون البغض والبعده، ولذلك كانت حروب الجيران وبني الاعمام من سائر الناس وسائر العرب أطول، وعداوتهم أشد...»

فلما صار المهاجرون لليهود جيرانا، وقد كانت الأنصار متقدمة الجوار، مشاركة في الدار، حسدتهم اليهود على نعمة الدين، والاجتماع بعد الافتراق، والتواصل بعد التقاطع إلخ (١)...

(١) - ثلاث رسائل للجاحظ (رسالة الرد على النصارى) ص ١٤/١٣ نشر يوشع فنكل سنة

٥- ثم هناك حسدهم للعرب أن يكون النبي الذي تعديبه توراتهم منهم، وليس اسرائيلياً، وقد اشار إلى ذلك تعالى فقال:

«ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به؛ فلعنة الله على الكافرين. بسما اشتروا به أنفسهم: أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فباؤا بغضب على غضب، وللكافرين عذاب مهين(١)».

٦- ويذكر البعض: أنهم حينما طلب النبي (ص) منهم أن يدخلوا في الاسلام امتعضوا، وأخذوا يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(٢).

٧- لقد عز عليهم وأرهبهم: ما رأوه من قدرة الاسلام على توحيد اهل المدينة: الاوس والخزرج، الذين كانوا إلى هذا الوقت أعداء يسفك بعضهم دماء بعض، قال تعالى: «وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم(٣)».

### اليهود في مواجهة الاسلام:

لقد حاول اليهود مواجهة المد الاسلامي الكاسح بكل مالديهم من قوة وحول، ونذكر هنا بعض مايرتبط بالاساليب والطرق التي حاولوا الاستفادة منها في هذا السبيل من دون ملاحظة الترتيب بينها، ولاسيا وأن بعضها متداخل في الاكثر مع بعض، فنقول:

١- ما أشار إليه الجاحظ، من أنهم: «شبهوا على العوام، واستمالوا الضعفة، ومالأوا الاعداء والحسدة، ثم جاوزوا الطعن، وادخال الشبهة إلى

(١) - البقرة ٨٩-٩٠.

(٢) - راجع: اليهود في القرآن ص ٢٣.

(٣) - الانفال ٦٣.

إلخ (١)».

نعم... لقد حاولوا تشكيك العوام، وضعاف النفوس بالاسلام. بالاضافة الى مما لأتهم للذين وترهم الاسلام، أو وقف في وجه مطامعهم وطموحاتهم اللامشروعة واللا إنسانية. ونذكر مثلاً على ذلك: ماجاء في الروايات من أن الناس يعتبرون: أن من علامات الحق: أن لا يرجع عنه من يقتنع به، فاذا رجع عنه فلا بد وأن يكون ذلك لأجل أنه وجد فيه ضعفاً، أو نقصاً، ولذلك نجد ملك الروم يسأل أبا سفيان— أحد خصوم محمد: «هل يرجع عن الاسلام من دخل فيه؟ فقال أبو سفيان: لا...» وقد حاول اليهود أن يتبعوا نفس هذا الاسلوب... وقد حكى الله تعالى عنهم هذا الأمر، فقال: «وقالت طائفة من أهل الكتاب: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، واكفروا آخره لعلهم يرجعون(٢)».

٢— طرح الاسئلة الامتحانية على النبي(ص) بهدف تعجيزه... ويلاحظ: أن هذه المحاولات كانت تبذل من قبل مختلف قبائل اليهود: قريظة. النضير. قينقاع. ثعلبة إلخ. ولكن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع. بل لقد ساهموا بشكل فعال في تجلي ووضوح تعاليم الاسلام، وترسيخها... وفشلهم هذا قد دفعهم إلى أن يطلبوا من النبي(ص) أن يأتيهم بكتاب من السماء: «يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، فقد سألوا موسى اكبر من ذلك، فقالوا: أرنا الله جهرة(٣)».

ثم تمادوا في العناد واللجاج، الى ما هو أبعد من ذلك، قال تعالى: «وقال الذين لا يعلمون: لو لا يكلمنا الله أو تأتينا آية، كذلك قال الذين لا يعلمون من قبلهم مثل قوهم، تشابهت قلوبهم(٤)» الآية... فان سياق الآيات ظاهر في أن اليهود هم الذين قالوا ذلك...

(١)— ثلاث رسائل للجاحظ (رسالة الرد على النصارى) ص ١٤.

(٢)— آل عمران ٧٢ وليراجع كتاب: اليهود في القرآن ص ٣١ فانه أشار أيضاً إلى هذا الأمر.

(٣)— النساء ١٥٣.

(٤)— البقرة ١١٨.

٣- ولما فشلوا في محاولاتهم محاربة الاسلام على صعيد الفكر، اتجهوا نحو أسلوب الضغط الاقتصادي على المسلمين؛ فيذكرون: أن رجالاً من أهل الجاهلية باعوا يهوداً بضاعة، ثم اسلموا وطلبوا من اليهود دفع الثمن فقالوا: ليس علينا أمانة، ولا قضاء عندنا؛ لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه، وادعوا: أنهم وجدوا ذلك في كتابهم... فجاء في الآية المباركة الرد عليهم: «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك، إلا ما دمت عليه قائماً، ذلك بأنهم قالوا: ليس علينا في الاميين سبيل، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون(١)».

وأيضاً... فقد رفض رؤساء اليهود أن يقرضوا المسلمين مالاً في أول عهدهم في المدينة، وقد كانوا في ضنك شديد، فالمهاجرون فقراء لا مال لهم، والذين دخلوا في الاسلام من أهل المدينة لم يكونوا على سعة من الرزق... وقد أجابوا رسول الله حينما طلب منهم القرض بقولهم: أحتاج ربكم أن غده؟ فنزل قوله تعالى: «لقد سمع الله قول الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، سنكتب ما قالوا إلخ(٢)».

٤- لقد حاولوا بملائة أعداء الاسلام ومساعدتهم بكل ما أمكنهم، ولو بالتجسس، وبغير ذلك من وسائل.

٥- وحاولوا محاربة الاسلام أيضاً: عن طريق إثارة الفتن بين المسلمين، ولاسيما الأوس والخزرج، وبين المسلمين والمشركين.

ونذكر هنا على سبيل المثال قضية شاس بن قيس، الذي حاول تذكير الأوس والخزرج بأيام الجاهلية، وإثارة الاحن القديمة في نفوسهم؛ فتشاور الفريقان، حتى تواعدوا أن يجتمعوا في الظاهرة لتصفية الحسابات، وتنادوا بالسلاح، وخرجوا، وكادت الحرب أن تقع بينهما؛ فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فخرج اليهم بمن كان معه من أصحابه المهاجرين؛ فوعظهم؛

(١) - آل عمران ٧٥.

(٢) - آل عمران ١٨١ راجع في ذلك: اليهود في القرآن ص ٢٨.

فأدركوا أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم... فندموا على ما كان منهم، وتعانق الفريقان وتصافيا، وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويقول البعض: ان الآيات الشريفة التالية قد نزلت في هذه المناسبة: «قل: يا أهل الكتاب، لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا، وأنتم شهداء، وما الله بغافل عما تعملون. يا أيها الذين آمنوا، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يرد وكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون، وأنتم تتلى عليكم آيات الله، وفيكم رسوله، ومن يعتصم بالله، فقد هدي إلى صراط مستقيم(١)».

٦- ثم هناك تأمرهم على حياة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم كما سنرى... إن شاء الله تعالى...

### موقف النبي (ص) من اليهود:

لقد رأينا: أن اليهود قد حاولوا: أن يكيدوا للاسلام وللمسلمين، باساليب شتى، وطرق متنوعة كلها باءت بالفشل الذريع؛ بسبب وعي القيادة الاسلامية العليا...

ولقد صبر الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم على مخالفتهم الكبيرة تلك، ولازال يصبر عليها تفادياً لحرب أهلية قاسية في مقره الجديد.. حتى طفح الكيل، وبلغ السيل الزنى، وعرف المسلمون: أن اليهود كانوا— بزعمهم— يستغلون ظروف المسلمين ومشاكلهم، ويصدون من تحدياتهم لهم... وأصبحوا في الحقيقة هم الخطر الداهم والحقيقي الذي يهدد وجود الاسلام من الاساس... ولاسيما وأن هذا العدو الماكر والحاقد يعيش في قلب المجتمع الاسلامي، ويعرف كل مواقع الضعف والقوة فيه، ويتدرب به الدوائر، ويطرصد الفرصة المواتية...

فكان لابد من صياغة التعامل مع هذا العدو على أساس الحزم

والعدل، بدلاً من العفو والتسامح والرفق... فليس من الصالح أن يترك اليهود يعيشون في الارض فساداً، وينقضون كل العهود والمواثيق، ويسددون ضرباتهم للمسلمين كيف وأنى شاؤوا، بل لابد من الرد الحاسم والحازم والعاقل على كل اعتداء، ومواجهة كل مكيدة، قبل أن يكون لابد من الندم حيث لا ينفع الندم...

### العمليات العسكرية في مرحلتين:

وبعد أن اتضح نقض اليهود لكل العهود والمواثيق... حاول الاسلام أن يتعامل معهم على مرحلتين:

**الأولى:** أن يتبع معهم اسلوب الانذار الحازم والعاقل... فكانت الاغتيالات المنظمة بمثابة جزاء عادل لناقضى العهود، الذين يشكلون خطراً جدياً على صعيد استقرار المنطقة... كما أنها كانت بمثابة اطلاق صفارة الانذار لكل من ينقض عهداً، ويتآمر على مصلحة الاسلام العليا مع اعطائهم الفرصة للتفكير، وافهامهم أن الاسلام يمكن أن يتحمل، ولكنه ليس على استعداد لان يقبل بوضع كهذا إلى النهاية، ولا سيما إذا كان ذلك على حساب وجوده وبقائه.

**الثانية:** الحرب الشاملة والمصيرية... حيث لا يمكن حسم مادة الفساد بغيرها من الوسائل... ونحن نتكلم عن هاتين المرحلتين، كلا على حدة في الصفحات التالية...

## الاغتيالات المنظمة:

### ١- قتل أبي عفك:

كان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد عاهد اليهود على المودعة وعدم تعرض أي من الفريقين للآخر.

ولكن سرايا المسلمين في المنطقة، وماتبع ذلك من اجراءات على صعيد بناء المجتمع الجديد وتقويته قد زاد من قوة المسلمين، ورفع من معنوياتهم، وجعل منهم قوة لها خطرهما... مع أنه لم يمض بعد عامان على قدومهم (يعني المسلمين) كلاجئين، يبحثون عن مأوى وملجأ وملاذ... و إذن... فلا بد من تطويق هذا الخطر، والحد من هذا النفوذ قبل فوات الأوان؛ وحتى يتسنى لليهود الاستمرار في الاحتفاظ بالتفوق السياسي والاقتصادي في المنطقة... وقد بدأت محاولات اليهود في هذا السبيل من أوائل الهجرة، وقبل حرب بدر، ثم كانت حرب بدر ونتائجها المذهلة... فزاد ذلك من مخاوف اليهود والمشركين والمنافقين على حد سواء، فصعدوا من نشاطاتهم، وتحدياتهم بشكل ملحوظ كما سنرى.

وقد بدأ اليهود قبل بدر بالتحريض على الرسول الاعظم والمسلمين، وبالتعرض لهم بمختلف أنواع الأذى... فكان (أبو عفك) اليهودي يجرس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويقول فيه الشعر ؛ فنذر سالم بن عمير أن يقتله، أو يموت دونه؛ فذهب إليه فقتله...

ويبدو أن قتله كان قبل حرب بدر— كما سيظهر من العبارات

التالية:

## ٢— قتل العصماء بنت مروان:

فلما قتل أبو عفك تأففت العصماء بنت مروان (وهي من بني أمية بن زيد، وزوجة يزيد الخطمي) من قتل أبي عفك، فصارت تعيب الاسلام وأهله، وتؤتب الانصار على اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقول الشعر في هجوه (ص)، وتحرض عليه... واستمرت على ذلك إلى ما بعد بدر.

فجاءها عمير بن عوف ليلاً خمس بقين من شهر رمضان المبارك، فوجدها نائمة بين ولدها، وهي ترضع ولدها— وعمير ضعيف البصر— فجسها بيده؛ فوجد الصبي على ثديها يرضع، فنحاه عنها، ثم وضع سيفه في صدرها حتى أخرجه من ظهرها، ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له (ص): أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم... قال (ص): لا ينتطح فيها عنزان. أي لا يعارض فيها معارض...

هذا... ولكن قد جاء في شواهد النبوة: أن عمير بن عدي الخطمي سمع أبياتها التي قالتها حين كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بدر، والتي قالتها في ذم الاسلام والمسلمين، وكان ضريراً؛ فنذر: لئن رد الله رسوله سالماً من بدر ليقتلتها. ففي ليلة قدومه (ص) ذهب إليها عمير فقتلها؛ فلما رآه النبي (ص) قال له: أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم.

فأقبل صلى الله عليه وآله وسلم على الناس، وقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل كان في نصره الله ورسوله؛ فليتنظر إلى عمير بن عدي».

فقال عمر: إلى هذا الاعمى؟ بات في طاعة الله ورسوله!!...

فقال النبي (ص): مه يا عمر، فانه بصير... أو كما قال (١).



ورجع عمير إلى قومه من بني خطمة؛ فقال لهم: يا بني خطمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكيدوني جميعاً، ولا تنظرون.

فذلك أول ما عزا للاسلام في دار بني خطمة، وكان من أسلم منهم يستخفي باسلامه، ويومئذ أسلم رجال منهم بما رأوا من عز الاسلام...

ولعل ما جاء في شواهد النبوة من أن عميراً كان أعمى... ولا سيما ما ورد على لسان عمر... قد جاء على سبيل المبالغة، لأنه كان ضعيف البصر بالفعل... فان من الصعب على الضرير أن يقوم بعملية كهذه، وهي نائمة ليلاً بين ولدها... إلا أن يقال: إنه إذا عرف مكانها الذي تنام فيه، فان بإمكانه تمييز الطفل عن غيره بواسطة تلمس ابدانهم، كما هو صريح الرواية...

ولكنها كما قلنا— تبقى عملية صعبة على الرجل الضرير... ولذلك فنحن نرجح طريقة المبالغة كما قلنا...

### ٣— قتل كعب بن الاشرف

قال الواقدي: إن قتل كعب بن الاشرف كان في ربيع الاول في سنة ثلاث.

وخلاصة ماجرى: أن اليهود كانوا يتوقعون: أن يستأصل المشركون شأفة المسلمين والاسلام، وكان لانتصار المسلمين في بدر وقع الصاعقة عليهم، وثار تآثرتهم، وطاشت عقولهم.

قال ابن اسحاق: لما أصيب المشركون في بدر؛ فبلغ ذلك كعب بن الاشرف، وكبر عليه قتل من قتل في بدر، وبكاهم، وهجا النبي (ص) وأصحابه في شعره، وكان يشب بنساء المسلمين (وأضاف البعض (١) نساء النبي (ص) أيضاً)، حتى آذاهم.

فسار إلى مكة، وحرص على رسول الله (ص)، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على حرب رسول الله ...

وسأله أبوسفیان: أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه، وأتينا أهدى في رأيك، وأقرب إلى الحق: إنا لننطمع الجزور الكوماء، ونسقى اللبن على الماء، وننطمع ماهبت الشمال ...

فقال له: أنتم أهدى منهم سبيلاً (١).

فلما عاد إلى المدينة، قال رسول الله (ص): من لي بابن الاشراف؟ فانتدب له محمد بن مسلمة، وقال: يا رسول الله، لا بد لنا أن نقول. قال: قولوا ما بداركم؛ فأنتم في حل من ذلك.

فذهب إليه هو وأبونايلة، أخو كعب من الرضاعة، وآخرون... فاجتمع به أبونايلة، وأظهر له تبرمه من الوضع المعيشي الذي نجم عن قدوم النبي (ص) إليهم، وطلب منه: أن يبيعه طعاماً في مقابل رهن، فطلب ابن الاشراف أن يرهنوه نساءهم، فرفض أبونايلة، ثم طلب ابناهم، فرفض أيضاً. وعرض عليه رهن السلاح، حتى لا ينكر كعب السلاح إذا جاء مع أصحابه؛ فقبل كعب ...

ورجع المفاوضات إلى جماعته، فجاء بهم، ومعهم السلاح، وشيعهم (ص) إلى بقيع الغرقد، ودعا لهم: فلما انتهوا إلى الحصن صاحوا به، فقالت له زوجته— وكان حديث عهد بعرس— أسمع صوتاً يقطر منه الدم. فقال لها كعب: إن أبا نائلة لورآه نائماً ما أيقظه. ونزل إليهم، فأخذ أبونايلة رأسه فشمه، وتعجب من طيبه، وكرّر ذلك حتى اطمأن كعب... ثم أخذ بفوديته، وقال: اضربوا عدو الله؛ فخطوه بأسيافهم وقتلوه... وجرح منهم بأسيافهم الحارث بن أوس بن معاذ، فتفل (ص) على جرحه.

فأصبحوا وقد خافت يهود مما جرى لكعب «فليس بها يهودي إلا وهو

خائف على نفسه»... وذهبوا إلى رسول الله (ص)؛ فقالوا: قتل صاحبنا غيلة. فذكّرهم النبي (ص) ما كان يهجوّه في أشعاره ويؤذيه. قال: ثم دعاهم النبي (ص) إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحاً، قال: أحسبه قال: فذلك الكتاب مع علي (١).

وقال كعب بن مالك بهذه المناسبة آياتاً منها:  
فغودر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النصير  
قال الحسيني: «ومع ذلك فلم يتراجعوا عن الدس والتحرّض على المسلمين، والتصدي لهم، والنيل من النبي (ص)، وطلب منهم النبي أن يكفوا عما هم عليه، وأن يلتزموا بالعهد الذي أعطوه على أنفسهم، حين دخوله المدينة، فلم يزداهم ذلك إلا اعتوّاً وتمادياً في إيذاء المسلمين، ونشر الفساد، والنبي (ص) من جانبه يوصي المسلمين بالهدوء وضبط الأعصاب (٢)»... ولا بد أن يكون ذلك - لوصح - باستثناء ناقضي العهد من الشخصيات الخطرة، التي كانت تحرض على الإسلام والمسلمين، وتشكل خطراً جدياً عليهم، كما يظهر من العبارة التالية...

#### ٤ - قتل ابن سنيّة:

قالوا: وقال رسول الله (ص): من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنيّة اليهودي، فقتله، فقال له أخوه حويصة - ولم يكن قد أسلم بعد - يا عدو الله، قتلته؟! أما والله لرب شحم في بطنك من ماله.

فقال محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك». قال: فوالله، إن كان لأول إسلام حويصة. فاستحلفه على ذلك؛ فحلف له... فقال: إن ديننا بلغ بك ما أرى لعجب! ثم أسلم (٣).

(١) - المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٢٠٤، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٣.

(٢) - سيرة المصطفى ص ٣٧٨.

(٣) - راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٨.

## ٥- قتل أبي رافع:

وفي جمادى الآخرة من السنة الثالثة، وقيل: سنة أربع. وعند البعض: بعد أحد، من دون تعيين. كان قتل أبي رافع ابن الحقيق بخير، الذي كان يظاهر ابن الاشرف في معاداته للنبي(ص)، ويؤذي النبي(ص) ويغي عليه.

وذلك أنه: بعد قتل الاوس لابن الاشرف، قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها علينا عند رسول الله (ص)... فوقع اختيارهم على ابن الحقيق هذا، المعروف ببغيه وأذاه، والمظاهر لابن الاشرف... فاستأذنوا رسول الله (ص) في قتله، فأذن لهم...

فخرج إليه خمسة نفر، أو ثمانية، عليهم عبدالله بن عتيك، فأتوا داره ليلاً، فأغلقوا أبوابه على أهله، وكان هوفي عليّة، فاستأذنوا عليه بِحُجَّةٍ: أنهم جاؤا يطلبون الميرة، فدخلوا عليه، وأغلقوا باب العليّة؛ فوجدوه على فراشه؛ فابتدروه، فصاحت المرأة؛ فأرادوا قتلها، ثم ذكروا نبي النبي(ص) عن قتل النساء والصبيان؛ فقتلوه، وخرجوا...

ولكنهم لم يطمئنوا إلى أنه قدمات؛ فأرسلوا أحدهم، فدخل بين الناس، وعرف الخبر منهم، ورجع إليهم فأخبرهم بهلاكه.

ثم رجعوا إلى النبي(ص)، واختلفوا فيمن قتله، فأخذ النبي(ص) أسيافهم، فرأى على سيف ابن أنيس أثر الطعام؛ فقال: هذا قتله...

وأضاف ابن الأثير في روايته المفصلة: ان ابن عتيك وصل إلى غرفته المظلمة، فناداه، فأجابه، فضرب جهة الصوت، فصاح؛ فهرب ابن عتيك، ثم عاد إليه، فقال: ما هذا الصوت؛ فأجابه: أن رجلاً في البيت، فضرب نحو الصوت، فأثخنه، ثم وضع السيف في بطنه، حتى خرج من ظهره، ونزل من درج، فوقع، فانسكرت ساقه؛ فعصبتها بعمامة؛ ثم جلس عند الباب، ليعرف إن كان قد قتل حقاً، فسمع أول الفجر نعيه، فانطلق إلى أصحابه، ثم

إلى النبي (ص)، فمسح (ص) رجله، فكأنه لم يشتكها قط...

وقبل المضي في الحديث لابد من تسجيل النقاط التالية:

### ألف: الاسلام قيد الفتك:

إنه ربما يُتخيل: أن الاغتيالات المنظمة التي تحدثنا عنها لا تناسب ماورد من أن الاسلام قيد الفتك، فلايفتك مؤمن... حتى ليقال: إن هذا كان هوالمانع لمسلم بن عقيل من قتل عبيدالله بن زياد في بيت هاني بن عروة(١).

ولكن الحقيقة هي: أنه لامنافات بين ماذكره؛ فان المقصود بالفتك هوالقتل غدرألمن يكون منك في أمن من ناحيتك...

وليس الأمر بالنسبة لليهود كذلك، لأنهم كانوا قدعاهدوا النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم: أن لايحاربوه ولايظاهروا عليه عدوه... و هؤلاء قد آذوا المسلمين، وهجوههم، وحرصوا المشركين عليهم، وناحوا على قتلى بدر، بل ذهب ابن الاشرف إلى مكة للتحريض عليهم، وشبب بالنساء المسلمات، وحتى بنساء رسول الله (ص)... الى آخر ماتقدم...

و إذن فقد صار هؤلاء من أظهر مصاديق «المحاربين»، وناقضي العهود، ولاباس بالاحتيال على المحارب لقتله؛ فان «الحرب خدعة(٢)»...

(١) — الجامع الصغير ج ١ ص ١٢٤ عن البخاري في التاريخ وأبي داود، ومستدرك الحاكم ومسنده أحمدومسلم وكنوزالحقائقبهامش الجامع الصغير ج ١ ص ٩٦، ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٥٢ ومسنده أحمد ج ١ ص ١٦٦، ومنتخب كنز العمال بهامش المسند ج ١ ص ٥٧، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٠٢ فصل ١٠ ومناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١٨ ومقتل الحسين للمقرم ص ١٧١ عنهم وعن: ابن الأثير ج ٤ ص ١١ وعن تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤٠ وعن البحار ج ١١ في معجزات الصادق عليه السلام، وعن وقايع الايام عن الشهاب في الحكم والآداب.

ولابأس بمراجعة مشكل الآثار ج ١ ص ٧٨.

(٢) — المنتقى ج ٢ ص ٧٦٥.

وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها، كما أنه (ص) قد أجاز لهم أن يقولوا ماشاءوا، حينما ذهبوا إلى قتل ابن الاشرف، وذلك لأن شر هذا المحارب وفساده في الأرض، ووقوفه في وجه كلمة الله، واقامة العدل والحق أعظم من أي قول يقولونه، وأي أسلوب يتبعونه...

وأخيراً... فهل يشك أحد في أن من يكون في ساحة الحرب، فان لعدوه أن يحتله من خلفه، ويتخلص منه؟! ومن كان محارباً، فليس له أن يأمن عدوه...

ويدل على ماقلناه: أن نفس امرأة كعب بن الاشرف قد حذرت، وقالت له: «إنك امرؤ محارب، وإن صاحب الحرب لاينزل في مثل هذه الساعة»!!

كما أن مما يدل على ذلك: أنهم قد احتاجوا إلى تجديد العهد الذي نقضوه، وكتابة عهد آخر كان عند علي أمير المؤمنين، وصي النبي ووارثه، صلوات الله وسلامه عليه...

وبعد كل ماتقدم... فاننا نجد معاوية يحاول—كعادته—أن ينتقص رسول الله (ص)، ويظهر ابن الاشرف على أنه قد قتل مظلوماً... فعن عباية، قال: ذكر قتل كعب بن الاشرف عند معاوية، فقال: كان قتل غدرًا... فقال محمد بن مسلمة: يامعاوية، أيغدر عندك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ لا يظلني وإياك سقف بيت ابدأ(١).

وحسبنا هنا: أن نقول عن معاوية ومواقفه ومخزياته: وكل اناء بالذي فيه ينضح.

باء: رعب اليهود:

إن هذه الاغتيالات التي نظمت، ونفذت ببراعة فائقة، وذكاء

وعبقرية نادرة، قد أرعبت اليهود، وأخافتهم، ولاسيما بعد قتل ابن الاشرف الغادر، حتى إنه «ليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه». وحتى قال كعب بن مالك :

فغودر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النصير  
وأصبح القضاء على من يغدر من اليهود أسهل وأيسر، فالمسلمون  
يملكون الجرأة الكافية، واليهود أصبحوا خائفين على أنفسهم، والقضاء على  
الخائف المرعوب أسهل وأيسر من القضاء على غيره، وكان ذلك واحداً من  
مصاديق قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نصرت بالعرب». وذلك أمر طبيعي  
بالنسبة لمن لا يؤمن بالمعاد، ويعتقد أن جنته هي هذه الدنيا، وأنه إذا فقد  
حياته، فقد فقد كل شيء، حسبنا المحنا إليه من قبل...

### جيم: مع موقف عمير في أصلاته ونبله:

١- يلاحظ: أن عمير بن وهب ينحى ولد العصماء عن صدرها، ثم يقتلها...

وهذا يؤكد: على أن الاسلام ليس ضد الانسان، وإنما هو ضد مواقفه  
وتصرفاته المنحرفة عن الحق والعدل والفترة، فهو يريد فقط: أن يقضي على  
مصدر الخطر على الحق والفترة... وحينما لا يبقى ثمة سبيل إلا القضاء على مصدر  
الفتنة؛ وحيث يكون آخر الدواء الكي؛ فانه لا بدو أن يكتفى بالحد الأدنى،  
الذي يتحقق فيه الهدف الأقصى، وهو اقامة الدين والحق...

٢- ثم إننا لنكبر هذا التعقل النادر لعمير في موقف حرج وخطير  
كهذا... حتى إنه يملك في هذه اللحظات الحساسة جداً أن يتخذ القرار الحاسم  
والمبدئي، وكما يريد الاسلام، بعيداً عن كل اضطراب وانفعال - ولاسيما  
وهو ضري، كما قيل، أضعيف البصر - نعم... إنه يتصرف بهدوء واطمئنان  
ووعي، حتى في أخرج اللحظات، وأكثرها إثارة للاعصاب، وتشويشاً  
للحواس... ومثل ذلك يقال بالنسبة لامتناعهم عن قتل المرأة التي كادت

تفضحهم بصياحها في قضية أبي رافع. حين تذكروا نهي النبي (ص) عن قتل النساء والصبيان...

وهذه هي الشخصية الاسلامية التي يريدها الاسلام، واستطاع أن يصدر للعالم الكثير من النماذج الحية لها... من أمثال سلمان، وعمار، وأبي ذر، والمقداد، والاشتر وفوق هؤلاء جميعا سيدهم وامامهم وأميرهم، أمير المؤمنين علي عليه السلام، والأئمة من ولده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين...

ويكفي أن نذكر مثلاً وقدوة لكل الاحرار، والذين يعيشون المبدأ بكل وجودهم: أن أمير المؤمنين عليه السلام حينما أراد أن يقتل عمرو بن عبدود، فشتمه عمرو، وتفل في وجهه... قام عنه، حتى ذهب عنه غضبه، ثم عاد إليه فقتله، فعل ذلك ليكون قتله له خالصاً لله، لا يتدخل فيه عنصر حب الانتقام لنفسه، وغضبه لها، ولو بشكل لاشعورى...

هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ماسواها

٣- ثم هناك رواية شواهد النبوة، التي تضيف: أن بعض الصحابة قد نفس على عمير هذا الوسام النبوي الذي ناله عن جدارة واستحقاق، ولم يستطع أن يخفى ذلك في نفسه، بل ظهر في فلتات لسانه بتعبير فيه شئ من الجفاء الجارح، دعا الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى محاولة حسم الموقف، ثم التلطيف والتخفيف من وقع تلك العبارة، ثم معاودة التأكيد على جدارة عمير، واستحقاقه للثناء، وعرفان حقه، بقوله (ص): «مه يا عمر، فانه بصير»...

٤- وهناك أيضاً موقف عمير في قومه، الذي أدى إلى أن يعزفهم الاسلام، ويسلم منهم رجال...

فان في ثقة عمير بنفسه وبدينه، وصلابته في التعبير عن هذه الثقة، حتى لقد صرح لهم: أنه لم يعد يخشى أحداً على الاطلاق... إن في ذلك... ما يجعل كل من يتردد في قبول الاسلام، بسبب خوفه وضعف نفسه... يشعر



بأن بإمكانه أن يجد في الاسلام نصيراً ومعيناً وحامياً له، ولم يعد ثمة ما يبرره موقفه السلبي منه... ولأجل هذا نجد: أن عدداً منهم يدخل في الاسلام، حينما شعر بعزّة الاسلام وبقوته في تلك القبيلة...

### دال: ابن الاشرف، وأبوسفيان:

وفي قضية ابن الاشرف يواجهنا سؤال أبي سفيان لكعب عن الدين الحق، ثم محاولة أبي سفيان الاستدلال على أحقية دينه بما تقدم، من أنهم يطعمون الجزور الكوماء، ويسقون اللبن على الماء إلخ... ونحن هنا نسجل مايلي:

١- إن ذلك يؤيد ما قدمناه، من أن العرب كانوا يرون في اليهود مصدراً للمعرفة والثقافة

وذلك لأننا وإن كنا نكاد نطمئن إلى أن أباسفيان لم يكن يجهل بأحقية دين الاسلام، وأنه من أجل مصاديق قوله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم»، وإنما هو يحارب الاسلام من أجل الحفاظ على مصالحه الشخصية، وامتيازاته غير المشروعة ولا المعقولة، التي كرسها العرف الجاهلي الظالم والمنحرف له ولا مثاله...

إلا أننا نعتقد: أن أباسفيان كان يهدف من سؤاله هذا لابن الاشرف اليهودي إلى خداع البسطاء والسذج من قومه وأتباعه، من أجل ضمان استمرارهم معه في حرب الاسلام والمسلمين وجديتهم في ذلك...

٢- إننا نلاحظ: أن كرم العرب هو أقصى ما استطاع أن يأتي به أبوسفيان كدليل على أحقية دينه... وقد تقدم في أوائل هذا الكتاب ما يرتبط بما عرف عن العرب من ميزات وخصائص فلا نعيد...

### هاء: تساؤل حائر:

إنهم يذكرون: أن النبي (ص) قد أعلن بشكل عام رغبته في قتل ابن الاشرف، فقال: من لي بابن الاشرف، فانتدب له محمد بن مسلمة... ثم يذكرون كيفية احتياهم عليه، وقتلهم له...

ولكن السؤال هنا هو: كيف يعلن النبي ذلك ، ثم لا يصل الخبر إلى مسامع ابن الاشراف عن طريق مشركي المدينة أو يهودها، أو على الاقل مناقبها؟!... وكيف جازت عليه حيلتهم بهذه السهولة، وهو يعلم: أنه محارب؟!...!

وعن محمد بن مسلمة ودوره في قتل ابن الاشراف تساور ناشكوك وشكوك ... فان من يراجع كتب السيرة يلاحظ: أن ثمة كثيراً من التركيز على دوره في هذه القضية، مع أن من يتأمل في وقائعها لا يجد له كبير أثر فيها، بل الدور الأكبر هو لأبي نائلة. وابن مسلمة لو كان معهم، فانما كان كغيره ممن كان...

كما ويلاحظ: أن ثمة اهتماماً في اعطائه بعض الأدوار الهامة في الدفاع عن الاسلام، والدين... ونحن نشك في ذلك ، ولانستبعد أن يكون للسياسة يد في هذا الامر، وإظهاره على أنه رجل شجاع، مناضل، مخلص الخ... في مقابل الآخرين ممن تهم السلطة بايجاد بدائل لهم وعنهم... فان محمد بن مسلمة كان ممن امتنع عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام— كما في كتاب سليم بن قيس، وخلفاء ابن قتيبة، وفيه: أن علياً عليه السلام قال لعمار رحمه الله: «ذنبني إلى محمد بن مسلمة: أتي قتل أخاه يوم خيبر، مرحب اليهود» (ولعله كان أخاه من الرضاعة). وفي شرح المعتزلي: أنه كان من المهاجرين لبيت فاطمة عليها السلام، وأنه هو الذي كسر سيف الزبير... وكان أيضاً: أحد ثقات الخليفة الثاني ومعتديه، كما نص عليه البلاذري وغيره (١) كما أن عمر قد بعثه إلى الشام في مهمة قتل سعد بن عبادة كما يقول التستري (٢)...

### واو: التنافس القبلي:

ولقد رأينا: أن التنافس القبلي بين الأوس والخزرج، حينما وظف في

(١) — الزهد والرقائق لابن المبارك ص ١٧٩.

(٢) — راجع في كل ذلك: قاموس الرجال ج ٨ ص ٣٨٨.

خدمة الاسلام والمسلمين آتى ثماراً خيرة... فكان قتل الخزرج لابي رافع واحدة من تلك الثمار، وكان هو النتيجة البتاءة الطبيعية لهذا التنافس، الذي سعى النبي (ص) إلى تغيير منطلقاته وأهدافه، لتكون في خدمة الدين والحق والخير للانسان، الفرد والجماعة على حد سواء...

### زاي: جهل وغرور ابن الاشرف:

إن غرور كعب بن الاشرف، واعتداده الزائد بنفسه حتى ليقول لزوجته عن أبي نائلة: إنه لو وجده نائماً لما أيقظه، والأهم من ذلك جهله بالتغيير الجذري الذي يحدثه الاسلام في نفس وفي شخصية الانسان... إن كل ذلك... هو الذي أوقعه في الفخ الذي نصبه له أولئك المجاهدون البواسل، الذين نذروا أنفسهم لخدمة دينهم الحق...

ولو أنه كان قد أدرك ما كان حويصة قد أدركه في أخيه محيصة، وعاش الواقع الحي الذي يواجهه، وحاول أن يتفاعل معه، وتخلّى عن عنجهيته وغروره لما كان ينبغي أن يسبقه حويصة إلى التشرف بالاسلام.

### حاء: الاسلام والانسان:

وقد سبق: أن حويصة حينما عرف أن هذا الدين قد بلغ بأخيه: أنه لو أمره الرسول بقتل أخيه لقتله، أدرك أحقية هذا الدين، وتشرف بالدخول فيه...

وسبق كذلك: أن أحد الاخوة يبارز أخاه في صفين، ويلقيه على الأرض، ويجلس على صدره ليذبحه، فلما رأى وجهه عرف أنه أخاه، ولكنه بقي مصراً على قتله، رغم تدخل الآخرين، ولم يقبل أن يتركه إلا إذا أذن له أمير المؤمنين عليه السلام، فأذن له، فتركه حينئذ...

كما أن هذه الدرجة من اليقين هي التي دعيت عبد الله بن عبد الله بن أبي الـ: أن يستأذن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في قتل أبيه المنافق... إلى غير ذلك من الامثلة التي لا مجال لاستقصائها.

نعم... وهذا اليقين هو ما أشار إليه عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه، حينما قال عن الجيش الذي جاء لمحاربة أمير المؤمنين: والله، لوقاتلونا حتى ابلغونا سعفات هجر لعلمنا: أننا على الحق وأنهم على الباطل...

فعمار لم ير النصر العسكري، والقوة العسكرية مقياساً للحق والباطل، كما هو شأن ضعاف النفوس... بل هو يجعل النصر والهزيمة رهن الحق والباطل. فالحق منتصر دائماً، حتى حينما يكون منهزماً عسكرياً وسياسياً، والمبطل هو المنهزم، وإن كان منتصراً على الصعيد العسكري وغيره في ظاهر الأمر...

نعم... إن قضية حويصة ومحبيصة... تمثل لنا الشخصية التي يريد الاسلام، واستطاع الرسول الاعظم (ص) والائمة من بعده: أن يصنعوا منها نماذج متفوقة، تعتبر حب الله متفوقاً على كل حب، ورابطة العقيدة تسموا على كل رابطة (١).

ولكن لم تستطع سائر الاجهزة الحاكمة: أن تصنع ولو نموذجاً واحداً من هذا القبيل، حتى ولو في المستوى الأدنى... وإذا ما لوحظ وجود فرد يتجه في هذا السبيل، فانك ستجده يرتبط بأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، بنحو من الارتباط والاتصال...

وبعد ماتقدم... فاننا لا بد وأن نفسح المجال أمام الحديث عن المرحلة الثانية هنا، فالى الصفحات التالية:

(١) - راجع مقال: الحب في التشريع الاسلامي في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام، أول الجزء الثاني.

## الفصل الخامس:

حروب علنية بين المسلمين واليهود



## قریش... تحرض اليهود على نقض العهد:

قال عبدالرزاق: «وكتب كفار قریش بعد وقعة بدر إلى اليهود: «انکم أهل الحلقة والحصون، وانکم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن کذا وکذا. ولا یحول بیننا وبين خدم نساءکم، وهو الخلاخل - [شیء] - فلما بلغ کتابهم لليهود أجمعت بنو النضیر [على] الغدر إلخ...»

ثم یدکر قضية غدر بني النضیر... وما جرى بينهم وبين المسلمین (١).

ونحن نستقرب أن یكون بنو قینقاع هم أول من استجاب لطلب قریش هذا، ولاسیما وأن قریشاً قد کتبت لهم بعد بدر، وكان نقض بني قینقاع للعهد بعد بدر أيضاً... أما قضية بني النضیر فقد كانت فی السنة الرابعة بعد أحد، كما هو معلوم...

كما أن المؤرخین یقولون: إن بني قینقاع لما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد، ونبذوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي (ص): أن لا یحاربوه، وأن لا یظاهروا علیه عدوه، ونبذوه إلى رسول الله (ص)، وكانوا أول من غدر من اليهود...

## تصعيد التحدي:

قالوا: وكان بنو قینقاع أشجع وأشهر قوم من اليهود، واكثر اليهود

(١) - المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٥٩.

أموالاً، وأشدهم بغياً، وكانوا صاغة، وكانوا حلفاء لعبدالله بن أبي، وعبادة بن الصامت...

فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم، إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوقهم (١)؛ فجلست عند صائغ منهم، لأجل حلي لها؛ فأرادوها على كشف وجهها، فأبت. فعمد الصائغ، وأرجل آخر إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي لا تشعر... فلما قامت انكشفت سوأتها؛ فضحكوا منها؛ فصاحت، فوثب مسلم على من فعل ذلك فقتله، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستنصر أهل المسلم بالمسلمين، فغضب المسلمون؛ وقال (ص): «ما على هذا قررناهم»؛ فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله ورسوله، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار...

وتمسك ابن أبي بالخلف، وأصر على الرسول (ص) بتركهم، وقال: إنه امرؤ يخشى الدوائر، فنزل فيه قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض... إلى قوله تعالى: فان حزب الله هم الغالبون (٢)».

فجمعهم النبي (ص) في سوقهم، وقال لهم: «يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة، واسلموا؛ فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم، وعهد الله اليكم.»

قالوا: «يا محمد، إنك ترى أننا قومك؟! ولا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت لهم فرصة. إنا والله، لو حاربناك، لتعلمن أننا نحن الناس.»

فأنزل الله تعالى: «قل للذين كفروا: ستغلبون... إلى قوله: لعبرة

(١) - راجع هذه القضية في: الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٧ و ١٣٨، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٤٥٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٨.

(٢) - راجع: الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩١/٢٩٠ عن: ابن اسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر، وابن أبي شيبه.



لأولي الابصار(١)» وقوله: «واما تخافن من قوم خيانة؛ فانبذ إليهم على سواء(٢)». كذا يقولون.

فتحصن بنو قينقاع في حصونهم... فاستخلف(ص) على المدينة أبا لبابة، وسار إليهم، ولواؤه الابيض (أوراية العقاب السوداء) يحمله أميرالمؤمنين عليه السلام (وقولهم: بيد حمزة ينافيه ماسيأتي من الادلة الكثيرة على أن علياً(ع) كان صاحب لواء رسول الله(ص) في كل مشهد).

وحاصرهم النبي(ص) خمس عشرة ليلة، ابتداء من النصف من شوال السنة الثانية... أوفي صفر سنة ٣، (وهو بعيد بملاحظة: أنهم إنما غضبوا من انتصار المسلمين في غزوة بدر).

وقذف الله في قلوبهم الرعب. وكانوا أربعمائة حاسر، وثلاثمأة دارع؛ فسألوا رسول الله (ص): أن يخلي سبيلهم، ويجليهم عن المدينة، وأن لهم نساءهم والذرية، وله الأموال والسلاح. فقبل(ص) منهم، وفعل بهم ذلك، وأخذ أموالهم وأسلحتهم، وفرقها بين المسلمين، بعد أن أخرج منها الخمس، وأجلاهم عن المدينة إلى أذرعات (بلد بالشام).

فيقال: إنه لم يدر عليهم الحول حتى هلكوا...

وفي نص آخر: أنهم أنزلوا من حصونهم وكتفوا، وأراد(ص) قتلهم، فأصرابن أبي عليه(ص): أن يتركهم له بحجة: أنه امرؤ يخشى الدوائر، أربعمائة حاسر، وثلاثمأة دارع، قد منعه من الاحمر والاسود، على حد تعبيره... فاستجاب النبي(ص) الى طلبه واصراره، وأجلاهم... ونزل في ابن أبي قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض... إلى قوله: حزب الله هم الغالبون(٣)».

(١) - آل عمران ١٢.

(٢) - الأنفال ٥٨.

(٣) - المائدة ٥٦.

وقبل أن نمضي في الحديث لابد من تسجيل النقاط التالية:

### ألف: نزول الآية في ابن أبي:

إن نزول قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء إلخ... في ابن أبي محل شك، وذلك لما يلي:

١- إن ابن أبي لم يكن مؤمناً، والآية تخاطب الذين آمنوا. هذا بالإضافة إلى ذكر النصارى في الآية، ولم يكن للنصارى دور في قضية بني قينقاع.

الا ان يقال: إن الخطاب للمؤمنين وذكر النصارى إنما هو لاعطاء قاعدة كلية، وتحذير المؤمنين من موقف يشبه موقف ابن أبي... فما فعله ابن أبي كان سبب نزول الآية في تحذير المؤمنين من موقف كهذا...

٢- إن الظاهر بل المصرح به هو أن سورة المائدة قد نزلت جملة واحدة في حجة الوداع سنة وفاته (ص)، وقضية بني قينقاع إنما كانت قبل أحد... فهل تأخر نزول الآية عن مناسبتها ما يقرب من ثمانية سنين؟!..

٣- إن آية: «إنما وليكم الله ورسوله إلخ...» موجودة في ضمن الآية المدعى نزولها في ابن أبي في هذه المناسبة... مع أنه قد تواترت الروايات في أن هذه الآية قد نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام في غدير خم المبارك...

### حقيقة القضية:

ولعل هذا هو السر في دعوى نزول مجموع الآيات في هذه المناسبة، أي من أجل التشبيه والتضليل للسذج والبسطاء وتشكيكهم في قضية الغدير، التي كانت ولا تزال الشوكة الجارحة في أعين شائني علي عليه السلام ومبغضيه...

فالظاهر هو أن هذه الآيات قد نزلت لتحذير المسلمين من الاتجاه الذي كانت بوارده تظهر وتحتفي بين الحين والحين، من الاندفاع نحو اهل الكتاب بصورة عامة... حتى لقد كان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

وسلم نفسه يواجه بعض ما يعبر عن هذا الاندفاع نحو الثقافة اليهودية، والخضوع لهيمنة فكر أهل الكتاب عموماً!! وقد رأى النبي (ص) في يد عمر (رض) ورقة من التوراة، فغضب، حتى تبين الغضب في وجهه، ثم قال: ألم آتكم بها بيضاء نقية؟! والله، لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي... وفي رواية أمهوكون فيها يابن الخطاب؟ إلخ وفي أخرى: أن عمر نسخ كتاباً من التوراة بالعبرية، وجاء به، فجعل يقرؤه على رسول الله (ص) (١).

وقد ازداد ذلك عنفاً وقوة بعد وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم... وهذا موضوع هام جداً، ومنتشعب الأطراف... حيث إن آثار التأثير بأهل الكتاب قد ظهرت بشكل أو بآخر في كثير من المجالات: العقائدية، والفكرية، والفقهية، وغير ذلك... وقد كنا بدأنا نبحث هذا الموضوع، وتوصلنا فيه إلى العديد من النتائج المذهلة على صعيد الفكر، والسياسة، والعقيدة، والتشريع نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتمامه انه ولي قدير...

### باء: حول الراية:

إن الظاهر: هو أن الراية في هذه الحرب كانت سوداء، لأن هذه هي راية حرب وغضب رسول الله (ص) على أهل الكفر والشرك والضلال، فيقول الكميت مشيراً إلى ذلك:

وإفار فعوا الرايات سوداً على أهل الضلالة والتعدي.

وقد كانت رايته (ص) يوم فتح مكة سوداء، وكانت راية امير المؤمنين عليه السلام في حربه لاعدائه سوداء أيضاً، إشارة إلى أن من يحاربهم عليه السلام لا يفترقون عن حاربهم الرسول (ص) فيما سبق...

كما أننا قد قلنا: اننا سنشير في أوائل غزوة أحد إلى أن حامل لواء

(١) — راجع مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٦ واضواء على السنة المحمدية ص ١٦٢ والاسرائيليات في التفسير والحديث ص ٨٦ وفتح الباري ج ١٣ ص ٢٨١ عن ابن أبي شيبة واحمد، والبزار ومسنند أحمد ج ٣ ص ٣٨٧ وغير ذلك من المصادر الكثيرة.

النبي (ص) في جميع حروبه هو أمير المؤمنين عليه السلام... فكل ما يذكر خلاف ذلك ما هو إلا عريضة وتضليل...

وأما أن راية العقاب كانت قطعة من برد لعائشة، كما ذكره الحلبي (١)... فنحن نشك في ذلك، لأنه هو نفسه قد ذكر في وقعة خيبر: ان « المقرزي لما ذكر رتب الرياسة في الجاهلية، ذكر: أن العقاب كان في الجاهلية راية تكون لرئيس الحرب، وجاء الاسلام وهي عند أبي سفيان، وجاء الاسلام والسدانة واللواء عند عثمان بن أبي طلحة، من بني عبدالدار (٢)».

والعبارة مشوشة، كما ترى ، ولكنها تدل على أي حال على أن العقاب لم تكن من مرط عائشة... ثم إننا لاندرى لماذا اختار مرط عائشة ليكون راية له!!!...

### جيم: الخمس:

١- إننا نلاحظ: أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد فرق السلاح والاموال التي غنمها من بني قينقاع على المسلمين، مع أنها كانت مما أفاء الله عليه، فهي له دون غيره... ولكنه صلى الله عليه وآله أثر أن يفرقها بين المسلمين بعد اخراج الخمس منها، اعانة لهم، ولطفاً بهم، وعطفاً عليهم...

٢- قالوا: إن خمس بني قينقاع كان أول خمس قبضه رسول الله (ص) (٣).

وهذا محل شك أيضاً، فقد تقدم قولهم: إنه قد خمس ماغنمه المسلمون من المشركين في غزوة قرقرة الكدر... وكذا قيل في غزوة بدر، وفي سرية ابن جحش.

(١) - السيرة الحلبي ج ٢ ص ٢٠٩.

(٢) - السيرة الحلبي ج ٣ ص ٣٥/٣٦.

(٣) - تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٧٤.

وتوجيه ذلك بأن المراد هنا: أنه أول خمس قبضه، وفيما تقدم كان (ص) لا يقبض الخمس، وإنما يرده على المسلمين... ضعيف... فقد سبق في غزوة بدر: أنه (ص) قديقي يقسم الخمس على المسلمين بعد ذلك أيضاً، حتى في غزوة حنين... وبعدها كما أشير إليه في بعض النصوص المتقدمة، فراجع...

## دال: بعض أهداف ونتائج حرب بني قينقاع:

ان حرب المسلمين لبني قينقاع، وهم اشجع اليهود، واكثرهم مالاً، والقضاء عليهم معناه:

١- أنه (ص) لا يريد أن يفسح المجال لهم - كما يقول الحسني - لأن «يطمعوا به، ويكتلوا حولهم من يشاركهم الرأي من المنافقين والاعراب»، لأن صبر النبي (ص) عليهم، وامره للمسلمين بالتحمل مهما أمكن، جعل اليهود يظنون: أن هذا ناتج عن ضعف وخور فاستمروا في تحرشاتهم (١).

٢- أن يسهل القضاء على الآخرين من الاعداء، ممن هم اقل منهم قوة وعدداً، وعدة ومالاً... لانهم إذارأوا: ان اصحاب الشوكة لم يستطيعوا ان يأتوا بشيء؛ فانهم سوف يقتنعون بانهم - وهم الاضعف - اولى ان لا يأتوا بشيء ايضاً...

٣- ان ماغنمه المسلمون من بني قينقاع، من شأنه ان يزيد من طموح المسلمين للقضاء على اعدائهم، ويسهل عليهم الوقوف في وجههم؛ حيث يرتاح بالهم من جهة معاشهم، ولا يبقى مامن شأنه ان يشغل بالهم، ويستبد بتفكيرهم...

٤- كما ان ذلك إنما يعني التخلص من عدوداخلي يعرف مواضع الضعف والقوة. وربما يكون اخطر من ذلك العدو الخارجي بكثير.

٥- اننا نلاحظ: ان القضاء على اليهود كان يتم على مراحل، وذلك بطبيعة الحال اسهل وايسر من القضاء عليهم، فيما لو كانوا مجتمعين، دفعة واحدة، وفي صعيد واحد، يعين بعضهم بعضاً.

٦- والمسلمون ايضا، إذا رأوا أنفسهم قد استطاعوا القضاء على اشجع اليهود، واكثرهم قوة ونفوذاً، فانهم سوف يتشجعون للقضاء على من سواهم، ولا يبقى مجال للخوف ولا للتردد.

### هاء: الحجاب:

ان قضية المرأة التي ارادوها على كشف وجهها، تدل بشكل قاطع على ان الحجاب قد كان مفروضاً حينئذ، اي في السنة الثانية للهجرة، مع ان المعروف هو: ان الحجاب قد فرض بعد ذلك بعدة سنين. فان صحت هذه الرواية، فذلك القول يكون في غير محله.

الا ان يقال: ان المراد: أن فرض الحجاب وإيجابه كان في سنة خمس، او بعدها... وهذا لا ينافي ان يكون الالتزام بالحجاب، على اعتباره امر راجح وحسن كان قبل ذلك بسنين. وذلك اتباعاً لتوجيهات النبي (ص)، وترغيباته، ودعوته الى ذلك؛ اذ لا يبعد ان يكون تشريع الحجاب قد جاء تدريجياً؛ لتقبله النفوس، وتألفه العادة. ولا سيما إذا لاحظنا: انه ربما كان امراً صعباً على نساء الجزيرة العربية، اللواتي يعشن في جوحار جداً، كما هو معلوم.

### واو: الغرور... والايان:

اننا نلاحظ: انه (ص) لا ينسب انتصاراته الساحقة على المشركين إلى نفسه، أو الى جيشه... ولا يسمح لنفسه بأن تتوهم: أنها هي التي انتصرت بالقوة، والعدة، والعدد، او بالعسكرية الحربية؛ فان الانتصار الذي سجل في بدر مثلاً لم يكن في المقاييس المادية انتصاراً. وانما هو معجزة الهية، لا يمكن لأحد ان يحترم نفسه إلا ان يدعن إلى هذه الحقيقة، ويسلم بها... وهذا هو ماقره الله تعالى بقوله: ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة... آل عمران ١٢٣.

كما انه تعالى قد تعرض لحالة العجب بالنفس في حنين، فقال: لقد نصركم الله في مواطن كثيرة، و يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتمكم فلم تغن عنكم من الله شيئاً (التوبة ٢٥).

هذا بينما نجد بني قينقاع مغترين بقوتهم وشوكتهم، حتى قالوا له: لوحار بناك لتعلمن: انا نحن الناس... فوعدهم الله بالهزيمة والخذلان... و صدق الله وعده، فزاد ذلك من يقين المؤمنين وتصميمهم، ومن ذل الكافرين وخزيمهم.

### زاي: الاستجابة لابن أبي:

وان استجابة النبي(ص) لابن أبي في بني قينقاع كانت تهدف إلى الحفاظ على الجبهة الداخلية من التصدع. ولولا ذلك فلربما كان ينتهي الامر إلى النزاعات المكشوفة، والمواجهات العلنية، الأمر الذي لم يكن في صالح الاسلام والمسلمين في تلك الفترة؛ فان الابقاء على العلاقات الحسنة مع المنافقين في تلك الفترة كان أمراً ضرورياً؛ لكسب أكبر عدد منهم في المستقبل، عن طريق التآليف والترغيب، وكذلك من ابنائهم، ثم توفير الطاقات لعدو أشد وأعتى... كما أن اجلاء بني قينقاع، كما أنه يعتبر ضربة نفسية لغيرهم من اليهود كذلك هو يعتبر اضعافاً لابن أبي ومن معه من المنافقين.

### حاء: بنو قينقاع تحت الاضواء:

وأما لماذا تجرأ بنو قينقاع على نقض العهد... فالظاهر: أن ذلك يرجع: إلى غرورهم واعتدادهم بشجاعتهم، وبكثرتهم، ولعلمهم كانوا يتوقعون نصر حلفائهم من الخزرج لهم، كما يظهر من قولهم له(ص): لتعلمن أنا نحن الناس... ثم هناك اعتمادهم على ما يملكونه من خبرة عسكرية، ومعرفة بالحرب، وقد عبروا عن ذلك أيضاً بقولهم له(ص): لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب...

وإلا... فاننا لانرى مبرراً لأن تعلن قبيلة واحدة الحرب على كثير

من القبائل في المدينة، إن لم تكن تملك شيئاً من مقومات النصر المحتمل... ولكن كثرتهم وخبرتهم الحربية لم تغن عنهم شيئاً، كما إن حلفاءهم من الخزرج إما تخلوا عنهم؛ لأن الوفاء لهم خيانه لعقيدهم ومبديهم، الذي يبذلون أرواحهم في سبيل الحفاظ عليه... وإما أنهم لم يتمكنوا من نصرهم، بسبب ما قذف الله في قلوبهم من الرعب، وكون ذلك سوف يتسبب لهم بانشقاقات وخلافات داخلية... وأقصى ما استطاع ابن أبي أن يقدمه لهم، هو أن يمنع من استئصالهم، مع الاكتفاء باجلائهم إلى مناطق بعيدة لن يمكنهم الصمود فيها أكثر من سنة، وليواجهوا من ثم الفناء والهلاك.

وأما لماذا لم يهب اليهود لنصرة بني قينقاع... فإن ذلك يرجع إلى أنه قد كان بينهم وبين سائر اليهود عداوة، وذلك لأن اليهود كما قال ابن اسحاق: «كانوا فريقين، منهم بنو قينقاع ولفهم (١)، حلفاء الخزرج. والنضير وقرية ولقهم حلفاء الاوس، فكانوا إذا كانت بين الاوس والخزرج حرب، خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقرية مع الاوس. يظهر كل من الفريقين حلفاءه على اخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان: لا يعرفون جنة ولا ناراً ولا بعثاً ولا قيامة، ولا كتاباً، ولا حلالاً، ولا حراماً؛ فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم، تصديقاً لما في التوراة، وأخذ به بعضهم من بعض، يفتدي بنو قينقاع من كان من أسراهم من أيدي الاوس، وتفتدي النضير وقرية ما في أيدي الخزرج منهم، ويطلون ما أصابوا من الدماء وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشرك عليهم (٢)».

وكانوا بذلك مصداقاً لقوله تعالى وهو يخاطب اليهود: «وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم، ثم أقررتم وانتم تشهدون. ثم انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم، وتخرجون فريقاً منكم من

(١) - لفهم: أي من يعدفهم.

(٢) - السيرة النبوية، لابن هشام ج ٢ ص ١٨٨/١٨٩.



ديارهم، تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم، وهو محرم عليكم اخراجهم (١)».



## الباب الثامن:

غزوة أحد... وحتى السنة الرابعة من الهجرة

- الفصل الأول: قبل نشوب الحرب  
الفصل الثاني: نصر وهزيمة  
الفصل الثالث: في موقع الحسم  
الفصل الرابع: بعد ما هبت الرياح  
الفصل الخامس: غزوة حمراء الاسد، وإلى السنة الرابعة...

كلمة أخيرة:



# الفصل الأول:

قبل نشوب الحرب



## غزوة أحد:

### أجواء ومواقف:

وفي سنة ثلاث - وشذ من قال في سنة أربع - في شوال يوم السبت على الأشهر - كانت غزوة أحد، وهو جبل يبعد عن المدينة حوالي فرسخ...

وذلك أن نتائج حرب بدر كانت قاسية على مشركي مكة، ومفاجأة لليهود والمنافقين في المدينة... فقر يش لا يمكن أن تهدأ حتى تتأثر لكرامتها، ولمن قتل من أشرفها... حتى لقد أعلنوا المنع عن بكاء قتلاهم؛ لأن ذلك يذهب الحزن، ويطفئ هيب الأسي من جهة... ولأنه يدخل السرور على قلوب المسلمين من الجهة الأخرى... ولكنهم عادوا فتراجعوا عن هذا القرار؛ فسمحوا للنساء بالبكاء؛ لأن ذلك - بزعمهم - يثير المشاعر، ويذكر الرجال بالعار الذي لحق بهم...

ومضت قریش تستعد لقتال محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتعبئ النفوس، وتجهز القوى الحربية لأخذ الثار، ومحو العار.

ومضى اليهود الذين أصبحوا يخافون على مركزهم السياسي، والاقتصادي في المنطقة، والثقافي أيضاً يخرضون المشركين على الثار ممن وترهم... وأعلنوا بالحق، ونقض العهد... حتى كالمسلمون ضربات صاعقة، هذت كيانهم، وجرحت كبرياءهم وغرورهم...

ومن جهة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن معه من المسلمين؛ فانهم لن يتخلوا عن الكعبة، ولن يتركوا قریشاً وخطرتهم وغرورها، ولاسيا بعد تعديها عليهم، وظلمها القبيح لهم، حتى اضطروهم ظلمها وتعديها إلى الهجرة من ديارهم، تاركين لها كل مايلكون...

وكذلك ... فان النبي (ص) قد حاصر قریشاً بمعاهداته للقبائل التي في المنطقة، ومواد عاته لها، وأصبح يسيطر على طريق تجارتها ولم يعد آمنهاها، وبكلمة... لقد أصبحت ترى نفسها بين فكي «كماشة»... فلا بد لها إذن من كسر هذا الطوق، وتجاوز هذه المأزق... وهذا ما عبر عنه ذلك الزعيم القرشي - كما تقدم في سرية القردة - بقوله لقريش:

«إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا؛ فاندري مانصنع بأصحابه، وهم لا يرحون الساحل، وأهل الساحل قدوا دعوهم؛ فاندري أين نسكن. و إن أفنا في دارنا هذه اكلنا رؤوس اموالنا، فلم يكن لنا بقاء. وحياتنا بمكة تقوم على التجارة إلى الشام في الصيف، و إلى الحبشة في الشتاء».

### جيش المشركين إلى أحد:

وكانت العير التي كانت وقعة بدر من أجلها - وهي ألف بعير كما قالوا - قد بقيت سالمة ومحتبسة في دار الندوة. واتفقوا مع أصحابها على أن يعطوهم رؤوس أموالهم، وهي خمسة وعشرون أو خمسون الف دينار - على اختلاف النقل - ويصرف الربح في قتال المسلمين... وكان كل دينار يربح ديناراً، وهو مبلغ هائل في وقت كان للمال فيه قيمة كبيرة، والقليل منه يكفي للشيء الكثير...

وبعثوا الرسل إلى القبائل يستنصرونهم، وحركوا من أطاعهم من قبائل كنانة، وأهل تهامة... واشترك الشاعر أبو عزة الجمحي في تحريض القبائل على المسلمين، وهو الذي اسر في بدر، ومن عليه النبي (ص) بشرط أن لا يظاهر عليه - وقد شارك في ذلك



بعد أن ألح عليه صفوان بن أمية، وضمن له إن يرجع من أحد أن يغنيه، وإن أصابه شيء أن يكفل بناته...

وخرجت قريش بجدها وجدّها، وأحايبشها ومن تابعها...

وأخرجوا معهم بالظعن خمس عشرة امرأة، فيهن هند بنت عتبة، لثلاً يفروا، وليذكرهم قتلى بدر. يغنين ويضربن بالدفوف ليكون أجدهم في القتال.

وخرج معهم الفتيان بالمعازف، والغلمان بالخمور، وكان جيش المشركين ثلاثة آلاف مقاتل، وقيل: خمسة آلاف، ونحن نرجح الأول؛ لقول كعب بن مالك:

ثلاثة آلاف ونحن نصيبه ثلاث مئين إن كثرنا وأربع (١)

أي: وأربع مئين:

وكان في جيش المشركين سبعمائة دارع، ومئتا فارس على المشهور وقيل: مئة. ومئة رام. ومعهم الف— وقيل ثلاثة آلاف— بعير، ولا يبعد صحته. كلهم بقيادة أبي سفيان الذي صار زعيم قريش بعد قتل أشرفها في بدر...

وكان معهم أبو عامر الفاسق، الذي كان قد ترك المدينة إلى مكة مع خمسين رجلاً من أتباعه من الاوس كراهية لمحمد، خرج إلى مكة يحرض على رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقول لهم: إنهم على الحق، وما جاء به محمد باطل... فسارت قريش إلى بدر، ولم يسر معهم، وسار معهم إلى أحد، وكان يزعم لهم: إنه لو قدم على قومه لم يختلف عليه اثنان منهم، فصد قوه، وطمعوا في

(١) — البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٠٧... نعم يمكن أن يكون عمدة الجيش ثلاثة آلاف، ومعهم من العبيد والخدم— وهم مقاتلون أيضاً— ألفان... بل في البحار ج ٢٠ ص ١١٧: أن أباسفيان قد استأجر الفين من الأحايبش...

نصره، ولكن الامر كان على عكس ذلك كما سنرى.

وكان مع المشركين أيضاً: وحشي غلام جبير بن مطعم، الذي وعده سيده بالحرية إن هو قتل محمداً، أو علياً، أو حمزة، بعمه طعيمة بن عدي؛ فانه لا يدرى في القوم كفواً له غيرهم (١).

فقال وحشي له— أو لهند—: اما محمد؛ فلن يسلمه أصحابه، وأما حمزة فلو وجدته نائماً لما أيقظته من هيبته، أما علي فانه حذر مرس، كثير الالتفات... وسيأتي: أنه تمكن من الغدر بحمزة، اسدالله واسد رسوله.

### سؤال...

ويرد هنا سؤال: وهو انهم إذا كانوا قد أخرجوا معهم النساء لثلاً يفرّوا، فلماذا فروا حين حميت الحرب وتركوا النساء؟!...

والجواب عن ذلك سيأتي... حين الكلام على هذا الموضوع، ان شاء الله تعالى...

### وصول الخبر إلى المدينة:

و يقولون: إن العباس بن عبدالمطلب كتب إلى النبي (ص) يخبره بمسير قريش، و بكيفية أحوالهم وبعدهم، مع رجل غفاري، على أن يصل إلى المدينة في ثلاثة أيام، فقدم الغفاري المدينة، وسلم الكتاب إلى النبي (ص)، وهو على باب مسجد قباء، فقرأه له أبي بن كعب، فأمره (ص) بالكتمان.

ووقعت الارجيف بالمدينة. وقال اليهود: إن الغفاري ماجاء بخبر يسر محمداً... وفشا الخبر بخروج المشركين قاصدين المدينة بعدتهم وبعدهم، هكذا قالوا...

ولكننا نجد في مقابل ذلك: أن الواقدي يذكر: أن نفرأ من خزاعة

فيهم عمرو بن سالم سروا من مكة أربعاً، فوافوا قريشاً وقد عسكروا بذي طوى، فلما وصلوا المدينة أخبروا رسول الله (ص) الخبر، ثم انصرفوا، ولقوا قريشاً ببطن رابغ.

على أربع ليال من المدينة...

فقال أبوسفيان: أحلف بالله، إنهم جاؤا محمداً فخبروه بمسيرنا، وعددنا، وحذروه منا، فهم الآن يلزمون صياصيمهم، فما أرانا نصيب منهم شيئاً في وجهنا... فقال صفوان بن أمية: إن لم يصحروا لنا عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه، فتركناهم ولا أموال لهم؛ فلا يختارونها أبداً. وإن اصحروا لنا فعددنا أكثر من عددهم، وسلاحنا أكثر من سلاحهم، ولنا خيل، ولا خيل معهم، ونحن نقاتل على وترلنا عندهم، ولا وترهم عندنا (١).

وقد يقال: لآمانع من أن يكون الخبر قد وصل إلى النبي من قبل الغفاري، ومن قبل هؤلاء معاً...

وقبل أن نمضي في الحديث لا بد وأن نشير إلى النقاط التالية:

### ألف: سؤال يحتاج إلى جواب:

إننا لا بد وأن نتساءل: كيف قبلت قريش باقامة العباس في مكة مسلماً— حيث يقال إنه اسلم في بدر— وقريش لم تكن لترحم ابناءها وابناءها إذا علمت باسلامهم، ولا سيما بعد تلك النكبة الكبرى التي أصابها على يد ابن أخيه في بدر، حيث قتل ابناءها وآباءها وأشرافها؟. إلا أن يقال: إنه كان مسلماً سراً وقد تقدمت بعض التساؤلات حول وضع العباس في مكة في غزوة بدر، فلانعيد...

### باء: المشركون... وأزمة الثقة:

ويلاحظ هنا: أن أباسفيان لم يكن يثق بمن هم على دينه، ولا يستطيع أن يعتمد عليهم، ولذلك نراه يبادر إلى اتهامهم بأنهم قد أخبروا محمداً

بمسيرهم، وعددهم، وحذروه منهم...

وقد اشير إلى هذه الحالة في حديث سدير، قال: قلت لأبي عبد الله: إنى لا لقي الرجل لم أره ولم يرني فيما مضى قبل يومه ذلك؛ فأحبه حباً شديداً، فإذا كلمته وجدته لي مثلما أنا عليه له، ويخبرني: أنه يجدي مثل الذي أجد له، فقال: صدقت يا سدير، إن ائتلاف قلوب الابرار إذا التقوا، وإن لم يظهروا التودد بالسنتهم، كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الانهار، وإن بعد ائتلاف قلوب الفجار إذا التقوا، وإن اظهروا التودد بالسنتهم، كبعد البهائم عن التعاطف، وإن طال اعتلافها على مذود واحد(١).

ويمكن ان يستفاد هذا المعنى ايضاً من بعض الآيات القرآنية، قال تعالى:

«لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك، ولذلك خلقهم» هود ١١٩.

وقال تعالى: «والف بين قلوبهم، لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم، ولكن الله آلف بينهم انه عزيز حكيم» الانفال ٦٣. وقال: «واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم؛ فاصبحتم بنعمته اخوانا» آل عمران ١٠٣...

وموجز القول في سر ذلك: وقد اشار العلامة الطباطبائي إلى ذلك ايضاً... ولسوف نكتفي بتلخيص كلامه لما فيه من الخصوصيات، وإن كان أصل الكلام قد كان محط نظرنا ايضاً:

إن الكفار انما يلتقون على مصالحهم الدنيوية الشخصية، ويتفقون ويختلفون على اساسها؛ وذلك لان الانسان يحب بطبعه ان يخص نفسه بالذائد والنعم، وعلى هذا الاساس يجب هذا ويغض ذاك. وحيث انه لا يستطيع ان يلبي كل ما يحتاج إليه من ضروريات حياته؛ فإنه لا بد له من حياة اجتماعية تعينه على ذلك، ويتبادل مع الآخرين ثمرات الاتعاب، حيث ان كل

شخص له مؤهلات تجعله يحتص ببعض الامتيازات لنفسه، من مال، او جمال، او طاقات فكرية، او نفسية او غريزية، او غير ذلك... هذه الامتيازات التي تطمح إليها النفوس ويتنافس فيها البشر عموماً... وبسبب الاحتكاكات المتوالية، وما يصاحبها من وجوه الحرمان والبغى والظلم، والشح، والكرم في هذه الامور التي يتنافسون فيها فان العداوات والصداقات تنتج عن ذلك.

واما محاولات بذل النعم لفاقدتها فانها لا ترفع هذه النزاعات والعداوات وغيرها الا في موارد جزئية، واما الحالة العامة فتبقى على حالها؛ لأن هذا البذل لا يبطل غريزة الاستزادة، والشح الملتب، على ان بعض النعم لا تقبل الا الاختصاص والانفراد، كالملك، والرئاسة، فالشروع، والاحقاد، التي تتولد عن ذلك باقية على حالها...

هذه حالة المجتمع الكافر بالله، الذي لا يؤمن الا بالمصلحة الدنيوية الشخصية، واللذات الحاضرة. ولكن الله قدم على المسلمين، وأزال الشح من نفوسهم: «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»، والف بين قلوبهم وذلك لأنه عرفهم:

أن الحياة الانسانية حياة خالدة، وان الحياة الدنيا زائلة لا قيمة لها، وان اللذة المادية لا قيمة لها، واللذة الواقعية هي ان يعيش الانسان في كرامة عبودية الله سبحانه، ورضوانه، والقرب والزلفى منه تعالى مع النبيين والصديقين، وهناك اللذة الحقيقية الدائمة، قال تعالى: «وما هذه الحياة الدنيا الا لهو و لعب، وان الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون» عنكبوت ٦٤... كما انه لا يملك احد لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياة، بل هو في تصرف الله الذي بيده الخير والشر، والنفع والضرر، والغنى والفقر... وكل نعمة هي هبة من ربه، وما حرم منه احتسب عند ربه أجره، وما عند الله خير وابقى... و إذ لم يعد للمادة قيمة عند المؤمنين؛ فان اسباب الضغن والحقد تزول، ويصبحون بنعمته اخواناً، ولا يبقى في نفوسهم غل، وحسد، ورين (١).

وهكذا يتضح: ان موقف الخزاعيين، وعدم التزامهم بنصر قومهم، والحفاظ على اسرارهم امر طبعى. كما ان سوء ظن ابي سفيان، وعدم ثقته بهم هو ايضاً نتيجة طبيعية للشرك، وعدم الايمان... ومن كل ذلك نعرف أيضاً سر عدم تأثير تشجيع النساء في ثبات المشركين، ولا متعهم عازأسر نسايتهم من الهزيمة، وتركهن في معرض السبي، مع انهم اخرجوهن لهدف هو عكس ذلك تماماً...

ولكن الامر بالنسبة للمسلمين (الحقيقين) كان على عكس ذلك تماماً كما سنرى.

**الثانية:** إننا نلاحظ: ان النبي (ص) يأمر ألبأ بكتمان خبر مسير قريش، ويستفيد من عنصر السرية هنا؛ وذلك حتى لا يفسح المجال امام الحرب النفسية، التي لا بد وأن يارسها اليهود والمنافقون ضد المسلمين... وأيضاً... ليفوت الفرصة عليهم، ويحبط مؤامراتهم المحتملة؛ لانهم في الحقيقة— وهم العدو الواقعي— هم العدو الاخطر، والمطلع على مواطن الضعف والقوة لدى المسلمين... اي ان إعلان الأمر في وقت مبكر لسوف يستدعي اصراراً على معرفة خطة المواجهة مع العدو، وهذا يسهل على المتآمرين والخونة وضع الخطط اللازمة لافشال خطة المسلمين في الدفاع عن أنفسهم. كما أنه يعطي أعداءهم الفرصة لاعلام قريش بالامر، وبكل الخصوصيات اللازمة لمواجهة خطة المسلمين وافشالها، او على الاقل تكبيد المسلمين اكبر عدد ممكن من الخسائر.

وعنصر السرية هذا قد اعتمد النبي (ص) عليه في اكثر من موقف في معركة أحد هذه كما سنرى

### المشركون في طريق المدينة:

ولما انتهت قريش إلى الالبواء ائتمروا في ان ينبشوا قبرأم محمد(ص)، وقالوا: «فإن النساء عورة؛ فان يصب من نسايتكم أحداً، قلت: هذه رمة امك فإن كان برأ بأمه— كما يزعم— فلعمري لنفادينهم برمة أمه، وان لم يظفر بأحد

من نسائكم، فلعمري ليفدين رمة أمه بمال كثير، ان كان بهابراً».

وكانت زعيمة هذا الرأي هند زوجة ابي سفيان، فاستشار ابوسفيان اهل الرأي من قريش، فقالوا: لا تذكر من هذا شيئاً؛ فلو فعلنا نبشت بنوبكر وخزاعة موتانا...

وسارت قريش حتى نزلت بذى الحليفة، وسرحوا ابلهم في زروع المدينة، التي كان المسلمون قد اخلوها من آلة الزرع قبل ذلك... وارسل النبي (ص) بعض العيون لمراقبتهم، وأرسل ايضا عمرو بن الجموح سراً لمعرفة عددهم وعدتهم، وقال له: إذا رجعت فلا تخبرني بين احد من المسلمين، الا ان ترى في القوم قلة، فرجع اليه فاخبره خاليا، وامره الرسول (ص) بالكتمان...

ونشير نحن هنا إلى امرين:

احدهما: ان سبب امره (ص) بذلك واضح، فان معرفة المسلمين بعددهم وعدتهم سوف يثبط من عزائم بعضهم، ممن اعتادوا: أن يقيسوا الامور بالمقاييس المادية، ولم يتفاعلوا بعد مع دينهم وعقيدتهم، بشكل كامل. ولا اطلعوا على تعاليم الاسلام واهدافه، وارتبطوا بها عقليا ووجدانيا، وعاطفيا وسلوكيا، بنحو اعمق واقوى... وإنما دخلوا في الاسلام، اما عن طريق الاعجاب، او القناعة العقلية. ولم يميز على دخولهم فيه الا فترة قصيرة جداً.

الثاني: ان مافكر به القرشيون من نبش قبر أمه (ص) انما يعبر عن مدى الاسفاف الفكري لقريش، حتى انها لتفكر باتباع ابشع اسلوب وادناه في حربها مع المسلمين... وهذا ان دل على شيء، فانما يدل على امور:

احدها: إفلاسهم على صعيد المنطق والفكر، وحتى على صعيد الخلق الانساني، بل والعلاقات والضوابط المعقولة. في المواجهة مع المسلمين، الذين هم القمة في كل ذلك...

الثاني: مدى حقدهم الدفين على الاسلام والمسلمين.

الثالث: مدى عمق الجرح، وعنق الصدمة الساحقة التي تلقتها

قريش في بدر... ولا تزال تتلقاها على صعيد طرق قوافل تجارتها إلى الشام،  
ويحتمل إلى الحبشة أيضاً...

### النبي (ص) يستشير أصحابه:

ويقولون: إنه لما نزل المشركون قرب المدينة، وبث المسلمون الحرس  
على المدينة، وخصوصاً مسجد الرسول، وأراد (ص) الشخص، جمع (ص)  
أصحابه للتشاور في امر جيش لم يواجه المسلمون مثله من قبل، عدة وعدداً.

ويذكرون: انه (ص) أخبرهم برؤيا رآها، رأى بقرأً يذبح، وأن في  
سيفه ثلثة، وأنه في درع حصينة، فأول البقر: بناس من أصحابه يقتلون...  
والثلثة: برجل من أهل بيته يقتل. والدرع: بالمدينة... وللرواية نصوص  
أخرى لا مجال لها...

و إذا كانت رؤيا النبي (ص) من الوحي. وكانت هذه الرواية  
صحيحة... فان ذلك يكون توطئة لاعلامهم بالموقف الصحيح، وأن عليهم أن  
يلتزموا بتوجيهات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...

ولكنهم اتجهوا في مواقفهم وقراراتهم نحو العكس من ذلك... حيث  
يقولون: إن ابن أبي قد أشار بالبقاء في المدينة، فاذا أقبل العدو رماه الاطفال  
والنسوة بالحجارة، وقاتله الرجال بالسكك. وإن أقام في خارج المدينة أقام في  
شر موضع...

وكان صلى الله عليه وآله وسلم — كما يقولون — كارها للخروج من  
المدينة أيضاً...

ولكن من لم يشهد بدرأ، وطائفة من الشباب المتحمسين، والذين  
ذاقوا حلاوة النصر في بدر، وحمزة بن عبدالمطلب، وأهل السن قد رغبوا بالخروج  
وأصروا عليه، لأنهم — كما يقول البعض — يرون خيل قريش وابلها ترعى  
زروعهم، وتعيث فيها فساداً...

واحتجوا لذلك: بأن إقامتهم في المدينة ستجعل عدوهم يظن فيهم



الجب، فيجرؤ عليهم: «وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل؛ فأظفرك الله بهم، ونحن اليوم بشر كثير.»

وبعد أن ذكروا: أن هذا أمر قد ساقه الله اليهم في ساحتهم.

قال نعيم بن مالك: يا نبي الله، لاتحرمنا الجنة؛ فوالذي نفسي بيده لأدخلنها. فقال له (ص): بم؟ قال: بأبي أحب الله ورسوله، ولا أفر من الزحف. فقال له (ص): صدقت.

وقال له أنصاري: متى نقاتلهم يا رسول الله، إن لم نقاتلهم عند شعبنا.

وقال آخر: إني لا أحب أن ترجع قریش إلى قومها لتقول: حصرنا محمداً في صياصي يثرب وآطامها؛ فتكون هذه جراً لقریش. وهاهم قد وطأوا سعفنا؛ فاذا لم نذب عن عرضنا فلم نذرع؟!

وقال آخر: إن قریشاً مكثت حولاً تجمع الجموع، وتستجلب العرب في بواديه، ومن اتبعها من أحابيشها، ثم جاؤونا قد قادوا الخيل، واعتلوا الأبل، حتى نزلوا ساحتنا؛ فيحصر وننافي بيوتنا وصياصينا؟ ثم يرجعون وافرین لم يكلموا؟!؛ فيجرؤهم ذلك علينا، حتى يشنوا الغارات علينا، ويصيبوا أطلالنا، ويضعوا العيون والارصاد علينا، مع ما قد صنعوا بجروثنا، ويجترؤ، علينا العرب حولنا إلخ... وثمة كلام آخر هنا عن حمزة وغيره لا مجال له...

وأبي كثير من الناس إلا الخروج، فنزل (ص) على رأي غالبية الناس... ثم دخل بيته ليلبس لامة الحرب... ففي هذه الاثناء أدركهم الندم على اصرارهم على النبي (ص) واستكراهم له، وهو أعلم بالله وما يريد، ويأتيه الوحي من السماء...

فلما خرج النبي (ص) عليهم، وقد لبس لامته؛ ليتوجه مع أصحابه إلى حرب قریش، قالوا: يا رسول الله، امكث كما أمرتنا. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما ينبغي لني إذا أخذ لامة الحرب أن يرجع حتى يقاتل...

ثم وعظهم... وعقد الألوية، وخرج بجيشه لحرب قریش وجمعها...

وفي رواية: أنهم لما صاروا على الطريق قالوا: نرجع. فقال (ص):  
 ما كان ينبغي لني إذا قصد قوماً أن يرجع عنهم...  
 وها هنا أمور هامة لا بد من التنبيه عليها...

### الف: هل النبي (ص) يحتاج الى رأي أحد؟!

وقد تقدم حين الكلام على السرايا قبل بدر، وفي نفس موقعة بدر  
 بعض الكلام حول استشارة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه  
 في أمر الحرب...

ونعود هنا للإشارة إلى هذا الأمر من جديد، على أمل أن يضم القارى  
 ما كتبه هنا وهناك، وهناك، بعضه إلى بعض، ويستخلص النتيجة المتوخاة  
 من طرح هذا الموضوع، والاشارة الى جوانبه المختلفة... فنقول:

إنه لا ريب في حسن المشاورة وصلاحتها. وقد ورد الحث عليها في  
 الأخبار الكثيرة... ويقولون: إنه في مناسبة قضية أحد نزل قوله تعالى:

«فما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من  
 حولك، فاعف عنهم، واستغفرهم، وشاورهم في الأمر؛ فاذا عزمتم فتوكل  
 على الله، إن الله يحب المتوكلين. إن ينصركم الله فلا غالب لكم إلخ (١)».

وعن ابن عباس بسند حسن: لما نزلت: وشاورهم في الامر، قال  
 رسول الله (ص): أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة  
 لأمتي؛ فمن استشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غيا (٢).

والسؤال هنا هو:

إنه إذا كان الله ورسوله غنيين عنها، فلماذا يأمر الله تعالى نبيه بأن

(١) - آل عمران ١٥٩-١٦٠.

(٢) - الدر المنثور ج ٢ ص ٨٠ عن ابن عدي، والبيهقي في شعب الايمان.

يشاور أصحابه في الأمر؟! ...

وسؤال آخر، وهو: هل يمكن بضم الآية التي في سورة الشورى: «وأمرهم شورى بينهم (١)»، وبضم سائر الروايات التي تحث على الاستشارة— هل يمكن— أن يفهم من ذلك: ضرورة اتخاذ الشورى كمبدأ في الحكم والسياسة، وفي الإدارة، وفي سائر الموارد والمواقف، حسبما تريد بعض الفئات أن تتبناه، وتوحي به على أنه أصل اسلامي أصيل ومطرّد؟! ...

أما الجواب عن السؤال الأول؛ فاننا نحسب: أن ماتقدم حين الكلام على السرايا قبل بدر، وعلى الشورى في بدر كاف فيه؛ ونزيد هنا تأييداً لما قدمناه هناك مايلي:

١— إن بعض الروايات تفيد: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يستشير أصحابه إلا في أمر الحرب.

فقد روي بسند رجاله ثقات، عن عبد الله بن عمرو، قال: كتب أبو بكر الى عمرو بن العاص: ان رسول الله شاور في الحرب، فعليك به (٢).

٢— إن الآية التي في سورة آل عمران: (وشاورهم في الأمر) خاصة بالمشاورة في الحرب، لأن اللام فيها لا يمكن أن تكون للجنس بحيث تشمل كل أمر، بل هي للعهد، أي شاورهم في هذا الأمر الذي يجري الحديث عنه، وهو امر الحرب، كما هو واضح من الآيات السابقة واللاحقة؛ فالتعدي الى غير الحرب يحتاج الى دليل...

٣— إن الآية تنص على أن استشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه لا تعني أن يأخذ برأيهم حتى ولو اجتمعوا عليه؛ لأنها تنص على أن

(١)— سورة الشورى ٣٨.

(٢)— مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣١٩ عن الطبراني، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٨ عن كنز العمال ج ٢ ص ١٦٣ عن البزار والعقيلي، وسنده حسن، والدر المنثور ج ٢ ص ٩٠ عن الطبراني بسند جيد عن ابن عمرو.

اتخاذ القرار النهائي يرجع إلى النبي (ص) نفسه، حيث قال تعالى: «وشاورهم في الأمر؛ فإذا عزمتم فتوكل على الله».

٤- لقد ذكر بعض العلماء: أن الأمر في الآية ليس للوجوب؛ وإلا لكان بقية الأوامر في الآية كذلك، ويلزم منه وجوب العفو عن كبائرهم حتى الشرك.

وإذا كان الضمير في الآية يرجع إلى الفارين فهو يعني: أن الشورى تكون لأهل الكبائر من أمته، مع أن الله قد نهى رسوله عن اطاعة الآثم، والكفور، ومن أغفل الله قلبه (١) فالحق: أن الأمر وارد عقيب توهم الخطر عن هؤلاء، ليبیح مشاورتهم ومعاملتهم معاملة طبيعية (٢).

٥- إن رواية ابن عباس المتقدمة تفيد: أن استشارته (ص) أصحابه لاقيمة لها على صعيد اتخاذ القرار؛ لأن الله ورسوله غنيان عنها، لأنها يعرفان صواب الآراء من خطائهما، فلا تزيدهما الاستشارة علماً، ولا ترفع جهلاً، وإنما هي أمر تعليمي أخلاقي للأمة؛ بملاحظة فوائد المشورة لهم؛ لأنها تهدف إلى الامعان في استخراج صواب الرأي بمراجعة العقول المختلفة. وفي نهج البلاغة: من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها، وفيه أيضاً: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استبد برأيه. وعن أنس عن النبي (ص): ما خاب من استخار، وما ندم من استشار (٣). إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

وإذا كانت الاستشارة أمراً تعليمياً أخلاقياً، فلا محذور على الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيها...

(١)- راجع: سورة الكهف ٢٩ والاحزاب ٥٦ والذهر ٣٤ وأقول: وتنافي أيضاً الآية التي في سورة

الشورى التي خصت الشورى بالمؤمنين الذين لهم صفات معينة...

(٢)- راجع: الاسلام واسبس التشريع ص ١٠٣-١٠٢ للعلامة السيد عبدالمحسن فضل الله.

(٣)- الدر المنثور عن الطبراني في الاوسط.

## باء: من أهداف استشارته (ص) أصحابه:

ويقول الشهيد السعيد، المفكر والفيلسوف الاسلامي الكبير، آية الله الشيخ مرتضى مطهري، قدس الله نفسه الزكية:

إن النبي (ص) وهو في مقام النبوة، وأصحابه يتفانون في سبيله، حتى ليقولون له: انه لو أمرهم بأن يلقوا أنفسهم في البحر لفعلوا— إنه صلى الله عليه وآله مع ذلك لا يريد أن ينفرد في اتخاذ القرار، لأن أقل مضار ذلك هو أن لا يشعر أتباعه بأن لهم شخصيتهم وفكرهم المتميز، فكانه يقول لهم: انهم لا يملكون الفكر والفهم والشعور الكافي، وإمامهم مجرد آلة تنفيذ لا أكثر ولا أقل... وأنا فقط أملك حرية اصدار القرار، وعليكم انتم التنفيذ فقط

وطبيعي أن ينعكس ذلك على كل حاكم يأتي بعده، لأن لهم في رسول الله اسوة حسنة...

وبكلمة: إنه ليس من لوازم الحكم الاستبداد بالرأي، فقد استشار النبي (ص)— وهو معصوم— أصحابه في بدر وأحد (١) انتهى.

وأيضاً... فان ظروف وأجواء آية: «وشاورهم في الأمر». تشعر بأنه قد كان ثمة حاجة لتأليفهم، وجلب محبتهم وثقتهم، واطهار العطف والليونة معهم، وان لا يفرض الرأي عليهم فرضاً. رحمة لهم، وحفاظاً على وحدتهم واجتماعهم، ولم شعرتهم، وجمع كلمتهم، وكبح جماحهم؟! . فالآية تقول: «فبا رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك؛ فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الامر». أي أنه قد بدر من أصحابه أمرسي؛ يستدعي العفو عنهم واللين معهم، وإرجاع شخصيتهم اليهم، ليطمئنون إلى أن ما بدر منهم لم يؤثر على مكانتهم عنده فلا داعي لنفورهم منه.

هذا كله عداًما قدمناه حين الكلام على بدر، وعلى السرايا التي

سبقها، فليراجع...

جيم: وأما الجواب عن السؤال الثاني:

فنشير إلى مايلي:

١- ما قدمناه: من أن قوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» ليس إلا أمراً تعليمياً أخلاقياً، وليس أمراً إلزامياً يوجب التخلف عنه العقاب، وإنما يمكن أن يوجب وقوع الانسان في بعض الاخطاء...

٢- إن الضمير في «أمرهم» يرجع إلى المؤمنين... أي الأمر الذي يرتبط بهم؛ فالشورى إنما هي في الأمور التي ترجع إلى المؤمنين وشؤونهم الخاصة بهم، وليس للشرع فيها الزام أو مدخلية، كما في أمور معاشهم ونحوها... مما يفترض في الانسان أن يقوم به... أما إذا كان ثمة الزام شرعي، فما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة... وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول...

وعليه... فورد الحكم، والسياسة، والادارة، وغير ذلك، لا يمكن أن يكون شورائياً إلا إذا ثبت أن الشارع ليس له فيه حكم، ونظر خاص...

وقد قال العلامة الطباطبائي مد الله في عمره: «... والروايات في المشاورة كثيرة جداً، وموردها ما يجوز للمستشير فعله وتركه بحسب المرجحات. وأما الاحكام الالهية الثابتة، فلامورد للاستشارة فيها، كما لا رخصة فيها لأحد، وإلا... كان اختلاف الحوادث الجارية ناسخاً لكلام الله تعالى (١)».

٣- وأما قوله تعالى: «وشاورهم في الأمر»، فإنه ظاهر في كون ذلك في ظرف كونه حاكماً والياً عليهم؛ فإن عليه أن يستشيرهم في هذا الظرف... وهذا لا يعني أن يكون نفس الحكم شورائياً وانتخابياً، بأي وجه...

٤— إن القرار النهائي يتخذه المستشار نفسه، ولربما وافق الاكثر، ولربما خالفهم... ويدل على ذلك قوله تعالى: «فاذا عزمتم فتوكل على الله»... وليس في الآية إلزام برأي الاكثرية... بل ولا برأي الكل لو حصل إجماعهم على رأي واحد...

### ملاحظة: الشورى لمن؟

إن هذه الشورى التي دلّ عليها قوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» ليست لكل أحد، وإنما هي خاصة بأولئك المؤمنين، الذين لهم تلك الصفات المذكورة في الآيات قبل وبعد هذه العبارة، قال تعالى: «فما أوتيتم من شيء فتابع الحياة الدنيا، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش، وإذا ما غضبوا هم يغفرون. والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم ينفقون. والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون(١)».

نعم... إن هؤلاء هم أهل الشورى(٢)، وليس لغيرهم الحق في أن يشاركهم فيها؛ لأن ذلك الغير، لا يؤمن على نفسه؛ فكيف يؤمن على مصالح العباد، ودمائهم، وأموالهم، واعراضهم؟!...

### دال: نظرية: خلافة الانسان... وشهادة الانبياء:

ويقول الشهيد السعيد، المفكر الاسلامي، آية الله السيد محمد باقر الصدر، قدس الله نفسه الزكية، ماملخصه:

(١) — الشورى.

(٢) — واحتمال: أن يكون المعنى: ما عند الله خير وأبقى لجماعات مختلفة، وهم:

١— الذين آمنوا...

٢— الذين يجتنبون كبائر الاثم إلخ... هذا الاحتمال خلاف الظاهر هنا... فان المراد أن الذين يجمعون هذه الصفات هم الذين يكون ما عند الله خير وأبقى لهم... والا... فلو كان أحد ينتصر على من بغى عليه ولكنه غير مؤمن مثلاً فلا شك في ان ما عند الله ليس خيراً وأبقى له... وكذا لو كان أمرهم شورى بينهم وهم غير مؤمنين.

إن الله عزوجل قد جعل الخلافة لآدم، لا بما أنه آدم، بل بما أنه ممثل للبشرية، فخلافة الله في الحقيقة هي للأمة وللشعر أنفسهم، فقد قال تعالى: و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسيح بحمدك ونقدس لك؟ قال: اني أعلم ما لا تعلمون(١). كما أن المراد بالامانة في قوله تعالى: إنا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً(٢)... هو هذه الخلافة بالذات... التي تعنى الإدارة والحكم في الكون.

واستشهد على ذلك أيضاً بقوله تعالى: يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض، فاحكم بين الناس بالحق(٣)... وبقوله تعالى: إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح(٤). وبقوله تعالى: ثم جعلناكم خلائف في الارض(٥).

ورتب على ذلك: أنه بعد وفاة النبي(ص)، وفقد الامام، وتحرر الأمة من الطاغوت، فانها تمارس دورها في الخلافة الزمنية... ويكون دور المجتهد المرجع هو الشهادة والرقابة على الأمة...

وقال ما ملخصه: إن الله هو رب الارض وخيراتها، ورب الانسان والحيوان... فالانسان مستخلف على كل ذلك. ومن هنا كانت الخلافة في القرآن أساساً للحكم. وقد قرع الله الحكم بين الناس على جعل داود خليفة... ولما كانت الجماعة البشرية هي التي مُنِحَت - ممثلة بآدم - هذه الخلافة، فهي إذن المكلفة برعاية الكون، وتدير أمر الانسان، والسير بالبشرية في الطريق المرسوم للخلافة الربانية.

وهذا يعطي مفهوم الاسلام الاساسي عن الخلافة، وهو أن الله تعالى أناب الجماعة البشرية في الحكم، وقيادة الكون واعماره، اجتماعياً وطبيعياً.

(١) - البقرة ٣٠. (٢) - الاحزاب ٧٢. (٣) - ص ٢٦. (٤) - الاعراف ٦٩.

(٥) - يونس ١٤.



وعلى هذا الاساس تقوم نظرية حكم الناس لأنفسهم، وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها بوصفها خليفة عن الله...

وفي عملية اعداد وتربية الامة يتولى النبي والامام - مسؤولية الرقابة والشهادة على الامة، ومسؤولية الخلافة... ليهيئ الامة لتحمل مسؤولياتها في الوقت المناسب... وبعد أن فقد الامام (ع)؛ بسبب ظروف معينة تعرضت لها الأمة؛ فان المرجع - غير المعصوم - لا بد وأن يتولى أمر الخلافة والشهادة مادامت الأمة محكومة للطاغوت، ومقصاة عن حقها في الخلافة العامة.

«... وأما إذا حررت الأمة نفسها، فخط الخلافة ينتقل إليها؛ فهي التي تمارس الخلافة السياسية والاجتماعية في الأمة، بتطبيق أحكام الله، وعلى أساس الركائز المتقدمة للاستخلاف الرباني. وتمارس الأمة دورها في الخلافة في الاطار التشريعي للقاعدتين القرآنيتين التاليتين:

(وأمرهم شورى بينهم).

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر).

فان النص الأول يعطي للأمة صلاحية ممارسة أمورها عن طريق الشورى، مالم يرد نص خاص على خلاف ذلك. والنص الثاني يتحدث عن الولاية، وأن كل مؤمن ولي الآخر. ويريد بالولاية تولي أمور، بقرينة تفريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه. والنص ظاهر في سر يان الولاية بين كل المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية...

وينتج عن ذلك : الأخذ بمبدأ الشورى، وبرأي الاكثرية عند الاختلاف.

وهكذا... وزع الاسلام في عصر الغيبة مسؤوليات الخطين بين المرجع والأمة، وبين الاجتهاد الشرعي، والخلافة الزمنية (١). إلى آخر كلامه

(١) - هذا محصل ماجاء في كتاب: خلافة الانسان وشهادة الانبياء للشهيد الصدر، والفقرات الأخيرة هي في ص ٥٤/٥٣.

قدس الله نفسه الزكية...

### مناقشة ماتقدم:

وأما نحن... فاننا نسجل هنا النقاط التالية:

أولاً: إن الآية الثانية تقول: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم(١)».

فاذا كان تفریع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليلاً على أن المراد بالولاية هو تولى أمور بعضهم البعض؛ فما هو وجه تفریع إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة على ذلك؟!...

ولم لا يفهم من الآية: أنها— فقط— في مقام إعطاء حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمؤمنين جميعاً؛ فهي تجعل لهم الولاية بهذا المقدار، لا أكثر؟!!

بل لم لا يفهم منها: أنها في مقام إعطائهم حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بسبب محبة بعضهم بعضاً، أو بسبب كون بعضهم تابعاً لبعض، ومطيعاً له، أو بسبب نصرته له، ونحو ذلك... فقد ورد للولي معانٍ كثيرة، ومنها: المحب. والصديق. والنصير.

والولي: فعيل، بمعنى فاعل، من وليه إذا قام به، قال تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات(٢)...

وكل هذه المعاني محتملة في الآية المشار إليها— إن لم يكن من بينها ما هو الاظهر— وليس فيها ما يوجب تعين كون الولي فيها بمعنى الحاكم، والمتولي

للأمر.

وثانياً: لو كانت هذه الآية تعطي حقاً للمؤمنين في أن يحكم بعضهم بعضاً؛ فاللزام أن تعطي الآيات الأخرى هذا الحق بالذات للكفار، وتصير حكومتهم على بعضهم البعض شرعية!! فقد قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض (١) .. الآية.» وقال تعالى: «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض (٢)» وقال تعالى: «إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون (٣)». وقال تعالى: «وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين (٤)». إلى غير ذلك من الآيات التي بهذا المضمون...

بل إن الآية الأخيرة تنفي الولاية عن المؤمنين، وتحصنها بالله تعالى. فلو كان المراد بالولاية الحكم... فلا بد من القول بان الولاية التي يترتب عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ليست بهذا المعنى... أو أنها ولاية بهذا المقدار، لا أكثر...

والقول: بأن هذه الآيات ونظائرها ناظرة إلى أن من طبيعة الكفار أن يتولى بعضهم بعضاً... وليس في مقام جعل ولاية شرعية لهم...

يقابله القول: بأنه لم لا تكون الآيات التي تتعرض للولاية بين المؤمنين ناظرة إلى نفس هذا المعنى أيضاً؟!...

و إذا كانت آيات ولاية الكفار يراد منها الولاية بمعنى النصر، والمحبة، ونحو ذلك...

فلتكن تلك الآيات لها هذا المعنى أيضاً... فانها كلها لها سياق واحد، وتريد أن تنفي وتثبت أمراً واحداً...

وثالثاً: لو سلمنا: أن معنى الآية هو: أن كل مؤمن ولي للآخرين...

(٢) - الانفال ٧٣.

(١) - المائدة ٥١.

(٤) - الجاثية ١٩.

(٣) - الاعراف ٢٧.

فهل يعني ذلك: أن الآية تجعل كل مؤمن حاكماً على الآخرين، ومحكوماً لهم في آن واحد؟... أم أن الآية تريد فقط: أن تعطي للبعض الحق في أن يحكم ويتسلط على البعض الآخر؟!...

و إذا كان الظاهر هو الثاني، فماهي شرائط هذه الحكومة؟ وماهي ظروفها؟ وما الذي يجب توفره في هذا الحاكم؟! العلم؟ الاجتهاد؟ العدالة؟ إلخ... ومن الذي يعين هذا الحاكم، ومن يختاره؟ هل هو المعصوم؟ أم غيره؟...

ورابعاً: وأما بالنسبة لآيات الاستخلاف في الأرض والشهادة، فنشير إلى:

الف: إنه ليس في آية سورة الاحزاب: أن المراد بالأمانة: الخلافة... وقد قيل: إنها التكليف وقيل: هي العقل. وقيل: هي الولاية الالهية. وقيل: هي معرفة الله... إلى غير ذلك من الأقوال (١).

والجزم بأن المراد هو الخلافة... ثم ترتيب أحكام واستنتاجات معينة على ذلك، ليس بأولى من الجزم بغيره...

بل إن في الآية التي تلي تلك الآية ما يؤيد: أن المراد بالآية أمراً اعتقادياً، أو نحو ذلك، وليس الخلافة، فقد قال تعالى: «إنا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال؛ فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً. ليعذب الله المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، و يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات، وكان الله غفوراً رحيماً».

باء: وأما آية استخلاف آدم، فليس فيها ما يشير إلى أن المراد هو استخلاف النوع البشري، إلا قول الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء... وهذا لا يدل على أكثر من أن الملائكة قد فهموا: أن هذا المخلوق الجديد (الخليفة) له طبيعة شريرة، تقتضي ما ذكره، ولا تدل على أن الخلافة

(١) - راجع: تفسير الميزان ج ١٦ ص ٣٤٨-٣٥٢ في تفسير الآية...

قد منحت لكل له هذه الطبيعة...

جيم: ثم... ما المراد بهذا الاستخلاف؟ هل هو الحكم والامارة؟، أم هو التسليط على الكون ومافيه. واعطاؤه حق التصرف في ما خلقه الله، على حد قوله تعالى: «هو أنشأكم من الارض، واستعمركم فيها»، ولذلك هو يطلب منهم شكر هذه النعمة، والايان بالله تعالى؟.. الظاهر هو الثاني.

و يؤيد ذلك: أن من يطالع آيات الاستخلاف يجد: أن اكثرها ناظر إلى البشر جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، ثم تهتد الكافرين، وتتوعدهم...

ومما يؤيد: أن يكون المراد بالخلافة في اكثر الآيات، هو اعمار الكون: انه إذا كان البشر خلفاء؛ فهم خلفاء على أي شيء؟! إنهم خلفاء ووكلاء على غير أنفسهم؛ إذ لا يعقل أن يكون الشيء خليفة على نفسه. فالبشرية لها خلافة على غيرها مما في الكون.

وهذا... يؤيد أن يكون معنى الخلافة ليس هو الامارة...

دال: وفي مقابل ذلك نجد: أنه تعالى لم يستخلف المؤمنين فعلاً، وإنما وعدهم بالاستخلاف حيث قال: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض(١)».

فالجمع بين هذه الآية، والآيات الأخرى، يحتم علينا: أن نقول: إن المراد بآيات «خلائف» ونحوها، هو النيابة في اعمار الكون، والتمكين من التصرف في الطبيعة... والمراد من هذه الآية الأخيرة هو الحكم والسلطان... فهذه الآية أدل دليل على أن الخلافة بمعنى الحكم والسلطان لم تمنح للبشر عامة، وإنما وعد الله المؤمنين بها في الوقت المناسب، ولو في زمن ظهور المهدي عليه الصلاة والسلام...

هاء: إن آية استخلاف داود، وتفريع الحكم بين الناس بالحق على

هذه الخلافة، التي لا بد وأن يكون معناها الحكم والسلطان... لا تدل على جعل الخلافة لكل البشر؛ فلعل كونه نبياً له مدخلية في استحقاق هذا المنصب الخطير؛ لأن نيابه درجة النبوة، انما هو لأجل أنه يحمل خصائص معينة - كالعصمة ونحوها - أهله لذلك الأمر الخطير الذي يتفرع عليه الحكم بالحق.

واو: إننا نلاحظ: أنه ليس في جميع الآيات التي استعملت لفظ: «خليفة»، ومشتقاته في القرآن ما يدل على أن هذا المستخلف هو خليفة الله لا لغيره... بل ذكرت الآيات: أن الله تعالى قد جعل خلفاء، ولم تبين: أنهم خلفاء لمن.

زاي: ولو سلمنا... فان الاستخلاف في الارض، ليس معناه جعل جميع المناصب الالهية لهذا المستخلف، وليس في هذا اللفظ ما يفيد عموم المنزلة... بل هو ينصرف إلى نوع معين من الأمور؛ فمثلاً لو قيل: فلان استخلف فلاناً على أهله... فانه ينصرف إلى الاستخلاف في أمور معينة يمكن الاستخلاف فيها... ولا يمكن أن يعني ذلك: ثبوت كل حق كان لذلك لهذا... فان الاستخلاف حكم يجري في كل مورد قابل لذلك....

ولا يمكن أن يتمسك باطلاقه لا ثبات قابلية مايشك في قابليته.

وخامساً: إن قوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم»، يدل على أن الأمور الراجعة لهم هي التي يمكن أن يمارسوا فيها حق الشورى... فلا بد أولاً من اثبات: أن مسألة الحكم، والتصرف في امور الغير حق لهم، ليمكنهم أن يفصلوا فيها عن طريق مبدأ الشورى، ولا يمكن للحكم أن يثبت موضوعه ووجوده، كما أشرنا إليه آنفاً.

ولدينا ما يدل على أن الحكومة ليست حقاً لهم: وهو ما تقدم حين الكلام على عرض النبي (ص) دعوته على القبائل، حيث قال لبي عامر: الامر لله يضعه حيث يشاء... ثم هناك مقبولة - بل صحيحة - عمر بن حنظلة: «ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا؛ فليرضوا به حكماً؛ فإني قد جعلته عليكم

حاكما(١)» ونظائرها... ولم يعين في الروايات: أن يكون ذلك في زمن الطاغوت، أوفي ما بعد الاطاحة به، ولاصورة رقي الامة ايمانياً وفكرياً، ولاعدمها...

وسادساً: هذا كله... عدا عن أن هذه الشورى لايفهم منها إلا مبدأ كلي مجمل، ولا تدل على أنه لوخالف بعض الأمة فيما يراد إجراء مبدأ الشورى فيه... هل ينفذ حكم الاكثرية على تلك الأقلية؟ أم لا بد من إرضاء الجميع في أي تصرف، وأية قضية... وأنه لوتساوت الآراء فإذا يكون مصير الشورى الى غير ذلك ممايرتبط بشرائط الشورى وحدودها...

وأخيراً... فلو انه رحمه الله استدل على ولاية الفقيه بصحيحة عمر بن حنظلة، المشار إليها آنفاً لكان أولى فانها تقرر: أن الحكم حق للمجتهد الجامع للشرائط فقط، ولايحق لغيره ان يتصدى له، حيث قال عليه السلام: «فاني قد جعلته عليكم حاكماً»، وهذا هوالحق الذي لامحيص عنه...

### هاء: ماهورأى النبي(ص) في أحد؟

غالب الروايات، بل كلها متفقة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرجح البقاء في المدينة... ولكن اصرار أصحابه هوالذي دعاه إلى العدول عن هذا الرأي...

ولكن العلامة السيد الحسيني أيده الله تعالى يرى: أن النبي كان يرى الخروج إلى العدو، عكس رأي عبدالله بن أبي ابن سلول، وإنما استشارهم ليختبرنواياهم، ويستدل على ذلك بما ملخصه:

ان ملاقة جيش مكة داخل المدينة سيمكنهم من احتلالها خلال

(١) - الوسائل ج ١٨ باب ١١ من ابواب صفات القاضي حديث ١... والرواية معتبرة جداً؛ فان عمر بن حنظلة شيخ كبير روى عنه عدد كبير من الثقات الكبار والاعيان، بل لم يروعه ضعيف إلا رجل واحد... ومن بين من روى عنه - وهم كثير - من لا يروى إلا عن ثقة كما قيل - كابن بكير وصفوان الجمال...

ساعات معدودة؛ لأن المنافقين، والمرتابين من سكان المدينة— وعددهم كثير، وكانوا على اتصال دائم معهم— سيعاونونهم على النبي (ص) والمسلمين... ولا يعقل أن يُخلص ابن أبي ومن معه من المنافقين والمرتابين من المهاجرين والأنصار في الدفاع عن محمد (ص) ورسالته، وهم يلتقون مع الغزاة التقاء كاملاً...

وكان ابن أبي هو المشير على الرسول بالبقاء في المدينة، وواقفه على ذلك شيوخ المهاجرين. وأدرك النبي (ص) الغاية، ولكنه بقي يتظاهر بالموافقة على رأي ابن أبي؛ ليختبر بقية المسلمين، وإن كان فيمن وافق ابن أبي من لا يشك في حسن نيته، كما أنه لاشك في أن فيهم المتآمرين. ولما اختبرهم (ص) وعرف نواياهم، أعلن عن رأيه الذي كان قد انطوى عليه من أول الأمر...

ويرجح ذلك : أنه لما خرج المسلمون إلى أحد رجوع ابن أبي في ثلاثمائة وخمسين من أتباعه المنافقين، وبعض اليهود إلى المدينة بلاسبب. وفي رواية: أنه هو نفسه (ص) أمرهم بالرجوع، وقال: لانحارب المشركين بالمشركين...

وذلك دليل قاطع على سوء نواياهم، وأنه (ص) كان يتخوف منهم أن ينضموا إلى المشركين حين احتدام الحرب، وإذا كان في ريب من أمرهم، وهم خارج المدينة؛ فكيف يوافقهم على مقابلة الغزاة في داخلها، ويطمئن إليهم في الدفاع عنها؟!...

و إذا كان ابن سلول صادقاً في قوله: إنه سيدافع عن المدينة في الداخل، فلماذا رجع من الطريق وهو يعلم: أن جيش النبي (ص) بأمرس الحاجة إلى المساعدة؟!.

وإذن... فالخروج من المدينة هو الأصوب، ولو أنه بقي فيها لأصبح خلال ساعات معدودات تحت رحمة المشركين... انتهى ملخصاً (١).



و يؤيد رأي الحسيني أيضاً: المبدأ الحربي القائل: ماغزي قوم في عقر دارهم الاذلوا (صدق علي عليه السلام).

ونحن هنا نشير إلى مايلي:

١- إن أباسفيان - كما تقدم - كان يخشى أن يلزم أهل يثرب صياصبيهم، ولا يخرجوا منها (١). وهذا يعني: أنهم يعتبرون بقاء المسلمين في المدينة معناه: تضييع الفرصة على قريش، وعدم تمكينها من تحقيق أهدافها... وغاية ما استطاع صفوان بن أمية أن يقدمه لأبي سفيان، كبديل مرض ومقنع، هو أنهم حينئذ سوف يلحقون بأهل المدينة خسائر مادية كبيرة؛ فانهم إن لم يصحروا لهم عمدوا إلى نخلهم فقطعوه؛ فتركوهم ولا أموال لهم.

وإذن... فالموقف الصحيح كان هو البقاء في المدينة... فان الخسائر المادية يمكن الصبر عليها وتحملها، أما الخسائر في الارواح، فانها تكون أصعب وأنكى.

٢- إن ضرار بن الخطاب كان يخشى مثل ذلك أيضاً... لأن الأنصار قتلوا قومه يوم بدر، فخرج الى أحد، وهو يقول: «إن قاموا في صياصبيهم فهي منيعة، لاسبيل لنا إليهم، نقيم أياماً، ثم ننصرف. وإن خرجوا إلينا من صياصبيهم أصبنا منهم؛ فان معنا عدداً أكثر من عددهم، ونحن قوم موتورون، خرجنا بالظعن يذكرنا قتلى بدر، ومعنا كراع ولا كراع معهم، وسلاحنا أكثر من سلاحهم، ففضي لهم إن خرجوا إلخ (٢)».

٣- إننا نلاحظ: أن صفوان بن أمية لم يذكر لأبي سفيان شيئاً عن احتمال تعاون المنافقين معهم، وتمكينهم من القضاء على الاسلام والمسلمين بسهولة، أو على الأقل كان على أبي سفيان أن يدرك ذلك، ويتهج له...

٤- إن من الواضح: ان ابن أبي، ومن معه لم يكن باستطاعتهم

(١) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٠٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢١٨.

(٢) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٨٢، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٧٤.

الاقدام على مثل تلك الخيانة في تلك الظروف؛ لأن معنى ذلك: أن يذبح من قومه، والخزرج، وطائفة من المهاجرين أعداد هائلة، ولم يكن بإمكانه أن يسمح بذلك، ولا يوافق عليه من معه؛ لانهم قومهم وابناؤهم، واخوانهم، وآباؤهم... ولم يكن التخلي عنهم سهلاً وميسوراً إلى هذا الحد...

وإذا أرادوا أن يتخلوا عن مثل هؤلاء، ويسلموهم إلى القتل، بعد أن يقدمواهم أيضاً العديد من القتلى... فمن يبقى لابن أبي - بعد استئصال هؤلاء - ولا سيما بملاحظة قلة سكان المدينة آنئذ؟! وهل تبقى المدينة مدينة؟! وهل يمكن لابن أبي أن ينصب نفسه ملكاً على من يتبقى له في ظروف كهذه؟! وهل يستطيع بعد هذا أن يعتمد على إخلاص من معه له؟! وهل باستطاعته أن يحتفظ لهم بمكانتهم وموقعهم في قبال اليهود، الذين كانت العداوة بينهم وبين أهل يثرب متأصلة على مرالسنين؟!... وهل يستطيع أيضاً: أن يقاوم أطماع من حوله من قبائل الغزو والغارة؟! أو حتى أن يستقل في اتخاذ القرار عن قريش؟! وهل باستطاعته أن يأمن قريشاً، ويطمئن إلى التعامل معها على المدى البعيد، بعد أن أدركت مدى خطر المدينة على مصالحها الحيوية؟!... وهل إلى آخر ما هنالك...

أم أن ذلك ليس في الحقيقة إلا انتحاراً سياسياً، لا مبرر له، ولا يقدم عليه أحد... ولا تساعد عليه أي من الموازين والمقاييس حتى الجاهلية منها، فضلاً عن العقلانية والاجتماعية؟!...

ولقد كان باستطاعة ابن أبي: أن ينحاز إلى المشركين في المعركة في خارج المدينة... ويكون ذلك - وإن كان أيضاً يحمل في طياته أخطاراً جمة له ولأصحابه - أقرب إلى تحقيق أهدافه، واسلم له في الوصول إليها - بملاحظة ما سبق - ولكن الظاهر هو أن دوافعه للإشارة بالبقاء هي حب السلامة، وعدم التعرض للاخطار المحتملة ما أمكنه... وحتى لا يتكرر انتصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بدر مرة أخرى... ولا سيما مع ملاحظة زيادة عدد المسلمين وحسن عدتهم بالنسبة إلى السابق، كما يفهم من كلام بعض المشيرين كما تقدم... يضاف إلى ذلك: أنهم الآن يدافعون عن شرفهم وعرضهم،

وبلدهم، وعن وجودهم، فلا بد وأن يكونوا أكثر تصميماً واقداً...  
كما أن من الممكن أن يكون التزلف إلى النبي (ص) داخلاً في حسابات ابن أبي أيضاً في بادئ الأمر.

ونلاحظ: أن التزلف، والتظاهر - الكلامي - بالتدين، وبالغيرة على الإسلام ومصالح المسلمين، يكون لدى المنافقين أكثر من غيرهم.

هذا بالإضافة إلى أنه لو كان ثمة احتمال من هذا النوع لأشار إليه أبوسفیان، أو صفوان بن أمية، أو ضرار بن الخطاب، أو غيرهم، كما قلنا...

٥- وأيضاً... فإن الحسيني نفسه يقول: إن الذين أصرروا على البقاء كان من بينهم المخلص والمنافق... وهذا يناهض قوله الآخر: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد أن يختبر أصحابه، ويكتشف نواياهم... وإذن... فقد فشل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في محاولاته تلك، فكيف يقول الحسيني بعد ذلك: إنه (ص) وقف على نوايا الجميع، ومحصها تمحيصاً دقيقاً؟!...

والحقيقة هي: أن إصرارهم على الخروج كان ناشئاً عن الأسباب التي ذكروهاهم أنفسهم في كلامهم.

٦- ثم إننا لا بد وأن نسأل الحسيني أخيراً: هل كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - حقاً - يتعامل مع أصحابه بهذه الطريقة الماكرة - والعياذ بالله - فيظهر لهم خلاف ما يبطن؟! نعوذ بالله. من الزلل والخطل في القول والعمل...

### واو: لبس لأمة الحرب... يعني القتال:

يلاحظ: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لبس لأمة حربته يرفض الرجوع إلى الرأي الأول، لأن ذلك معناه أن ينتزع عنه مفهوم خاطئ يضر بالمصلحة العليا للإسلام والمسلمين، ولا ينسجم مع مركزه كقائد... بل ربما تكون له آثار سيئة وخطيرة على المدى البعيد...

وهذا المفهوم هو أنه رجل ضعيف، تتفاذقه الأهواء والآراء، ولا يملك اتخاذ القرار... بل هو العوبة بأيدي أصحابه، والمنتسبين إليه!

كما أن ذلك من شأنه أن يجعل قراراته في المستقبل عرضة للصراعات الفكرية، وبين أصحابه الذين تختلف مستوياتهم فكرياً، واجتماعياً، وسياسياً، وإيمانياً، وغير ذلك... و يفسح المجال أمام الاطماع، وظهور الاختلاف، ثم التمزق، والفشل الذريع... ولا يعود يملك مجتمعاً متلزماً، قوياً متماسكاً، وقادراً على مواجهة الاخطار، والمعضلات الجسام التي تنتظره، والمهمات التي لا بد وأن يضطلع بها... فضلاً عن أن يتحمل هذا المجتمع مسؤولية نشر الاسلام، والدفاع عنه في العالم أجمع...

هذا كله... عدا عن أن هذا التردد سوف يقلل من قيمة الوحي في نفوسهم، ويضعف—من ثم—ارتباطهم بالغيب، وإيمانهم به... وهو ركن أساسي في الدعوة الاسلامية، ونجاحها، واطراد تقدمها...

فليكن ذلك درساً لهم، يعلمهم: أنه لا ينبغي لهم أن يعارضوا الوحي الالهي بعقولهم القاصرة عن إدراك عواقب الأمور...

ومن الجهة الأخرى... فإن العدو سوف يرى في هذا التردد ضعفاً، وفشلاً، ويزيد ذلك في طمعه بالمسلمين، وجراته عليهم...

كما أنه لسوف يجعله يعتمد اسلوب الضغط على النبي (ص) من خلال أصحابه، ويحاول تشويش مواقفه وتمييعها، إن لم يكن توجيهها إلى ما يوافق مصالحه وأهدافه عن هذا السبيل...

وأخيراً... فإن المعتزلي يرى: أن تردد المسلمين دليل على فشلهم في الحرب، فإن النصر معروف بالعزم والجد، والبصيرة في الحرب... وأحوالهم هنا كانت ضد أحوالهم في بدر، وأحوال المشركين في بدر كانت ضد أحوالهم هنا؛ ولذلك انكسرت قريش في بدر(١)...

## زاي: من الأكاذيب:

أولاً: لقد جاء في رواية نادرة: أن ابن أبي قد أشار بالخروج (١).

ولكن ذلك لا يصح، وذلك:

١- انه لا يبيح معنى حينئذٍ لاحتجاج ابن أبي لرجوعه من وسط الطريق بأنه (ص): خالفه واطاعهم.

٢- إن القرآن يلمح إلى أن المنافقين كانوا يصرون على البقاء في المدينة، فانه بعد رجوع المسلمين من أحد، وقد قتل منهم من قتل، قال المنافقون: لو أطاعونا ماقتلوا (٢)... وهؤلاء هم الذين احتجوا لرجوعهم: بقولهم: لونغلم قتالاً لا تبعناكم...

وثانياً: يقولون: إنه (ص) خرج إلى أحد من بيت عائشة (٣).

مع أن من الثابت: أنه (ص) كان إذا سافر كان آخر عهده بفاطمة، وإذا رجع بدأ ببيت فاطمة أيضاً (٤).

إلا أن يكون مقصودهم بيت عائشة الذي كان لفاطمة، واستولت عليه عائشة بعد وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، كما أوضحناه في مقال لنا بعنوان: «أين دفن النبي (ص) في بيت عائشة، أم في بيت فاطمة؟»، وهو في الجزء الاول من كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام فراجع.

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٩.

(٢) - آل عمران ١٦٨.

(٣) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٢٥، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٨٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٣ عن ابن الكلبي، وبجاهد، والواقدي...

(٤) - مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧٥، وذخائر العقبى ص ٣٧ عن أحمد، وأبي عمر، واسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١٧٠ عن أحمد، والبيهقي... وغير ذلك كثير فانه لا مجال لتتبعه.

وثالثاً: وأما قولهم: إنه بعد أن استشار النبي (ص) أصحابه دخل بيته، ودخل معه أبو بكر وعمر، فعمماه ولبّساه... فلا يعاباه لضعف مستنده من جهة، ولأن النبي (ص) لم يكن يحتاج إلى من يعممه ويلبسه، بل كان باستطاعته أن يمارس ذلك بنفسه من جهة ثانية...

وحسبنا ما ذكرناه هنا، ولنعد إلى الحديث عن السيرة العطرة فنقول:

### عقد الأولوية:

ويقولون: إنه بعد أن استشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه، وخرج عليهم لابساً الأمة حربه، استخلف على المدينة ابن أم مكتوم وعقد الأولوية...

فاعطى اللواء أمير المؤمنين عليه السلام، كما نص عليه البعض (١).

ويقول البعض: إن لواء المهاجرين كان مع علي، وقيل: مع مصعب بن عمير (٢) ويقال: إنه اللواء الاعظم (٣). وقيل: إنه (ص) سأل عمن يحمل لواء المشركين، فقيل له: طلحة بن أبي طلحة، فأخذ اللواء من علي، ودفعه إلى مصعب بن عمير، لأنه من بني عبد الدار، وهم أصحاب اللواء في الجاهلية (٤).

وكان لواء الأوس مع أسيد بن حضير، ولواء الخزرج مع حباب بن المنذر، وقيل مع سعد بن عباد، كذا يقولون...

(١) - الاوائل لابي هلال ج ١ ص ١٨٣، والثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٢٤-٢٢٥، وراجع:

البحار ج ٢٠ ص ٤٩، وتفسير القمي ج ١ ص ١١٢.

(٢) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٥، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٢٧، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٢.

(٣) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٦ عن المتقي.

(٤) - أنساب الاشراف ج ١ ص ٣١٧، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٢، والسيرة الحلبية

### اللواء مع علي عليه السلام فقط:

ونحن لا يمكننا قبول ما ادعوه من أن اللواء كان مع مصعب بن عمير، أو أنه أخذه من علي وأعطاه لمصعب... والصحيح هو أنه كان مع علي في أحد، وبدر، وفي كل مشهد... ويدل على ذلك:

١- قد تقدم في غزوة بدر: أن عليا كان صاحب لواء رسول الله (ص) في بدر، وفي كل مشهد...

٢- عن ابن عباس، إنه قال: لعلي بن أبي طالب (ع) أربع ماهن لأحد: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو صاحب لوائه في كل زحف، وهو الذي ثبت معه يوم المهراس، وفر الناس، وهو الذي أدخله قبره (١).

٣- عن ابن عباس: كان علي أخذ راية رسول الله يوم بدر. قال الحاكم: وفي المشاهد كلها (٢).

٤- وعن مالك بن دينار: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله (ص)؟ قالوا: كان حاملها علي (رض)...

وفي نص آخر: أنه لما سأل مالك سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه مالك إلى إخوانه من القراء، فعرفوه: أنه خائف من الحجاج، فعاد وسأله، فقال: كان حاملها علي (رض). هكذا سمعت من عبد الله بن عباس (٣).

(١) - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١١ و تلخیصہ للذهبي بهامشه، ومناقب الخوارزمي ص ٢٢/٢١، وارشاد المفيد ص ٤٨ و تيسير المطالب ص ٤٩.

(٢) - ذخائر العقبى ص ٧٥.

(٣) - راجع: مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٣٧ وصححه، وقال: له شاهد من حديث زنفل العرفي، وفيه طول فلم يخرجه الحاكم، ومناقب الخوارزمي ص ٢٥٨/٢٥٩، و ذخائر العقبى ص ٧٥ عن أحمد في المناقب.

٥— عن جابر: قالوا: يا رسول الله، من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: من عسى أن يحملها يوم القيامة، إلا من كان يحملها في الدنيا، علي بن أبي طالب؟! وفي نص آخر: عبر باللواء بدل الراية (١).

٦— وحينما مر سعد بن أبي وقاص برجل يشتم علياً، والناس حوله في المدينة، وقف عليه، وقال: يا هذا، على ماتشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألم يكن ازهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟... وذكر حتى قال: ألم يكن صاحب راية رسول الله (ص) في غزواته؟ (٢).

وظاهر كلامه هذا: أن ذلك كان من مختصاته صلوات الله وسلامه عليه...

٧— عن مقسم: أن راية النبي (ص) كانت تكون مع علي بن أبي طالب، وراية الانصار مع سعد بن عباد، وكان إذا استحر القتال كان النبي (ص) مما يكون تحت راية الأنصار (٣).

٨— عن علي قال: كسرت يده يوم أحد، فسقط اللواء من يده؛ فقال رسول الله (ص): دعوه في يده اليسرى؛ فإنه صاحب لوائني في الدنيا

(١) — هامش ص ١٨٠ من احتجاج الطبرسي عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٧ عن نظام الملك في اماليه، وكفاية الطالب ص ٣٣٦ وقال: ذكره محدث الشام— اي ابن عساكر— في ترجمة علي (ع) من كتابه بطرق شتى عن جابر، وعن أنس وفي هامش كفاية الطالب عن: كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ عن الطبراني، وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٢ ومناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي ص ٢٠٠ وفي هامشه عن عمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٥ وعن مناقب الخوارزمي ص ٢٥٨.

(٢) — مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٠٠ وصححه على شرط الشيخين هو والذهبي في تلخيص المستدرک، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥١٤/٥١٥. وأظن أن القضية كانت مع سعد بن مالك أبي سعيد الخدري لأن سعد بن ابني وقاص كان منحرفاً عن أمير المؤمنين ويشير إلى ذلك ما ذكره الحاكم في مستدرکه ج ٣ ص ٤٩٩ من أن أبا سعيد قد دعا علي من كان ينتقص علياً فاستجاب الله له.

(٣) — المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٢٨٨ وفتح الباري ج ٦ ص ٨٩ عن أحمد عن ابن عباس باسناد قوي.



والآخرة (١).

٩— عن عامر: ان راية النبي (ص) كانت تكون مع علي بن أبي طالب، وكانت في الانصار حينما تولوا (٢).

١٠— عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كان سعد بن عباد صاحب راية رسول الله (ص) في المواطن كلها؛ فاذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب (٣).

وبالنسبة لوقعة أحد وغيرها نشير الى انه:

١١— قد ورد في احتجاج الامام الحسن المجتبي صلوات الله وسلامه عليه بفضائل أمير المؤمنين (ع) ... على معاوية، وعمرو بن العاص، والوليد الفاسق— ورد قوله: «وأشهدكم الله، أستم تعلمون: أنه كان صاحب راية رسول الله (ص) يوم بدر، وإن راية المشركين كانت مع معاوية، ومع أبيه، ثم لقيكم يوم أحد، ويوم الأحزاب، ومعه راية رسول الله (ص)، ومعك ومع أبيك راية الشرك إلخ (٤)».

١٢— قال ابن هشام: «لما اشتد القتال يوم أحد، جلس رسول الله (ص) تحت راية الأنصار، وأرسل إلى علي: أن قدم الراية. فتقدم علي؛ فقال: أنا أبو القاصم. فطلب أبو سعدي بن أبي طلحة— وهو صاحب لواء المشركين منه البراز؛ فبرز إليه علي، فضربه علي فصرعه (٥)».

وهذا معناه: أنه عليه السلام كان صاحب الراية العظمى، فأمره (ص)

(١)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٤ عن الرياض النضرة، عن ابن الحضرمي، وذخائر العقبى ص ٧٥.

(٢)— المصنف لعبدالرزاق ج ٥ ص ٢٨٨.

(٣)— اسد الغابة ج ٤ ص ٢٠ وانساب الاشراف ج ٢ ص ١٠٦ لكن فيه ميسرة العبيسي بدل سعد بن عباد.

(٤)— كفاية الطالب ص ٣٣٦، وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٩، والغدير ج ١٠ ص ١٦٨ عنه.

(٥)— سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧٨، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧.

بتعديهما، ثم طلب منه صاحب لواء المشركين البراز، لأنه إذا سقطت الراية العظمى انكسر الجيش وانهزم...

١٣- وقال القوشجي: في غزاة أحد جمع له الرسول (ص) بين اللواء والراية (١)...

١٤- وأخيراً... فيظهر من بعض الروايات الفرق بين اللواء والراية، وأن الراية كانت في يد قصى، ثم انتقلت في ولده حتى انتهت إلى النبي (ص)، فأعطاه رسول الله (ص) لعلي في غزاة ودان، وهي أول غزاة حمل فيها راية مع النبي (ص)، ثم لم تزل مع علي في المشاهد، في بدر، وأحد.

وكان اللواء يومئذ في بني عبدالدار، فأعطاه رسول الله (ص) لمصعب بن عمير، فاستشهد، ووقع اللواء من يده؛ فتشوقته القبائل؛ فأخذه رسول الله (ص)، فدفعه إلى علي، فجمع له يومئذ الراية واللواء، فهما إلى اليوم في بني هاشم (٢)...

وهذا أيضاً هو مراد القوشجي في كلامه الآنف...

ونقول نحن: إن هذه الروايات تنافي ماتقدم: من أنه عليه السلام كان صاحب لوائه (ص) في كل زحف، كما تقدم عن ابن عباس، وعن جابر، وقتادة:

ولكن مما لا شك فيه: أن علياً - حسب النصوص المتقدمة - هو صاحب لواء رسول الله (ص)، وهو أيضاً صاحب راية رسول، لو كان ثمة فرق بينهما... وإن كنا نشك في ذلك باعتبار: أن بعض أهل اللغة ينصون على عدم الفرق (٣)، فإن كلامها عبارة عما يجعله القائد من الأقمشة في طرف رمح أو نحوه...

(١) - شرح التجريد للقوشجي ص ٤٨٦.

(٢) - الارشاد للشيخ المفيد ص ٤٨.

(٣) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧.

ونجد وصف اللواء بالأعظم تارة (١)، كما يصفون الراية بالعظمى أيضاً (٢).

إلا أن يقال: إن مصعب بن عمير كان صاحب لواء المهاجرين، فلما استشهد في أحد صار لواؤهم إلى علي، فعلي عليه السلام صاحب راية ولواء رسول الله، وهو أيضاً صاحب لواء المهاجرين... ولعله هو الاظهر... وقد تقدم بعض الكلام حول هذا الموضوع في غزوة بدر؛ فلانعيد...

### عدة وعدد المسلمين:

ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أحد... ومعه: ألف رجل، ويقال: تسع مئة، وزاد بعضهم خمسين... منهم مئة دارع.

ليس معهم فرس (٣).

وقيل: مع النبي (ص) فرسه، وفرس لأبي بردة بن نيار (٤).  
وقيل: كان معهم فرس واحد (٥).

### رجوع المنافقين:

ويظهر مما يأتي: أنه (ص) خرج نحو أحد من ثنية الوداع، شامي

(١) - راجع حياة الصحابة ج ١ ص ٤٣١، وتاريخ ابن عساكر ترجمة علي (ع) بتحقيق المحمودي ج ١ ص ١١٠ والمنتقى.

(٢) - كما في قول ابن أبي الحديد عن هزيمة الشيخين في خيبر:

والراية العظمى وقد ذهبها ملابس ذل فوقها وجلابيب (٣) - وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٨٤ و ٢٨٥ عن ابن عقبة، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢١، وفتح الباري

(٤) - تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢١.

(٥) - مجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٧ عن الطبراني، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٧٦٩ عن كنز العمال ج ٣ ص ١٣٥ عن الطيالسي.

...المدينة...

ورجع ابن ابي مهابين المدينة واحد بمن معه من المنافقين، واهل الريب... وكانوا ثلاثمئة رجل، رجع، وقال: محمد عصاني واطاع الولدان— سيعلم— ماندري علام نقتل انفسنا واولادنا هاهنا ايها الناس؟ فرجعوا. وتبعهم جابر بن عبد الله الانصاري يناشدهم الله في انفسهم، وفي نبيهم ، فقال ابن ابي: لو نعلم قتالاً لا تبعناكم، ولو اطعنا لرجعت معنا...

وقيل: ان النبي (ص) امرهم بالانصراف لكفرهم (١)... فبقي (ص) في سبع مئة من أصحابه، اوست مئة.

وبرجوع ابن ابي سقط في ايدي بني حارثة وبني سلمة، ثم عادوا إلى الموقف الحق، قال تعالى: اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا... الآية.

وروي بسند رجاله ثقات: انه بعد ان جاوز النبي (ص) ثنية الوداع إذا هو بكتيبة خشناء، فقال (ص): من هؤلاء؟ قالوا: عبدالله بن ابي بن سلول في ست مئة من مواليه اليهود. فقال: وقد اسلموا؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: مروهم فليرجعوا، فاننا لاننتصر باهل الكفر على اهل الشرك. او: فاننا لانستعين بالمشركين على المشركين (٢).

...الخيانة... وآثارها...

إن من الطبيعي: أن يكون لانخذال المنافقين أثر سيئ على نفوس المسلمين ومعنوياتهم؛ فان حدوث الخيانة ورجوع ابن ابي وأصحابه المنافقين كان أحد الأسباب الرئيسة لتهيؤ بعض المسلمين نفسياً للهزيمة في المعركة...

(١) — سيرة مغلطاي ص ٤٩.

(٢) — وفاة الوفاء ج ١ ص ٢٨٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٢ عن الوفاء والطبراني في الكبير والوسط بسند رجاله ثقات، وذكر مثل ذلك عن الكشاف ومعالم التنزيل والسيرة الخلبية ج ٢ ص ٢٢٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٢٧ ومغازي الواقي ج ١ ص ٢١٥.

حكى الله ذلك بقوله: «إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا (١)»... .

كما أن هذه الخيانة التي جاءت في لحظات حرجة وحساسة، قد مهدت الطريق، ومنحت العذر لمن تبقى من المنافقين للفرار في أخرج اللحظات، وأخطرها على الإسلام والمسلمين بصورة عامة... .

وهذا يؤيد، ويؤكد سلامة موقفه (ص) في إرجاعه في غزوة بدر من لم يكن مسلماً، وعدم قبوله باشتراك بعض اليهود في حرب أحد، حيث أرجع كتيبهم... . ولذلك شواهد كثيرة يجدها المتتبع في السيرة النبوية... .

وقد أشار الله تعالى إلى خيانتهم في العديد من الآيات، فهو يقول عن المنافقين: «لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً (٢)»... . ويعطي قاعدة عامة في التعامل مع غير المؤمنين، فيقول: «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار (٣)»... . إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه... .

وبعد هذا فاننا نعرف عدم صحة ماروي عن الزهري، قال: «كان يهود يغزون مع النبي (ص) فيسهم لهم كسهام المسلمين (٤)»... .

وما ذلك إلا لأنه: «زين للذين كفروا الحياة الدنيا، ويسخرون من الذين آمنوا (٥)»... . ولأن: «الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت (٦)»... . ومن هذا المنطلق قال ابن أبي هنا: ماندرى علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟... .

هذا من جهة... . ومن الجهة الثانية، فإن المنافقين واليهود كانوا يلتقون مع المشركين في الهدف مرحلياً... . لأنهم جميعاً لا يستطيعون أن يروا انتصار الإسلام والمسلمين في المنطقة، لأنهم — وهم الذين لاهم لهم إلا الدنيا — يرون ذلك يضر بمصالحهم، وبموقعهم السياسي والاجتماعي، والاقتصادي في المنطقة... .

(١) — آل عمران ١٢٢ . (٢) — التوبة ٤٧ . (٣) — هود ١١٣ .

(٤) — مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ١٨٨، وسنن البيهقي ج ٩ ص ٥٣، ونقل عن ابن أبي شيبه.

(٥) — البقرة ٢١٢ . (٦) — النساء ٧٦ .

و إذا حارب اليهود والمنافقون مع المسلمين، فإنما يفعلون ذلك، إما تمهيداً للخيانة بهم، وإسلامهم إلى أعدائهم. و إما طمعاً بالمال والغنائم... ومن يقاتل من أجل ذلك؛ فإنه لا يستطيع أن يضحى بنفسه، بل انما يكون مع المسلمين مادام النصر حليفهم... حتى إذا رأى أنهم في معرض الخطر، فإنه لا بد وأن يخذلهم في أخرج اللحظات، الأمر الذي سوف يؤثر تأثيراً مباشراً على معنوياتهم، ومن ثم على مستقبلهم ومصيرهم أيضاً...

سؤال... وجوابه:

ولكن يبقى سؤال: إنه إذا كان الحال على ما تقدم، فلماذا يقبل النبي (ص) المنافقين يحاربون في جيش المسلمين، مع أن ذلك يشكل خطراً عظيماً عليهم؟ ولماذا لا يفضحهم ويكشفهم للناس؟! ثم هو يمنع اليهود وغيرهم من الكفار؟ أو على الأقل لماذا لا يتخذ تدبيراً معيناً يمنعهم به من الحضور في ساحة الحرب؟!...

والجواب يتلخص في النقاط التالية:

١- إن ابقاء المنافقين في المدينة، يسرحون ويمرحون ربما يكون الخطر فيه أعظم مما لو اصطحبهم معه في الحرب، لأن ذلك يفسح المجال لهم للتآمر، من دون أن يكون من يستطيع دفع كيدهم، وردّ بغيتهم... وواقضية تبوك إلا الدليل القاطع على ما نقول، حيث اضطر الرسول الاعظم إلى ابقاء خليفته ووصيه، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى، حينما شعر أن تخلف المنافقين عن الخروج إلى تبوك يحمل في طياته أخطاراً جساماً، لا يمكن لأحد مواجهتها إلا للنبي (ص) أو أخيه علي عليه السلام...

٢- و إذا كان النفاق إيجابياً، بمعنى انه يظهر الاسلام حفاظا على مصالحه أو لأسباب خاصة أخرى مع عدم ابائه عن الدخول فيه، وتقبله طبيعياً له، وليس نفاقاً حاداً سلبياً يهتّم بهدم الاسلام والكيد له- إذا كان كذلك- فإنه تبرز الحاجة إلى محاولة إعطائهم الفرصة للتعرف اكثر فأكثر على تعاليم الاسلام وأهدافه، ولكي يعيشوا أجواءه من الداخل، وليكتشفوا ما أمكنهم من اسرار عظمته وأصالته... فتلين له قلوبهم، وتخضع له عقولهم...

وهذا بالذات... ما كان يهدف إليه الاسلام من التآلف على الاسلام، واعطاء الاموال والاقطاع، وحتى المناصب والقيادات لمن عرفوا بـ

«المؤلفة قلوبهم» بالاضافة إلى دفع كيدهم وشرهم...

وقد تقدم: أن رسول الله (ص) كان يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم، يتالفهم بذلك، حتى إن عمرو بن العاص ظن بنفسه أنه خير القوم.. ثم صار يسأل النبي(ص) عن المفاضلة بين نفسه وغيره، فلما عرف: أنهم افضل منه، قال: «فلوددت اني لم أكن سألته(١)».

٣- المحافظة على من أسلم من أبنائهم، واخوانهم وآبائهم، وأقاربهم، حتى لا تنشأ المشاكل العائلية الحادة فيما بينهم... ولا يتعرض المسلمون منهم للعقد النفسية والاجتماعية، التي ربما تؤثر على صمودهم واستمرارهم...

٤- وكذلك... فان اتخاذ أي إجراء ضد المنافقين لربما يكون سبباً في تقليل اقبال الناس على الاسلام، وعدم وثوقهم بمصيرهم، وماسوف يؤول إليه أمرهم فيه، ولاسيا إذالم يستطيعوا أن يتفهموا سر ذلك الاجراء، ولا أن يطلعوا على أبعاده وخلفياته...

ولسوف يأتي: أن سبب إظهار وحشي للاسلام، هو أنه كان معروفاً عن النبي(ص): أنه كان لايتعرض لمن يظهر الاسلام بشي يسوءه.

٥- إن اتخاذ أي إجراء ضد المنافقين معناه: فتح جبهة جديدة، كان بالامكان تجنبها... واضطرار هؤلاء الساكتين ظاهراً، انصياعاً لظروفهم إلى المجاهرة بالعداء\_وهم عدو داخلي كثير العدد، وخطير جداً، يعرف مواضع الضعف، ومواضع القوة\_والانضمام إلى غيرهم من الاعداء، العاملين ضد الاسلام والمسلمين. وواضح ان تصرفاً كهذا ليس من الحكمة ولا من الخنكة في شي، لأنه يأتي في ظرف يحتاج فيه الاسلام إلى تمزيق أعدائه وتفريقهم؛ حيث لايستطيع مواجهتهم جميعاً في آن واحد...

(١)- راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٥ عن الطبراني باسناد حسن، وفي الصحيح بعضه بغير سياقه. وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧٠٦ عن الترمذي في الشمائل ص ٢٥.

## بقي امران:

أحدهما: إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد حاول أن يجد من فعالية المنافقين ما أمكنه، وذلك بتنبية الصحابة إلى خططهم ومؤامراتهم، والكشف عن حقيقتهم ووجودهم وتحذير الناس منهم، وذكر أفعالهم وأوصافهم لهم باستمرار. حتى حينما كان النبي (ص) في مكة، بل لقد اتخذ أحياناً إجراءات عملية ضدهم، كهدم مسجد الضرار، وغير ذلك مما يظهر جلياً في الآيات القرآنية الكثيرة، والمواقف النبوية المختلفة... وهذا بطبيعته يمثل حصانة ومناعة للمسلمين ضد النفاق والمنافقين ومكائدهم.

الثاني: إنه يظهر مما تقدم: أنه قد كان ثمة كتيبة لليهود بقيادة ابن أبي، وقد أرجعها رسول الله (ص) من الطريق... ثم رجع ابن أبي مع طائفة من المنافقين. بل يظهر: أن المنافقين قد رجعوا من نفس احد(١).

## ارجاع الصغار... والحراسة:

ورّد رسول الله (ص) من استصغره، مثل: ابن عمرو بن ثابت وسمرة بن جندب، ورافع بن خديج ثم سمح (ص) لرافع؛ لانه رام. وكان يتناول من الشغف على الخروج.

فيقال: فقال سمرة لزوج امه: أذن لرافع وردني، وانا اصصره؟! فامرهما (ص) بالمصارعة؛ فصرعه سمرة بن جندب؛ فاذن له أيضاً (٢).

ونزل (ص) في مكان في الطريق، وعين محمد بن مسلمة في خمسين آخرين لحراسة الجيش. ويقولون: ثم قال: من يحرسنا الليلة؟ فقام رجل فقال: انا. فسأله عن اسمه فقال: ذكوان. فاجلسه، ثم سأل الثانية، فقام

(١) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٢٣٠.

(٢) - تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص

٤٢٢ و مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٦ وشرح النهج ج ٤ ص ٢٢٧.



رجل، فقال: انا. فسأله عن اسمه فقال: أبو سبيع، فاجلسه، وفي الثالثة قام رجل وتسمى بابن عبدالقيس فاجلسه. ثم امر بقيام الثلاثة. فقام ذكوان وحده؛ فسأل عن الباقيين، فاخبره انه هو صاحب الاسماء الثلاثة، فكان هو الذي حرسه (١).

قال المعتزلي: قلت: قد تقدم هذا الحديث في غزوة بدر، وظاهر الحال انه مكرر، وانه انما كان في غزاة واحدة. ويجوز ان يكون قد وقع في الغزاتين، ولكن على بعد (٢).

### الريب فيما ينقل عن سمرة:

ونحن هنا نرتاب فيما نقل عن سمرة بن جندب، وذلك:

١- ان ابن الأثير يذكر: أن صاحب هذه القضية هو جابر بن سمرة، حليف بني زهرة (٣).

٢- إن سمرة لم يكن مستقيماً ولا مراعياً للشرع في تصرفاته... فحياة سمرة، وتاريخه، ونفسيته وروحيته، سواء في حياة النبي (ص)، أو بعد وفاته، كل ذلك يأبى عن نسبة مثل ذلك إليه...

فأما في حياة النبي (ص)... فاننا نجد: أنه هو صاحب العذق الذي كان في حائط الانصاري، وبيت الانصاري في ذلك الحائط أيضاً؛ فكان يمرالى نخلته، ولا يستأذن، فكلمه الانصارى، فأبى... فشكاه إلى النبي (ص) فكلمه النبي (ص) فأبى أن يستأذن... فساومه النبي (ص)، وبذل له ماشاء من الثمن... فأبى أيضاً، فبذل له نخلة في الجنة في مقابلها، فأبى أيضاً... فقال رسول الله (ص) حينئذٍ للانصاري: اذهب فاقلعها، وارم بها إليه؛ فانه لا ضرر ولا ضرار...

(١) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٢/٤٢٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢١ ومغازي الواقدي ج ١

ص ٢١٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٢٢٨.

(٢) - شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٢٢٨/٢٢٩.

(٣) - الكامل ج ٢ ص ١٥١.

كما أنه هو نفسه— كما في الروضة— الذي ضرب رأس ناقة النبي (ص) فشحها، فشكته إلى رسول الله (ص).

وأما بعد وفاة النبي (ص) فإنه قتل من المسلمين مالا يحصى؛ حتى إن زياد ابن أبيه استخلفه على البصرة، وأتى الكوفة مدة وجيزة، فقتل ثمانية الآف، كما عن الطبري... وقتل سعة وأربعين رجلاً من بني عدي في غداة واحدة، كلهم قد جمع القرآن... وكان يقتل من يتشهد الشهادتين، ويبرأ من الحرورية. وبعد موت زياد أقره معاوية على البصرة ستة أشهر ثم عزله؛ فقال: لعن الله معاوية، لو أطعت الله كما أطعت معاوية لما عذبني أبداً... وكان يخرج من داره مع خاصته ركبانا فلامي بطفل، ولا عاجز، ولا حيوان إلا سحقه هو وأصحابه، وهكذا إذا رجع... فلم يكن يمر عليه يوم إلا وله قتيل أو أكثر.

وبذل معاوية له مئة ألف، ليروي: أن آية: «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا... إلى قوله: والله لا يحب الفساد(١)» نزلت في علي عليه السلام، وأن آية: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، والله رؤوف بالعباد(٢)»، نزلت في ابن ملجم؛ فلم يقبل، فبذل له مئتي ألف، ثم ثلاث مئة، ولكنه قبل حين بذل له أربع مئة ألف، كما في شرح النهج للمعتزلي...

كما أن سمرة هذا قد حضر مقتل الحسين، وكان من شرطة ابن زياد، وكان يحرص الناس على الخروج إلى قتال الامام الحسين عليه السلام(٣).

نعم... هذا هوسمرة، وهذه هي نفسيته، وأفاعيله فان كان حقاً هو صاحب القضية المتقدمة وهو بعيد في الغاية... فلا بد وأن يكون هدفه هو الحرب من اجل المال، وغيره من المكاسب الدنيوية، مهما كانت تافهة وحقيرة...

٣— وإن من الأمور التي شاعت وذاعت، ورواها المحدثون والمؤرخون بشكل واسع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سمرة، وأبي هريرة،

(١) — البقرة ٢٠٤. (٢) — البقرة ٢٠٧.

(٣) — راجع فيما تقدم: قاموس الرجال ج ٥ ص ٨—١٠.

وأبي مخذورة: آخركم موتاً في النار. فكان سمرة: آخرهم موتاً، كما نص عليه البلاذري وغير واحد (١).

وتأويل ذلك: بأن سمرة قدمات في قدر مملوءة ماءً حاراً (٢)... لا يصح... لأنه خلاف الظاهر، فإن ظاهر الكلام: أن المراد هو النار الأخروية، كما هو المتبادر... لا أن موته بسبب أن النار تجعل الماء حاراً، ثم يقع فيه؛ فإن ذلك — بالإضافة إلى أنه مجاز لا مبرر له إلا إرادة تبرئة ساحة رجل له أمثال تلك الجنايات والعظائم... لو كان هو المراد لكان الأصح التعبير بقوله: «بالنار»، لا «في النار»، أو يقول: في الماء الحار، ونحو ذلك...

وإذن... فهذه الكرامة لا تناسب كل ما أشرنا إليه آنفاً، ولا تنسجم مع واقع سمرة ونفسيته. ولعل سر التكرم عليه بهذه الفضيلة هو طاعته الخارقة لمعاوية، ومعاونته لابن زياد، وتحريضه على قتل الحسين... وغير ذلك...

ولو أننا قبلنا صدور ذلك منه؛ فإنه ولا شك قد انقلب على عقبيه بعد ذلك، ولا ينفعه أمثال هذه الأمور، بعد أن كانت عاقبته هي: النار...

### الشك في قصة ذكوان:

١— وأما قصة ذكوان بن عبد القيس فنحن نستبعدها أيضاً، وذلك، لأننا لا نستطيع أن نصدق: أن النبي (ص) كان ساذجاً إلى هذا الحد؛ بحيث لا يستطيع أن يدرك: أن الذي أجابه في المرات الثلاث، بل الرابع هو شخص واحد حتى سأل عنه الباقيين!!!...

٢— ثم إننا لم نفهم المبرر لعدم إجابة غير ذكوان من المسلمين الذين يبلغ عددهم حوالي سبع مائة رجل، وفيهم أعظم المؤمنين، وكثيرون من الغيارى على حياة الرسول وأصحابه، ويفدونهم بأرواحهم، وبكل غال ونفيس.

(١) — راجع: قاموس الرجال، والاصابة ج ٢ ص ٧٩.

(٢) — راجع الاصابة ج ٢ ص ٧٩.

٣- كما أننا لانفهم المبرر لامره (ص) اياه بالجلوس في المرات  
الثلاث!! ولم لم يوافق على طلبه من المرة الأولى؟!...

## الفصل الثاني:

نصر وهزيمة



## التعبئة للقتال:

ويقولون: إنه لما وصل النبي (ص) إلى منطقة القتال اختار أن ينزل إلى جانب جبل أحد، بحيث يكون ظهرهم إلى الجبل...

ثم عبأ أصحابه، وصار يسوى صفوفهم؛ حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجاً، فيؤخره...

وأمرهم أن لا يقاتلوا أحداً حتى يأمرهم.

وكان على يسار المسلمين جبل فيه ثغرة؛ فأقام عليها خمسين رجلاً من الرماة، عليهم عبدالله بن جبير، وأوصاه: أن يردوا الخيل عنهم، لا يأتوهم من خلفهم. وفي رواية قال: إن رأيتمونا تحتطفنا الطير، فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم، و إن رأيتمونا هزمتنا القوم، واوطأناهم؛ فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم (١).

وحسب نص آخر: احموا ظهورنا؛ فان رأيتمونا نقتل؛ فلا تنصرونا، و إن رأيتمونا قد غنمنا، فلا تشركونا (٢)...

وكان شعاره يوم أحد: أمت. أمت.

(١) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٣ عن البخاري.

(٢) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٤، عن الطبراني والحاكم، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٢.

و يقولون أيضاً: إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد ظاهر بين درعين، كما نص عليه الحاكم، وطائفة من المؤرخين. ويقول الواقدي: إنه كان قد لبس قبل وصوله إلى أحد درعاً، فلما وصل إلى ساحة الحرب لبس درعاً أخرى، ومغفراً، وبيضة فوق المغفر (١).

ومن جهة أخرى: فقد عبأ المشركون قواهم، استعداداً للحرب، وأرسل أبوسفیان إلى الأنصار: خلوا بيننا وبين ابن عمنا؛ فننصرف عنكم؛ فلا حاجة بنا إلى قتالكم، فردوا عليه بما يكرهه (٢) ونشروا هنا إلى مايلي:

### ألف: المظاهرة بين درعين:

إننا نشك في أنه (ص) قد ظاهر بين درعين... وهو يرى: أن غالب أصحابه لادرع لهم يحميهم من سيوف المشركين، فضلاً عن أن يكون لهم درعان، ولم يكن النبي (ص) يميز نفسه عليهم... بل كان من عادته أن يجعل نفسه كأحدهم...

### باء: المنطق القبلي لدى أبي سفيان:

إن محاولة أبي سفيان استعمال المنطق القبلي؛ إنما كانت لتفريق الناس عن النبي (ص)؛ ليتمكن من القضاء على حركته من أسهل طريق؛ فلا يتعرض للعدوات الحادة بينه وبين المدنيين، ولا للخسائر الكثيرة في الأرواح... ولا لتغيير المعادلات السياسية في المنطقة... إلى غير ذلك من الاعتبارات الكثيرة في جو كهذا...

ولكن فآله قدخاب، فقد وجد: أن الاسلام والمسلمين لا يأبهون لمنطق كهذا... وأصبح المسلم أخا للمسلم أياً كان، ومن أي قبيلة كانت... أما أبوسفیان واصحابه فعدو محارب، حتى ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم، أو غيرهم...

(١) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٠.

(٢) - الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥١.



## أبودجانة... والسيف:

ويقولون: إنه (ص) أخذ سيفاً، وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه، فطلبه جماعة، منهم الزبير. وفي نصوص أخرى: أبو بكر، وعمر، وتضيف رواية النبايع علياً أيضاً؛ فلم يعطهم إياه. فسأله أبو دجانة: ما حقه؟ فقال: أن تضرب به العدو حتى ينحني. فطلبه أبو دجانة؛ فأعطاه إياه، فجعل يتبخترين الصفين، فقال (ص): إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الوطن. فقاتل أبودجانة قتالاً عظيماً، حتى حمل على مفرق، رأس هند— التي كانت تحوش المسلمين بهجمات— ثم عدل السيف عنها؛ لأنها صرخت، فلم يجيها أحد؛ فكره أن يضرب بسيف رسول الله امرأة لا ناصر لها (١).

## ملاحظات على هذه الرواية:

١— إن قضية عرضه السيف على الصحابة، ومنعه من البعض، واعطائه لابي دجانة، يمكن أن تكون صحيحة...

ولكن ماتقدم عن النبايع، من ذكر علي عليه السلام فيمن لم يعطه (ص) السيف في غير محله... كيف؟ وسيأتي: أنه لم يثبت أمام ذلك الجيش الهائل سوى أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه... وهذا يقرب: أنه عليه السلام كان يدرك: أنه لم يكن هو المقصود للنبي (ص) في دعوته للمسلمين، لأنه كان يعرف موقعه ودوره في المعركة...

ويمكننا أن نحتمل هنا— بسبب ما عرفناه وما ألفناه من هؤلاء الرواة والمحدثين—: أن إضافة اسم علي في الرواية قد كانت من أجل الحفاظ على كرامة وشخصية الطالبين والممنوعين الحقيقيين عن السيف في هذا الموقف...

(١)— راجع نصوص هذه الرواية المختلفة في: لباب الآداب ص ١٧٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٤/٤٢٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٢/٢٢٣/٢٢٥، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٥٧، والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٦/١٧ وفيها ذكر عمر والزبير، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٥٩، وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٧٥—٥٧٧ عن غير واحد، وينابيع المودة إلى غير ذلك من المصادر الكثيرة التي لا مجال لتعدادها.

فإنهم لم تكن مواقفهم الحربية تأبى عن مثل هذا، حيث لم تؤثر عنهم مواقف حربية شجاعة في ساحات الجهاد، بل أثر عنهم العكس من ذلك تماماً...

٢- ثم اننا لانفهم: لماذا يرفض رسول الله (ص) إعطاء السيف للزبير، ولأبي بكر وعمر، بعد طلبهم إياه، قبل أبي دجانة، ولماذا لا يجربهم، ليظهر مواهبهم ومواقفهم؟! ولماذا يواجههم أمام الناس بهذا الرفض الفاضح والقاسي، حتى لقد وجدوا في انفسهم من منعه لهم؟.

ولربما يقال: إنه أراد أن يعطيه أنصاراً ياليتقدي به الانصار...

وجوابه: إنه قد كان اللازم حينئذ: أن يوضح ذلك لهم بكلمة، أو بإشارة، حتى لا يتعرض الممنوعون لسوء ظن الناس بهم، أو حتى لا ينسبوا للفشل والعجز، وتصير كرامتهم في معرض الامتحان... وإن كنا سنرى: أن هؤلاء الممنوعين لم يكونوا في المستوى المطلوب، وكان أبو دجانة أولى منهم بهذا التكرم، لأن هذه القضية قد جرت لوصحت بعد عودة المسلمين من الهزيمة... وسيأتي بعض الكلام في ذلك إن شاء الله...

٣- إن ما ذكره: من أن هنذا كانت تقاتل المسلمين وتحوشهم قد كذبت أم عمارة رحمها الله؛ فراجع (١).

كما أن من المعلوم: أنه (ص) قد كان يوصى سراياه وبعوثه وصايا عديدة، ومنها: أن لا يقتلوا امرأة، ولا ولا إلخ...

٤- إننا نلاحظ: أن هذه القضية التي تذكريت بختر أبي دجانة بين الصفيين، وقول النبي (ص) له... - نلاحظ-: أن نفس هذه القضية هي التي كانت من علي عليه السلام يوم الخندق، فاعترض عمر، ونبه النبي (ص) إلى مشيئته، فأجابته النبي (ص) بهذا الجواب. وستأتي مصادر هذه القضية هناك، وأنها ثابتة بلا ريب...

ويعد أن تتعدد الواقعة بكل خصوصياتها... كما أنه بعد قضية أبي

دجاجة في أحد لا يبقى مورد لاعتراض عمر في الخندق، إذ نستبعد عدم اطلاعه على ماجرى في أحد... إن لم يكن هو نفسه المعترض - كما تعودناه منه في المواقف المختلفة، حتى ليندر أن تجد في التاريخ اعتراضاً على النبي لغيره!!...

ولا أقل من حضوره وشهوده الاحداث عن قرب، فانه ممن طلب السيف ورُفِض طلبه... وإذا كان ثمة تبديل وتغيير، فلا عجب، فانها شنشنة نعرفها من أخزم...

وعلى كل حال... فان مشية علي عليه السلام يوم الخندق، كان الهدف منها هو الافتخار بعظمة وبعزة الاسلام، وذل أعدائه حتى في حال انتصارهم من جهة... ثم الحرب النفسية لأعدائه، والتأثير على معنوياتهم من جهة أخرى...

### نشوب الحرب، وقتل أصحاب اللواء:

وكان أول من رمى بسهم في وجوه المسلمين أبو عامر الفاسق في خمسين ممن معه، بعد أن حاول استمالة قومه من الاوس؛ فردوا عليه بما يكره، فتراموا مع المسلمين، ثم ولوا مدبرين.

وحرض أبو سفيان بنى عبدالدار، حاملي لواء المشركين على الحرب، وجعل النساء يضربن بالدفوف، ويحرضنهم بالشعار.

وطلب طلحة بن أبي طلحة، حامل لواء المشركين البراز، فبرز إليه علي عليه السلام فقتله... فسر رسول الله (ص) بذلك، وكبر تكبيراً عالياً - ويقال: إن طلحة سأل علياً: من هو؟ فأخبره فقال: قد علمت يا قضم: أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك (١) - وقد ضربه علي (ع) على رأسه، ففلق هامته إلى

(١) - فعن أبي عبدالله عليه السلام: أن رسول الله (ص) كان بمكة لم يجسر عليه أحد؛ لموضع أبي طالب، وأغروابه الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله (ص) يرمونه بالحجارة والتراب، وشكا ذلك الى علي عليه السلام، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله (ص)، إذا خرجت فأخرجني معك، فخرج رسول الله (ص) ومعه أمير المؤمنين عليه السلام، فعرض الصبيان لرسول الله (ص)

موضع لحيته، وانصرف علي عليه السلام عنه، فقيل له: هلا ذففت عليه؟! قال: إنه لما صرع استقبلني بعورته؛ فعطفتني عليه الرحم. وقد علمت أن الله سيقتله، وهو كبش الكتيبة (١).

وفي رواية أخرى: إنه صلوات الله وسلامه عليه قال: إنه ناشدني الله والرحم، فاستحييت، وعرفت أن الله قد قتله (٢).

وقيل: إن ذلك كان حينما قتل عليه السلام أبا سعيد بن أبي طلحة. وثمة كلام آخر في المقام لا أهمية له...

قال ابن هشام: «لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله (ص) تحت راية الأنصار، وأرسل الى علي: أن قَدِّم الراية، فتقدم علي، وقال: أنا أبو القضم (والصحيح: أبو القضم)؛ فطلب أبو سعيد بن أبي طلحة— وكان صاحب لواء المشركين— منه البراز، فبرز اليه علي، فضربه، فصرعه... ثم ذكر قصة انكشاف عورته حسبما تقدم (٣).

واقْتل الناس، وحميت الحرب، وحارب المسلمون دفاعاً عن دينهم، وعن وطنهم، الذي فيه كل مصالحهم، ويتوقف على حفظه مستقبلهم ووجودهم... حاربوا فئة حاكمة، تريد الثأر لقتلاها في بدر، وهي أكثر منهم عدداً، واحسن عدّة...

ثم شد أصحاب رسول الله (ص) على كتائب المشركين، فجعلوا يضربون وجوههم، حتى انتقضت صفوفهم، ثم حمل اللواء عثمان بن أبي طلحة،

كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين، وكان يقضمهم في وجوههم، وآناهم، وآذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم، ويقولون: قضمنا علي، قضمنا علي، فسمي لذلك: «القُضم»... راجع: البحار ج ٢٠ ص ٥٢، وتفسير القمي ج ١ ص ١١٤، وأشار إلى ذلك أيضاً في نهاية ابن الأثير.

- (١) — مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٢٦، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٦ وغير ذلك.  
 (٢) — تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٤، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ١٥٢، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٣ وغير ذلك.  
 (٣) — تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧.

أخو طلحة السابق، فقتل، ثم أبوسعده أخوهما، ثم مسافع، ثم كلاب بن طلحة بن أبي طلحة، ثم أخوه الجلاس، ثم أرطاة بن شرحبيل، ثم شريح بن قانط، ثم صواب، فقتلوا جميعاً... وبقي لواؤهم مطروحاً على الأرض، وهزموا، حتى أخذته إحدى نسائهم، وهي عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته، فتراجعت قريش إلى لوائها، وفيها يقول حسان:

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بالثمن البخس.  
ويقال: إن أصحاب اللواء بلغوا أحد عشر رجلاً (١).

قال الصادق عليه السلام، بعد ذكره قتل أمير المؤمنين عليه السلام لأصحاب اللواء: «وانهزم القوم، وطارت مخزوم، فضحها علي عليه السلام يومئذ (٢)».

كما أن رماة المسلمين الذين كانوا في الشعب قد ردوا حملات عديدهم لخليل المشركين، حيث رشقوا خيلهم بالنبل، حتى ردوها على أعقابها.

وقبل المضي في الحديث نسجل هنا ما يلي:

### الف: بنو مخزوم... وأهل البيت:

ولعل ماتقدم هو سر حقد خالد بن الوليد المخزومي على أمير المؤمنين عليه السلام— وكان خالد على ميمنة المشركين في أحد— وقد تقدمت الإشارة إلى حقد خالد هذا حين الكلام على أسطورة زواج علي عليه السلام ببنت أبي جهل...

وقد روى الحاكم، عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدى من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً: بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم (٣)».

(١) — تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧.

(٢) — الإرشاد للمفيد ص ٥٢، والبحار ج ٢٠ ص ٨٧ عنه.

(٣) — مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٤٨٧.

### باء: الزبير والمقداد على الخيل:

وثمة رواية تفيد: أن الزبير والمقداد كانا على الخيل، وحمزة بالجيش بين يديه (ص)، وأقبل خالد الذي كان على ميمنة المشركين، وعكرمة بن أبي جهل على الميسرة، فهزموهم الزبير والمقداد، وحمل النبي (ص)، فهزم أبا سفيان (١).

ونحن نشك في صحة هذه الرواية... فقد تقدم: أنه لم يكن مع النبي (ص) خيل... وجاء في بعض الروايات: أنه كان ثمة فرس واحد، أو فرسان: فرس للنبي، والآخر لابي بردة بن نيار كما تقدم... إلا أن يقال: إن المراد: أنه كان في مقابل خيل المشركين: الزبير والمقداد... ولكن ذلك بعيد عن سياق الكلام... ولا سيما إذا لم يكن معها خيل...

ثم إننا لاندرى أين كان علي عليه السلام، الذي قتل نصف قتلى المشركين أو أكثر كما سيأتي؟!... ولماذا لا تتعرض له هذه الرواية، ولا تدلنا على دوره في هذه الحرب؟!...

### جيم: اخلاص علي (ع):

وأما أن علياً انصرف عن قتل حامل لواء المشركين، لأنه قد عطفته عليه الرحم، فلا يمكن أن يصح؛ لأن علياً لم يكن ليرحم من حاد الله، وكان في كل اعماله مخلصاً لله تعالى. كل الاخلاص، وقد قدمنا موقفه حينما قتل عمرو بن عبدود...

فالظاهر: أن الصحيح: هو أنه ناشده الله والرحم، واستقبله بعورته فانصرف عنه— وهو بلاء تعرض له أمير المؤمنين مع غيره أيضاً، كعمرو بن العاص، وبسرين أرطاة في وقعة صفين— كما هو معلوم.

نعم لقد انصرف عنهم جميعاً، بدافع من كرم النفس، وطاعة لله. فهو

حين يقتل قومه يقتلهم طاعة لله، وحين ينصرف عنهم ينصرف كذلك لكرم النفس والنبيل، وطاعة لله أيضاً... حيث لم يكن ثمة حاجة للتذفيف عليه، ومشاهدة مالا يحسن مشاهدته منه — عورته — وقد علم أن الله سيقتله من ضربته تلك، التي فلقت هامته إلى موضع لحيته...

### دال: من قتل أصحاب اللواء:

واننا نبادر إلى القول: إن عليا امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام هو الذي قتل جميع أصحاب اللواء الأحد عشر — ولا يعنى بتفصيلات طائفة من المؤرخين في من قتل هذا ومن قتل ذلك — ونستند في ذلك إلى مايلي:

١ — قال الطبري، وابن الاثير، وغيرهما: «وكان الذي قتل أصحاب اللواء علي، قال أبو رافع: قال: فلما قتلهم أبصر النبي (ص) جماعة من المشركين إلخ». وستأتي المصادر الكثيرة جداً لهذا النص حين الكلام على مناداة جبرئيل:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فإلى هناك ...

٢ — وقد نص على أنه عليه السلام هو الذي قتل أصحاب اللواء عدد جَمَّ من المؤرخين وغيرهم (١).

و إذا كان هذا هو الصحيح في قتل أصحاب اللواء... و إذا كنا نلاحظ كثيراً: أنهم في مقام تفصيلاتهم الأخرى في هذا المقام وفي غيره أيضاً، يحاولون اعطاء كثير من الامتيازات لأولئك الذين لم تكن لهم علاقات حسنة باهل البيت (ع)... بل كان لغالبهم عداوات كبيرة مع علي وأهل بيته،

(١) — راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٣ عن الاسكافي، وليراجع: آخر العثمانية للجاحظ ص ٣٤٠، وشرح التجريد للقوشجي ص ٤٨٦، ومجمع البيان ج ٢ ص ٥١٣، والبحار ج ٢٠ ص ٢٦ و ٤٩ و ٦٩ و ٨٧، وتفسير القمي ج ١ ص ١١٣ والارشاد للشيخ المفيد ص ٥٢، وعن الخصال ج ٢ ص ١٢١/١٢٤.

وعلاقات وثيقة بأعدائهم ومناوئهم.

إننا بملاحظة كل ذلك ... نستطيع أن نعرف سر محاولة صرف الانظار هنا عن رجل الجهاد الحقيقي، الذي كان ولا يزال شوكة جارحة في أعين أعداء الدين الحق، الذين يحاربون الله ورسوله بالسلح تارة، وبالكذب والدعايات المسمومة أخرى، وبالتحريف والتزوير الثالثة... وهكذا...

ونحن لا بد وأن نشير هنا: إلى أن من الممكن أن يكون بعض ما ذكره عن غير علي صحيحاً أيضاً... وأنهم قد قتلوا بعض المشركين. ولكن من المؤكد: أنه لم يكن لهم دور بهذا المستوى المعروف فعلاً، ولاهم قتلوا أصحاب اللواء... ولكن مناوئي أهل البيت قد بدلوا الاسماء... ومن هنا... فلامانع من أن يكون أحدهم قد قتل بطلاً من المشركين، بأن ضربه بالسيف، فقطع يده وكتفه، حتى بلغ مؤنزره، فبدا سحره (أي رؤته) ثم رجع، وقال: أنا ابن ساقى الحجيج...

ولسوف يأتي إن شاء الله المزيد من الكلام فيما يرتبط بهذا الموضوع.

٣— وعن أبي عبدالله، عن ابيه عليها السلام، قال: كان اصحاب اللواء يوم أحد تسعة، قتلهم علي بن أبي طالب عن آخرهم إلخ (١).

ويمكن تأييد ذلك بما سيأتي إن شاء الله، من أن أمير المؤمنين (ع) قد قتل نصف بل أكثر قتلى المشركين في معركة أحد...

### هاء: مبارزة أبي بكر لولده:

ويقولون: إن ابا بكر دعا ابنه عبدالرحمان للبراز— وكان عبدالرحمان من أشجع قریش، وأشدهم رماية (٢)— يالطيف!!— يوم أحد، فقال له النبي (ص): متعنا بنفسك، أما علمت أنك منى بمنزلة سمعي من بصرى،

ميد ص ٥٢، والبحارج ٢٠ ص ٨٧ عنه.

السيرد حبيبه ج ٢ ص ١٦٨.



فأنزل الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم (١).

وذكرت قصة شبيهة بهذه لابي بكر وابنه في يوم بدر أيضاً... لكن فيها: أن عبدالرحمان هو الذي دعا أباه للبراز... ولكن لم يذكر فيها نزول الآية بهذه المناسبة (٢)... كما أن أكثر المصادر لم تذكر قوله: أما علمت أنك مني بمنزلة إلخ...

وفي بعض السير: أن أبا بكر قال لولده يوم بدر وهو مع المشركين: أين مالي يا خبيث؟. فقال له عبدالرحمان كلاماً معناه: إنه لم يبق إلا عدة الحرب، التي هي السلاح، وفرس سريرة الجري، وجنان يقاتل عليه شيوخ الضلال (٣).

### ولنا على ما ذكر ملاحظات:

١— أما بالنسبة لمال أبي بكر الذي طالبه به. فيردّه قوهم: إن ابابكر حمل ماله كله حين هاجر من مكة إلى المدينة، حتى إن أباه لما جاء وسأل: إن كان أبقى لاهله شيئاً، اضطرت أسماء لأن تضع الحصى في كيس وتلمسه إياه على أنه نقود.

٢— وأما نزول الآية فيه... فأيضاً لاندري: هل نصدق هذا؟! أم نصدق قوهم: إن أبا بكر سمع والده أبا قحافة يذكر النبي (ص) بشر؛ فلطمه لطمه سقط منها، فنهاه النبي (ص) أن يعود لمثلها، فقال: والله، لو حضرني

(١) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٩ و ٢٢٤ وفيها عن علي ما يؤيد هذا والعثمانية للجاحظ ص ٦٢ ولم يذكر نزول الآية وكذا في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٦ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٥٦ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٥٧، وملحق العثمانية ص ٣٣٠ و ٣٤٠، والبحار ج ٢٠ هامش ص ١٠٣ عن كشف الغمة، وعن المقرئ في الامتاع...

(٢) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٨، والاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٤٠٠/٣٩٩ وراجع غزوة بدر، فقد اشرنا إلى هذه الرواية هناك أيضاً.

(٣) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٩، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩١.

سيف لقتلته به (١). وهذا يعني أن الآية مكية.

كما أن هذا ينافي ما قيل في تفسير هذه الآية، من أن المراد: الدعوة إلى الحرب. أو إلى القرآن (٢). ومقتضى ما ذكر في قصته: أنه دعاه لترك الحرب، وليبقى حياً ويمتعهم بنفسه.

٣— قال ابن ظفر في الينبوع: «لم يثبت أن أبا بكر دعا ابنه للمبارزة، وإنما هوشي؛ ذكر في كتب التفسير (٣)».

٤— ولما ذكر الجاحظ في عثمانيته هذه الحادثة متبجحاً بها، أجابه الاسكافي بقوله: «ما كان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لابن بكر، فانه لو تسمعه الامامية لضافته الى ما عندها من المثالب، لأن قول النبي صلى الله عليه وآله: «إرجع» دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد، لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه، وأنت تعلم حنو الابن على الاب، وتبجيله له، واشغافه عليه، وكفه عنه، لم يحتمل مبارزة الغريب الاجنبي.

وقوله: «ومتعنا بنفسك» إيذان بأنه كان يقتل لو خرج، ورسول الله كان أعرف به من الجاحظ. فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صلي بالحرب، ومشى إلى السيف بالسيف، فقتل السادة والقادة، والفرسان والرجالة (٤)».

٥— وأخيراً... فان عائشة تقول: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، غير ان الله أنزل عذري (٥)... وحتى عذرها هذا لا يمكن أن يكون قد نزل فيها

(١) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٩.

(٢) — راجع الدر المنثور ج ٣ ص ١٧٦ عن ابن أبي شيبه وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن اسحاق.

(٣) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٩.

(٤) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٤ و ص ٢٨١ وليراجع آخر كتاب العثمانية ص ٣٤٠ وليراجع ص ٢٣٠.

(٥) — صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ١٢١، وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥٩، والدر المنثور ج ٦ ص ٤١، وفتح العدير ج ٤ ص ٢١.

كما اثبتناه في كتابنا حديث الافك.

ككيف تكون الآية قد نزلت بهذه المناسبة؟!...

### هزيمة المشركين:

ويقولون: إنه لما قتل أصحاب اللواء، وانتكست راية المشركين، صاروا كتائب متفرقة، وصار أصحاب الثغرة يرمون المشركين، و«اقتتل الناس قتالا شديداً، وامعن في الناس حمزة، وعلي، وأبو دجانه في رجال من المسلمين، وانزل الله نصره على المسلمين، وكانت الهزيمة (١)»...

وعلى حد تعبير الديار بكرى: «وقاتل علي في رجال من المسلمين (٢)»...

وانهزموا، واتبعهم المسلمون، يضعون السيف منهم حيث شاؤوا، حتى أجهضوهم، ووقعوا ينتهبون العسكر، ويأخذون مافيه من الغنائم.

وقد روى كثير من الصحابة ممن شهد أحداً، قال كل واحد منهم: والله، إني لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمت، ومادون أخذهن شيء لمن أرادهن، ولكن لامرد لفضاء الله (٣)...

ويذكرون هنا أيضاً... أن سعد بن أبي وقاص قتل بطلاً آخر، رماه بسهم، ثم أخذ يسلبه درعه، فنهض إليه نفر، فنعه سلبه، وكان أجود سلب لمشرك. درع فضفاضة، ومغفر، وسيف جيد، يقول سعد: «ولكن حيل بيني وبينه».

ويذكرون كذلك: أن عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح، قد قتل أحد

(١) - الكامل لابن الأثير ج ١ ص ١٥٣.

(٢) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧.

(٣) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٢٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٩ عنه وجمع البيان ج ٢ ص ٥١٣، وغير ذلك كثير.

فرسان المشركين؛ فنذرت أم المقتول: أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر، وجعلت لمن جاءها به مئة من الابل؛ فلما قتل يوم الرجيع، وأرادوا أن ياخذوا لها رأسه حتمته الدبر— أي جماعة النحل والزناير—... وثمة تفصيلات أخرى تقال هنا لاجمال لتتبعها...

ونحن هنا نشير إلى مايلي:

### الف: لماذا لم يسب من نساء قريش أحد؟!

إنه مع ان الفرصة كانت متاحة لسبي نساء قريش في أحد، ولكن لم يسب منهن أحد... بل نجد: انه لم يسب لقريش أحد طيلة حروبها مع المسلمين، في مدة عشر سنين...

وهذا في الحقيقة لطف الهي، ونعمة عظيمة— على الاسلام وعلى المسلمين وذلك :

أولاً: لان سبي نساء قريش لسوف يوقع بعض المسلمين من المهاجرين في حرج نفسي واجتماعي، ربما تكون له آثار سيئة على موقعه في الاسلام والمسلمين... بل ربما يوجب ذلك حرجاً لبعض المسلمين من الانصار من اهل المدينة انفسهم؛ لأن العلاقات النسبية عن طريق التزويج والتزوج كانت موجودة بين مكة والمدينة... حتى ان بعض قتلى اللواء في احد كانت أمهم اوسية...

كما ان ذلك سوف يؤثر على موقف المكيين من الاسلام. رفضا او قبولاً؛ فإن دخولهم على مجتمع قد عاملهم هذه المعاملة القاسية، في اكثر القضايا حساسية، عاطفياً، واجتماعياً، (بل ربما توجب لهم— على حدهمهم وزعمهم— عار الدهر) سوف يكون صعباً جداً، ولا سيما إذا كان لا بدوان يطلب منهم: التعامل مع هذا المجتمع بروح الصفاء والمحبة والاخوة... واني يمكنهم ذلك بعد الذي كان...

وثانياً: إنه إذا كان لم يسب لقريش احد، ولم تستطع ان تنسى

ثارات بدر، واحد، وسائر المعارك، حتى ان حرب صفين— كما قالت ام الخير بنت الحريش— كانت لاحن بدرية، واحقاد جاهلية، وضغائن أحدية، وثب بها معاوية حين الغفلة؛ ليدرك ثارات بني عبد شمس(١)... بل ان مجزرة كربلاء، وفاجعة قتل الحسين، واهل بيته واصحابه، كانت لها دوافع بدرية، واحن احدية أيضاً، فقد قال اللعين يزيد بن معاوية:

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخنزرج من وقع الاسل  
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يايزيد لاتشل

كما أنه لما وصل رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة رمى مروان بالرأس نحو قبر النبي(ص)، وقال: يا محمد يوم بيوم بدر(٢) وقيل: إن الذي قال هذا هو الاشدق، كما في مثالب أبي عبيدة، كما ذكره في الغدير ١٠ ص ٢٦٤.

هذا عداعن واقعة الحرة، وسائر المواقف العدائية لقريش تجاه أهل البيت، واصحابهم، وشيعتهم... فلو أن النبي(ص) كان قد سبي أحداً من قريش؛ فها هي الحالة التي يمكن ان تتصور لزينب، وسبايا كربلاء؟!... اللواتي تجرعن الغصص، وواجهن افضع المصائب والبلايا، على يد يزيد الغادر الاثيم... واعوانه، اعوان الشيطان؟! ومع ذلك نجدهم يقولون: إنه امام مجتهد، أو انه كان مجتهداً متأولاً مخطئاً(٣). فانالله، وانا إليه راجعون!!

باء: مقارنة:

قال المعتزلي: «قلت: شتان بين علي وسعد، هذا يجاحش على

(١) — العقد الفريد ط دارالكتاب ج ٢ ص ١١٧، وصبح الاعشى ج ١ ص ٢٥٠، وبلاغات

النساء ص ٣٨ وفي الغدير ج ٩ ص ٢٧١ عنهم وعن نهاية الارب ج ٧ ص ٢٤١.

(٢) — شرح النهج للمعتزلي تحقيق محمدابوالفضل ابراهيم ج ٤ ص ٧٢، ٧١ عن الاسكافي.

(٣) — الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٨٩ وتاريخ ابن كثير ٧/٢٧٩ و ٨/٢٢٣ وج ١٣ ص ٩،

والغدير ٩/٩٣/٣٩٤ عنهم. والعواصم من الفواصم... وكذا قالوا في ابن ملجم أيضاً كما ذكره في الغدير عنهم أيضاً فراجع الصفحات المشار إليها.

السلب، ويتأسف على فواته، وذاك يقتل عمرو بن عبد وديوم الخندق، وهو فارس قریش، وصنديدها، ومبارزه؛ فيعرض عن سلبه؛ فيقال له: كيف تركت سلبه، وهو أنفـس سلب؟! فيقول: كرهت أن أـبـز السبـي ثيابه... فكأن حبيباً عناه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكربة في المسلوب لا السلب (١)»

الهزيمة بعد النصر:

ويقولون: إنه لما رأى أصحاب الثغرة المشركين قد انهزموا، وأن المسلمين يغنمون، اختلفوا، فبعضهم ترك الثغرة للغنيمة. وفي معالم التنزيل: إنهم قالوا: نخشى أن يقول رسول الله (ص): من أخذ شيئاً فهو له، ولا يقسم الغنائم— كما لم يقسمها يوم بدر (٢)— وقال بعضهم— وكانوا فوق العشرة، أو دونها—: لا نخالف أمر رسول الله (ص)...

ولما سأل رسول الله (ص) التاركين لمراكزهم عن سبب ذلك، قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفاً، فقال: بل ظننتم: أنا نغل؛ فلا نقسم لكم. فأنزل الله تعالى: وما كان لبي أن يغل، ومن يغل يأت بما غل— الآية— وقال بعضهم: وانزل الله: منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة.

فلما رأى خالد قلتهم، وخلاء الجبل، واشتغال المسلمين بالغنيمة، ورأى ظهورهم خالية، صاح في خيله، فرهبهم، وتبعه عكرمة في جماعة؛ فحملوا على من بقي في الثغرة؛ فقتلوهم جميعاً؛ ثم حملوا على المسلمين من خلفهم... ورأت قریش المنهزمة عودة رجالها للحرب، ورفعت الحارثية لواءهم الذي كان ملق على الأرض؛ فعادوا الى الحرب من جديد...

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧.

(٢)— الظاهر: أن هذه جملة اعتراضية، زادها الرواة تبرعاً... وإلا فقد تقدم: أنه (ص) قد قسم الغنائم في بدر، بل لقد ادعوا— وإن كان ذلك كذباً—: أنه (ص) قد أسهم لمن لم يكن قد حضرها، فكيف بغيره... فراجع...

وطبيعي: أن المسلمين الذين كانوا قد تفرقوا، وانتقضت صفوفهم، ولم يعودوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، يشد بعضهم بعضاً... وفقدوا الارتباط بقيادتهم الحكيمة، وهم في طلب المغنم، لم يمكنهم مقاومة هذه الحملة الضارية، وضاعوا بين اعدائهم، فكان همُّ كل واحد منهم أن ينجو بنفسه—اهتمهم انفسهم— على حد تعبير القرآن الكريم...

ولاسيا و ان أحد المشركين قد قصد مصعب بن عمير وهو يذب عن رسول الله، فظن انه الرسول نفسه فقتله،— (فيقال: ان اللواء كان معه فأخذه أبو الروم و يقال: بل اخذه ملك في صورة مصعب— والذي عليه المحققون: ان النبي (ص) اعطاه علياً(ع) وقد قدمنا أن الظاهر هو: أن هذا اللواء خاص، وليس هولاء الجيش، الذي كان مع علي(ع)—). ونادى قاتل مصعب— اوغيره—: ان محمداً قد قتل؛ فازداد المشركون جرأة، وهزم المسلمون الذين، لم يستطيعوا جمع شملهم، ولم شعثهم... وثبت علي(ع) وحده معه(ص)، يدافع عنه.

وخلص العدو الى رسول الله (ص)، فكسرت رباعيته الشريفة، وكلمت شفته، وشج في وجهه، ونشبت حلقتان من الدرع في وجهه الشريف، ودث بالحجارة، حتى وقع لشقه... هكذا يقولون...

ويقولون أيضاً: إن أبا عبيدة هو الذي انتزع حلقتي الدرع، فسقطت ثنيتها، فكان أحسن الناس هتماً. وقيل: بل انتزعهما ابوبكر، وقيل: طلحة، وقيل: عقبة بن وهب(١)...

ولابد أن يكون انتزاعها بعد عودة المسلمين من هزيمتهم، كما سنرى... كما أن من كسر رباعيته(ص) لم يولد له ولد، إلا وابتلي بالهتَم، كما يقولون...

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٥، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٤٧، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٣٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣١. وليلاحظ مدى الاختلاف في هذا!!

### الرسول يدعوهم في اخراهم:

نعم... لقد هزم المسلمون، وجعل الرسول (ص) يدعوهم في  
اخراهم: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، إليّ يا فلان، إليّ يا فلان، وهم  
يصعدون ولا يلوون، ولا يعرج عليه أحد، والنبيل يأتي إليه من كل ناحية...

واستمروا في هزيمتهم حتى الجبل، وفيهم: أبوبكر، وعمر، وطلحة،  
وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم... أما عثمان فقد استمر في هزيمته ثلاثة أيام—  
كما سنرى—.

### علي (ع)... وكتائب المشركين:

وحين انهم الناس غضب صلى الله عليه وآله وسلم، ونظر إلى جنبه  
فاذا علي عليه السلام؛ فقال: مالك لم تلحق ببني أبيك؟! فقال عليه السلام: يا  
رسول الله، أكفربعد إيمان؟!، إن لي بك أسوة (١).

ويقول النص التاريخي: كان الذي قتل أصحاب اللواء علي، قاله  
أبورافع.

وصارت تحمل كتائب المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله،  
فيقول: يا علي اكفني هذه؛ فيحمل عليهم، فيفرقهم، ويقتل فيهم...  
وهكذا... حتى قصده كتيبة من بني كنانة، فيها بنوسفیان بن عوف  
الاربعة، فقال له (ص): اكفني هذه الكتيبة؛ فيحمل عليها، وإنها لتقارب  
خمسین فارساً، وهو عليه السلام راجل، فإزال يضرها بالسيف حتى تتفرق  
عنه.

ثم تجتمع عليه هكذا مراراً، حتى قتل بني سفيان بن عوف الاربعة،  
وتمام العشرة منها، ممن لا يعرف بأسمائهم... فقال جبريل عليه السلام: يا  
محمد، إن هذه المواسة، لقد عجبت الملائكة من مواسة هذا الفتى!

(١) — البحارج ٢٠ ص ٩٥ و ١٠٧ عن إعلام الوری، وروضة الكافي ص ١١٠.



فقال (ص): وما يمنع، وهو مني وأنا منه؟!...  
 فقال جبريل: وأنا منكما...  
 ثم سمع مناد من السماء:  
 لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى إلا علي...  
 فسئل (ص) عنه؛ فقال (ص): هذا جبريل (١).

قال المعتزلي: «...قلت: وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين، وهو من الاخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن اسحاق، ورأيت بعضها خالياً منها، وسألت شيخي عبدالوهاب بن سكينه رحمه الله عن هذا الخبر، فقال: هذا الخبر صحيح إلخ (٢)».

وبعد أن صدّ أمير المؤمنين عليه السلام تلك الكتاب لم يعد منهم أحد (٣).

وأصيب أمير المؤمنين عليه السلام بجراح كثيرة، قال أنس بن مالك:

(١) - النص المتقدم في أكثره للمعتزلي في شرح النهج ج ١٤ ص ٢٥١/٢٥٠ عن الزاهد اللغوي غلام ثعلب، وعن محمد بن حبيب في أماليه. وراجع الرواية في: تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٧ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٤، و فرائد السمطين، الباب الخمسين ج ١ ص ٢٥٧، و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٤ و ١٢٢ عن البزار وعن الطبراني، و كنز العمال ج ١٥ ص ١٢٦ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٥، واللائي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٥، و تفسير القمي ج ١ ص ١١٦، والبحار ج ٢٠ ص ٥٤ و ٩٥ و ١٠٥ و ١٠٧ و ١٠٢ عن القمي وعن علل الشرايع ص ١٤، و عن الارشاد ص ٥١، و اعلام الورى وتفسير فرات ص ٢٦/٢٤، وروضة الكافي ص ١١٠، وعيون أخبار الرضا ج ١، و حياة الصحابة ج ١ ص ٥٥٩، و ربيع الابرار ج ١ ص ٨٣٣، و مناقب الخوارزمي ص ١٠٣، إلا أن فيه: أن ذلك كان في بدر. والغدير ج ٢ ص ٥٩-٦١، عن العديد من المصادر، و سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٦ و تاريخ ابن عساكر - ترجمة علي (ع) بتحقيق الحمودي ج ١ ص ١٤٨/١٤٩/١٥٠ وفي هامشه عن الفضائل لاهمدين حنبل، الحديث رقم ٢٤١ و عن المعجم الكبير للطبراني ج ١ في الورق ٥٠ في ترجمة أبي رافع. و غاية المرام ص ٤٥٧، و فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٣٤٣ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٢، وعن علي بن سلطان في مرقاته ج ٥ ص ٥٦٨ عن احمد في المناقب.

(٢) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٥١.

(٣) - الارشاد للشيخ المفيد ص ٥٣، والبحار ج ٢٠ ص ٨٨.

«أتى رسول الله (ص) بعلي (ع) يومئذ وفيه نيف وستون جراحة، من طعنة، وضربة، ورمية. فجعل رسول الله (ص) يمسحها وهي تلتئم باذن الله تعالى كأن لم تكن (١).

وقبل أن نتابع حديثنا لا بد وأن نشير إلى الأمور التالية:

### ألف: استشهاد حمزة رضوان الله عليه:

وبعد قتل أصحاب الالوية، واشتداد الحرب، قال وحشي: والله، إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس هدأً، بسيف ما يبق شيئا، مثل الجمل الأورق... فاختبأ وحشي خلف شجرة، أو حجر، ورصد حمزة حتى مرّ عليه، بعد قتله سباع بن عرفطة بن عبد العزى، وقبله أبانيار، فأتاه من ورائه (٢) فدفع عليه حربته، فأصابت ثنته... فأقبل حمزة نحوه، فغلب، فوقع؛ فلما مات جاءه وحشي، وأخذ حربته، وشغل المسلمون عن وحشي بهزيمتهم (٣)...

ورجع وحشي إلى العسكر، ومكث فيه، ولم يكن له بغيره حاجة... وأعطته هند ثوبها وحليها، ووعدته عشرة دنانير بمكة...

نعم... عشرة دنانير لقاتل أسد الله وأسد رسوله!!!...

### استطراد حول وحشي:

ولما عاد وحشي إلى مكة أعتق... ويقال: إنه ندم على ما فعل لأنه لم يعتق (٤)... فلما كان فتح مكة هرب إلى الطائف؛ فقبل له: «ويحك، إنه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل دينه»، فذهب مع الوفد إلى المدينة.. وقبل أن يقع نظر النبي (ص) عليه شهد شهادة الحق... فلما رآه النبي (ص) يقال: إنه طلب منه: أن يحدثه كيف قتل حمزة، ففعل، وقال له (ص): غيب وجهك

(١) - البحار ج ٢٠ ص ٢٣، ومجمع البيان ج ٢ ص ٥٠٩.

(٢) - البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٠١.

(٣) - ارشاد المفيد ص ٥٠ والبحار ج ٢٠ ص ٨٤.

(٤) - راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤، والطبري ج ٢ ص ١٩٥.

عني. فكان يتنكبها حيث كان؛ لئلا يراه حتى قبضه الله (١).

قال ابن اسحاق: فبلغني: أن وحشياً لم يزل يحدّ في الخمر حتى خلع من الديوان. فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمت: أن الله لم يكن ليذمّ قاتل حمزة. ثم مات غريقاً في الخمر (٢).

ونشير نحن هنا إلى مايلي:

**الأول**— إن كلمة عمر في حق وحشي تشير إلى أنه يعتبر: أن ذلك هو فعل الله بوحشي، وأنه مجبور على ذلك... ولعل ذلك كان من عمر لرواسب معنية أشار إليها العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني في كتابه: بحوث مع أهل السنة والسلفية... وتحدّث عن أن عقيدة الجبر كانت موجودة في الجاهلية، وبقيت رواسبها إلى ما بعد ذلك...

والذي نعتقده، وهدانا إليه القرآن والاسلام والعقل، هو أن الله تعالى لم يكن ليجبر عباده على شيء، وإنما هم يعصون ويطيعون ببلء إختيارهم.

**الثاني**— إن وحشياً قد أسلم؛ لأن من عادة النبي صلى الله عليه وآله: أن لا يقتل أصحابه، كما أنه لما طلب عمر من النبي (ص) أن يقتل ابن أبي المنافق، أجابه: دعه، لا يتحدث الناس: أن محمداً يقتل أصحابه (٣)، كما أنهم لما رجعوا من أحد إلى المدينة، وأرجف بهم المنافقون، واطهروا الشماتة، طلب عمر بن الخطاب من النبي صلى الله عليه وآله: أن يأمره بقتلهم، فرفض (ص) ذلك؛ لأنه مأمور أن لا يقتل من يتشهد الشهادتين (٤)... ولسوف نشير

(١)— راجع في ذلك: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٦، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٩، وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٧٢ عن البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨ عن ابن اسحاق. وقال في آخره: وأخرجه البخاري، عن جعفر بن عمر.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٦، واسعاف الراغبين، بهامش نورالابصار ص ٨٦.

(٣)— المصنف ج ٩ ص ٤٦٩، وفي الهامش عن: البخاري ج ٨/٤٦٠/٤٦٢ عن ابن المديني، والحميدي عن ابن عيينة، وأخرجه مسلم.

(٤)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٦ ولهذا نظائر أيضاً لا مجال لتبعتها...

إلى ذلك في أواخر غزوة أحد، إن شاء الله تعالى...

نعم... وهذه هي الخطة الحكيمة والصحيحة، وذلك لأن قتله لأصحابه، معناه:

١- أن لا يرغب أحد بعد في الدخول في الاسلام؛ لأنه لا يرى فيه عصمة لنفسه، ولا يطمئن لمستقبله ووجوده...

٢- أن يفسح المجال أمام أعداء الاسلام للقيام بحملة دعائية ضده، ومنع الناس من التعرف عليه والاهتداء بهديه...

٣- إن ذلك ربما يدفع ضعفاء النفوس، ممن أظهروا الاسلام إلى التخلي عنه، ابتعاداً بانفسهم عن مواطن الخطر بزعمهم...

٤- كما أنه لا يبقى مجالاً للتعصبات القبلية، التي ربما تؤدي إلى خروج قبيلة بكاملها من الاسلام... ولعله لأجل ذلك نجد أباسفيان لا يثار لأبي أزهري الدوسي، وكان في جواره، ومنع ولده من ذلك، وقال له: «أترى أن تفرق بين قريش؛ فيقوى علينا محمد؟ لعمرى ما بدوس عجز عن طلب ثارهم (١)».

الثالث: إن موقف الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم من وحشي، إن دل على شيء؛ فانما يدل على أن وحشياً لم يكن مسلماً حقاً... وعليه فان التشهد بالشهادتين، وإن حقن دم وحشي... إلا أنه إنما اسلم حينما رأى البأس، بعد أن أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه... فاسلامه و ايمانه لا ينفعه؛ لأنه في الحقيقة لم يكن مستنداً إلى الاختيار، ولا إلى القناعة الوجدانية والعقلية بهذا الدين... وأعتقد: أنه لولا شبهة: أن النبي (ص) إنما قتل مسلماً، وما سوف يوجب ذلك من تبليبل في الافكار، و من ضرر على الاسلام، لكان للنبي (ص) أن يقتله... و ان اعماله الشنيعة والقبیحة، وسيرته الخبيثة لتدل دلالة واضحة على أنه لم يسلم، وانما استسلم... تماماً

كما كان الحال بالنسبة لطلقاء مكة، أبي سفيان واصحابه...

باء: هل يدعو النبي (ص) على قومه؟!:

وقد رووا عن أنس: أن النبي (ص) جعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؛ فأنزل الله تعالى: «ليس لك من الأمر شيء، أو يتوب عليهم أو يعذبهم، فانهم ظالمون (١)».

وقيل: إنه (ص) جعل يلعن أباسفيان، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحريث بن هشام، فنزلت الآية فتتوب عليهم كلهم (٢).

وقيل: انه (ص) هم أن يدعو عليهم، فنهاه الله تعالى بهذه الآية؛ لعلمه بأن فيهم من يؤمن، فكف عن الدعاء عليهم (٣)...

ونحن نشك في صحة ماتقدم، وذلك لما يلي:

١- تناقض الروايات المتقدمة

٢- إنهم يقولون: إن سبب نزول الآية هو: أنه (ص) كان يقنت في صلاته بعد الركوع، ويدعو على مضر، وفي صلاة الفجر يدعو على بعض الاحياء العربية؛ فنزل قوله تعالى: ليس لك من الامر شيء (٤).

(١)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٩ عن ابن اسحاق، والترمذي، والنسائي، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٤٥، ومجمع البيان ج ٢ ص ٥٠١، والبحار ج ٢٠ ص ٢١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٤، والدر المنثور ج ٢ ص ٧١/٧٠ عن: ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن جرير، والنسائي، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، وابن أبي حاتم، وعبدالرزاق، والبيهقي في الدلائل.

(٢)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٤، والدر المنثور ج ٢ ص ٧١ عن: احمد، والبخاري، والترمذي، وابن جرير، والنسائي، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل.

(٣)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤١/٢٣٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٩.

(٤)- الدر المنثور ج ٢ ص ٧١ عن البخاري ومسلم، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في ناسخه والبيهقي في سننه، ومجمع البيان ج ٢ ص ٥٠١، والبحار ج ٢٠ ص ٢١

وفي نص آخر: إنه (ص) كان يلعن فلاناً و فلاناً من المنافقين، فانزل الله سبحانه الآية (١).

وفي أخرى: ان الآية قدنزلت، حينما أساء رجل من قریش الأدب مع النبي (ص)، فدعا عليه (ص) (٢).

٣— انهم يقولون: إنه (ص) قد قال حين شج في وجهه: اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون (٣)...

٤— وأخيراً... فان الآية المباركة المذكورة، لو كانت نازلة «رداً» على النبي (ص) لم يبق ثمة مناسبة بينها وبين الآية التي قبلها... ولم يمكن تفسير هذه الآية تفسيراً معقولاً و مقبولاً، و خصوصاً قوله تعالى: «أو يتوب عليهم»، فانه عطف على الآية قبلها... و الآيتان هما:

«ليقطع طرفاً من الذين كفروا، أو يكبتهم، فينقلبوا خائبين. ليس لك من الامر شيء، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم؛ فانهم ظالمون. والله مافي السماوات و مافي الأرض، يغفر لمن يشاء، و يعذب من يشاء» (٤).

والمعنى: أن نصرالله لكم بيد، و امداده لكم بالملائكة، و غير ذلك من أمور، إنما هو ليقطع الله منهم طرفاً، و يقلل عدتهم بالقتل و الأسر، أو ليخزبهم و يغيظهم، أو ليتوب عليهم، أو ليعذبهم...

فأما القطع و الكبت؛ فلأن الأمر إليه (أي إلى الله) لالك يا محمد، لتمدح أوتدّم— و قد ذكر هذا بنحو الجملة الاعتراضية بين الاقسام المتقدمة— و أما التوبة و العذاب؛ فلان الله هو المالك لكل شيء؛ فيغفر لمن يشاء، و يعذب

(١)— الدر المنثور ج ٢ ص ٧١ عن النحاس في ناسخه، و عبد بن حميد...

(٢)— الدر المنثور ج ٢ ص ٧١ عن ابن اسحاق و النحاس في ناسخه...

(٣)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٢ عن ابن عائد، و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٦، و مجمع البيان ج ٢ ص ٥٠١، و البحار ج ٢٠ ص ٢١ و ٩٦ عنه و عن اعلام الوری...

(٤)— آل عمران ١٢٧-١٢٩.

من يشاء (١)...

فلاربط للاية اذن... بالكلام المنسوب إلى النبي(ص)... ولو كان الكلام منفصلاً عما قبله كما تقتضيه الروايات المتقدمة لورد السؤال: إن قوله: «أو يتوب عليهم» معطوف على ماذا؟!...

هذا... ويجب أن لانسى: أن ثمة يداً تحاول أن تثبت الايمان للاربعة المتقدم ذكرهم، ولغيرهم من أعوانهم—ممن صارت السلطة فيما بعد الى قومهم وأبنائهم... مع أنهم من الطلقاء و المناققين المؤلفة قلوبهم، ومع أنه قد صدرت منهم أمور تدل على أنهم لم يسلموا، وإنما استسلموا— كما سنذكره عن أبي سفيان في أواخر غزوة أحد إن شاء الله تعالى...  
استطرا دهام:

وان مما يلفت النظر هنا قوهم فيما تقدم: إنه(ص) جعل يلعن صفوان واباسفيان إلخ... فنزلت الآية، فتيب عليهم كلهم...

وأعجب من ذلك: أن نجد ابن كثير يدعي: بالنسبة لدعاء النبي(ص) على معاوية بقوله: «لأشبع الله بطنه، قال: فاشبع بعدها(٢): أن معاوية قد انتفع بهذا الحديث دنيا وآخرة: أما في الدنيا فكان بعد ما يأكل الكثير يقول: والله ما اشبع وإنما اعياء، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك... وأما في الآخرة، فقد اتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري، وغيرهما من غير وجه، عن جماعة من الصحابة: أن رسول الله(ص) قال: اللهم إنما أنا بشر (وفي رواية: اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر) فأيا عبد سببته، أو جلدته، أودعوت عليه، وليس لذلك أهلاً، فاجعل ذلك كفارة وقرية تقربه بها عندك يوم القيامة(و في نص: سببته أو لعنته أو جلدته، فاجعلها له زكاة ورحمة. أو: فاجعل ذلك له قرية إليك .). (٣)— قال ابن

(١) — راجع: تفسير الميزان ج ٤ ص ٩.

(٢) — صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٧، والبداية والنهاية ج ٨ ص ١١٩.

(٣) — راجع في هذه النصوص: صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٧، وج ٢ ص ٣٩١ كتاب البر والصلة

كثير: «فركب مسلم من الحديث الأول و هذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك» (١).

ونحن نخيل القارئ الى الغدير ج ١١ ص ٩٠/٨٩. ليراجع تعليقة العلامة الاميني على هذا المقام حول شيع بطن معاوية. أما نحن فنكتفي بالاشارة إلى الحديث الثاني، فنسجل مايلي:

١—روي عنه (ص) انه قال: المؤمن لا يكون لعاناً، وقوله: وقد أبى الدعاء على المشركين: إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة، فلم يلعنهم ولادعاهم، وقال (ص) لللعنة جارية ناقتها: لاتصاحبنا ناقة عليها لعنة...

وقال سلمة بن الاكوع: كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأيناً أنه قد أتى باباً من الكبائر...

وجاء في اللعنة أحاديث كثيرة لاجمال لتتبعها (٢).

٢— وقد ذكر في الرواية: السباب. مع أنه (ص) قال: —سباب المؤمن فسوق. وقال: المستبان شيطانان يتهاوران ويتكاذبان. وغير ذلك... (٣).

٣— وأما ان النبي بشر يرضى ويغضب، فانه (ص) هونفسه قال لعبدالله بن عمرو: أكتب عني في الغضب والرضا، فوالذي بعثني بالحق نبياً



والغدير ج ١١ ص ٨٩ و ج ٨ ص ٢٥٢ عنه وعن مسند أحمد ج ٢ ص ٢٤٣، وصحيح البخاري ج ٤ ص ٧٨ كتاب الدعوات ودلائل الصدق ج ١ ص ٤١٦ وراجع نسب قریش لمصعب ص ٢١٩، واسد الغابة ج ٥ ص ٤٨٥، والمصنف ج ٥ ص ٢١٤ و ج ١١ ص ١٨٩ و ج ٩ ص ٤٦٩.

(١) — البداية والنهاية ج ٨ ص ١١٩ والغدير عنه.

(٢) — راجع هذه الأحاديث في الغدير للعلامة الاميني ج ١١ ص ٨٩—٩٣ و ج ٨ ص ٢٥٢ عن كثير من المصادر ودلائل الصدق ج ١ ص ٤١٦.

(٣) — الغدير ج ١١ ص ٩١ و ج ٨ ص ٢٥٢ عن البخاري ج ١ و مسلم، والترمذي والنسائي، وابن ماجه، والطبراني، والحاكم، والدارقطني وأحمد، والطيالسي والهيثمي، والسيوطي، والمناوي.



ما يخرج منه إلا حقاً وإشاراً إلى لسانه (١).

٤— وكان (ص) — كما وصفه أمير المؤمنين لا يغضب للدنيا؛ فإذا أغضبه الحق، لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيئاً حتى ينتصر له... (٢)

٥— و عنه (ص): المسلم من سلم الناس من يده و لسانه... كما في أوائل صحيح البخاري...

٦— وروى البخاري في كتاب الادب: أنه (ص) لم يكن سبباً و لافحاشاً و لالاعاناً...

٧— وقد قال تعالى: «الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و اثماً مبيناً». و بعد هذا فاننا نعرف: أنه لاقيمة لقولهم: ان من خصائصه (ص) جواز لعن من شاء بغير سبب (٣).

قال المظفر رحمه الله: «نعم ربما يلعن بعض المنافقين و فراعنة الامة، الذين ينزون على منبره، نزو القردة لكشف حقائقهم؛ إذ يعلم بابتلاء الامة بهم، كبنى أمية الشجرة الملعونة في القرآن.

لكن أتباعهم وضعوا الحديث الذي صيروا فيه اللعنة زكاة ليعموا على الناس امرهم، و يجعلوا لعن النبي (ص) لهم لغواً و دعاءه على معاوية بأن لا يشبع الله بطنه باطلاً، فجزاهم الله تعالى عن نبينهم ما يحق بشأنهم (٤)».

ولا تذهب نفسك عليهم حسرات:

هذا... و مما يلفت النظر هنا: أننا نجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

(١) — الغدير ج ١١ ص ٩١ عن سنن الدارمي ج ١ ص ١٢٥، و عن احياء العلوم ج ٣ ص ١٦٧: أخرجه أبو داود.

(٢) — الغدير ج ١١ ص ٩٢ عن الترمذي في الشمائل...

(٣) — الغدير ج ١١ ص ٩٣ عن الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٤٤، و المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٩٥.

(٤) — دلائل الصدق ج ١ ص ٤١٧، و راجع الغدير ج ١١ ص ٨٩—٩٤.

مع مانالته به قر يش، كان يقول— وفي تلك اللحظات بالذات—: اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون...

وما ذلك إلا لأنه رجل هادف... لا يكرههم، ولا يعاديهم؛ لأنهم عدو، وإنما هو يكره كفرهم، وانحرافهم، واعمالهم الشاذة، التي تعود أولاً وأخيراً بالدمار عليهم وعلى اخوانهم من بني الانسان... ولقد كان يذوب حسرة وشفقة عليهم؛ حتى عاتبه الله تعالى بقوله: «ولا تذهب نفسك عليهم حسرات (١)».

نعم... إن النبي (ص) يرأف على عدوه، وتذهب نفسه حسرات عليه، وهتم ويبدل كل غال ونفيس في سبيل انقاذه... وليس أشد على الانسان من أن يعيش قضية آخر، ومشاكله، ويبدل كل ما في وسعه من أجل انقاذه... وإذا به يرى ذلك الغير يعاديه ويعلن الحرب عليه، ويعمل على قتله— من أجل أن يحتفظ بذلك الانحراف بالذات، وفي سبيل الابقاء على تلك المشاكل نفسها...

ومن أجل ذلك احتاج الانبياء إلى أعظم مراتب الصبر... كما يظهر من الآيات القرآنية...

وقد أشرنا من قبل إلى أن وصي وتلميذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أمير المؤمنين عليه السلام يرسل منادياً ينادى في جيش عائشة بما مضمونه: ان اتقوا سيف الاشر، وجندب بن زهير... وما ذلك إلا لأنه يريد اعلاء كلمة الله بأقل قدر ممكن من الخسائر... لأنه يحب لهم الهداية، ولا يريد أبداً لهم الضلالة والغواية... وكان— كأخيه— تذهب نفسه حسرات عليهم.... كما يظهر من كلماته المرّة المعبرة عن غصته وآلامه... هذا... دعاعن الحرب النفسية التي تعجل في كسر شوكتهم، وتحطيم كبرياتهم.

لم يثبت في أحد غير علي (ع):

وأما عن الذين ثبتوا يوم أحد، فنجد الروايات مختلفة جداً، وتذكر

أرقاماً متعددة من واحد إلى ثلاثين...

والصحيح هو أن علياً وحده هو الذي ثبت يوم أحد، وفرّ الباقون.  
ويدل على ذلك :

١- قال القوشجي، بعد أن ذكر قتل علي عليه السلام لأصحاب اللواء: «فحمل خالد بن الوليد بأصحابه على النبي (ص)؛ فضربوه بالسيوف والرماح، والحجر، حتى غشي عليه، فانهزم الناس عنه سوى علي (ع)؛ فنظر النبي (ص) بعد افاقته، وقال: اكفني هؤلاء، فهزمهم علي عنه، وكان أكثر القتولين منه (١)».

٢- وقد قالوا: «كان الفتح يوم أحد بصبر علي (رض) (٢)».

٣- عن ابن عباس، قال: لعلي أربع خصال، هو أول عربي وعجمي صلى مع النبي (ص)، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم المهراس، أي يوم أحد، انهزم الناس كلهم غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره (٣)...

٤- ما سنذكره - بعد الحديث عن موقف علي - من أن من يذكر: أنهم ثبتوا لاريب في فرارهم، كما تدل عليه النصوص... وقبل أن نشير إلى هذه الناحية لا بد من الإشارة إلى ما يمكن أن يقال حول ثبات علي (ع) في هذا الموقف...

إنه مني... وأنا منه:

وإن قول النبي (ص) عن علي عليه السلام: إنه مني وأنا منه، لا بد

(١) - شرح التجريد ص ٤٨٦، و دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٧ عنه.

(٢) - نور الأبصار ص ٨٧، والارشاد للمفيد ص ٥١ و ٥٢، والبحار ج ٢٠ ص ٦٩ و ٨٦ و ٨٧ و ١١٣ والاحتجاج ج ١ ص ٢٠٠/١٩٩.

(٣) - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١١، ومناقب الخوارزمي ص ٢١/٢٢، وراجع: ارشاد المفيد ص ٤٨ وتيسير المطالب ص ٤٩.

وأن نفهم معناه ومغزاه... وهو قريب من قوله (ص): حسين مني وأنا من حسين...

ولعل المراد: أن أمير المؤمنين عليه السلام هو من النبي (ص) سلوكاً، وعقيدة، ومبدأ، ونضالاً، وأدباً، وخلوصاً، وصفاء. إلخ... فالنبي (ص) هو الذي صنع علياً، وعلمه، وثقفه، وأدبه...

كما أن النبي (ص) من علي... النبي... الذي يكون وجوده الحقيقي بوجود دينه ومبده، وفكره، وعقيدته وسلوكه، ومواقفه— هذا النبي— من علي وعلي هو الذي سوف يبعثه من جديد من خلال احيائه لمبادئه، وفضائله وآدابه وعلومه، وغير ذلك...

وهكذا كان... فلولا علي لم يبق الاسلام، ولا حفظ الدين... حتى اننا نجد أحدهم يصلي خلف علي عليه السلام مرة؛ فيقول: إنه ذكره بصلاة رسول الله (ص) (١) هذه الصلاة التي لم يبق منها إلا الاذان وحتى الاذان قد غيروه، كما تقدم في تمهيد الكتاب...

و يلاحظ هنا: أنه (ص) قد قدّم قوله: «إنه مني»، تماماً كما قدم قوله: «حسين مني»، لأن صناعة النبي (ص) لهم سابقة على احيائهم لدينه... فثقافة وفكر ونفسية، ودين وخصائص وآداب النبي (ص) لسوف يبعثها علي والحسين... وهكذا العكس...

ومن هناصح للنبي (ص) أن يقول: أنا وانت يا علي أبوا هذه الأمة (راجع مقالنا: الحب في التشريع الاسلامي، في كتاب: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام ج ٢).

كما أنه ليس من البعيد أن يكون جبريل قد كان يستفيد ويتعلم من النبي (ص) وعلي (ع)؛ ولاجل ذلك قال: وأنا منكما...

وقد ناشدهم أمير المؤمنين بهذه القضية بالذات في قضية الشورى (١)،  
وذلك يؤكد مغزاها العميق... ومدلولها الهام...

### لا سيف إلا ذو الفقار:

وإن منادات جبرئيل بـ «لا سيف إلا ذو الفقار الخ...». لها مغزى عميق أيضاً... فانها تأتي تماماً في مقابل مافعله الذين فروا و جلسوا يتآمرون— هل يرسلون ابن أبي لأبي سفیان ليتوسط لهم عنده... أم أن كونهم من قومهم، وبني عمهم يجعلهم لاشيء عليهم، أم يرجعون إلى دينهم الأول— كما سيأتي— فان كل ذلك يدل على أن الذي كان سيفه خالصاً لله حقاً هو أمير المؤمنين عليه السلام، فانه لا سيف خالصاً لله، وفي سبيل الله إلا سيفه ذو الفقار...

وهذا السيف هو الذي قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى بعض عماله، يتهدده على تلاعبه بأموال الامة، مشيراً إلى هذا: «ولأضر بنك بسيفي الذي ماضرت به أحداً إلا دخل النار»، وقد أشار إلى ذلك بعض المحققين أيضاً...

كما أن أمير المؤمنين (ع) هو الذي كان الله ورسوله، وجهاد في سبيله، أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه... وجراحه الكثيرة جداً شاهد صدق على ذلك...

أما غير علي (ع) فقد كانت نفسه— بدرجات متفاوتة طبعاً— أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله... ولاجل ذلك تخلى عن كل ذلك، حينما رأى نفسه تلك في خطر... بل لقد همّ بعضهم بأن يتخلى حتى عن دينه— حيث قال: «إرجعوا إلى اخوانكم، و إلى دينكم الأول!»! بل نجد البعض يرى: أن عشيرته الكافرة أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، ومن دينه؟ فنراه يقول: «نلقني إليهم بأيدينا، فانهم قومنا و بنو عمنا»! أو يلاحظ: أن أكثر

ذلك الكلام قد كان من المهاجرين على وجه العموم!!..

كما أن أولئك كلهم لافتوة لهم، ولا رجولة عندهم... وعلي (ع) وحده هو الفتى، لأنه يملك نفسه، ولا تملكه نفسه، أما أولئك، فإن نفوسهم تملكهم... فتهلكهم...

ولعل مما يشير إلى ما ذكرنا: أننا نجد الله تعالى يؤكد في الآيات النازلة في أحد على أنه كان ثمة اتجاه إلى امتحان أصحاب النبي (ص) هؤلاء، وتمحيصهم... كما أنه يبين لهم مدى ارتباطهم بنبينهم الاعظم، صلى الله عليه وآله وسلم ويبين لهم: أن أمر هذا النبي (ص) لا يهمهم، بل هو ان مات أو قتل انقبلوا على اعقابهم... ونحن نكتفي هنا بذكر الآيات التالية:-

«إن يمسسكم قرح، فقدمس القوم قرح مثله، وتلك الايام نداوها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا، ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين. وليحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم، ويعلم الصابرين. ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه؛ فقد رأيتموه وأنتم تنظرون. وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم إلخ (١)».

ومما هو جدير بالملاحظة هنا: ان هؤلاء يفرون هنا، ولا يثبت الاعلي، ويتركون النبي (ص) عرضة للشدائد والبلايا، وعلي وحده هو الذي يثبت، ويدفع عن هذا الرسول، ويرد عنه، تماما كما كان في بدر... يحارب، ثم يرجع ليتفقد الرسول (ص) كما تقدم.

والدليل على انهم قد اهتمهم انفسهم، ولم يهتموا بحفظ نفس الرسول: اننا نجدهم - بعد سنوات - لا يعينهم موت الرسول الاعظم (ص)، في قليل ولا كثير، حتى لقد اخرج ابن سعد، عن عبدالرحمن بن سعيد بن يربوع، قال: جاء علي بن ابي طالب (رض) يوماً متقنعاً متحازناً، فقال له ابوبكر (رض): اراك متحازناً. فقال علي: انه عناني مالم يعنك!! قال ابوبكر: اسمعوا

مايقول، انشدكم الله، اترون أحدا كان احزن على رسول الله (ص) مني (١)؟!

فان عليا لم يكن يراهم محزونين على النبي (ص) ولا مهتمين بأمره ولا حتى حين وفاته، ولا حتى يعينهم أمره أصلا، حتى اضطر ابوبكر إلى هذا الاستشهاد؛ لانقاذ موقفه... ولا بد وان يكون قد استشهد من هم على رأيه، وعلى مثل موقفه، من المقربين اليه...

بل نجد النبي (ص) نفسه يلمح للصحابة: ان غيرهم يحبه اكثر منهم فقد روي انه قال: ان قوما يأتون من بعدي يوداحدهم أن يفتدي رؤيتي باهله وماله (٢).

بل إننا نجد (ص) يفضل الذين يأتون بعده، ولم يروه على أصحابه، كما يظهر من عدد من الروايات (٣).

### الفارون في أحد:

وما يدل على أنه لم يثبت غير علي (ع): أن من تحاول بعض الروايات التأكيد على ثباتهم لاريب في فرارهم، فيلاحظ التعمد والاصرار على ثبات طلحة، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم... مع أنه لا ينبغي الريب في فرارهم... ولبيان ذلك نقول:

### فرار سعد:

و يدل على فرار سعد:

١- ماتقدم من أنه لم يثبت سوى علي عليه السلام.

(١) - حياة الصحابة ج ٢ ص ٨٤.

(٢) - مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٦٦ عن البزار وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤١٧ عنه.

(٣) - مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٦٦ و ٦٧ عن أبي يعلى والبزار، وأحمد، وحياة الصحابة ج ٢ ص

٢- عن السدي: لم يقف إلا طلحة وسهل بن حنيف (١). ولعل عدم ذكر علي عليه السلام بسبب أن ثباته اجماعي، لم يرتب فيه أحد...

٣- وعند الواقدي أنه لم يثبت سوى ثمانية، وعدّهم، وليس فيهم سعد... أما الباقيون ففروا والرسول يدعوهم في اخراهم (٢).

٤- ويعد الاسكافي، وابن عباس، وغيرهم من ثبت يوم أحد، وليس فيهم سعد (٣).

٥- وسلمة بن كهيل يقول لم يثبت غير اثنين، علي، وابودجانه (٤).

٦- عن سعد، قال: لما جال الناس عن رسول الله (ص) تلك الجولة تنحيت، فقلت: أذود عن نفسي، فإما أن استشهد، وإما أن أنجو... إلى أن قال: فقال رسول الله (ص): اين كنت اليوم يا سعد؟! فقلت: حيث رأيت (٥).

### فرار طلحة:

ويدل على فراره.

١- جميع ماتقدم في أنه لم يثبت سوى علي (٤)...

٢- ويدل على ذلك أيضاً قول سلمة بن كهيل المتقدم...

٣- انتهى انس بن النضر إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيدالله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجبسكم؟ قالوا: قتل رسول الله. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا، فموتوا على مثل

(١) - تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠١، ودلائل الصدق ج ٣ ص ٣٥٦ عنه.

(٢) - مغازي الواقدي ج ١ وشرح النهج عنه، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٦ عن الأول

(٣) - راجع شرح النهج ج ١٣ ص ٢٩٣، وآخر العثمانية ص ٢٣٩.

(٤) - المصدر المتقدم.

(٥) - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٢٦، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٦.



مامات عليه رسول الله (ص)، ثم استقبال القوم؛ فقاتل حتى قتل (١).

## فرار أبي بكر:

ويدل على فراره:

١- جميع ماتقدم في ثبات أمير المؤمنين عليه السلام... وماتقدم في فرار سعد، ما عدا الحديث الاخير المختص بسعد...

٢- عن عائشة: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: ذاك كان يوم طلحة... ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد؛ فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله (ص)؛ فقلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، يكون رجلاً من قومي (٢).

وحسب نص آخر، عن عائشة: لما جال الناس عن رسول الله (ص) يوم أحد كنت أول من فاء إلى رسول الله (ص)، فبصرت به من بعد، فإذا برجل قد اعتنقني من خلفي مثل الطير، يريد رسول الله (ص)؛ فإذا هو أبو عبيدة، قال الحاكم: صحيح الاسناد (٣).

(١) - تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٩، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٥٦، والثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٢٨، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٦٨، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٤ عن ابن اسحاق، وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ٨٨ والدر المنثور ج ٢ ص ٨١ عن ابن جرير، وقاموس الرجال ج ٢ ص ١٢٥، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٦ عن الدر المنثور، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٤، وحياة الصحابة ١ ص ٥٣١ عنه. ولكن قد اقتصر في مغازي الواقي ج ١ ص ٢٨٠، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٨٦ على ذكر عمر فقط...

(٢) - منحة المعبود في تهذيب مسند الطيالسي ج ٢ ص ٩٩، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٨، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣١، عن الصفوة، وابن أبي حاتم، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩ عن الطيالسي، وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ عن: الطيالسي، وابن سعد، وابن السني، والشاشي، والبزار، والدارقطني في الافراد، وابي نعيم في معرفة الصحابة، والطبراني في الكبير والاوسط، وابن عساكر، والضياء في المختارة... وقد صرح في مقدمة الكنز بصحة ما يوزعه لبعض هؤلاء، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٢ عن ابن سعد وعن الكنز عن تقدم باضافة ابن حبان، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩ عن الكنز أيضاً...

(٣) - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٢٧، وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩ عن المستدرک، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٢ عن البزار...

ولكن ما أراده أبو بكر لم يصل إليه، فان طلحة كان قد فرّ أيضاً كما فرّ هو، ولكنه فاء الى رسول الله (ص) قبله.

ثم إننا لانستطيع أن نوافق أبا بكر على هذه الروح القبلية التي كانت تستبد به، وتهيمن على فكره وعقله وروحه، حتى في هذه اللحظات الحرجة والخطيرة...

٣— قال الأمير اسامة بن منقذ لمادون عمر الدواوين، جاء طلحة بنفر من بني تميم يستفرض لهم. وجاء أنصاري بغلام مصفر سقيم، فسأل عنه عمر؛ فأخبر أنه البراء بن أنس بن النضر، ففرض له في أربعة آلاف، وفرض لاصحاب طلحة في ست مئة؛ فاعترض طلحة. فأجابه عمر:

«إني رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، وأنا وأبو بكر قد تحدثنا: أن رسول الله قتل؛ فقال: يا أبا بكر، ويا عمر، مالي أراكما جالسين؟! إن كان رسول الله قتل؛ فان الله حي لا يموت إلخ (١)....».

٤— قال زيد بن وهب لابن مسعود: وأين كان أبو بكر وعمر؟ قال: كانا ممن تنحى (٢).

٥— قال المظفر رحمه الله مامعناه: إنه كيف يتصور ثبات أبي بكر في ذلك اليوم الهائل، وحومة الحرب الطاحنة التي لم يسلم فيها حتى النبي (ص)، فضلاً عن علي عليه السلام— كيف يتصور ثباته في ظروف كهذه، وما أصاب وما أصيب، وكيف يسلم، وهو قد ثبت ليدفع عن النبي (ص) السيف والرمح والحجارة، ولا سيما مع ما يزعمه أولياؤه من أنه قرين النبي (ص) في طلب قریش له، حتى بذلوا في قتله ما بذلوه في قتل النبي (ص)؟ ثم أترامهم ينعون اصبع طلحة، ولا ينعون جراحة أبي بكر؟! (٣).

٦— روى مسلم: أن رسول الله قد أفرد في أحد في سبعة من الأنصار

(١)— لباب الآداب ص ١٧٩، وليراجع: حياة محمد لهيكل ص ٢٦٥.

(٢)— الارشاد للشيخ المفيد ص ٥٠، والبحار ج ٢٠ ص ٨٤ عنه.

(٣)— راجع: دلائل الصدق للشيخ المظفر ج ٢ ص ٣٦٠.

ورجلين من قریش (١).

قال الشيخ المظفر: «إن أحد الرجلين علي، والآخر ليس أبابكر؛ إذ لا رواية، ولا قائل في ثباته، و فرار سعد أطلحة (٢)»... هذا... وقد ذكر في سح السحابة: أن الانصار قد قتلوا جميعاً واحداً بعد واحد (٣).

٧- ويرد الاسكافي على الجاحظ بقوله: «أما ثباته يوم أحد؛ فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه» (٤).

٨- لقد رووا بسند صحيح، عن ابن عباس: في قوله: «وشاورهم في الأمر»: أبوبكر وعمر (٥).

قال الرازي: «وعندي فيه اشكال؛ لأن الذين أمر الله رسوله بمشاورتهم، هم الذين أمره بالعمو عنهم، ويستغفرهم. وهم المنهزمون؛ فهب أن عمر كان من المنهزمين؛ فدخل تحت الآية، إلا أن أبابكر ما كان منهم؛ فكيف يدخل تحت هذه الآية (٦)»...

وأجابه المظفر بقوله: «إن الاشكال موقوف على تقدير ثبات أبي بكر، وهو خلاف الحقيقة. هذا... والآية ظاهرة في الأمر بمشاورتهم للتأليف، كما يظهر من كثير من أخبارهم، ومثله الأمر بالعمو عنهم، والاستغفار لهم (٧)».

(١) - صحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٨ في أول غزوة أحد، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٦ عن سح السحابة.

(٢) - دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩.

(٣) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٦.

(٤) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٣، وليراجع آخر العثمانية ص ٣٣٩.

(٥) - مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٧٠ وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة، وصحاحه على شرط الشيخين، والدرالمثور ج ٢ ص ٩٠ عن الحاكم، والبيهقي في سننه، وابن الكلبي، وتفسير الرازي ج ٩ ص ٦٧ عن الواحدي في الوسيط عن عمرو بن دينار، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩ عن تقدم...

(٦) - تفسير الرازي ج ٩ ص ٦٧.

(٧) - دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩.

## فرار عمر:

ويدل على فراره:

- ١- ما تقدم في ثبات أمير المؤمنين فقط...
  - ٢- ما تقدم في فرار طلحة، وما جرى بينهم وبين أنس ابن النضر.
  - ٣- ما تقدم في فرار أبي بكر، في حديث فرض عمر لابن أنس ابن النضر. وكذلك ما ذكره ابن مسعود... ثم مقاله المظفر... ثم مقاله مسلم، وعلق عليه المظفر... ثم ما ذكره ابن عباس، وعلق عليه الرازي، وأجابه المظفر...
  - ٤- ما تقدم في فرار سعد.
  - ٥- عن كليب قال: خطبنا عمر، فكان يقرأ على المنبر آل عمران، ويقول: إنها أحذية. ثم قال: تفرقنا عن رسول الله (ص) يوم أحد؛ فسمعت يهودياً يقول: قتل محمد. فقلت: لأسمع أحداً يقول: قتل محمد، إلا ضربت عنقه. فنظرت، فإذا رسول الله (ص)، والناس يتراجعون إليه؛ فنزلت: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (١).
- وفي نص آخر: لما كان يوم أحد هزمناهم (٢)، ففررت حتى سعدت الجبل، فلقد رأيتني: أنزو كأنني أروى (٣)... وفي لفظ الواقي: ان عمر كان يحدث، فيقول: لمصاحح الشيطان: قتل محمد، قلت: أرقى الجبل كأنني أروية (٤)...

(١) - الدر المنثور ج ٢ ص ٨٠. ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٨، كنز العمال ج ٢ ص ٢٤٢ عن

ابن المنذر. وحياة الصحابة ج ٣ ص ٤٩٧ عن الكزج ج ١ ص ٢٣٨.

(٢) - لعل الصحيح: هزمناهم. ففررت... كما يقتضيه سياق الكلام...

(٣) - الدر المنثور ج ٢ ص ٨٨ عن ابن جرير، وكنز العمال ج ٢ ص ٢٤٢، ودلائل الصدق ج ٢

ص ٣٥٨ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٤٩٧ عن الكزج ج ١ ص ٢٣٨.

(٤) - شرح النهج ج ١٥ ص ٢٢.

ونحن هنا لاندرى من أين جاء ذلك اليهودي الملعون!! كما أننا لاندرى اين كان حماس عمر عنه في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضدالمشركين؟! ولم لم يقتل أحداً منهم، ولاحتى طيلة السنوات العشر في عشرات الغزوات والسرايا التي اشترك فيها؟!...

٦- قال الواقدي: لما صاح ابليس: إن محمداً قد قتل تفرق الناس... إلى أن قال: وممن فر عمر و عثمان(١).

٧- وبعد أن ذكر الواقدي اعتراض عمر على رسول الله(ص) في قضية الحديبية، قال عن النبي(ص): «... ثم أقبل على عمر، فقال: أنسيتم يوم أحد؛ اذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم»؟! (٢).

٨- ماسيأتي من عدم قتل خالد لعمر، حينما كان منهزماً.

٩- وجاءته امرأة أيام خلافته، تطلب برداً من برد كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأة، وردّ ابنته. فقيل له في ذلك، فقال: إن أب هذه ثبت في يوم أحد، وأب هذه فر يوم أحد، ولم يثبت (٣).

١٠- وقد اعترف عمر برعبه من علي عليه السلام، حينما تبع الفارّين، وهو يقول لهم: شأهت الوجوه، وقظت، وبطت، ولظت، إلى أين تفرون؟ إلى النار؟ ويقول: بايعتم، ثم نكثتم، فوالله لانتم أولى بالقتل ممن أقتل إلخ... (٤)

١١- وعلى كل حال... فان فرار عمر من الزحف يوم أحد، وحنين، وخيبر معروف، ويعده العلماء من جملة المطاعن عليه؛ لأن الفرار من

(١)- شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٤، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٨، ومغازي الواقدي...

(٢)- المصدران المتقدمان، ومغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٠٩.

(٣)- شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٢.

(٤)- البحار ج ٢٠ ص ٥٣، وتفسير القمي ج ١ ص ١١٤/١١٥.

الزحف من جملة الكبائر الموبقة، ولم يستطيع المعتزلي أن يجيب على ذلك، بل اعترف به، واكتفى بالقول:

«... وأما الفرار من الزحف، فانه لم يفرأ متحيزاً إلى فئة، وقد استثنى الله تعالى ذلك؛ فخرج به عن الاثم (١)».

ولكن قدفات المعتزلي: أن ماجرى يوم أحد، لا يمكن الاعتذار عنه بما ذكر، لعدم وجود فئة لهم، ولأن الله قد ذمهم على هذا الفرار، وعلله بأن الشيطان قد استزلهم ببعض ما كسبوا، ثم عفا عنهم، ولو كان لا إثم في هذا الفرار؛ فلا حاجة إلى هذا العفو... هذا... وقد حقق العلامة الطباطبائي: أن المراد بالعفو هنا معنى عام بحيث يشمل العفو عن المنافقين أيضاً، فراجع (٢).

وقد كان ثمة حاجة إلى التسامح في هذا الفرار لأنه الأول من نوعه، ويأتي في وقت يواجهه الاسلام فيه أعظم الاخطار داخلياً وخارجياً، مع عدم وجود امكانات كافية لمواجهة آثار مؤاخذتهم بما اقترفوا...

### فرار الزبير، وعثمان:

١- وبعد هذا... فلانرى حاجة لاثبات فرار الزبير في أحد... وإن كان ثمة محاولات لظهار الزبير على أنه فارس الاسلام، ورجل الحرب، حتى إننا لنجد عمر بن الخطاب يعتبره يعدل الف فارس. وعند مصعب الزبيرى!!: أنه اشجع الفرسان وعلی اشجع الرجال... بل ويدعون: أنه قد افتتح افریقیة وحده (٣)... مع أنه مما لا شك فيه: أن افریقیة قد فتحت على عهد عثمان في سنة سبع أوثمان وعشرين على يد عبدالله بن سعد بن أبي سرح!! (٤).

(١) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٧٩/١٨٠.

(٢) - راجع تفسير الميزان ج ٤ ص ٥١.

(٣) - راجع لباب الآداب لاسامة بن منقذ ص ١٧٣-١٧٥.

(٤) - راجع: تاريخ الطبري وفتح البلدان.

و نحن نعرف: أن الهدف: هو إيجاد شخصيات بديلة، أوفي قبال الامام علي عليه السلام، الذي هو اشجع البشر، بعد ابن عمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم... ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، ويرد كيد الخائنين للحقيقة والتاريخ...

٢— واما عثمان، فلايختلف في فراره في أحد اثنان. و هو موضع اجماع المؤرخين، وكان يعيربه، وقد رجع بعد ثلاثة أيام، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: لقد ذهبتم فيها عريضة!! (١).

لم يثبت من المهاجرين سوى علي(ع):

يقول حسان بن ثابت عن الانصار:

سماهم الله أنصاراً لنصرهم  
وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا  
والناس الب علينا ثم ليس لنا  
ولا يهر جناب الحرب مجلسنا  
وكم رددنا ببدر دوننا طلبوا  
ونحن جندك يوم النعف من أحد  
فاونينا وماخبرنا، وماخبروا  
دين الهدى، وعوان الحرب يستع  
للنائبات فما خافوا ولاضجروا  
الاالسيوف واطراف القناوزر  
ونحن حين تلظى نارها سعر  
أهل النفاق وفينا انزل الظفر  
إذ حزبت بطراً أشياعها مضر  
مناعشاراً وجل القوم قدعثروا(٢)

و اخيراً فقد تقدم: ... أن ابابكر، وسعداً، وعمر، و عثمان، و طلحة و الزبير كلهم من المهاجرين... و ثمة نص يقول: إنه لم يثبت أحد من المهاجرين إلا رجل واحد، وسبعة من الأنصار قتلوا كلهم... ولا ريب في أن هذا المهاجري هو علي (ع) ؛ للاجماع...

(١) — تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٣ والارشاد للشيخ المفيد ص ٥٠ والبحارج ٢٠ ص ٨٤، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨، و شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢١، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٥٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٧، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٥، والدر المنثور ج ٢ ص ٨٩ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن اسحاق...

(٢) — ديوان حسان بن ثابت ص ٥٧.

والرواية هي: أخرج الامام أحمد، عن أنس: أن المشركين لما رهبوا النبي (ص) يوم أحد— وهو في سبعة من الأنصار، ورجل من قريش— قال: من يردهم عنا وهو رفيق في الجنة؟، فجاء رجل من الأنصار؛ فقاتل حتى قتل، فلما رهبوه أيضاً قال: من يردهم عنا، وهو رفيق في الجنة؟.. فأجابه أنصاري آخر وهكذا... حتى قتل السبعة. فقال رسول الله (ص): ما أنصفنا أصحابنا (١).

### سر الاختلاف في من ثبت:

وبعد... فاننا يمكن أن نفهم: أن رجعة المسلمين إلى المعركة بعد هزيمتهم لم تكن دفعة واحدة وإنما رجع الأول فرأى علياً، ثم يرجع آخر فيرى علياً وأبادجانة مثلاً ثم يرجع آخر فيرى خمسة وهكذا... فكل منهم ينقل مارآه. حتى وصل العدد لدى بعض الناقلين إلى ثلاثين... كما أن مايؤثر عن بعض الصحابة من مواقف نضالية... لعله قد كان بعد عودتهم إلى ساحة القتال.

### ثبات أبي دجانة

ولعل ذكر أبي دجانة في بعض الأخبار، مرجعه ذلك، والا... فاننا نجد ابن مسعود ينكر ثباته، فقد قال: انهزم الناس إلا علي وحده، وثاب إلى النبي (ص) نفر، وكان أولهم: عاصم بن ثابت، وأبودجانة (٢)...

ولكن يعكّر؛ على هذه الرواية: أنه قد جاء في المطبوع من كتاب الارشاد للمفيد: أن أبادجانة قد ثبت هو وسهل بن حنيف، كانا قائمين على رأسه، بيد كل واحدٍ منها سيف ليذب عنه (٣)... و ثاب إليه من أصحابه

(١) — البداية و النهاية ج ٤ ص ٢٦، و حياة الصحابة ج ١ ص ٥٣٣، و الرواية في صحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٨ إلا أن فيه: رجلين من قريش...

(٢) — قاموس الرجال ج ٥ ص ٧. ولكن يبدو: أن في الارشاد تحريفاً، فراجع ص ٥٠ منه، وقارنها مع ما نقله عنه في البحار ج ٢٠ و قاموس الرجال.

(٣) — وفي ربيع الابراج ج ١ ص ٨٣٣/٨٣٤: أن عمراً كان بين يدي النبي (ص) يذب عنه، والمقداد كان عن يمينه (ص).



المنهزمين أربعة عشر رجلاً (١).

ونحن لانستبعد: أن يكون أبودجانة قد ثبتت، ولكن لا كئيبات علي عليه السلام... وإنما حارب أولاً بسيفه، ثم لما فرّ المسلمون صار يقى النبي (ص) بنفسه، و يتّرس عليه (٢) — كما تقدم عن سلمة بن كهيل أيضاً؛ حيث كان علي (ع) يصد الكتائب، ويجندل الأبطال، حتى نزل في حقه:

لا سيف إلا ذو الفقار  
ولا فتى إلا علي

ثم وبعد عودة المسلمين من فرارهم أعطاه (ص) السيف بحقه، ومنعه عمر، والزبير، وأبابكر، عقاباً لهم، وتقديراً واهتماماً في إعادة أبي دجانة إلى ساحة الحرب، ومجال الطعن والضرب معزلاً ومكرمًا.

وامام تصرّجات المؤرخين الكثيرة جداً، والمقطوع بصحتها وتواترها، لايسعنا قبول قول حسان المتقدم، الذي يقول فيه: إن الأنصار قد ثبتوا، وينسب الفرار إلى خصوص المهاجرين... إلا أن يكون مراده: أن المهاجرين لم يرجعوا إلى ساحة القتال، واستمروا فوق الجبل، والذين ثابوا إلى الحرب هم خصوص الأنصار... ولعل كرة العدو عليهم؛ قد ضعفتهم، فانهزموا، ثم لما علموا ب حياة الرسول كروا على عدوهم من دون أن يصعدوا الجبل... ولعل هذا هو الأقرب والظاهر.

تأويلات سقيمة للفرار:

و يقول البعض في المقام: ما ملخصه: إن فرقة استمروا في الهزيمة حتى المدينة، فارجعوا حتى انقضى القتال، وفرقة صار واحيارى حينما سمعوا بقتل النبي (ص)؛ فصارهم الواحد منهم: أن يذب عن نفسه، ويستمر في القتال إلى أن يقتل. وفرقة بقيت مع النبي (ص)، ثم تراجعت إليهم الفرقة الثانية شيئاً فشيئاً لما عرفوا: أنه حي... وماورد في الاختلاف في العدد، فحمول على تعدد

(١) — البحار ج ٢٠ ص ٨٣، والارشاد للمفيد ص ٥٠.

(٢) — تفسير فرات ص ٢٤/٢٥، والبحار ج ٢٠ ص ١٠٤/١٠٥.

المواطن في القصة... فقولهم: «فروا» أي بعضهم، أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم (١).

ونحن لانريد أن نطيل في الرد على ذلك... فان كل ماتقدم ممداد على أنه لم يثبت إلا فلان، او فلان و فلان... وأن هذا قدفر، وذاك كذلك ، وهكذا، يدفعه... و إلا لكان الفرار منحصرأ في الثلاثة، بعثمان و صاحبيه... كما أنه لا يبقى لعتاب الله لهم جميعأ بقوله: إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، والرسول يدعوكم في أخراكم... معنى ولافائدة.

### لماذا كانت الهزيمة:

١- إن من الواضح: أن السبب الأول لما لحق بالنبي (ص) وللهمزة التي لحقت بالمسلمين، وما جرى عليهم من النكبات، والقتل الذريع، حتى لقد قتل منهم سبعون، وجرح اعداد هائلة- أيضاً- إن سبب كل ذلك هو: انهم عصوا، وتنازعوا؛ ففشلوا. قال تعالى: «ولقد صدقكم الله وعده؛ إذ تحسونهم (٢) بأذنه، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم، من بعد ما أراكم ماتحبون، منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة» (٣).

و تصریح القرآن بأنهم قدعصوا، وتنازعوا من بعد ما كان النصر على قاب قوسين أو أدنى... يكذب ما يدعيه البعض: من أنهم قد تخيلوا انتهاء أمد أمر النبي (ص)، وان هذا اجتهاد منهم (٤)... فانه لو كان اجتهاداً لما كان معصية، مع أن القرآن يصرح بالمعصية...

والقول بأن المراد بالمعصية: المخالفة مطلقاً، ولوعن اجتهاد، خلاف ظاهر كلمة: «عصيتم».

(١)- راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٢، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٠.

(٢)- الحسن: القتل على وجه الاستيصال...

(٣)- آل عمران ١٥٢

(٤)- البوطي في: فقه السيرة ص ٢٦١.

فالنصر كان معهم، وحليفهم حتى تنازع الرماة؛ لأن بعضهم كان يريد الدنيا، وبعضهم يريد الآخرة...

أضف إلى ذلك: ان أمر الرسول كان صريحاً لهم في أن لا يتركوا مراكزهم، حتى يرسل إليهم، حتى ولورأوهم مهزومين، أوحى لورأوهم يغمون، ولذا قال رفقاؤهم: لانخالف أمر الله (ص)... فكيف يصح بعد هذا أن يقال: إنهم تخيلوا انتهاء امدأمره (ص)!؟...

وهكذا... فقد كانت معصية بعض الرماة، وتنازعهم... سبباً في كل ما نال المسلمين من كوارث ونكبات آنئذ، وقد اشرفنا و لسوف نشير إن شاء الله إلى شطرنها...

٢- وأيضاً... فقد كان لاغترارهم بأنفسهم، وبكثرتهم أثر كبير في حلول الهزيمة بهم، فقد قالوا للنبي (ص): قد كنت في بدر في ثلاثمئة رجل؛ فأظفرك الله بهم، ونحن اليوم بشركثير، نتمنى هذا اليوم، وندعو الله له، وقد ساقه الله إلى ساحتنا هذه... وقد أشار الله تعالى في سورة آل عمران إلى هذا التمني للموت. فراجع الآيات.

و واضح: أن الاغترار بالكثرة يفقد العناصر المشاركة شعور الاعتماد على النفس، ويجعلهم يعيشون روح التواكل، واللامسؤولية...

٣- ثم إن الله تعالى مازال يؤيد المسلمين بنصره، حتى عصوا الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم طمعاً في الدنيا، و إيثاراً لها على الآخرة. فكان لا بد في هذه الحالة من إعادة التمهيد لهم، وابتلائهم؛ ليرجعوا إلى الله تعالى، وليميز الله المؤمن من المنافق... و ليزداد الذين آمنوا إيماناً؛ لأن الانسان ربما يغفل عن حقيقة العنايةات الالهية، و الامدادات الغيبية، حين يرى الانتصارات تتوالى، فينسب ذلك إلى قدرته الشخصية... ولأجل ذلك يلاحظ أنهم حين غلبوا شكوا في هذا الأمر، وقالوا: «هل لنا من الأمر شيئ؟» فجاءهم الجواب القاطع: «قل: إن الأمر لله»... نعم... لا بد إذن من إعادتهم إلى الله تعالى، و تعرفهم بحقيقة إمكاناتهم، وقدراتهم و لسوف

نعود عن قريب لبحث هذه النقطة إن شاء الله تعالى...

و من جهة ثانية... فقد تقدم في غزوة بدر كلام هام للعلامة الطباطبائي، وفيه مقارنة بين بدر، وأحد وغيرها... و بيان سر الانتصار أولاً... ثم مظاهر من امارات الضعف أخيراً... فليراجع...

٤- وإن الانضباطية- وخصوصاً حين يكون القائد حكيماً فكيف اذا كان نبياً- هي أساس النجاح... ولربما تكون مخالفة أفراد معدودين سبباً في دمار جيش بكامله، كما كان الحال في قضية أحد...

كما أن عناية الله تعالى بهم، و تسديده لهم، لايعني الغاء جميع الاسباب الطبيعية كلية، كما أنه لايعني أن هذه العناية، و ذلك الامداد مطلق غير مشروط، بل هو مشروط قطعاً بالسعي من قبلهم نحو الهدف الاسمي، و بالبذل و التضحيات التي تؤهلهم لأن يكونوا موضعاً لعنايات الله و الطافه «إن تنصروا الله ينصركم، و يثبت أقدامكم».

أوعلى الأقل لا بد لاستمرار هذه العناية الالهية من حفظ الحد الأدنى من الارتباط بالقيادة، و تنفيذ أوامرها... وإلا لم يكن لهذه المواقف و الحرب أثرها النفسي، و الاجتماعي، و التربوي المطلوب...

٥- قد ظهر مما تقدم: أن الذين تركوا مراكزهم قدظنوا- أو بعضهم-: أن رسول الله (ص) سيغل، أي يخونهم، فلايقسم لهم... وهذا يدل على أن من بين هؤلاء من لم يكن على درجة حسنة من المعرفة و الوعي... ولو كان كذلك... فلا أقل من أن أخلاقياته، من الاعراض عن الدنيا و الايثار، لم تكن بالمستوى المطلوب... هذا... إن لم نقل: إنه منافق يظهر الايمان، لأجل مصالح يراها، و يبطن الكفر...

ولعل الآية تشير الى ظنهم السيئ هذا، و تقرعهم بأنه: «ما كان لني أن يغل، و من يغلل يأت بماغل يوم القيامة»(١).

## الفصل الثالث:

في موقع الجسم...



## الرعب القاتل:

ولقد تقدم معنا: أن عمر بن الخطاب قد كان وهو فارّ مرعوباً من أمير المؤمنين، الذي تبع الفارّين، وهو يقول لهم: شأهت الوجوه، وقطت، ولظت وبطت. إلى أين تفرّون؟ إلى النار؟. ويقول: بايعتم، ثم نكثتم؛ فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل إلخ...

ولكنهم قد استمروا في هزيمتهم لا يلوون على شيء، والرسول يدعوهم في أحرأهم... حتى بلغوا الجبل، وبلغوا صخرة فيه...

وفشا في الناس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل؛ فقال بعض المسلمين، من اصحاب الصخرة في الجبل: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ؛ فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا. وقال ناس من المنافقين: لو كان رسولاً لماقتل، إرجعوا إلى إخوانكم، وإلى دينكم الأول. وفي النهز: ان فرقة قالوا: نلقى إليهم بأيدينا؛ فانهم قومنا، وبنو عمنا (١).

وهذه الكلمة، بل والتي قبلها تدل دلالة واضحة على أن هذه الفرقة كانت من المهاجرين، لا من الأنصار.

فجاءهم أنس بن النضر، فقال لهم: إن كان محمد قد قتل؛ فما تصنعون بالحياة بعده؟! فقاتلوا على ماقاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه. ثم

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٧.

قال: اللهم إني اعتذر إليك مما يقول هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين، ثم قاتل حتى قتل... وقد تقدمت بعض مصادر قصيته حين الكلام على فرار طلحة.

وقيل: إن حمزة هو الذي قال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء النفر، أبوسفیان وأصحابه... وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء بانزاهمهم (١).

وهذا يعني: أن حمزة قد قتل بعد فرار الصحابة عن الرسول (ص).. وقد تقدم: أنه قد قتل بعد أصحاب اللواء؛ فلما منع من أن يكون الناس قد انهزموا، فقتله وحشي، وهو عائد من بعض حملاته... ثم صار علي (ع) يدفع كتائب المشركين عن رسول الله (ص) كما تقدم.

### عودة المسلمين الى القتال...

ثم إن كعب بن مالك كان أول من عرف النبي (ص)، رأى عينيه تزهقان من تحت المغفر، فصاح: يا معشر المسلمين، أبشروا؛ فهذا رسول الله.

فأمره النبي بالسكوت؛ لخراجه الموقف، وخطورته.

ثم صار المسلمون يفيئون إلى رسول الله (ص) زرافات ووحدان، وجعل (ص) يذرهم ويحضهم على القتال... فقاتلوا على قلتهم خير قتال...

ولكن الذين كانوا على الجبل فوق الصخرة لم يعودوا إلى القتال، ولا تركوا مركزهم.

وقبل أن نستمر في الحديث عن المعركة الحاسمة لا بأس بأن نشير إلى بعض المواقف البطولية التي سجلها بعض المسلمين، مع محاولة التركيز على بعض الجوانب الايجابية فيها، ثم نشير إلى بعض المفتعلات في هذا المجال... ولا سيما حول طلحة، وسعد بن أبي وقاص... فنقول:



## مواقف وبطولات:

## ١- مع موقف انس بن النضر، وابن السكن واصحابه...

وإن موقف أنس بن النضر ليدل على فهمه العميق للاسلام، وأن الاسلام لا يرتبط بالشخص والفرد، حتى ولا بالنبى نفسه، الذي جاء به من عند الله - تماماً على عكس الرؤية التي كانت للذين فرّوا، حتى انتهوا إلى الصخرة - فالحق لا يعرف بالرجال، وإنما تعرف الرجال بالحق. قال أمير المؤمنين: «إنك لم تعرف الحق؛ فتعرف من أتاه، ولم تعرف الباطل؛ فتعرف من أتاه (١)».

وهذا نظر بعيد وعميق... فانه إذا تجسد الدين بالشخص، فإن القضاء على ذلك الشخص يكون كافياً في القضاء على ذلك الدين...

هذا... ولا يقل موقف ابن السكن والرجال الخمسة الانصاريين عن موقف أنس؛ فانه لما تفرق القوم عن رسول الله (ص)، وهاجمه المشركون، قال (ص): من رجل يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، فقام زياد بن السكن - أو ولده عمارة - في خمسة من الأنصار، فقاتلوا حتى قتلوا، ثم جاءت فئة؛ ففرقوا القوم عن رسول الله (ص)...

## ٢- أبو دجانة:

وقد تقدم: أن أبا دجانة كان أول عائد مع عاصم بن ثابت، وقد ترس على رسول الله (ص)، وصار يقيه بنفسه من وقع السهام، وهو منحني عليه لا يتحرك، حتى كثر في ظهره النبل... حتى استحق ان يعطيه رسول الله (ص): سيفاً ويمنعه غيره ممن فر، اهانة لهم وتكريماً له...

وماذا لك إلا لأن الاسلام ونبى الاسلام، لا يضيعان عمل عامل، من

كان، ومهما كان. ولا يهتم هذا الدين، وهذا النبي (ص) للدعاوى الفارغة التي يطلقها هذا أوزاك ، وإنما يهتمان بتقييم الانسان على أساس ما يقدمه على صعيد الواقع، ونفس الأمر...

وأبو دجاجة قد تعرض للامتحان ونجح فيه، أما غيره؛ فقد اثبت الامتحان عدم جدارته، أو استحقاقه لما يعدّ نفسه له... أو يتستر خلف دعاوى فارغة لا أكثر ولا أقل، حتى إذا جد الجد رأيت يتعجل الهزيمة، ويكون أبطأ من غيره في العودة، أولاً يعود أصلاً إلا بعد حسم الموقف...

فكان لا بد من اعطاء الضابطة للمسلمين جميعاً، وافهامهم: أن الاسلام واقعي بالدرجة الأولى، وان مصب اهتماماته هو المضمون والمحتوى... وأنه يقيم الانسان على أساس أعماله، لا على أساس دعاواه واقواله، ولا على أسس أخرى، ربما لا يكون له خيار فيها في كثير من الاحيان.

فطلحة، وسعد، وأبوبكر، وعمر، والزبير، وعثمان إلخ... وإن كانوا من المهاجرين الذين ربما يعطون أو يعطيهم الناس امتيازاً لذلك... وإن كانوا قرشيين... وإن كان لهم بالنبي (ص) صلة من نوع ما بسبب أو نسب... إلا أن كل ذلك إذا لم يكن معه الاخلاص، وإذا لم يكن الله ورسوله، وجهاد في سبيله أحب إليهم من كل شيء حتى من أنفسهم... فإنه يبقى منحصراً في نطاقه الخاص، ولا ينبغي أن يتعداه إلى غيره، بحيث يخوّلهم الحصول على امتيازات لا يستحقونها...

وأخيراً... فإن سلمان أيضاً قد كان يقوم بنفس دور أبي دجاجة في حماية الرسول... حيث جعل نفسه وقاية لرسول الله (ص) من وراء ظهره، من سهام الكفار، وأذاهم، ويقول: نفسي فداء لرسول الله (ص) (١).

### ٣- أم عمارة: ومقام فلان!! وفلان!!.

وقاتلت أم عمارة، نسيبة بنت كعب... وكان معها سقاء فيه ماء،

فلما رأت قلة من كان مع الرسول، قامت تذب عنه مع هؤلاء القلة، وجرحها ابن قبيصة في عاتقها، حينما اعترضته مع آخرين، ممن كان يذب عن رسول الله (ص)...

بل لقد روى غير واحد: أن النبي (ص) نظر في أحد إلى رجل من المهاجرين يفرّ، قد ألقى ترسه خلف ظهره، فناداه: «يا صاحب الترس، الق ترسك، وفر إلى النار»؛ فرمى بترسه؛ فقال (ص): «لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان و فلان». و اراد ولدها عمارة الفرار؛ فردته، وأخذت سيفه؛ فقتلت به رجلاً؛ فقال (ص): «بارك الله عليك يا نسيبة». وكانت تقي النبي (ص) بيديها، و صدرها، و ثديها (١).

قال المعتزلي: «ليت الراوي لم يكن هذه الكناية، وكان يذكرهما باسمهما، حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهة. ومن أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه، ولا يكتم منه شيئاً؛ فما باله كتم اسم هذين الرجلين؟! (٢)».

ويرى المجلسي: أن المراد بهما هنا: أبو بكر وعمر، إذ لا تقيّة في غيرهما؛ لأن خلفاء سائر بني أمية وغيرهم من الخلفاء ما كانوا حاضرين في هذا المشهد؛ ليكتي بذكرهم تقيّة من أولادهم واتباعهم (٣).

وهذا أيضاً هو رأي محمد بن معد العلوي (٤).

ونزيد نحن: أن عثمان لما كان قد فر باجماع المؤرخين... فقد اضطروا إلى التصريح باسمه، ثم حاولوا تبرير هذا الفرار بالتوبة عليه، وغفران

(١) - قاموس الرجال ج ١١ ص ٣٨ عن تفسير القمي، وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٢٦٦ و ٢٦٩، ومغازي الواقيدي ج ١ ص ٢٦٩ و ٢٧٣، وتفسير القمي ج ١ ص ١١٦، والبحار ج ٢٠ ص ١٣٤ و ٥٤.

(٢) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٢٦، والبحار ج ٢ ص ١٣٣ عنه.

(٣) - البحار ج ٢٠ ص ١٣٤.

(٤) - راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٤/٢٣.

ذنبه...

ولكننا مع ذلك ومع أننا نجد روايات عديدة تقول: إن آية: «إن الذين تولوا منكم لما اتقى الجمعان، إنما استزهم الشيطان ببعض ما كسبوا» نزلت في عثمان، وخارجة بن زيد، ورفاعة بن المعلى، وأبي عثمان، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان الانصاريين...

إننا مع ذلك نجد رواية تقول: عن ابن اسحاق: «إن الذين تولوا منكم يوم اتقى الجمعان» فلان!! وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان (١).

ورواية أخرى عن عكرمة تقول: نزلت في رافع بن المعلى، وغيره من الأنصار، وأبي حذيفة بن عتبة، ورجل آخر (٢).

كما أن الواقدي نفسه قد كتى عن عثمان في فراره بـ «فلان (٣)».

فترى أنهم يهتمون في التكنية حتى عن عثمان المجمع على فراره، دون غيره ممن تذكرهم الرواية... وبعد هذا... فكيف لا يكتون عمّن هم أعظم من عثمان، وأجلّ عندهم...

هذا... ويذكر أخيراً: أن لفلان وفلان!! فراراً آخر في عرض الجبل حينما جاءهم المشركون، وندب الرسول المسلمين إلى قتالهم (٤)، وإن الله قد ردهم عنهم من دون حاجة إلى ذلك، كما سنرى إن شاء الله تعالى...

كما أن الظاهر: أن ابن عباس قد كتى عنها، في بيان أن الناس قد تركوا ثلاث آيات محكمات، وأبو الافلان بن فلان، وفلان بن فلان (٥).

(١) - الدر المنثور ج ٢ ص ٨٩ عن ابن جرير، وابن المنذر.

(٢) - الدر المنثور ج ٢ ص ٨٨ عن ابن جرير...

(٣) - راجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٧٧ مع هامشه.

(٤) - نفس المصدر ص ٢٩٥.

(٥) - راجع: المصنف ج ١ ص ٣٧٩/٣٨٠. وثمة تعبيرات أخرى عنها بفلان وفلان... ذكرها في البحار، وروضة الكافي، لا مجال لذكرها هنا.

## جهاد المرأة:

هذا... ولا بد من الإشارة هنا: إلى أنه ليس في الاسلام على المرأة جهاد، إلا حينما يكون كيان الاسلام في خطر. ولقد أدركت أم عمارة مدى الخطر الذي يتهدد الاسلام. من خلال الخطر الذي يتعرض له النبي (ص) (١)... ولذلك فقد اندفعت للدفاع عن النبي (ص)، بنفسها وولدها، وكل وجودها...

وليت شعري، كيف لم يدرك هذه الحقيقة كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكيف سمحوا لأنفسهم بالفرار في هذا الظرف الحرج والخطر على مستقبل الاسلام، الدين الحق؟!... وقد كان المهاجرون يرون لأنفسهم، ويرى لهم الناس امتيازاً على غيرهم، وانهم في موقع المعلم والمرشد... وهم الذين عاشوا مع النبي (ص)، واستفادوا من تعاليمه، ورأوا من معجزاته أكثر من غيرهم... وإذا كانت هذه الأنصارية التي لاجهاد عليها، والتي لم تعاشر النبي (ص)، ولم ترمن معجزاته وكراماته مارآه هؤلاء قد وقفت هذا الموقف الرسالي الرائد دونهم... فمن الطبيعي أن يكون مقامها أفضل من مقام فلان وفلان من كبارهم... كما أن من الطبيعي أيضاً: أن يفتر ذلك المهاجري إلى النار، ويكون جهادها طريقها إلى الجنة...

**ملاحظة:** ولا بد وأن نشير أخيراً: إلى أن خروج أم عمارة إلى أحدلعله كان استثنائياً، ولضرورة خاصة... ومما يوضح لنا ذلك: أننا نجد امرأة من عذرة استأذنت الرسول في أن تخرج في جيش كذا وكذا؛ فلم يأذن لها (ص): فقالت: يا رسول الله (ص): إنه ليس أريد أن أقاتل، إنما أريد أن أداوي الجرحى والمرضى، أو اسقي المرضى.

قال: لو لا أن تكون سنة، ويقال: فلانه خرجت، لأذنت لك،

(١) - إذ لم يكن كل المسلمين ولاجلهم - كما اظهرته حرب أحد - في مستوى وعي أمير المؤمنين (ع) و أنس بن النضر، وإني دجانه وامثالهم...

ولكن اجلسي (١).

وقد استوفينا الكلام حول هذا الموضوع في كتابنا: تاريخ الطب، والاخلاق الطبية في الاسلام، القسم الثاني، فصل: التمريض والمستشفى، حين الكلام على معالجة وتمريض المرأة للرجل وعكسه.

#### ٤- حنظلة الغسيل:

واستشهد في أحد حنظلة بن أبي عامر الفاسق، وكان قد دخل بزوجته جميلة بنت عبدالله بن أبي ليلة أحد، وخرج وهو جنب، حين سمع الهائعة؛ فأعجله ذلك عن الغسل. بل يقال: إنه كان قد غسل أحد شقيه، فسمع الهائعة؛ فترك غسله وخرج. ويقال: إن رسول الله (ص) أخبرهم: أن صاحبهم (حنظلة) لتغسله الملائكة... ويقال: إنه استأذن النبي (ص) في أن يقتل أباه أبا عامر الفاسق، فلم يأذن له (٢).

ونقول:

١- إن النبي كما منع حنظلة الغسيل من قتل أبيه، كذلك هو قد منع ابن عبدالله بن أبي من قتل أبيه أيضاً (٣).

وهكذا... و إذا كان هدف الاسلام هو الحفاظ على إنسانية الانسان، وتكامله في مدارج الانسانية تلك... فلا بد وأن تكون مواقفه ووسائله منسجمة مع ذلك الهدف الاسمي؛ لأن الوسيلة في نظر الاسلام لا تنفصل عن الهدف، وإنما هي جزء منه...

(١)- حياة الصحابة ج ١ ص ٦١٨ عن مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٢٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير والواوسط، ورجالها رجال الصحيح. انتهى. وراجع الاصابة ج ٤ ص ٤٨٧، و ٥٠٥ والاستيعاب بامشها نفس المكان، والترتيب الادارية ج ٢ ص ١١٥.

(٢)- الاصابة ج ١ ص ٣٦١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧/٤٢٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٠/٢٤١. وغير ذلك من المصادر الكثيرة.

(٣)- الاصابة ج ١ ص ٣٦١.

فلا بد وأن يتعامل إذن مع كل أحد، حتى مع أبيه، وولده، وعشيرته، وماله، وكل ما يحيط به، تعامللاً إنسانياً صحيحاً، ومنسجماً مع أهدافه تلك...

فإذا كانت علاقته بماله، أو بأبيه، أو بولده سوف تفصله عن هدفه، أو تفرض عليه موقفاً يتناقض معه، أو يعيق عن الوصول إليه، فلا بد من رفض تلك العلاقة وتدميرها؛ لأن الإبقاء عليها إنما يعني تدمير الإنسانية، والخروج عنها إلى ما هو أخط من الحيوان، وهذا هو ما أشار إليه تعالى في قوله عن اتخاذ إلهه هواه: «أم تحسب أن أكثرهم يسمعون، أو يعقلون، إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً (١)».

وإذن... فلا جامع ولا قدر مشترك بين الإنسان المسلم الذي يعتبر نفسه إنساناً، بكل ما لهذه الكلمة من معنى، و يتصرف على هذا الأساس... وبين غيره ممن رضي لنفسه أن يكون أضل من الانعام، و يتصرف على هذا الأساس... بمجرد وجود علاقة نسبية بينها لا يبرر تخلي ذلك عن إنسانية في سبيل إرضاء هذا...

وأما إذا كانت مواقف هذا وتصرفاته تساهم في تدمير الإنسانية أينما كانت، وحيثما وجدت، والقضاء على خصائصها ومنجزاتها، سواء على صعيد الفرد أو المجتمع، أو حتى الأجيال القادمة— إذا كان ذلك — فلا يجب أن نعجب إذا رأينا ذلك الولد: الإنسان: يهتم بالقضاء على هذا الوالد، ويعمل من أجل ذلك وفي سبيله... وإذ لم يهتم بذلك؛ فإننا سوف ندرك: أن إنسانيته لم تكتمل بعد، أو على الأقل: إن وعيه الإنساني يحتاج إلى تعميق وتركيز... كما أن العاطفة التي تعتبر الوقود الذي يفجر طاقات الإنسان في هذا السبيل تحتاج إلى شحن وإثارة من جديد...

وإذن... فلا عجب أن يستأذن هؤلاء في قتل آبائهم المنحرفين، الذين يحاربون دين الله تعالى... وإنما العجب من أن لا يفعلوا ذلك؛ لأنهم حينئذ يكونون قد خالفوا مقتضى فطرتهم، وما يحكم به عقلهم السليم... هذا

(١) — لقمان ٤٤. راجع بحث العصمة في فصل بحوث تسبق السيرة بعد عزوة بدر.

الحكم الذي قرره الاسلام، دين الفطرة؛ حين قال في القرآن الكريم:

«قل: إن كان آباؤكم وأبناؤكم، واخوانكم، وازواجكم، وعشيرتكم، وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله؛ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين(١).

٢- وأما سرّ أن النبي(ص) لم يأذن لهم بقتل آبائهم، فقد قدمنا بعض مايفيد في ذلك حين الكلام على وحشي، قاتل حمزة، حيث أخبروه: أن محمداً لا يقتل أصحابه...

ونزيد هنا: أن نفس قتل الولد لوالده ليس أمراً طبيعياً، ولا ينسجم مع نفسية الانسان العادي، الذي لم يتربّ تربية إلهية، ولم ينصهر في حب الله تعالى... نعم... إذا أخلص ذلك الانسان لله، وانقطعت كل علائقه المادية الارضية؛ فانه حينئذ يرى ذلك أمراً ضرورياً، وينساق إليه بعقله، وبفطرته، وبعاطفته أيضاً... وقليل ما هم...

نعم... ربما يثور الانسان العادي عاطفياً، إذا رأى موقفاً سيئاً، يتنافى مع الفطرة والدين والعقل، ولكن سرعان ماتشده العوامل الارضية إليها، ويعود ليزن الأمور بالموازن الارضية المادية من جديد. ولذلك رأيناهم ينهزمون جميعاً باستثناء أميرالمؤمنين عليه السلام، و يتركون نبيهم، الذي هو في الحقيقة رمز وجودهم...

وهذا يدل على أن الروابط الارضية قد شدتهم إليها، ولم يتمكنوا من التغلب عليها... اللهم إلا إذا كان في مستوى رفيع من التربية الإلهية... حتى يصل إلى حد: أن يصير الله ورسوله، وجهاد في سبيله، أحب إليه من كل شيء، كما قلنا...

(١) - التوبة ٢٤ راجع كتاب: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام ج ٢ بحث: الحب في التشريع الاسلامي.



نعم... وحتى لا يعرض النبي والاسلام الذي هو واقعي بالدرجة الأولى هذا الانسان الى تجربة قاسية ومريرة ربما تكون أكبر منه، وقد يخفق في الخروج منها بسلامة ومعافاة... فقد أعفاه من هذه الأمور، لطفاً به ورفقاً... والله هو اللطيف الخبير...

### ٥- عبدالله بن جحش...

وقد دعا عبدالله بن جحش ربه: أن يقتل، ويجدع أنفه، وتقطع أذنه، حتى إذا لقي الله، وسأله: فيم جدع أنفك وأذنك؟ فيقول: فيك، وفي رسولك؛ فأمن له سعد بن أبي وقاص. وهكذا جرى له.

ودعا سعد بن أبي وقاص ربه: أن يقتل أحد المشركين، ويأخذ سلبه؛ فأمن عبدالله على دعاء سعد...

فستان مابين سعد، وعبدالله... — وكما يقول المعتزلي:— هذا يجاحش على السلب، ويأسف على فواته، وذاك [أي علي] لا يلتفت إلى سلب عمرو بن عبدود، وهو أنفس سلب، ويكره أن يبزر السبي ثيابه، فكان حبيباً عناه بقوله:

إن الاسود أسود الغاب همها يوم الكرهية في المسلوب لا السلب (١)

ونزيد نحن هنا: ان الذي يجاحش على السلب، ويدعو الله أن يقتل مشركاً من أجل سلبه، ويأتي إلى الحرب بهذه النفسية، لماذا لا يفر من الحرب، ويترك الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لسيوف المشركين تنوشه من كل جانب ومكان؟!...

كما أن من تكون الدنيا عنده أهون من عطفة عز، ولا تساوى الخلافة عنده شسع نعله، ويكون من الرسول والرسول منه، ولا سيف إلا سيفه... إن من يكون كذلك. كيف ولماذا يفر؟!... فلا عجب إذن إذا رأينا هذا يثبت

(١) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧ ملخصاً.

ويتلقى السيوف بنحره وجسده، وذلك يفر طلباً للسلامة، والاحتفاظ بالحياة...

### مواقف وبطولات سعد الموهومة:

ويذكرون لسعد بن أبي وقاص في حرب أحد فضائل وكرامات نعتقد أن يد السياسة قد ساهمت في صنعها، ونذكر على سبيل المثال:

أنهم يقولون: إنه بعد أن عاد المسلمون إلى رسول الله (ص) دافع سعد عن رسول الله (ص)، ورمى بين يديه بالسهم، وأن النبي (ص) كان يناوله النبل، ويقول: ارم فذاك أبي وأمي؛ فرمى دون رسول الله حتى اندثت سية قوسه. وفي المشكاة عن علي: ماسمعت النبي (ص) جمع أبويه لأحد إلا لسعد.

بل يروي البعض: أنه قال له ذلك ألف مرة، لأنه رمى ألف سهم (١)... كما أن ابن عرقة رمى بسهم، فأصاب ذيل أم ايمن، فانكشف، فضحك. فأمر النبي (ص) سعداً بأن يرمي، ودعاه بأن يسدد الله رميته، ويحيب دعوته؛ فرمى ابن عرقة في ثغرة نحره؛ فانقلب لظهره، وبدت عورته، فضحك (ص) (٢).

ولكننا نشك فيما ذكر آنفاً، وذلك بملاحظة النقاط التالية:

١— يقولون: سئل سعد عن سر استجابة دعائه دون الصحابة، فقال: مارفعت إلى في لقمة إلا وأنا أعلم من أين جاءت، ومن أين خرجت.

أي لأنه قد جاء في الحديث: إن سر عدم استجابة الدعاء، هو أن من كان يأكله حراماً وملبسه حراماً فأنتى يستجاب له.

(١) — مجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٣، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٤١، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٦٠، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٩، وغير ذلك كثير.

(٢) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٩.

فأي ذلك نصدق؟! هل نصدق أن استجابة دعائه كانت لدعائه (ص) له؟! أم نصدق أنها من أجل أنه لم يكن يأكل حراماً؟!.

وحاول الحلبي أن يجيب: بأن دعاء النبي (ص) يرجع: إلى أنه دعاه أن يستجاب له بسبب عدم اكله للحرام، وتمييزه للحرام عن غيره (١)!!.

وهو تأويل بارد، كماترى، ولانرى حاجة للتعليق عليه.

٢— لاندرى إذا كان الوقت يتسع لرمي الف سهم، ولقول النبي (ص) له ذلك، وهو يناوله السهام في ذلك الوقت الحرج جداً؟!... ولاندرى أيضاً من أين حصل سعد على تلك السهام الألف التي رمى بها؟!، وهل كانت تتسع كنانته، وكنانة النبي (ص)— لو كانت— لهذه الكمية؟!... ولانعرف أيضاً إن كانت تلك السهام تصيب المشركين؛ فيستجاب دعاء الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم له أم لا؟!... وإذا كانت تصيبهم، فكم قتل سعد؟ وكم جرح؟! ولماذا لم ينهزم المشركون لهذه النكبة التي حلت بهم؟!...!

٣— إذا كان سعد مستجاب الدعوة، فلماذا لم يدع الله ليفرج عن عثمان حين الحصار؟ أوليهدي معاوية إلى الحق والتسليم لعلي (ع)؛ ليحقن دماء عشرات الالوف من المسلمين، ويجنب الامة تلك الكوارث العظيمة التي تعرضت لها؟!.

وعندما عرض عليه أمير المؤمنين عليه السلام: أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، طلب منه أن يعطيه سيفاً يميز بين الكافر والمؤمن (٢)؛ فلم لم يدع الله أن يعطيه سيفاً كهذا؛ فيستجيب الله له، مادام أنه كان مستجاب الدعوة؟!.

٤— عن ابن الزبير: أن الرسول الاعظم (ص) قال للزبير: فذاك أبي

(١)— المصدر السابق.

(٢)— قاموس الرجال ج ٤ ص ٣١٥ عن وقعة صفين لنصرين مزاحم.

وأمي يوم الخندق حينما أتاه بخبر بني قريظة (١) فأَي الروايتين نصدق؟! أم نصدقها معاً؟! أم ينظر إليها معاً بعين الشك والريب لما نعلمه من تعمد الوضع والاختلاف لصالح هؤلاء؟! اعتقد أن هذا الأخير هو الأمر المنطقي والطبيعي والمعقول.

واحتمال أنه (ص) قد قال ذلك للزبير يوم الخندق، لكن علياً لم يسمعه، فنقل ماسمعه فقط بالنسبة لسعد، أو أنه أراد تفدية خاصة... لا يجدي إذق جاء في رواية أخرى قوله: فما جمع (ص) أبويه لأحد إلا لسعد (٢)، وهذا يدل على أنه يخبر عن علم وإلا لكان عليه أن يقول: إنه لم يسمع ذلك إلا بالنسبة لسعد، ولو كان أراد تفدية خاصة لكان عليه البيان...

٥- كيف يكون سعد قد قتل حبان بن العرقه، كما يقول الواقدي، مع أن الواقدي نفسه وغيره يقولون: إن حبان بن العرقه قدرمى سعد بن معاذ في كحلته في غزوة الخندق، فقال (ص): عرق الله وجهك في النار (٣).

### إشارة هامة:

وأما لماذا هذه الفضائل لسعد، فذلك واضح، حيث إن سعداً قد كان من الفئة المناوئة لأمير المؤمنين عليه السلام، وأهل بيته، حتى لقد كتب عليه السلام لوالي المدينة أن لا يعطي سعداً من الفيء شيئاً... كما أنه حينما دخل عليه يطالبه بعطائه رده مع صاحبيه بعد كلام طويل، ولم يعطه شيئاً. وحينما دعاه عمار إلى بيعة سيد الوصيين أظهر الكلام القبيح. وأيضاً فقد صارمه عمار المعروف بجلالة مقامه وعلو شأنه. كما أنه قد أخذ من بيت المال مالاً ولم يؤده، وعزله عمر عن العراق، وقاسمه ماله...

وكان ممن قعد عن علي عليه السلام و ابى ان يبايعه، فأعرض عنه

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٩.

(٢) - نفس المصدر.

(٣) - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٢٦٩ و ٥٢٥، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٣، والاصابة ج ٢

عليه السلام، وقال: ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون...

وسعد هو أحد الستة الذين جعل الامر شورى بينهم، فوهب حقه لابن عمه عبدالرحمان بن عوف (١).

وشكى اهل الكوفة سعداً الى عمر بأنه لا يحسن يصلي (٢).

واذن... فانحرف سعد عن علي عليه السلام، وممالاته لاعدائه هو الذي جعل لسعد هذه الشخصية، ورزقه هذه الفضائل والكرامات...

وهذا هو بعينه السر أيضاً بما رزقه الكرماء طلحة بن عبيدالله من كرامات ستأتي الاشارة إليها إن شاء الله...

ولعل أبا طلحة أيضاً قد ارتزق فضائله وكراماته عن نفس هذا الطريق، طريق العداء لعلي (ع) والانحراف عنه، كما هو معلوم بالمراجعة؛ فراجع قاموس الرجال وغيره...

### كرامات طلحة:

ويذكرون لطلحة بن عبيدالله أيضاً في أحد كرامات كثيرة، نذكر

منها:

أ— أن رسول الله (ص) قد سماه في أحد بـ «طلحة الخين»؛ لأنه أنفق سبع مئة الف درهم (٣).

ولاندرى كيف وعلام أنفق طلحة سبع مئة ألف درهم، التي كانت تكفي لتجهيز جيش بكامله، يكون أضعاف اضعاف جيش المسلمين في

(١) — راجع فيما ذكرنا ترجمة سعد في قاموس الرجال ج ٤ ص ٣١٣—٣١٦.

(٢) — الاوائل ج ١ ص ٣١٠، والمصنف لعبد الرزاق ج ٢ ص ٣٦٠ وفي هامشه عن البخاري عن أبي عوانة.

(٣) — تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٢، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٨.

أحد... أوليس قدجهزت قريش جيشاً مؤلفاً من ثلاثة أوخمسة آلاف مقاتل، معهم ثلاثة آلاف بعير، ومئة فرس، وسبع مئة دارع بخمسة وعشرين الف دينار؟! أي بما يساوي ثلث المبلغ الذي يدعى أن طلحة قد انفق... وعلى بعد الاقوال: إنها انفقت خمسمئة الف درهم...

نعم... إن سبع مئة الف درهم في تلك الايام تعدل ميزانية دولة بكاملها...

و كيف نصدق ذلك ، ونحن نرى ابن سعد يروي في الطبقات عن أنس: أن أبابكر استعمله على الصدقة، فقدم و قدمات أبوبكر، فقال عمر(رض): يا أنس، أجبثنا بالظهر؟. قلت نعم. قال: جبثنا بالظهر، والمال لك، قلت: هواكثر من ذلك . قال: وإن كان هولاك. وكان المال أربعة الآف. فكنت اكثر أهل المدينة مالاً... (١)

فاذا كان أنس أغنى أهل المدينة بالاربعة آلاف، وذلك في زمان عمر، الذي اتسع فيه الناس، وحصلوا على الاموال الكثيرة... فهل يمكن أن نصدق أن مهاجراً قدم المدينة بلامال، يصير من الثراء بحيث يبذل سبع مئة الف درهم بعد فترة و جيزة جداً من قدومه!؟

ولاسيا في وقت كان يعاني فيه المسلمون صعوبات جمة، حتى إن النبي(ص) كان يربط الحجر على بطنه من الجوع (راجع حديث الغار، حين البحث في ثروة أبي بكر)...

ولماذا لم تنزل في طلحة آية تشيد بهذه الفضيلة له، كما نزلت في علي حينما تصدق بخاتم لايساوى أربعة دراهم —على حدّ تعبير البعض— و حينما تصدق بأربعة دراهم... إلى آخر ماتقدمت الاشارة إليه...

وبذلك يعلم أيضاً... مدى صحة الارقام الخيالية التي تذكر عن تجهيز عثمان لجيش العسرة، وغير ذلك مما لا مجال لتتبعه...

٢- وأما روايات شلل اصبعه، وما أصابه في احد... فهي متناقضة، فلاندرى هل شلت اصبعه؟ أو اصبعاه؟ أو يده؟ أو قطعت اصبعه؟! ثم هنا لك الخلاف في عدد الجراح التي أصابته - ونحن لاننكر أن يكون طلحة قد أصيب ببعض الجراح... لكن ذلك لا يلزم منه عدم فراره... بل يستظهر المظفر ان شلل يده قد كان حين الفرار أو بسبب آخر، ويستظهر ذلك من تعبير الشعبي بزعم، في قوله: «وزعم: أن طلحة وقى رسول الله بيده؛ فضرب، فشلت (١)» فيظهر أن الشعبي يشك في ما زعم.

وأما ما زعمه البعض من أنه (ص) قد مسح على جسد طلحة، ودعاه بالشفاء، وقوة الجسد؛ فلاندرى مانقول فيه، ونحن نرى أن يده لم تشف، ولم يستجب الله ذلك الدعاء. ولكن الذي شفي بدعاء النبي (ص) حقاً هو أمير المؤمنين (ع) كما تقدم.

٣- ويقولون: إنه (ص) قد وقع في احدى الحفر التي حفرها أبوعامر الفاسق مكيدة؛ فرفعه طلحة، وأخذ بيده علي عليه السلام... وزادني الاكتفاء: فقال (ص): من أحب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة (٢)...

ولاندرى لماذا اختص طلحة الفار من الزحف بهذا الوسام، دون علي (ع)، الذى لم يثبت أحد سواه، مع أنها شريكان في مساعدته (ص) على النهوض؟! ثم إننا نعرف: أن كل من يعثر ويقع، فان من معه يبادرون إلى مساعدته، ومعاونته على النهوض... ولا يعتبرون ذلك عملاً عظيماً يستحق وساماً كهذا...

٤- ويقولون: ولما أصاب النبي (ص) ما أصابه جعل طلحة يحمله، ويرجع القهقرى. وكلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه، حتى أسنده إلى

(١) - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٥٩ بتصرف...

(٢) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٠.

الشعب. أخرجه الفضائي (١).

ونحن... لانرى أن ماجرى للنبي (ص) قد أفقده القدرة على المشي، ولم نفهم وجه الحاجة لأن يحمله طلحة ثم يضعه ليدافع عنه... كما أننا لانعرف أين ذهب عنه (ص) أصحابه الثلاثون الذين فاؤا إليه، ثم لحقهم من لحقهم... وأين كان عنه سلمان، وأبودجانة، وسهل بن حنيف، وعمار، وأخوه ووصيه علي بن أبي طالب... ولم لا يدافعون عنه، ويحمونه من ملاحقة المشركين، حتى يضطر طلحة، لأن يرجع القهقري، وهو حامل رسول الله (ص). ثم يدافع عنه كلما أدركه أحد من المشركين؟!...

كما أنه لم يثبت تاريخيا عودة من كانوا في اعلى الجبل إلى ساحة الحرب—وطلحة منهم—بل الثابت خلافه، كما سنرى فيما يأتي إن شاء الله.

#### إشارة هامة:

ويقولون: إنه لما كانت وقعة احداشد الأمر على طائفة من الناس، تخوفوا ان يدال عليهم الكفار، فقال رجل لصاحبه: أما أنا فاني ذاهب إلى ذلك اليهودى، فأوي إليه، واتهؤد معه، لعله ينفعني إذا وقع امر، اوحدث حادث. وقال الآخر: أما أنا فاني ذاهب إلى فلان النصراني في الشام، واتصرمعه فانزل الله: يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء (٢).

وابن طاووس في الطرائف والعلامة في نهج الحق قدر ويا هذه الرواية عن السدي الذي روى عنه ابن جرير، وابن ابي حاتم وغيرهما... وقد صرح السدي بان الرجلين هما عثمان و طلحة، وانها استأذنا النبي (ص) وألحا عليه في ذلك، كما ان رواية اخرى رواها في الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩١، في تفسير نفس الآية السابقة، عن ابن جرير، و ابن المنذر، عن عكرمة: «كان طلحة و الزبير

(١) — تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٧.

(٢) — تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٨، وتفسير الخازن ج ١ ص ٥٠٣ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩١ عن ابن جرير و ابن ابي حاتم عن السدي ودلائل الصدق ج ٣ ص ٢٠٤ وطرائف ابن طاووس ٤٩٤ وقاموس الرجال ج ٥ ص ١٦٩ عن الطرائف.



يكاتبان النصرارى واهل الشام»، فهنا تجد التصريح باسم طلحة في تفسير نفس هذه الآية. و الرجل الآخر اختلف فيه؛ فقال عكرمة هو الزبير، وقال السدي هو عثمان.

ثم ان لطلحة هذا مواقف عجيبة، و هو الذي مات رسول الله (ص) وهو عليه ساخط، كما قال عمر له حين موته، لأنه قال: انه سيتزوج نساء النبي من بعده، فنزلت فيه: وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله، ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدأ الخ (١)... و لطلحة هنات، وهنات، من ارادها فليراجع قاموس الرجال للتستري وغيره.

وحسبنا ما ذكرناه هنا... و قديأتي المزيد مما يتعلق بهذا الموضوع إن شاء الله.

### تجميع القوى، واعدتها إلى مراكزها:

لقد ذكرنا فيما تقدم: أنه بعد ان صار الرسول يدعو المسلمين إليه، صاروا يرجعون إليه زرافات و وحدانا، وجاهدوا في الله حق جهاده، واهتم النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأن يرجع بهم إلى مراكزهم الأولى؛ لأن ذلك سوف يجعل الجبل من خلفهم؛ فيخلصون الحرب إلى جهة واحدة (٢)... تماماً كما هي الخطة الأولى. وقد ارهقت عليا الجراح — كما تقدم — حتى بلغت نيفا وستين جراحة، كما عن انس بن مالك، بين طعنه، ورمية، و ضربة. وفي رواية: نيفا وأربعين. وفي رواية: تسعين (٣).

(١) — الغدير ج ١٠ ص ١٢٧ عن تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٢٢٨، وفيض القدير ج ٤ ص ٢٩٠ و تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٦ و تفسير البغوي ج ٥ ص ٢٢٥، و تفسير الخازن ج ٥ ص ٢٢٥ و تفسير الألوسي ج ٢٢ ص ٧٤ و شرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٦٠ و ج ٣ ص ١٧٠. و ليراجع الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٤ عن ابن ابي حاتم عن السدي وعن عبدالرزاق و عبد بن حميد وابن المنذر و ابن سعد.

(٢) — تفسير القمي ج ١ ص ١١٦ و البحار ج ٢ ص ٥٤.

(٣) — مجمع البيان ج ٢ ص ٥٠٩ و البحار ج ٢٠ ص ٢٣ عنه و ص ٥٤ و ٧٠ و ٧٨ و تفسير القمي ج ١ ص ١١٦ و عن الخصال ج ٢٠ ص ٥ و عن الخرائج.

ولعله في هذه اللحظات الحرجة، وحيث قد رجع اليه (ص) بعض القوم، وحيث لا يزال اصحاب الصخرة في موقعهم، يخافون ان تصل اليهم قر يش، قد انزل الله تعالى على النادمين الراجعين إلى النبي والثابتين، التائبين أمانة نعاساً، وذلك من اجل أن يطمئنوا إلى نصر الله ولطفه. اما اصحاب الصخرة، واكثر منهم، فانهم قد اهمتهم انفسهم، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية. وهؤلاء كانوا— في الاكثر— من المنافقين...  
و الخلاصة: ان النعاس في الحرب من الايمان والاعتقاد بالله، وفي الصلاة يكون من الشيطان.

وهكذا كان؛ فقد بلغ الرسول وتلك الثلثة من المسلمين سفح جبل احد، واستقروا فيه، ولم يجاوزوه وهذا الامر قد اتى الرعب في قلوب المشركين... لمارأوه من عودة المسلمين إلى مراكزهم الأولى، وتجميع صفوفهم وارتفاع معنوياتهم من جديد... وإن كان لا تزال ثلثة منهم فوق الجبل، وهم اصحاب الصخرة، ومنهم ابوبكر، وعمر، وطلحة، وغيرهم... فخاف المشركون أن يدال المسلمون منهم من جديد... ويفعلوا بهم كما فعلوا في ابتداء الحرب، ففضلوا انهاء الحرب، والانسحاب بسلام، وهكذا كان... واعلن ابوسفیان انتهاء الحرب...

و اشرف على الجبل، ونادى بأعلى صوته: اعل هبل. وحيث ان المسألة لم تعد مسألة شخصية، وانما يريد ابوسفیان ان يعتبر هذا النصر الظاهري والذي ينطوي على الرعب القاتل مؤيداً لدينه وإلهه هبل فقد اجابه النبي (١) —وقيل عمر—: (ويمكن ان يكون النبي قد علم عمر ما يقول، كما صرحت به بعض الروايات. وفي رواية: ان النبي (ص) علم عليا عليه السلام فأجابه بذلك (٢) —): الله اعلى واجل... فقال ابوسفیان: انعمت فعال، ان الحرب سجال، يوم بيوم بدر، فقال: لاسواء،

(١) — الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٣١ ومجمع البيان ج ٢ ص ٥٠٩ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣ عنه.

(٢) — تفسير القمي ج ١ ص ١١٧ والبحار ج ٥٦ عنه و ص ٩٧ عن اعلام الوری. وفيه ان اباسفیان سأل علياً عن حياة النبي.

قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار... وفي نص لابي هلال العسكري نادى ابوسفيان: اعل هبل. فقال عمر: الله اعلى واجل. فقال: انها قد انعمت يا بن الخطاب. فقال: إنها (١)... فجواب عمر هذا، وتصديقه لابي سفيان لانديري ماذا يعنى به؟ وكيف نفسره؟!...

ثم سأل ابوسفيا: إن كان النبي (ص) حياً، فامرهم النبي (ص): ان لا يجيبوه، ثم سأل - كما قيل - عن ابي بكر، وعن عمر، فكذلك (٢). فيقال: ان اباسفيان قال حينئذ: اما ان هؤلاء قد قتلوا، وقد كفتيموهم، ولو كانوا احياء لأجابوا. فعند ذلك - كما يقولون - لم يملك عمر نفسه، و اخبرهم: انهم احياء، فطلب ابوسفيان من عمر ان يأتيه، فقال (ص) لعمر: ائت، فانظر ماشأته. فجاءه، فسأله: إن كان النبي (ص) قد قتل. فقال عمر: اللهم لا، وانه ليسمع كلامك الآن. قال: انت اصدق عندي من ابن قيثة وابر (٣).

ثم و اعدهم ابوسفيان بدرا في العام القادم، وانصرف. وجاء علي الى النبي (ص) بعد ان انتهت الحرب؛ فغسل وجهه، وضمدت جراحه فاطمة عليها السلام. ومثّل نساء المشركين في قتلى المسلمين فجد عن الانوف والآذان الا انهن لم يمتلن بمحظلة ابن ابي عامر، لأن اباہ طلب منهن تركه، فتركه له...

وتشاوروا في نهب المدينة؛ فأشار صفوان بن أمية بالعدم؛ لأنهم لا يدرون ما يغشاهم (٤).

وأرسل النبي (ص) علياً أمير المؤمنين عليه السلام في آثارهم؛ لينظر؛

(١) - الاوائل ج ١ ص ١٨٤/١٨٥.

(٢) - وان كنا نشك في ذكرهما هنا؛ فقد تعودنا؛ ان نجد هذا التعاقب في كثير من الروايات، و لعله يهدف الايجاء بأن الزعامة بعد النبي (ص) كانت لابي بكر، ثم لعمر، ثم لعثمان، ولكن عثمان لم يذكر هنا لغيابه وفراره.

(٣) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٠، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٤ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٤٤/٢٤٥، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٥ والكامل ج ٢ ص ١٦٠ والثقات ج ١ ص ٢٣٢.

(٤) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٥.

فان كانوا قد ركبوا الابل، وجنّبوا الخيل؛ فهم يريدون مكة، وان كان العكس، فهم يريدون المدينة، فلا بد من مناجزتهم فيها؛ فذهب عليه السلام، وعاد، فأخبره بأنهم جنّبوا الخيل، وامتطوا الابل (١)...

هذا... ويقول البعض ان سعد بن أبي وقاص هو المرسل في هذه المهمة، وأنه لما رجع رفع صوته بأنهم قد جنّبوا الخيل، وامتطوا الابل. فجعل النبي (ص) يشير اليه: خفض صوتك؛ فان الحرب خدعة. فلا تري الناس مثل هذا الفرح بانصرافهم؛ فانما ردّهم الله تعالى...

ويقول الواقدي: انه أوصى سعداً بأنه ان رأى القوم يريدون المدينة فأخبرني فيما بيني وبينك، ولا تفت في أعضاء المسلمين (٢).

ونسب مثل ذلك إلى علي (ع)، وأنه رفع صوته بالخبر مع أنه (ص) كان قد اوصاه بخلاف ذلك (٣)...

ونحن نجلّ علياً... عن أن يكون قد ارتكب مثل هذه المخالفة، فقد تعودنا منه الوعي الكامل، والطاعة المطلقة للرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تقدم: أنه (ص) قال لعلي: اذهب ولا تلتفت حتي يفتح الله عليك. فشى هنيئة ثم قام ولم يلتفت للعزمة، ثم قال: على ما أقاتل الخ... ولعله لأجل هذه الانضباطية المطلقة منه. (ع) في تنفيذ أوامر الرسول (ص) نجده (ص) ينهى ذلك الذي أرسله في رسالة الى علي، الذي سار في مهمة عسكرية—ينهاه— عن ان ينادي علياً من خلفه (البحار ج ٦ ص ٢٢٣ و ٣٢٥ وغير ذلك كثير).

فهذه القضية بسعد أشبه منها بعلي، وإن كان يمكن أن يكون قد

(١) — راجع: الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٣٢، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٦/٢٠٥،  
والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٦١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤/٢٤٥ وتاريخ الخميس ج ١  
ص ٤٤٠.

(٢) — مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٩٨/٢٩٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٣٢.

(٣) — تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٠٦/٢٠٧ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٦٠/١٦١.

ارسلها معاً... فهم قد أرادوا أن يقولوا: ان المخالفة تصدر من علي (ع) كما تصدر من غيره، وأنه لا كبير فرق فيما بينهم... ولكن الله يأبى إلا أن يظهر الحق، ويتم نوره...

وبعد انتهاء المعركة خرج على عليه السلام حتى ملأ درقته ماء من المهراس، فجاء به رسول الله (ص) ليشرب؛ فوجد له ريحاً، فعافه ولم يشرب، وغسل الدم عن وجهه— ويقال: إن فاطمة عليها السلام كانت تغسل جراحاته وضمدها— وهو يقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه (١).

وبعد انتهاء الحرب ارسل علياً عليه السلام إلى المدينة ليبشر أهلها: بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حي سالم (٢)...

وهنا أمور لا بأس بالإشارة إليها للتتميم، والتوضيح، والتصحيح،

وهي:

### الف: النبي (ص) والمسلمون في الجبل!

ويقولون: إنه صلى الله عليه وآله لما صعد الجبل علت عالية من قريش الجبل؛ فقاتلهم عمر، ورهط من المهاجرين، حتى أهبطوهم من الجبل، ونهض (ص) إلى صخرة في الجبل ليعلوها؛ فلم يستطع؛ فجلس تحته طلحة، ونهض به حتى استوى عليها، وكان بطلحة عرج، فتكلف الاستقامة؛ لئلا يشق على النبي (ص)؛ فذهب عرجه (٣).

(١) - راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤١ و ٤٣٧ عن المواهب اللدنية، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٧ و ٢٣٦ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٧/١٥٨، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٠/٢٠١ وغازي الواقدي ج ١ ص ٢٩٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٧ وفي السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٦/٢٣٧: ان سعداً هو الذي أتاه بالماء، فشرب منه ودعاه... ولكن الصحيح هو أنه علي عليه السلام لتضافر الروايات عليه.

(٢) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٠.

(٣) - الكامل بن الأثير ج ٢ ص ١٥٨، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٦/٢٣٧، والترمذي وصححه، والرياض النضرة، واحمد، وأبو حاتم وراجع: الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٢٩.

ونشير نحن اولاً: الى أن النبي (ص) لم يبلغ و من معه الصخرة، ولا الغار، ولا المهراس ولا الدرجة المبنية من الشعب، وذلك لما يلي:

١- لقد صرح الواقدي بأن المسلمين—ولا بد أن يكون المراد المقاتلين منهم— لم يعدوا الجبل، و كانوا في سفحه، ولم يجاوزوه إلى غيره، و كان فيه النبي (ص) (١)...

٢- وفي رواية لأحمد: «وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقول الناس: الغار، إنما كان تحت المهراس (٢)»...

٣- كما أن رسول الله (ص) لم يبلغ الدرجة المبنية من الشعب (٣).

٤- وقال ابن اسحاق: «فلما انتهى النبي (ص) إلى قم الشعب خرج علي بن أبي طالب (رض) حتى ملأ درقته من المهراس (٤). وجاء بالماء، فغسل وجهه كما سيأتي...»

٥- إن النبي (ص) لم يبرح ذلك اليوم شبراً واحداً، حتى تجاوزت الفئتان (٥). ويدل على ذلك: أن النبي (ص) لم يكن ليفر من وجه عدوه، و يصعد إلى الجبل و يعتصم به، و يترك عدوه يصول ويجول... كيف... وقد انزل الله في الفارين قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، و ينعى عليهم عملهم ذلك، و يؤنبهم عليه... كما أننا لانصدق أن يرتكب الرسول هذا الامر في الوقت الذي كان يدعوفيه الفارين في أخراهم إلى العودة إلى مراكزهم... ولا يمكن أن تحدثه نفسه بالفرار من الزحف في أي من الظروف والأحوال...

وثانياً: قولهم إن عمر ورهطاً من المهاجرين قد قاتلوا المشركين حتى

(١) - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٢٧٨.

(٢) - وفاء الوفاء ج ٤ ص ٣١٥ و ج ٣ ص ٩٣٠.

(٣) - سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٩٢.

(٤) - سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٩٠ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٤٣.

(٥) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٤٠، و شرح النهج للمعتزلي والبحار ج ٢٠ ص ٩٦ عن اعلام

اهبطوهم من الجبل... لاندرى أنصدقه؟!... أم نصدق قول الواقدي:  
«وصل رسول الله (ص) إلى الشعب مع أصحابه، فلم يكن هناك  
قتال (١)»؟

أم نصدق قولهم: إن سعداً وحده قدردهم بسهم، قُتل به أربعة  
منهم (٢)؟ عجيب!! أربعة!!

وثالثاً: إنهم يقولون: إنه لما رأى أصحاب الصخرة النبي (ص)، وضع  
أحدهم سهماً في قوسه، وأراد أن يرميه (ص). فقال: أنا رسول الله. ففرحوا،  
وفرح بهم؛ لأنه رأى من يمتنع به، واجتمعوا حوله (٣)...

وفي رواية: لما نادى كعب بن مالك، يبشر الناس بحياة الرسول نهضوا  
إليه (أي أصحاب الصخرة) فيهم: أبوبكر، و عمر، و علي، و طلحة والزبير،  
وسعد و الحارث بن الصمة (٤)...

ونسجل نحن هنا مايلي:

١— إن ذكر علي هنا غلط، عفوي أو عمدي بلاريب؛ لأنه (ع) لم  
يفرّج هؤلاء إلى الجبل، ولا أصدففيه حتى بلغ الصخرة؛ بل كان مع النبي  
(ص)، يدافع عنه، و يكافح و ينافح. بإجماع المؤرخين.

٢— لاندرى ما معنى قولهم: إنه (ص) فرح بهم؛ لأنه رأى من يمتنع  
به!!... فهل منعه قبل الآن؟! ولو كانوا قد منعه، فما هو المبرر لكونهم على  
الصخرة فوق الجبل؟!...

وهل يمتنع بهم، و بعضهم قال لهم— وهم على الصخرة—: يا قوم، إن

(١)—مغازي الواقدي ج١ ص٢٨١.

(٢)— السيرة الحلبية ص ٢٣٨.

(٣)— تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٢/٢٠١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٧.

(٤)— الثقات لابن حبان ج١ ص٢٢٩.

محمداً قد قتل، فارجعوا إلى قومكم، قبل أن يأتوا اليكم؛ فيقتلوكم (١)...  
وبعضهم قال غير ذلك حسباً تقدم!!...

٣— إنه يظهر: أن طلحة لم يكن مع النبي، ولا عاد إليه، لا هو ولا سعد، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا الزبير، ولا الحارث بن الصمة بعد فرارهم في الجولة الأولى... وإنما عاد إليه أولئك الثلاثة فقط على الظاهر... أو معهم غيرهم ممن هو غير معروف ولا مشهور...

٤— إنه يظهر مما تقدم، و من قول ذلك القائل: ارجعوا إلى قومكم إلخ... ومن قولهم: إن عمر مع رهط من المهاجرين!! قد قاتلوا الذين علوا الجبل... وغير ذلك... يفهم منه أن أكثر الذين كانوا على الصخرة فوق الجبل كانوا من المهاجرين... وفيهم بعض الانصار، ولم يرد ذكر لأنصارى باسمه إلا للحارث بن الصمة، كما تقدم.

٥— ولا نريد أن نسمح لأنفسنا بالاسترسال في هذا المجال، حتى لا تتقاذفنا الظنون حول صحة وسلامة نية ذلك الذي أراد أن يرمى النبي (ص) بسهمه، بزعم أنه لم يكن عارفاً له... وقد سماه الواقدي: ب «أبي بردة بن نيار»، فلعله كان عن غفلة حقيقية منه... ولعله كان من المنافقين— في بادئ الأمر— فأراد انتهاز هذه الفرصة للتخلص من النبي (ص) بحجة أنه لم يعرفه إذ لا ندرى ان كان فيهم بعد من يملك الجرأة على رمي سهم على رجل يحتمل أنه من المشركين بعد أن جرى ماجرى!!

كما أننا قد رأينا محاولات مشابهة للمنافقين، كما هو الحال في تنفيرهم برسول الله (ص) ليلة العقبة...

كما أننا لانستطيع أن نوافق عمر بن الخطاب على إخباره بأسفيان والمشركين بحياة النبي (ص)، مع أنه (ص) قد نهاه عن ذلك... وذلك في موقع خطير كهذا!!!...



## باء: روايات لم تثبت:

إنهم يقولون: إنه (ص) قدرمى بالنبل، حتى اندقت سية قوسه (١)...  
وأنكر ذلك ابن تيمية، وإلا لكان (ص) أصاب، ولنقل ذلك الينا؛  
لأنه مما تتوفر الدواعي على نقله (٢).

ويقولون أيضاً: إنه (ص) قد قتل أبي بن خلف بحربة طعنه بها...

ونحن نستبعد ذلك أيضاً؛ لأنه (ص) لم يكن يباشر القتل بيده؛ لعلمه  
بأن اهل بيت المقتول لا تصفو نفوسهم له عادة، ولا يتبعونه باخلاص... وإذا  
كان لم يكن يباشر ذلك - ومع ذلك، نجد هندا وغيرها يذكرون: أنه قاتل  
الأحبة، فكيف لو كان باشرقتلهم بيده؟!...  
والله العالم بواقع الحال...

## جيم: عمر في قفص الاتهام:

ان لنا هنا اسئلة لابدوان نوجهها إلى عمر بن الخطاب، ونطلب منه،  
الاجابة عليها... وهي التالية:

١- لماذا اخبر اباسفيان والمشركين بوجود النبي (ص) في ظرف حرج  
كهذا، مع انه (ص) قدناه عن ذلك...

٢- قد جاء عن ابن واقد: ان ضرار بن الخطاب الفهري، قد ضرب  
عمر بن الخطاب بالقتاة يوم احد، حينما جال المسلمون تلك الجولة، وقال له:  
يا بن الخطاب، انها نعمة مشكورة، والله ما كنت لاقتلك (٣).

(١) - الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٥٧.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٨.

(٣) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٨٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٧٤، وج ١٥ ص ٢٠  
عن الواقدي والبلاذري وابن اسحاق، وراجع طبقات الشعراء لابن سلام ص ٦٣ و كانت هذه  
بدأ له عند عمر، كان عمر يكافوه عليها، حين استخلف. فراجع طبقات الشعراء ص ٦٣، والبداية  
والنهاية ج ٣ ص ١٠٧ عن ابن هشام...

لماذا ما كان ليقتله؟ أليس هو الذي أذل قرشا كما يدعون، وعزبه الاسلام؟ وان كنا قد اثبتنا عدم صحة ذلك . أليس ضرار هذا كان يتطلب الاكابر من الاوس والخزرج؛ ليشفي قتلهم غليل صدره(٢)...؟! ألم يكن اكثر قتلى المشركين في بدر قد قتلوا بيد المهاجرين؟! فلم لا يشفي غليله من اكابر المهاجرين، ولا سيما ممن هم مثل عمر بن الخطاب؟!...

٣- وخالد بن الوليد يحدث وهو بالشام: لقد رأيتني، ورأيت عمر بن الخطاب رحمه الله حين جالوا، وانهمزوا يوم أحد، وما معه احد، واني لفي كتيبة خشناء؛ فما عرفه منهم أحد غيري؛ فنكيت عنه، وخشيت ان اغريت به من معي ان يصمدوا له، فنظرت اليه موجهها إلى الشعب(١).

لماذا هذا المراعاة من خالد لعمر، ومحافظته عليه، ثم هو يوجهه إلى الشعب؟! وما هو السر الذي جعل خالداً يهتم في ان لا يلتفت إلى عمر أحد، وهو الذي كان شديداً على المسلمين حسبما تقدم...؟! ودعوى ابن ابي الحديد: ان سر ذلك هو النسب الذي بينها يرده ان رابطة الدين هي الأقوى، اوليس ابن ابي بكر قد برز لقتال ابيه كما يدعون؟

٤- لماذا يهني اوسفيان عمر بالنصر الذي احرزوه على المسلمين، ويقول له: «انعمت عيناً، قتلى بقتلى بدر»(٢)؟! وما معنى قول ابي سفيان له: إنها قد أنعمت يا ابن الخطاب، فقال: إنها... كما تقدم.

٥- لما ذا كان عمر أبر لابن سفيان من ابن قبيصة كما تقدم؟؟ اوليس ابن قبيصة يقاتل اعداء أبي سفيان ويفنيهم، ويقتحم الغمرات، ويواجه السيوف، والنبال، والرماح في الدفاع عن المشركين بزعامته، وعن مصالحهم، ويعمل من أجل قهر عدوهم؟!.

وعمر أليس عدواً لابن سفيان، ونصيراً لعدوه؟ ومقرباً له عليه؟!...

٦- لماذا لم يعترض هو، ولا ابوبكر، ولا طلحة، ولا غيرههم من كبار

(١)- نفس المصدرين الاولين في الصفحات التي تلي ما تقدم...

(٢)- مغازي الواقي ج ١ ص ٣٧، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٣.

(٣)- المصنف للحافظ عبدالرزاق ج ٥ ص ٣٦٦.

المهاجرين، الذين فروا إلى الجبل، وكانوا على الصخرة على من قال: انه يريدان يوسّط ابن ابي لدى ابي سفيان... وطلب منهم الرجوع إلى دينهم الأول؟! أوخوذ ذلك من كلام، يدل على رغبتهم في الارتداد عن الاسلام، وممالة المشركين، والاتفاق معهم؟.

اسئلة لاتزال ولسوف تبقى تنتظر الجواب المقنع والمفيد...

### العباس في أحد

في قضية احد رواية تفيد: ان العباس كان ممسكا بعنان فرس النبي (ص) يقوده، ثم ان النبي (ص) لما صعد الجبل، أو أراد ان يصعد الجبل، نزل عن الفرس وصعد، وكان يلتفت إلى الجوانب؛ فسأله عن سبب ذلك؛ فأقبل على علي، فقال: هل عندك خبر من عمك؟ فاخبره علي بما وقع، فبكى (ص) هو والاصحاب (١)...

ولكن هذا لا يمكن ان يصح؛ لأن العباس لم يحضر حرب احد... وتعلل على قریش بما جرى عليه في بدر... فمن اين جاء وامسك بعنان فرس النبي (ص)؟ ولو كان ذلك صحيحاً، كيف قبلت قریش منه أن يعود ليسكن مكة عدة سنوات؟!

فنظن انه لو كان لهذه القضية أصل، فلعل المقصود هو العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري، فانه قد استشهد يوم احد رحمه الله... ولعل هذا هو السر في بكاء الاصحاب والنبي (ص) عليه رحمه الله. ولعله هو الذي كان جهوري الصوت؛ فنادى: يا اصحاب سورة البقرة اين تفرون، إلى النار تهربون (٢)... كما يقولون. ويكون الراوي قد حرف في الرواية لحاجة في نفسه قضاها!!

(١) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٦/٤٣٧ عن الينابيع.

(٢) - البحار ج ٢٠ ص ١١٨.

## من مشاهد الحرب:

- ١— لما كان يوم احد قال مخيريق الحبر اليهودي: يا معشر يهود، والله لقد علمتم ان نصر محمد عليكم لحق. قالوا: ان اليوم يوم السبت. قال: لاسبت. فأخذ سيفه وعدته. وقال: ان اصببت فالي محمد، يصنع فيه ماشاء، ثم غدا إلى رسول الله، فقاتل معه حتى قتل، فيقال: انه (ص) قال: مخيريق خير يهود...
- ٢— واصر عمرو بن الجموح على الخروج الى الحرب مع عرجه... ودعا الله: ان يرزقه الشهادة، ولا يرده خائباً الى اهله... فاستشهد رحمه الله.
- ٣— واصيبت عين قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله (ص) بيده، فكانت احسن عينيه، واحدهما... ويقال: انه هو الذي طلب ذلك من النبي (ص)؛ لأنه لأنه رجل يحب النساء، ويخاف ان تعافه امرأته إذا رأته كذلك... وقد افتخر بذلك ابن لقتادة، عند عمر بن عبدالعزيز... فقال عمر: بمثل هذا فليتوسل الينا المتوسلون، ثم قال:
- تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء، فعاد ابعد ابوالا...
- ويقال: ان كلثوم بن الحصين رمي في نحره بسهم؛ فبصق عليه (ص) فبرئ... وفي رواية اخرى: ان عين ابي ذر اصيبت يوم احد؛ فبصق فيها النبي (ص)؛ فكانت اصح عينيه (١).
- ٤— وقتل الحارث بن سويد المجدري بن زياد غيلة في احد؛ لثار جاهلي له عليه، وكلاهما كان في جيش المسلمين؛ فنزل الوحي على الرسول، واخبره حبيب بن يساف؛ لأنه كان قد رآه قتله بخبره، فقتله (ص) به بعد رجوعه إلى المدينة، ولم يستمع لطلبه بالعفو، ووعده بالتكفير والدية، كذا يقولون...
- ٥— وقتل في احد سعد بن الربيع. وكان آخر ما قاله في وصية مطولة

(١) - حياة الصحابة ج ٣ ص ٦١٧ والمهشمي ج ٨ ص ٢٩٨ عن ابي يعلى.

منه للمسلمين: انه لا عذر لكم عند رسول الله: ان يخلص إلى نبيكم، وفيكم عين تطرف، ثم مات... .

ودخل عمر على ابي بكر— وعنده بنت لسعد هذا— وقد طرح لهاثوباً لتجلس عليه، فسأل عمر عنها. فقال ابو بكر: هذه ابنة من هو خير مني ومنك. قال: ومن هو يا خليفة رسول الله؟ قال: رجل تبوأ مقعده من الجنة، وبقيت انا وانت. هذه ابنة سعد بن الربيع الخ(١).

٦— ويقولون: انقطع سيف عبدالله بن جحش، فناوله (ص) عرجونا فعاد سيفاً، ولم يزل اهله يتوارثونه، ويسمى (العرجون)، حتى بيع لبغا التركي بمأتي دينار. ويذكر مثل هذا لعكاشة بن محصن في واقعة بدر... ولكن قد ذكر البعض: ان رسول الله (ص) ولي تركة عبدالله بن جحش، واخذ منها سيفه العرجون، فاشترى لأمه مالا بخير(٢)... ولكن ثمة قصة شبيهة بقصة العرجون بين النبي (ص) وعلي(ع)(٣)... فليتأمل فيما هو الحق من ذلك...

٧— ويقولون ان هنداً قد اعتلت صخرة مشرفة، فصرخت:

والحرب بعد الحرب ذات سعر	نحن جزيناكم بيوم بدر
ولا اخصى، وعمه، وبكر	ما كان لي عن عتبة من صبر
شفيت وحشي غليل صدري	شفيت نفسي، وقضيت نذري
حتى ترم اعظمي في قبري	فشكر وحشي علي عمري

فاجابها هند بنت أبان، بن عباد بن المطلب، بن عبد مناف:

يا بنت وقاع عظيم الكفر	خزيت في بدر، وغير بدر
بأهاشميين الطول الزهر	صبحك الله غداة الفجر

(١) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٦، وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٠١.

(٢) — تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٤، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٩١ وشرح المعزلي ج ١٥ ص

(٣) — البحار ج ٢ ص ٧٨.

بكل قطاع حسام يفري  
اذرام شيب وابوك غدري  
حمزة لسيثي، وعلي صقري  
فخضبامنه ضواحي النحر

ونذرك الشر فشر نذر

٨— كما ان الجليس بن زيان، سيد الاجابيش، قدمر بأبي سفيان، وهو يضرب بشدق حمزة بزج الرمح، ويقول: ذق عقق. فقال الجليس: يا بني كنانة، هذا سيد قریش، يصنع بابن عمه ماترون لحماً!! فقال: ويحك، اكنمها علي؛ فانها كانت زلة (١).

٩— كما وتقدم تمثيل قریش بالشهداء من المسلمين اقبح تمثيل...

١٠— ويقال: ان قرمان قد حارب في احد، وكان (ص) إذا ذكره يقول: انه لمن اهل النار. فحارب في احد، وقتل سبعة اوثمانية من المشركين، فجرح. فبشره البعض، فقال: بماذا أبشر؟ فوالله ماقاتلت الا عن الاحساب... ويقال: انه لما اشتدت جراحته قتل نفسه، ويقال: لم يفعل ذلك... ويقال: ان النبي (ص) حينئذ قال مامعناه: ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر...

### ملاحظات:

ونحن نسجل على ماتقدم باختصار شديد الاشارات التالية:

**ألف:** ان اموال مخيريق، وهي سبعة حوائط قد اصبحت للنبي (ص) بعد ان استشهد مخيريق، بمقتضى وصيته نفسه... ولم يكن لليهود أن يأخذوا منها شيئاً؛ حيث إنه ليس للكافرين يرث المسلم... وحيث لم يكن لمخيريق وارث؛ فان النبي (ص) يكون وارثه... ولسوف يأتي بعض الكلام عن مصير أمواله (ص) عند الكلام عن فذك ان شاء الله تعالى...

(١) — الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٦٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٩ عن ابن اسحاق والطبري ج ٢ ص ١٩٦ والبحار ج ٢٠ ص ٩٧ عن اعلام الوری.

باء: ان موقف مخير يق هذا يذكرني بموقف الحرفي كربلاء... فكل منها قد اتخذ القرار الحاسم في اخرج اللحظات، واكثرها حساسية... فان مخير يق قد استطاع ان يتخلى عن كل ما يحيط به من روابط، تشده وتهمن عليه، وتمنعه من اتخاذ القرار طيلة تلك المدة الطويلة وكذلك فعل الحر أيضاً... وإن تحكيم العقل، والتخلي عن كل تلك الروابط، وابعاد سائر تلك المؤثرات يحتاج إلى جهد نفسي كبير.. وهذا تعرف الرجال، وما تحمله من فضائل نفسية، وملكات انسانية... لأن حالات كهذه تكون الاعصاب فيها عادة في اقصى حالات التوتر. وتكون العاطفة في منتهى تأججها. وكل الروابط والمؤثرات الارضية تكون واضحة كل ثقلها في تصوراتها، ونظراتها المستقبلية... ولهذا كان مخير يق: خير يهود.

ولعل الذي يسهل على مخير يق اتخاذ قراره الحاسم ذلك ، هو قناعاته المترسخة في عمق وجدانه، والتي تستمد عمقها هذا من الاخبارات الصريحة والقاطعة التي يجدها عنده في التوراة والانجيل، حتى ان اليهود كانوا يعرفون النبي(ص) كما يعرفون ابناءهم...

جيم: ان اصرار عمرو بن الجموح على الخروج الى الحرب، واذن النبي(ص) له... انما يعني ان عدم الخروج للجهاد، رخصة للأعرج لاعزيمة... وعليه... فإذا بلغ المسلم من النضج الروحي بحيث يعتبر عدم الشهادة له خيبة، والشهادة فوزاً ونجاحاً... ثم هو يندفع اليها بهذا الاصرار، ويعتبرها غاية له، وتتوجأ حياته، فلماذا يحرم منها...

ولا يجب ان ننسى وصية سعد بن الربيع رضوان الله عليه(وهو شيخ الانصار وقد جعل بيوته للنبي(ص) ولزوجاته وقد عرس علي(ع) بفاطمة الزهراء في بيت من بيوته) التي تعبر عن مدى وعيه وسموره، وهو لا يرى موته نهاية له، إذا كان دين محمد محفوظاً؛ فانه يعتبر نفسه قد فاز بشهادته من جهة، كما انه يعتبر نصر محمد(ص)، ودين محمد بعد موته نصراً له حتى وهو في قبره ايضاً؛ لأنه يرى نفسه فانيا في هدفه، وجزءاً منه؛ فاذا انتصر الهدف، فهو ايضاً يكون المنتصر...

دال: وان مافعله ابوسفيان بجملة حمزة رضوان الله عليه، ثم طلبه من الجليس: ان يستر عليه هذه الزلة ليس بعجيب، فان تصرفات ومواقف ابي سفيان لم تكن محكومة لفضائل نفسية، ولا لقناعات وجدانية... وللقوة الهية غيبية، ولكنها كانت تخضع للمفاهيم الجاهلية والتبيلية، والمصالح الشخصية بالدرجة الاولى... ولذلك هو يعتبرها زلة إذ كان الجاهليون يقبحونها ويرفضونها، ولكنه لا يرى مانعاً منها بحسب مالدبه من خصائص نفسية، ومصلحة شخصية...

كما ان عمل ابي سفيان هذا يكذب ما ادّعاه من: انه لم يرض، ولم يغضب، ولم يعلم بالتمثيل الذي جرى للشهداء على ايدي المشركين.

ويكذبه أيضاً: ان ابا عامر الفاسق طلب ان لا يمثل بولده حنظلة، ويترك لاجله فكان له ذلك... وهذا يدل على ان التمثيل بالشهداء قد كان معلوما لدى الملائم قريش، وكانوا راضين به. ولعل اباسفيان قد كذب هذه الكذبة ليتفادى التمثيل باصحابه، او انها كذبت عن لسانه من محبيه، ومن يهمهم امره.

هاء: هذا وثمة نقاط اخرى فيما تقدم تحتاج إلى القاء الاضواء عليها.

كقضية قرمان، فاننا نشك في ان يكون النبي (ص) قد اخبر: انه من اهل النار قبل موته، ولعله— لوصحت الرواية— لما علم انه قتل نفسه، قال: «هو من اهل النار»، كما ورد في ذيل رواية الواقدي في المغازي ج ١ ص ٢٦٤/٢٦٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٦١ فذيل الرواية مقبول، دون صدرها...

وكقضية العرجون، فاننا نظن ان القضية ان لم تكن مع علي، فانها قد جعلت في مقابل ذي الفقار لعلي عليه السلام... وغير ذلك مما تقدم... وحسبنا ما ذكرناه، هنا فان الكلام حول كل ما تقدم يطول...

### الصبر في الجهاد:

لقد رأينا في واقعة احد أن الله تعالى قد انزل آيات في سورة آل عمران



ترتبط بالصبر في هذا المقام. ونحن نختار منها الآيات التالية:

قال تعالى «ام حسبتم: ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» ١٤٢.

وقال: «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين» ١٤٦.

ثم هناك آيات أخرى في سورة آل عمران تؤنب المؤمنين على عدم صبرهم في احد، وفيها اشارات لحقائق مهمة في حرب أحد لاجمال لبحثها في هذه العجالة، غير اننا نكتفي هنا باشارة موجزة جداً للصبر في الجهاد، فنقول:

الصبر في عرف الاستعمار، وفي عرف الحكام الظالمين، والجبارة المتكبرين هو تحمل الذل... والاستسلام لكل المخططات الهدامة التي تهدم حياة الانسان، ومستقبله، وقيمته، واخلاقه، ودينه... تهدمها لتبني على اشلائها عروش الظلم والخيانة، وملك الجبارين والمستكبرين...

ولقد تسرب هذا المعنى للصبر إلى عقائد بعض المسلمين، عن طريق العلماء المزيفين، الذين جعلوا انفسهم اداة للاستعمار ولاذنا به، وآلة في يد أولئك الحكام الظالمين، فحوروا دين الله على وفق اهداف أسيادهم، وحسبوا يخدم مصالحهم، ويؤيد ويسدد سلطانهم.

ولكننا إذا رجعنا— خلواً عن هذه المسبقات الذهنية— إلى المنبع الاصفي للاسلام، القرآن العظيم... وإلى مواقف وتعاليم النبي الكريم، واهل بيته الاطيبين الاطهرين... فاننا نجد: ان للصبر مفهوماً يختلف تماماً عن هذا المفهوم، بل هو يناقضه ويأينه...

ان الصبر في مفهوم هؤلاء هو تحمل كل المشاق في سبيل الوصول إلى الاهداف النهائية الثنبيلة لهذا الانسان وينسب لعيسى عليه السلام: انكم لا تدركون ماتأملون الا بالصبر على ماتكرهون. وعن علي عليه السلام: الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، وقد قال اميرالمؤمنين(ع): لا يعدم الصبور

الظفروان طال الزمان... ونسب اليه ايضاً قوله: الصبر سيف لاينبو، ومطية لا تكبو وضياء لاينجو. وقال(ع): لناحق فان اعطيناه، و إلا ركبنا أعجاز الابل وان طال السرى.

فالصبر في الاسلام هو الصبر على تحمل الأذى في محاربة الظلم، والقضاء عليه (الذي هو احد هذه الاهداف)... ولذلك نجدهم في مقام الثبات في الحرب المدمرة، يقولون: «ربنا افرغ علينا صبرا، وثبت اقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين». و يقولون في مواجهة فرعون: ربنا افرغ علينا صبرا، وتوفنا مسلمين...

وهذا هو الصبر الذي اراده الحسين عليه السلام حينما كانت السيوف والرماح تأكل اصحابه، واهل بيته، وهو يقول لهم: صبر ايا بني الكرام.

نعم... إن الصبر هو تحمل الآلام والمتاعب في سبيل الوصول إلى الهدف الاسمى كما قلنا، تماماً كما فعل نوح وغيره من الانبياء، ولا سيما نبينا الاعظم(ص).

والهدف هو العبودية المطلقة لله تعالى، ورفض كل عبودية سواه... وهو امر صعب؛ لأنه لاينسجم مع هوى النفس، التي تنفر من العبودية، وتميل إلى التحلل من كل القيود... ولذلك كان الصبر عن المعصية، والصبر على الطاعة، من عزم الامور، يحتاج إلى جهد، و إلى تعب ومشقة، وقدرة على التحمل...

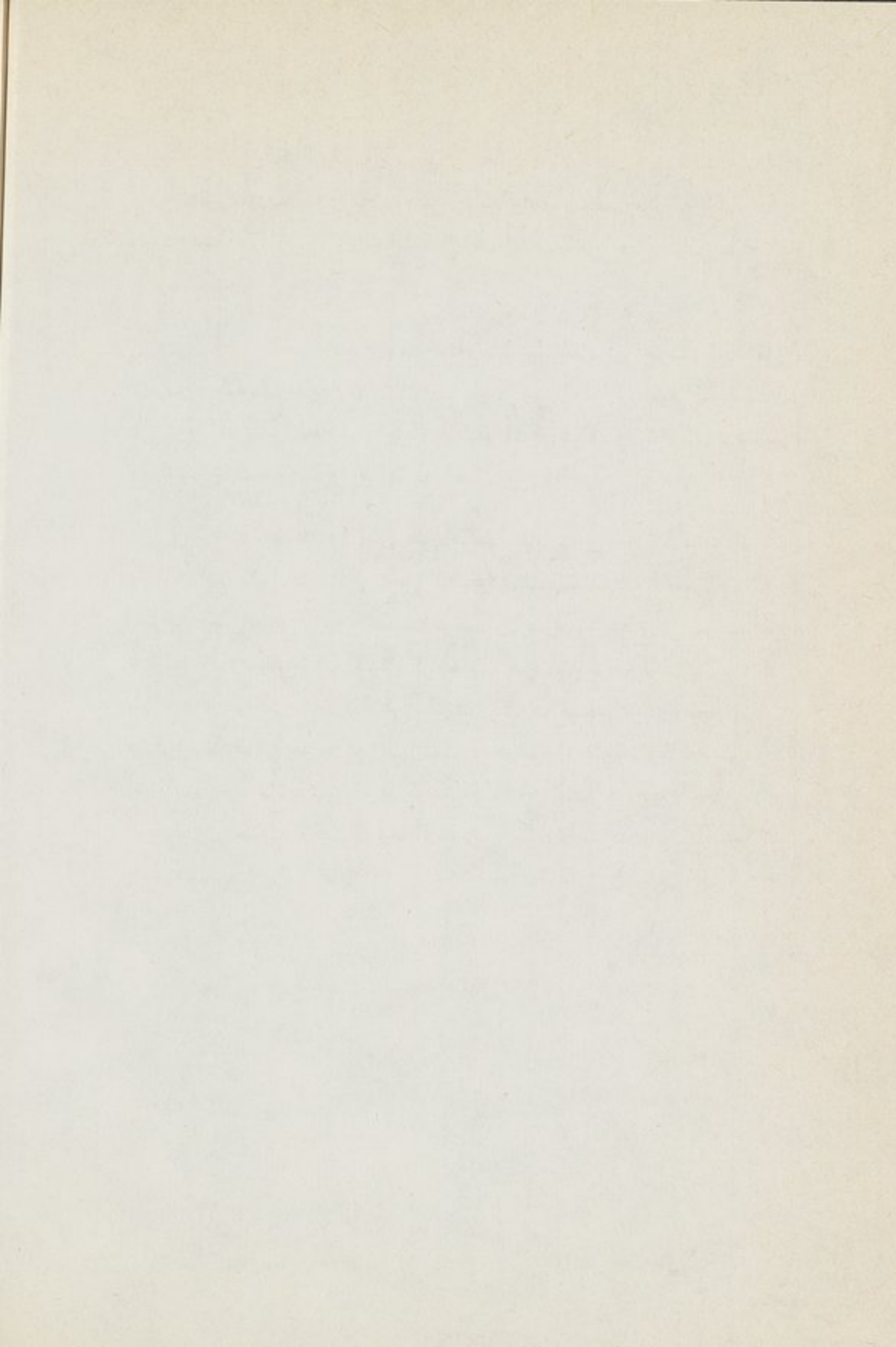
بل ان كل حق لابقاء له بدون الصبر، وقد كان صبر الانبياء والاوصياء من أهم اسباب بقاء الحق.

كما ان الصبر يدرّب الانسان على التقوى، و يرفع من مستوى قدرته على قيادة نفسه؛ لأنه يجب عليه هو ان يقود نفسه، لا أن تقوده نفسه... واذا استطاع ان يقود نفسه، و إذا كانت هي اقوى واعتي من يواجهه؛ فان قدرته على ان يقوم بمهمة قيادة الآخرين، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم... والى هدى

رب العالمين، تكون اعظم واشد، واكثر فعالية؛ ولذا قال الباقر عليه السلام: الصبر صبران: صبر على البلاء حسن جميل، وافضل الصبرين الورع عن محارم الله. وقال امير المؤمنين(ع): من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح ان يكون سائساً.

ومن الامور الجديرة بالملاحظة، بالنسبة للصبر في الحرب، قوله تعالى في سورة الانفال الآية ٤٥/٤٦: «يا ايها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. واطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا؛ فتفشلوا، وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين.»

فاننا نجد أنه في حين هو يأمرهم بالثبات في الحرب، يأمرهم بأن يذكروا الله كثيراً، وذلك من اجل ان يبقوا محتفظين بالهدف الاسمي - الذي يفترض فيهم السعي إليه - نصب أعينهم، ولا يصرفهم الدفاع عن نفوسهم عن ذكر الله... وطبيعي: ان كثرة ذكر الله منهم سوف تذكّرهم بأن الله بيده كل شيء، وانه هو الذي ينصرهم على عدوهم... وهو مصدر عزتهم وسعادتهم... فذكّرهم الله سوف يقوّمهم على الثبات، ويدعوهم إلى طاعته، وطاعة رسوله، ثم ان لا يتنازعوا، وان يصبروا؛ فذكر الله هو مفتاح النصر في جميع المجالات، ثم الوصول إلى الهدف الاقصى، وهو اقامة دين الحق، ونصر الله: «إن تنصروا الله ينصركم»...



## الفصل الرابع:

بعد ماهبت الرياح



## ماجرى على حمزة والشهداء:

قد تقدم بعض الكلام في كيفية استشهاد حمزة بن عبدالمطلب رضوان الله تعالى عليه... وأن أباسفيان كان يضرب شدة حمزة بزج الرمح، ثم طلب من رفيقه أن يستر عليه هذه الزلة... وعلقنا عليها بما سمح لنا به المجال...

١- وأما هند زوجة أبي سفيان، فقد أتت مصرع حمزة؛ فثلت به، وجدعت أنفه، وقطعت أذنيه ومذاكيره، ثم جعلت ذلك كالسوار في يديها، وقلائد في عنقها، واستمرت كذلك حتى قدمت مكة...

وكذلك فعل النساء بسائر الشهداء الأبرار...

وزادت هي عليهم: أنها بقرت بطن حمزة، واستخرجت كبده فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها. ويقال: إنها كانت قد نذرت ذلك... ولا حاجة إلى ذكر مصادر ذلك، فانه لا يكاد يخلو منه كتاب في التاريخ والحديث عن السيرة.

فيقال: إن النبي (ص) لما بلغه اخراجها كبد حمزة قال: هل اكلت منه شيئاً؟ قالوا: لا. قال: إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة

شيئاً أبداً (١)... أو ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار (٢)...

وليتأمل بعد فيما يقال حول اسلامها، وإيمانها، ثم الحكم لها بالجنة، كغيرها ممن هم على شاكلتها!!.

٢- واقبلت صفية لتنظر أخاها، فالتقت بعلي؛ فقال: إرجعي يا عمّة؛ فان في الناس تكشفاً، فسألته عن الرسول (ص)، فقال: صالح. قالت: ادلني عليه حتى أراه، فأشار اليه اشارة خفية من المشركين، - ولعلمهم كانوا لا يزالون قرييين من هناك ويخشى كرتهم فيما لو علموا: ان علياً بعيد عن النبي (ص) - فأقبلت إليه، فأمر (ص) الزبير بارجاعها، حتى لا ترى ما بأخيها...

فقالت للزبير: ولم؟ وقد بلغني: أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله قليل؛ فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولاصبرن إن شاء الله. فسمح لها النبي (ص) برؤيته، فنظرت اليه، فصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت له. كذا في الاكتفاء (٣). ويقال: إن الانصارهم الذين حالوا بينها وبين رسول الله (٤).

٣- وفي الصفوة: انها جاءت بثوبين لتكفين حمزة، فإذا إلى جنبه

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢) - مسند الامام أحمد ج ١ ص ٤٦٣، وتفسير القمي ج ١ ص ١١٧، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٠ عن أحمد، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٤١، والبحار ج ٢٠ ص ٥٥ عن القمي..

(٣) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤١ و ٤٤٢ وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٧١/٥٧٠ عن مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٩٩ وليراجع تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٨ و ٢٠٧ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٦٢/١٦١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٧ و ٢٤٨، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٠٣/١٠١ والدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥ عن العديد من المصادر في تفسير الآية وراجع البخاري ج ٢٠ ص ٩٣ و ص ٩٨ عن تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٧٤ وعن اعلام الوري وحياة الصحابة ج ٢ ص ٦٥٠ و ٦٥١ عن مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٢٠/١١٩ عن البزار والطبراني.

(٤) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٧ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٩٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٩ و ١٢٠.



انصاري قتيل، قد مثل به، فوجدوا غضاضة وحياء ان يكفونوا هذا، و يتركوا ذلك ، فاقرعوا بين الثوبين؛ فاصاب الانصاري اكبر الثوبين، فكفن حمزة بالآخر، فلف على قدمي حمزة ليف واذخر.

٤— وكان لحمزة يوم قتل تسع وخمسون سنة، وصلى النبي (ص) عليه، وكبر سبع تكبيرات. ثم صاروا يأتون بالقتلى، و يضعونهم الى جانبه، فيصلي عليه وعليهم حتى صلى عليه اثنتين وسبعين صلاة كذا في الطبيي.

٥— قال ابن اسحاق: ومرو رسول الله— حين رجع الى المدينة— بدور من الانصار؛ فسمع بكاء النوائح على قتلاهم، فذرفت عيننا رسول الله ثم قال: لكن حمزة لابواكي له...

فامر سعد بن معاذ، و يقال: واسيد بن حضير نساء بني عبدالاشهل: ان يذهبن و يبكين حمزة اولاً، ثم يبكين قتلاهن... فلما سمع (ص) بكاءهن، وهن على باب مسجده امرهن بالرجوع، ونهى (ص) حينئذ عن النوح، فبكرت اليه نساء الأنصار، وقلن: بلغنا يا رسول الله، انك نهيت عن النوح، وانما هو شيء نندب به موتانا، ونجد بعض الراحة؛ فأذن لنا فيه. فقال: إن فعلتن فلا تظمن، لا تخمشن، ولا تحلقن شعراً، ولا تشقن جيبا (١) قالت ام سعد بن معاذ: فما بكت منا امرأة قط الا بدأت بحمزة إلى يومنا هذا.

٦— ولما اراد معاوية أن يجري عينه التي باحد، كتب إلى عامله بالمدينة بذلك، فكتبوا إليه: إنا لانستطيع ان نخرجها الا على قبور الشهداء... فكتب: انبشوهم. قال جابر: فلقد رأيتهم يحملون على اعناق الرجال، كأنهم قوم نيام. واصابت المسحاة طرف رجل حمزة؛ فانبعثت دما.

قال ابوسعيد: لا ينكر بعد هذا منكر ابدأ (٢).

(١)— السيرة الخليلية ج ٢ ص ٢٥٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٤ عن المنتقى ولبراجع كامل ابن الاثير ج ٢ ص ١٦٧ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٠، ولبراجع: العقد الفريد، والبداية والنهاية ومسنده أحمد ج ٢ ص ٤٠ والاستيعاب ترجمة حمزة.

(٢)— راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٣ عن الصفوة والمنتقى والمصنف ج ٣ ص ٥٤٧ و ج ٥

٧- ومرّ أبو سفيان بعد اسلامه باحد، فقيل له: اي يوم لك هاهنا. فقال: والآن لو وجدت رجالا (١).

٨- مر أبو سفيان في أيام عثمان بقبر حمزة، وضربه برجله، وقال: يا أبا عمار، إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا اليوم يتلاعبون به (٢).

٩- وأما عن شرب حمزة للخمر حين خروجه الى أحد، فقد أثبتنا انه كذب فيما تقدم حين الكلام على تحريم الخمر، حين الكلام على زواج علي (ع) فراجع. اما هنا فتشير الى الامور التالية:

#### الف: موقف الرسول من المثلة بجمزة.

إنهم يقولون: إنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها في واقعة أحد، سأل صلى الله عليه وآله وسلم عن عمه حمزة بن عبد المطلب، فالتسوه، فوجدوه على تلك الحالة المؤلمة، حيث كانت هند أم معاوية، وزوجة أبي سفيان قد مثلت به؛ فجدعت أنفه، وقطعت أذنيه، وبقرت بطنه، واستخرجت كبده، فلا كتبها، ولم تستطع أن تسيغها، إلى غير ذلك من ممارسات وحشية تجاه تلك الجثة الطاهرة... تقدمت الإشارة إليها.

فجاء صلى الله عليه وآله وسلم، فوقف عليه، فيقال: إنه صلى الله عليه وآله لمارأه في تلك الحالة قال: «لولا أن تحزن صافية، وتكون سنة من بعدي

→  
ص ٢٧٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٦٤ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٦٧/٢٦٨ وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥ قسم ١ وقسم ٢ ص ٧٨ وليراجع حياة الصحابة ج ٣ ص ٦٥٩-٦٦١ عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٣ عن البيهقي ودلائل أبي نعيم ص ٢٠٧ وعن الكتبخ ج ٥ ص ٢٧٤ وعن ابن سعد وعن فتح الباري ج ٣ ص ١٤٢ وعن وفاء الوفاء ج ٢ ص ١١٦ عن احمد بسند صحيح والدارمي كما في الاوجز ج ٤ ص ١٠٨.

(١) - ربيع الأبرار ج ١ ص ٥٥٩.

(٢) - قاموس الرجال ج ١٠ ص ٨٩ وج ٥ ص ١١٦ والغدير ج ١٠ ص ٨٣ كلاهما عن شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٥١ ط قديم.

لتركته حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير. أوقال: لسرتني أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى، ولئن أظهرني الله على قر يش يوماً من الدهر في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم».

والمسلمون أيضاً قالوا: «والله، لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لتمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب»...

ويقال: إنه (ص) بكى وشهق، وقال: رحمة الله عليك، لقد كنت فعولاً للخير، وصولاً للرحم، أم والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك... فنزل جبرئيل بقوله تعالى: «وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين». فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصبر. وفي رواية، قال: أصبر، ونهى عن المثلة. وفي أخرى: كفر عن يمينه.

والروايات بهذه المعاني تجدها في مختلف كتب الحديث والتاريخ، التي تتعرض لغزوة أحد... ولا يكاد يخلو منها كتاب، كلاً أو بعضاً، ولذا فلانرى حاجة لتعداد مصادرها...

ونحن نقول: ان بكاءه (ص) على حمزة لامانع منه، وأما ماسوى ذلك مما ذكر آنفا... فنحن نشك في صحته؛ وذلك للامور التالية:

١- إن ذلك لا ينسجم مع روحية و اخلاق وانسانية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا ينسجم حتى مع روح التدبير للامور العامة، من قبل أي أنسان حكيم، مدبر للأمر، ولا مع سياسة الأمم بالمعنى الصحيح والسليم للسياسة.

وذلك لأنه لا مبرر لابقاء جثة شهيد في الصحراء، تصهرها أشعة الشمس، عرضة للوحوش والسباع والطيور!!.

وواضح: أن ذلك لا يعتبر انتقاماً من قر يش، ولا أداء لحق ذلك الشهيد العظيم، إن لم يكن إساءة واهانة له، بملاحظة ان إكرام الميت دفنه...

ثم... أو ليست انسانيته (ص) و اخلاقه الرفيعة هي التي أملت عليه

أن يغيب حتى جث قتل المشركين في قلب بدر؛ فكيف بالنسبة لهذا الشهيد العظيم، أسد الله وأسد رسوله!!

ويحاول: البعض أن يدعي: أنه (ص) لم يكن يقصد مدلول هذا الكلام، وإنما هو يريد فقط أن يظهر مظلوميته، ووحشية الطرف الآخر، أبي سفيان وأصحابه...

ولكن ذلك لا يصح باي وجه، فاننا نجل النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر كهذا، ولا يجوز نسبته إليه؛ لأن معناه امكانية التشكيك في كثير من أقواله (ص) ومواقفه.

أضف إلى ذلك: أن ماجرى لحمزة عليه السلام قد جرى مثله لغيره من الشهداء، وإن كان ماجرى لحمزة عليه السلام أفظع وابشع. فلماذا اختص غضبه (ص) بما جرى لعمه وحسب؟!.

وأيضاً فإن المفروض بهذا النبي العظيم أن يظهر الجلد والصبر لا الجزع والحزن، إلا بالنحو المعقول والمقبول، وإلا فما وجه اللوم لغيره ممن فقد الأهل والأحبة، إن تجاوز حده، وظهر منه مالا ينبغي في مناسبات كهذه؟!...

٢- إن قولهم: إنه إن ظفر بقر يش فسيمثل بثلاثين... مرفوض أيضاً؛ لأن هذه جث قتل المشركين أمامه، وهي اثنان أو ثمانية وعشرون جثة... بل وأكثر من ذلك، كما يظهر من بعض النصوص... فلماذا لا يمثل بها، ويشفي غليل صدره منها؟!

ولم لم يقع المسلمون يمثلون - بدورهم - بتلك الجث التي تركها أصحابها وفروا خوفاً من أن يدال المسلمون منهم، كما فروا من قبل في بدر؟!

٣- أما نزول الآية الكريمة ردّاً عليه صلى الله عليه وآله وسلم: «فان عاقبتهم؛ فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به (١)»... فلا يصح أيضاً... لأن الآية مكية؛

لأن سورة النحل قد نزلت في مكة، وأحد قد كانت في السنة الثالثة من الهجرة (١).

والقول: بأن ذلك مما تكرر نزوله (٢).

أولاً: يحتاج إلى اثبات.

وثانياً: يلزمه أن يكون النبي (ص) قد خالف الحكم الإلهي الثابت، فاحتاج الله إلى تذكيره بأن موقفه هذا مخالف لنص تلك الآية التي لديه!!.

وأيضاً... عن ابن عباس في قوله: فعاقبوا بمثل ما عقوبتم قال: هذا حين أمر الله نبيه أن يقاتل من قاتله... ثم ذكر أنها نسخت ببراءة (٣) وعن ابن زيد، قال: كانوا قد امروا بالصفح عن المشركين، فاسلم رجال ذوو أمانعة، فقالوا: يا رسول الله لو أذن الله لا انتصرنا من هؤلاء الكلاب؛ فنزلت هذه الآية، ثم نسخ ذلك؛ بالجهاد (٤).

٤- إن قولهم: إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى في هذه المناسبة عن المثلة محل نظر؛ وذلك لما رواه الزيلعي عن البخاري ومسلم، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس - فذكر حديث العرنين - وفي آخره، قال: قال قتادة: وبلغنا أن النبي (ص) كان بعد ذلك يحث على الصدقة، وينهى عن المثلة (٥).

ويقول العسقلاني: عن ابن عقبة في المغازي: «وذكروا: أن النبي (ص) نهى بعد ذلك عن المثلة بالآية التي في سورة المائدة، وإلى هذا مال البخاري، وحكاها امام الحرمين في النهاية عن الشافعي (٦)».

(١) - راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٦ عن ابن كثير، والقول بأن الآية مدنية لاعتبارها لاعتبارها به لانه يستند إلى هذه الرواية.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) - الدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥ عن ابن جرير، وابن مردويه.

(٤) - الدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥ عن ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) - صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ هـ ج ٣ ص ٣١، ونصب الراية للزيلعي ج ٣ ص ١١٨.

(٦) - فتح الباري ج ١ ص ٢٩٤.

فكلام قتادة السابق صريح في أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن المثلة بعد وقعة العرينين، وكانت بعد قصة أحد؛ لأنها كانت في حدود السنة السادسة (١).

وإن كنا بدورنا، لنا كلام في قصة العرينين هذه؛ حيث إننا نشك كثيراً في أن يكون صلى الله عليه وآله وسلم قد مثل بهم، ولا سيما بملاحظة ما قدمناه آنفاً، وغير ذلك من أمور لا مجال للتعرض لها هنا.

ولكن ما يهمننا هنا: هو أن ما ذكره هنا يتنافى بشكل ظاهر مع كونه صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن المثلة في أحد...

ولو أننا أغمضنا النظر عن ذلك؛ فإن ما نقلناه عن العسقلاني آنفاً يدل على أن نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن المثلة إنما كان في أواخر أيام حياته؛ لأن سورة المائدة قد كانت من أواخر ما نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم...

٥— إنهم يقولون: إن أبا قتادة جعل يريد التمثيل بقريش لما رأى من المثلة؛ فنعه صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

وهذا هو المناسب لآخلاقه وسجاياه صلى الله عليه وآله وسلم... أما أبو قتادة فإنه قد تصرف هنا بوحى من انفعاله وتأثره، الناجم عن ثورته النفسية بسبب ذلك المشهد المؤلم...

وإننا وإن كنا نشك في ملجاء في ذيل هذه الرواية، الذي يذكر: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد قرض قریشاً في هذه المناسبة، حتى قال: إنه عسى إن طالت بابي قتادة المدة أن يحقر أعماله مع أعمالهم... فإننا نعتقد أن هذه التقریظات من تزید الرواة تزلفاً للحكام الامويين— كما عودونا في مناسبات كثيرة— في مقابل علي عليه السلام، وأهل بيته لفسح المجال أمام

(١) — راجع: المصنف ج ٩ ص ٢٥٩، والبخاري، ومسلم، وغير ذلك.  
 (٢) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤١، وراجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٩٠/٢٩١، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٧.

تنقصهم والظعن بهم... ويكفي أن نذكر هنا موقف قريش من علي عليه السلام وأهل البيت، ونجده عليه السلام يصفها بأسوأ ما يمكن، ولا سيما بالنسبة لموقفها السيء منه عليه السلام...

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «... فدع عنك قريشاً، وتر كاضهم في الضلال، وتجوأهم في الشقاق، وجاحهم في التيه، فانهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله (ص) قبلي؛ فجزت قريشاً عنى الجوازي؛ فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن عمي (١)».

هذا ولا بد من ملاحظة: أنه (ص) قد قال لعلي (ع): حربك حربي، وسلمك سلمتي...

وقال عليه السلام: «اللهم إني أستعديك على قريش [ومن أعانهم]؛ فانهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري (٢)»... وقال عليه السلام: «مالي ولقريش، والله لقد قاتلتهم كافرين، ولاقاتلنهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالامس، كما أنا صاحبهم اليوم (٣)».

ولأبي الهيثم بن التيهان كلام جيد، حول موقف قريش من علي، من أرادته فليراجعه في الأوائل لابن هلال العسكري ج ١ ص ٣١٦/٣١٧، وفيه يحلل سر عداة قريش لأمر المؤمنين عليه السلام، وأنه بسبب بغيتها وحسدها له وعدم قدرتها على اللحاق به.

فهذه كانت حالة قريش بعد طول المدة؛ فكيف يحقر أبو قتادة أعماله مع أعماها؟! وكيف يكون لها ذلك المقام المحمود عند الله تعالى...

### ماهو الصحيح في القضية:

ولعل الصحيح هنا... هو قضية أبي قتادة المتقدمة... وإن كان قد تزيد الرواة فيها تزلفاً للحكام كما أشرنا...

ويضاف الى ذلك، مارواه غير واحد عن أبي بن كعب (رض)، قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، منهم حمزة. فثلوا بهم، فقالت الانصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لئربين عليهم. فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عاقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. فقال رسول الله (ص): نصبر، ولانعاقب. كفوا عن القوم إلا أربعة.

وحسب نص ابن كثير: عن عبدالله بن أحمد: فلما كان يوم الفتح، قال رجل: لا تعرف قریش بعد اليوم؛ فنأدى مناد: إن رسول الله (ص) قد أمن الاسود والابيض إلا فلاناً وفلاناً، ناساً سماهم، فأنزل الله إلخ (١).

وعن الشعبي وابن جرير ما يقرب من هذا أيضاً باختصار (٢).

وفي رواية: إن المسلمين لما رأوا المثلة بقتلاهم قالوا: لئن انا لنا الله منهم لنفعلن ولنفعلن، فأنزل اليه: وان عاقبتم الآية فقال (ص): بل نصبر (٣).

نعم... لا بد من الاشارة إلى أن ماتذكرة هذه الروايات من أن الآية قد نزلت في هذه المناسبة محل نظر، وذلك لما قدمناه من كونها مكية، ولعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عاد فذكرهم بالآية، مبالغة منه صلى الله عليه

(١) — الدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥ عن: الترمذي، وحسنه، وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند، والنسائي وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٩٢.

(٢) — تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٩٢.

(٣) — الدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥ عن ابن جرير، ومصنف ابن أبي شيبة.



وآله وسلم في زجرهم عن ذلك ، فتوهم الرواي: أن الآية قد نزلت في هذه المناسبة...

باء: هند... وكبد حمزة:

قد تقدم: أنه (ص) لما بلغه محاولة هند أكل كبد حمزة فلم تستطع أن تسيغها، قال: ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار، أو نحو ذلك...

قال الحلبي: «أي ولو اكلت منه، أي استقر في جوفها لم تمسها النار(١)».

وهو تفسير غريب حقاً... فان ظاهر كلامه (ص): أن هند امن أهل النار، وقد أبى الله أن يدخل شيئاً من حمزة النار... ولوضح تفسير الحلبي لكان اللازم أن تسيغ ما أكلته من كبده، ويستقر في جوفها، لأن هنداً ستدخل الجنة!! فلتكن تلك القطعة معها، لتدخل الجنة كذلك!!... نعم وهذا ما يرمى إليه الحلبي، فان له كلاماً طويلاً في المقام يدخل فيه هنداً الجنة... وبذلك تصير كلمة النبي (ص) هذه بلا معنى ولا مدلول!!...

جيم-: المنع عن البكاء على الميت:

وبكاء النبي (ص) على حمزة، وقوله: أما حمزة فلا بواكي له... وبعد ذلك على جعفر، وقوله: على مثل جعفر فلتبك البواكي. وبكى على ولده ابراهيم، وقال: تدمع العين، ويحزن القلب، ولانقول إلا ما يرضى الرب... وبكاؤه كذلك على عثمان بن مظعون، وسعد بن عباد، وزيد بن حارثة، وبكاء الصحابة أيضاً، وهو كثير في الحديث والتاريخ (٢)... ان كل ذلك إنما يعبر عن مطلوبية البكاء، وعن الرغبة فيه له (ص) ولهم (رض)... أو على الأقل يدل على عدم المنع عنه...

(١)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢)- راجع: النص والاجتهاد ص ٢٣٠-٢٣٤، والغدير ج ٦ ص ١٥٩-١٦٧ ودلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ١٣٤/١٣٦ عن عشرات المصادر الموثوقة.

ولكننا نجد: أن عمر بن الخطاب يمنع من البكاء، و يضرب عليه...  
و يفعل ماشاءت له قريحته في سبيل المنع عنه، و يروي حديثاً عن النبي (ص)  
مفاده: ان الميت ليعذب بكاء اهله عليه (٢)... مع أننا نجد، انه هو نفسه  
لايمانع في البكاء على خالد بن الوليد (٢).

وبكى هو نفسه على النعمان بن مقرن، وعلى رجل آخر (٣)...  
فإن النبي (ص) قدناه عن التعرض للذين سيكون موتاهم (٤)... كما ان عائشة  
قد انكرت عليه، وعلى ولده عبدالله هذا الحديث، ونسبته إلى النسيان،  
وقالت:

«يرحم الله عمر، والله، ماحدث رسول الله: إن الله ليعذب المؤمن  
بكاء اهله عليه، لكن رسول الله (ص) قال: إن الله ليزيد الكافر عذاباً  
بكاء أهله عليه. قالت: حسبكم القرآن: ولا تزر وازرة وزر أخرى (٥)»...

وفي نص آخر، انها قالت: «إنما مر رسول الله (ص) على يهودية يبكي  
عليها اهلها، فقال: انهم يبكون عليها وانها لتعذب في قبرها.» صحيح البخاري

(١) - راجع المصادر المتقدمة عن عشرات المصادر الموثوقة.

(٢) - الاصابة ج ١ ص ٤١٥، وصفة الصفوة ج ١ ص ٦٥٥، وأسد الغابة ج ٢ ص ٩٦، وحياة  
الصحابة ج ١ ص ٤٦٥ عن الاصابة، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٤٧.

(٣) - الغدير ج ١ ص ١٦٤ و ج ٥ ص ١٥٥ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٥٤، وعن  
الاستيعاب ترجمة: النعمان بن مقرن.

(٤) - راجع: الغدير عن المصادر التالية: مسند أحمد ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٣٥ و ج ٢ ص ٣٣٣ و  
٤٠٨، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٩٠ و ٣٨١ و صححه هو والذهبي في تلخيصه، ومجمع الزائد ج  
٣ ص ١٧ والاستيعاب ترجمة عثمان بن مظعون، ومسند الطيالسي ص ٣٥١، وسنن البيهقي ج ٤  
ص ٧٠ وعمدة القاري ج ٤ ص ٨٧ عن النسائي وابن ماجه، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٨١،  
وكنز العمال ج ١ ص ١١٧.

(٥) - راجع: صحيح البخاري ج ١ ص ١٤٦ ط سنة ١٠٣٩ هـ. ومستدرک الحاكم ج ٣ ص  
٣٨١، واختلاف الحديث للشافعي هامش الام ج ٧ ص ٢٦٦، وجامع بيان العلم ج ٢ ص ١٠٥،  
ومختصر المزني هامش الام ج ١ ص ١٨٧، والغدير ج ٦ ص ١٦٣ عن تقدم، وعن: صحيح مسلم  
ج ١ ص ٣٤٢/٣٤٣/٣٤٤، ومسند أحمد ج ١ ص ٤١، وسنن النسائي ج ٤ ص ١٧ و ١٨، وسنن  
البيهقي ج ٤ ص ٧٣ و ٧٢، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٥٩، وموطأ مالك ج ١ ص ٩٦.

وانكر ذلك أيضاً: ابن عباس، وأئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن أراد المزيد، فعليه بمراجعة الغدير، والنص والاجتهاد، ودلائل الصدق...

ونشير نحن هنا إلى مقاله الامام شرف الدين رحمه الله تعالى، قال: «وهنا نلفت أولي الالباب إلى البحث عن السبب في تنحي الزهراء عن البلد في نياحتها على أبيها (ص)، وخروجها بولديها في لمة من نسائها إلى البقيع يندبن رسول الله، في ظل أراكة كانت هنا، فلما قطعت بنى لها علي بيتاً في البقيع كانت تأوي إليه للنياحة، يدعى: بيت الاحزان. وكان هذا البيت يزار في كل خلف من هذه الأمة (١)...»

وأقول: إن من القريب جداً: أن حديث: «إن الميت ليعذب ببكاء الحي» قد حرف عن حديث «البكاء على اليهودية المتقدم»؛ لدوافع سياسية لاتحقی؛ فان السلطة كانت تهتم بمنع فاطمة عليها السلام من البكاء على أبيها...

فيظهر: أن هذا المنع قد استمر إلى حين استقر الأمر، ولذلك لم يعتن عمر بغضب عائشة، ومنعها إياه من دخول بيتها حين وفاة أبي بكر - (وهي المعززة المكرمة عنده) فضرب أم فروة أخت أبي بكر بدرته... نعم... لقد فعل هذا على رغم أن البكاء والنوح كان على صديقه أبي بكر، وكان هجومه على بيت عائشة، وكان ضربه لأخت أبي بكر... وهو الذي كان يهتم بعائشة ويحترمها، و يقدر أبا بكر ومن يلوذبه، ويحترم بيته بما لامزيد عليه... نعم لقد فعل كل هذا لأن الناس لم ينسوا بعد منع السلطة لفاطمة من النوح والبكاء على أبيها...

ثم لما ارتفع المانع... ومضت مدة طويلة وسنين عديدة على وفاة سيدة النساء ونسي الناس أو كادوا أو بالأحرى ما عادوا يهتمون بهذا الأمر... ارتفع

هذا المنع على يد عمر نفسه، وبكى على النعمان بن مقرن الذي توفي سنة ٥٢١ هـ. وعلى شيخ آخر... كما أنه سمح بالبكاء على خالد بن الوليد، الذي توفي سنة ٢١، أو ٢٢ حسب تقدم... .

نعم... قد تقدم عن مصادر كثيرة: الهبي عن خمش الوجوه، وشق الثياب، واللطم، والنوح بالباطل، وهذا غير البكاء وهياج العواطف الانسانية الطبيعية. وذلك لأن الأول ينافي التواضع لله عزوجل والتسليم لقضائه... أما الثاني فهو من مقتضيات الجبلة الانسانية، ودليل اعتدال سجية الانسان... وشتان ما بينهما...

ولعل المنع عن البكاء مأخوذ من أهل الكتاب، حيث يظهر أن عمر كان يحاول هذا المنع في زمن النبي بالذات... ولم يرتدع بردع النبي له إلا ظاهراً، فلما توفي (ص) صار الموقف السياسي يتطلب الرجوع الى ما عند أهل الكتاب، فكان منع الزهراء عن ذلك كما قدمنا... ومما يدل على أنه مأخوذ من أهل الكتاب: أنه قد جاء في التوراة: «يا ابن، ها أنذا آخذ عنك شهوة عينيك بضربة؛ فلا تنح ولا تبك، ولا تنزل دموعك تنهد ساكتاً، لا تعمل مناحة على اموات (١)».

#### دال: حزن النبي (ص) على حمزة

١- إن من الثابت أن النبي (ص) قد حزن على حمزة، وبكى عليه، وأحب أن يكون ثمة بواكي له، كما لغيره... وواضح: أن حزن الرسول هذا، ورغبته تلك ليسا إلا من أجل تعريف أصحابه، والأمة أيضاً بما كان لحمزة من خدمات جلّى لهذا الدين، ومن قدم ثابتة له فيه، وبأثره الكبير في اعلاء كلمة الله تعالى... ويدلنا على ذلك أنه قد وصفه - كما يروى - بأنه كان فعولاً للخيرات، وصولاً للرحم إلخ...

ولأن حزنه (ص) عليه كان في الحقيقة حزناً على ما أصاب الاسلام

بفقدته، وهو المجاهد الفذ، الذي لم يكن يدخر وسعاً في الدفاع عن هذا الدين واعلاء كلمة الله...

وذلك لأن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ليهتم بالبكاء على حمزة، ولا ليبيكي هو (ص) عليه مجرد دوافع عاطفية شخصية، أو من علاقة رحمية ونسبية، وإنما هو يحب في الله وفي الله فقط... تماماً كما كان يبغض في الله وفي الله فقط.

فهو (ص) يحزن على حمزة بمقدار ما كان حمزة مرتبطاً بالله تعالى، وخسارته خسارة للاسلام... وإلا فكما كان حمزة عمه كان أبوهب عمه أيضاً، وعداوة أبي هب للرسول لا تدانيها عداوة، فقد كان أبوهب من أشد الناس عداوة (ص)، وأعظمهم ايذاء له... وموقفه (ص) من أبي هب كذلك هو معروف ومشهور...

ولكننا نجد في المقابل موقفه (ص) من «سلمان» الذي كان (ص) يجب أن يقال له: سلمان «المحمدي»، بدلاً من: «الفارسي»... وحتى قال (ص) في حقه: «سلمان منا أهل البيت»، ولقد:

كانت مودة سلمان لهم رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحم...

٢- كما أن نفس كونه (ص) شريكاً في المصيبة من شأنه أن يخفف المصاب على الآخرين... ولا سيما إذا كان مصابه بمن هو مثل حمزة أسد الله وأسد رسوله... حمزة الذي لم يكن ليخفي على أحد موقعه ونكايته في المشركين، ولم يكن مافعلته هند وأبوسفيان بجثته الشريفة، وأيضاً موقف أبي سفيان من قبره الشريف في خلافة عثمان... ثم مافعله معاوية في قبره وقبور الشهداء، بعد عشرات السنين من معركة أحد... — لم يكن كل ذلك — إلا دليلاً قاطعاً على ذلك الأثر البعيد، الذي تركه حمزة في اذلال المشركين، واعلاء كلمه الحق والدين... حتى إن أباسفيان وولده معاوية لم يستطيعا أن ينسياله ذلك الأثر، وبقي — حتى قبره — الذي كان يتحداهم بأنفة وشموخ كالشجي المعترض في حلقي الاب والابن على حد سواء...

لقد استطاع حمزة أن يحقق أهدافه حتى وهو يستشهد؛ لأن شهادته جزء من هدفه كما قلنا... أماهم، فقد باؤا بالفشل الذريع، والخيبة القاتلة، وانتهى بهم الأمر إلى أن يكونوا طلقاء هذه الأمة، وزعماء منافقها، المشهور نفاقهم، والمعروف كفرهم...

### هاء: موقف أبي سفيان من قبر حمزة:

وإن موقف أبي سفيان من قبر حمزة ليعتبر دليلاً واضحاً على كفره، وأنه لا يزال يعتبر حربته مع النبي (ص) حرباً على الملك والسلطان، والمكاسب الدنيوية...

وقد دخل أبوسفيان على عثمان، فقال له: قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فانما هو الملك، ولا أدري ماجنة ولا نار(١).

وكان أبوسفيان كهفياً للمنافقين... وكان يوم اليرموك يفرح إذا انتصر الكفار على المسلمين، ويحزن حين يرى كرة المسلمين عليهم، كما ذكره المقرئ في النزاع والتخاصم.

وكفريات أبي سفيان معروفة ومشهورة، ولا مجال لاستقصائها، فمن أرادها فليراجع مظانها(٢).

### واو: مواساة الأنصار للنبي (ص):

وإن مواساة الأنصار للنبي (ص) حتى في البكاء على حمزة لهي في الحقيقة من أروع المواساة للنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم؛ فهم يواسونه

(١) — الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٨٧، وقاموس الرجال ج ١٠ ترجمة أبي سفيان وج ٥ ص ١١٦/١١٧، والغدير ج ٨ ص ٢٧٨ عن الاستيعاب، وعن الطبري ج ١١ ص ٣٥٧، ومروج الذهب ٣٤٣.

(٢) — راجع: الغدير، ولاسيما ج ٨ ص ٢٧٩/٢٧٨ وج ١٠ ص ٧٩—٨٤ لمعرفة رأي علي فيه وفي أبيه، وقاموس الرجال، ترجمة أبي سفيان، والاستيعاب، وغير ذلك.

بأموالهم وأنفسهم، وحتى في عواطفهم الصادقة، ومشاعرهم النبيلة...

وقد استمروا على صدقهم، ووفائهم، وإخلاصهم له ولرسالته، ولوصيه علي عليه السلام، وأهل بيته عليهم السلام إلى آخر لحظة، ولذلك نكبهم الامويون، والحكام بعد النبي (ص)، وأذلوهم، وحرموهم، كما تقدمت الإشارة إليه...

### زاي: صبر صافية:

وإن صبر صافية، واعتبارها: أن ماجرى لحمزة قليل في ذات الله تعالى... إنما هو نتيجة للوعي الرسالي الرائد للسلام، الذي لا يمكن اعتباره محدوداً ومقوقعاً ضمن طقوس، وحركات، أو جذبات صوفية ونحوها... فالسلام حياة... ولا يطلب فيه الموت والشهادة إلا من أجل هذه الحياة...

السلام هو السلام حتى في حال الحرب، وهو الحياة فيما يراه الناس الموت، والراحة في ما يراه الناس التعب، والسعادة في ما يراه الناس الشقاء والآلام... إنه سلام شامل وكامل... فاذا بلغ الانسان هذا السلام الشامل، فهو المسلم الحق... وهكذا كانت صافية رضوان الله تعالى عليها... حتى أصبح ماجرى لأخيها قليلاً في ذات الله... وصار سلاماً لها وعليها...

### التعصيب:

وعلى كل حال: فإنه لما قتل حمزة رضوان الله عليه بعث النبي (ص) علياً (ع) فأتاه ببنت حمزة؛ فسوغها (ص) الميراث كله (١).

وهذا يدل على أنه لاميراث للعصبة على تقدير زيادة الفريضة عن السهام إلا مع عدم القريب، فيرد باقي المال على البنت، والبنات، والاخت والاختوات وعلى الام، وعلى كلاله الام، مع عدم وارث في درجتهم، وعلى هذا اجماع أهل البيت (ع)، واخبارهم به متواترة.

(١) - التهذيب ج ٦ ص ٣١١، والوسائل ج ١٧ ص ٤٣٢.

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: «وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» فعن الباقر(ع) في هذه الآية: «إن بعضهم أولى بالميراث من بعض؛ لأن أقربهم إليه رحماً أولى به. ثم قال ابو جعفر(ع): أيهم أولى بالميت، وأقربهم إليه؟ أمه، أو أخوه؟ أليس الأم أقرب إلى الميت من إخوته وأخواته؟!» الوسائل ج ١٧ ص ٤٣٤.

وللتوسع في هذا البحث مجال آخر...

### الصلاة على شهداء «أحد» وتغسيلهم ودفنهم:

لقد روى بعضهم: أن النبي(ص) لم يصل على شهداء «أحد»... وبه أخذ الأئمة الشافعية... ولكن ذلك غير صحيح؛ فقد صرحت الروايات الكثيرة: بأنه(ص) قد صلى عليهم. وروى ذلك عن بعض أئمة الحديث. وبه أخذ الأئمة الحنفية(١).

والصحيح: أنه(ص) قد صلى عليهم، ولم يغسلهم، وهو الثابت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين هم سفينة نوح، وباب حطة... ولذا فلا يعبأ بما رواه غيرهم؛ ولذا فنحن لانطيل الكلام في ذلك. ولا سيما بعد أن قال «مغلطاي»: «... وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل. وهذا إجماع، إلا ما شذبه بعض التابعين... إلى أن قال: قال السهيلي: ولم يرو عنه(ص): أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا في هذه. وفيه «نظر»؛ لما ذكره النسائي، من أنه صلى على اعرابي في غزوة أخرى.»(٢).

وعن عدد التكبير عليهم، وعلى غيرهم، راجع: مقالنا في التكبير على الميت في كتاب: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام، فقد أثبتنا بما لا يقبل الشك: أن التكبير على الميت «خمس» لا أربع— وبالنسبة للغسل فقد قال الديار بكرى، وغيره: «أجمع العلماء على أن شهداء أحد لم يغسلوا»(٣).

(١) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٢. وليراجع أيضاً: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٨/٢٤٩.

(٢) - سيرة مغلطاي ص ٥٠/٥١.

(٣) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٢، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٨.



ويذكر هنا: أن حنظلة - كما تقدم - خرج وهو جنب - فأخبر (ص) أن الملائكة تغسله.

ويقال أيضاً: إن حمزة قد قتل جنباً؛ فرأى النبي (ص) الملائكة تغسله (١) ولكن هذا ينافي ما جاء في بعض النصوص من أنه قتل يوم أحاصماً... والله هو العالم...

ومهما يكن من أمر؛ فإن الشهداء لم يغسلوا... و إخباره (ص) بتغسيل الملائكة لمن مات جنباً، بالإضافة إلى أنه إخبار عن واقع؛ فإنه أيضاً لرفع الحرارة التي ربما تحدث في نفس أهله، الذين يعرفون بأنه لم يغتسل من جنابته.

وأما عن دفنهم؛ فيقال: إنه قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنهم بها، ثم نبى (ص) عن ذلك... وقال (ص): «ادفونهم حيث صرعوا» (٢).

ويقال: إنه (ص) قال: ادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وقدموا أكثرهم قرآناً (٣).

## إشارة هامة:

لماذا تقديم الأقرأ؟: وتقديم أكثرهم قرآناً حتى في هذا المقام له دلالة هامة هنا... فإن أكثرهم قرآناً يكون هو الأكثر وعياً وبصيرة في أمره، ومن ثم يكون إخلاصه للقضية التي يقاتل من أجلها أشد، وارتباطه بها أعمق. وكلما

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٨، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٣٠٩ وشرح النهج ج ١٥ ص ٣٧.

(٢) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٢ عن الاكتفاء وابن اسحاق وأحمد، والترمذي، وأبي داود، والنسائي، والدرامي، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٦٣/١٦٢. وفي شرح النهج ج ٤ ص ٢٦٢ رواية ناقشها المعتزلي بما لا مجال له.

(٣) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٢ عن أحمد، والترمذي، وإبي داود، والنسائي، وشرح النهج ج ١٥ ص ٣٨، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٣١٠، والثقات ج ١ ص ٣٣، ومجمع الزوائد ج ٦، والمصنف ٥٤١/٣ و ٥٤٢/٥.

كان العمل أكثر إخلاصاً لله، كلما كانت قيمته أعلى، وثمنه أعلى... لأنه يستمد قيمته هذه من مدى اتحاده بذلك الهدف، وفنائه فيه.

بل نجد انه (ص) يتجاوز ذلك، إلى انه (ص) اراد ان يعث بعثاؤهم ذوو عدد، فاستقرأهم؛ ليعرف مامعهم من القرآن... فوجد: ان احديثهم سنأ اكثرهم قرآناً، فامرهم عليهم (١).

كما أن في ذلك اعطاء النظرة الصحيحة للاسلام للعلم والمعرفة... وانه يتابع ذلك حتى بالنسبة لما بعد الموت، وحتى بالنسبة لهؤلاء المتساوين من حيث بذل اغلى مالديهم في سبيله، وان لم يكونوا متساوين في درجات معرفتهم، وثقافتهم، ووعيمهم...

ولقد رأينا انه (ص) يقول— كما يروى لنا ابوسلمة— إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمهم اقرؤهم، وان كان اصغرهم؛ فإذا أمهم فهو أميرهم (٢). وفي هذا دلالة واضحة على ان الملاك في التقديم هو المعرفة الخالصة، التي تؤهل الانسان لأن يكون أكثر خشية لله: انما يخشى الله من عباده العلماء. وليس هو الحسن، او الجاه، او المال، او النسب، او غير ذلك؛ فان ذلك قد رفضه الاسلام والقرآن رفضاً قاطعاً ونهائياً.

أنا شهيد على هؤلاء:

وكان طلحة بن عبيدالله، وابن عباس، وجابر بن عبدالله، يقولون: صلى رسول الله (ص) على قتلى أحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء». فقال أبو بكر: ألسنا اخوانهم، اسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ قال: بلى، ولكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئاً، ولا أدري ماتحدثون بعدي؛ فبكى أبو بكر، وقال: انا لكائنون بعدك؟ (٣)...

(١)— حياة الصحابة ج ٢ ص ٥٤ عن الترغيب ج ٣ ص ١٢.

(٢)— المصنف للحافظ عبدالرزاق ج ٥ ص ١٦٥.

(٣)— شرح النهج للمعتز ج ١٥ ص ٣٨، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٣١٠، والمصنف ٥٤١/٣

وليراجع ص ٥٧٥ وج ٢٧٣/٥.

وهذا يدل على أن الرسول (ص) لم يكن مطمئناً لما ينتهي إليه أمر أصحابه بعده... ولم يكن يعتقد أن مجرد صحبتهم له تدخلهم الجنان، وتجعلهم معصومين، أو أنها تكون أماناً لهم من كل حساب وعقاب، عملوا ماعملوا، وفعلوا مافعلوا؛ فإن ذلك خلاف ما قرره القرآن، من أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. وقد بحثنا موضوع عدالة الصحابة في مقال مستقل في كتابنا دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام...

وما ذكرناه هناك ماهو إلا رشفة من نهر، وقطرة من بحر... وإلا...  
فان الأدلة على ما نقول من أن كل صحابي محاسب على ما عمل، وأن فيهم المؤمن، والمنافق، والعاذل، والفاسق كثيرة جداً، لا مجال لحصرها...  
عدد شهداء أحد:

وأما عن عدد الشهداء في أحد... فإننا نبادر إلى القول: إنهم سبعون، من المهاجرين أربعة. والباقون من الأنصار.

وقيل: أربعة وستون من الأنصار، وستة من المهاجرين. وجرح سبعون. وهذا ما وعدهم النبي (ص) به في بدر حسبما اشرنا إليه فيما تقدم...

وأما ما يقال: من أن عدتهم خمس وستون، فيهم أربعة من المهاجرين، أو أنهم ستة وتسعون. أو أنهم ثمانون: أربعة وسبعون من الأنصار، وستة من المهاجرين (١)... فليس بمسموع بعد أن أخبرهم النبي (ص) — كما هو المشهور — بأنه سيقتل من المسلمين بعدة أسرى بدر إن قبلوا بالفداء...

و يقولون: إن عدة أسرى بدر كان سبعين.

وبذلك يعلم: أن ما في المشكاة، عن أنس: إنه قتل من الأنصار في أحد سبعون، وفي بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة على عهد أبي بكر سبعون رواه

(١) — راجع هذه الأقوال في سيرة مغلطاي ص ٥٠/٤٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٥ وغير ذلك كثير وليراجع شرح النهج ج ٥٢/٥١.

البخاري (١).

لا يمكن المساعدة عليه؛ لأن قتلى أحد كانوا سبعين من الأنصار،  
والمهاجرين معاً، لامن الأنصار وحدهم...

ويلاحظ هنا: أن أكثر القتلى كانوا من الأنصار، الذين ظلت  
قريش تحقد عليهم، وعلى أهل البيت (ع) عشرات السنين والأعوام. وقد أشرنا  
إلى ذلك غير مرة؛ فلانعيد...

ولربما نفهم: أن اندفاع الأنصار إلى الحرب ومخاطرها كان أكثر  
وأشد؛ لأنهم يدافعون عن وطنهم، وعن عقيدتهم معاً...

أما غيرهم، فلربما كان بعضهم يطمئن إلى قبول قومه له، كما يظهر  
مما تقدم.

### زيارة القبور:

ويذكر الواقدي هنا: أن النبي (ص) كان يزور قبور شهداء أحد في  
كل حول، فإذا لقوه رفع صوته يقول: السلام عليكم بما صبرتم؛ فنعم عقبي  
الدار... وكان أبو بكر يفعل مثل ذلك، وكذلك عمر، ثم عثمان، ثم معاوية  
(كيف يذكر معاوية هنا، وهو الذي نبش قبور الشهداء من أجل العين التي  
أجراها؟!).

وكانت فاطمة تأتيتهم بين اليومين والثلاثة؛ فتبكي عندهم، وتدعو.

وكان (ص) يأمر بزيارتهم، والتسليم عليهم. وكذا كان يزورهم  
سعد بن أبي وقاص، وأبوسعيد الخدري بالنسبة لقبر حمزة، وأم سلمة أيضاً  
كانت، تزورهم كل شهر... وقد أثبت غلامها، لأنه لم يسلم عليهم. وكذا  
أبوهريرة، وابن عمر، وفاطمة الخزاعية (٢).

(١) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٦.

(٢) - راجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ٣١٣/٣١٤، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٠.

وقد أمر النبي (ص) بزيارة القبور... وشواهد هذا البحث كثيرة جداً لا تكاد تحصر، وقد ألفت الكتب، ونُظمت البحوث في هذا الموضوع؛ (١) فليراجعها من أراد التوسع فلا يصغى لمنع بعض الفرق من زيارة القبور، فإن ذلك لا يستند إلى أي دليل معقول ولا مقبول...

### عدد قتلى المشركين:

ويقال: إنه قد قتل من المشركين في معركة أحد ثمانية عشر رجلاً (٢) وقيل: إثنان أو ثلاثة وعشرون (٣) وقيل ثمانية وعشرون (٤)... وقيل أكثر من ذلك... لأن حمزة قد قتل وحده منهم واحداً وثلاثين رجلاً (٥)

### أكثر القتلى من علي (ع):

١- ويروى البعض: أن أمير المؤمنين عليه السلام قد قتل في أحد اثني عشر رجلاً (٦).

٢- ونعتقد أنه (ع) قد قتل أكثر من ذلك... لأنه قد قتل أصحاب اللواء بلاشك كما تقدم بيانه وهم تسعة أو احد عشر، كما أن المعتزلي يذكر: أنه صارت كتائب المشركين تحمل على النبي (ص)، وقد قتل من كتيبة بني كنانة: أبناء سفيان بن عوف الأربعة. وتمام العشرة منها، ممن لا يعرف باسمائهم. وقال: إن ذلك قد رواه جماعة من المحدثين، ويوجد في بعض نسخ ابن اسحاق، وأنه خبر صحيح... فراجع كلامه (٧).

- 
- (١) - راجع: شفاء السقام للسبكي، والغدير ج ٥ من ص ١٦٦ حتى ٢٠٨ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٨، ووفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٣ فابعدهما و ٩٣١-٩٣٣. وغير ذلك...
- (٢) - مجمع البيان ج ٢ ص ٥٠٠ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢ عنه.
- (٣) - سيرة مغلطاي ص ٥٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٧ والسيرة الحلبية، وغير ذلك.
- (٤) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٥٤.
- (٥) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٦ و ٢٥٥، والاصابة ج ١ ص ٣٥٤.
- (٦) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٥٤.
- (٧) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٥٠ / ٢٥١ وفي ج ١٥ ص ٥٤: أن في بعض كتب المدائني: أن علياً قتل بني سفيان بن عوف... وروى له شعراً في ذلك، فراجع...

٣- وقال القوشجي: «وكان اكثر المقتولين منه (١)»... أي من أمير المؤمنين عليه السلام.

٤- وقال الشيخ المفيد رحمه الله تعالى... «وقد ذكر أهل السير قتلى أحد من المشركين، وكان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السلام». ثم ذكر اسماء اثني عشر من الأبطال المعروفين، ممن قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام (٢).

٥- ولسوف يأتي: أن قر يشأ قد عجلت بالمسير عن حمراء الأسد، حينما علمت أن علياً قادم عليها...

٦- ويقول الحجاج بن علاط في وصف قتله عليه السلام لكبش الكتيبة، طلحة بن أبي طلحة، وحملاته (ع) في أحد:

لله أي مذبذب عن حزبه      أعني ابن فاطمة المعمر المخولا  
جادت يداك له بعاجل طعنة      تركت طليحة للجبين مجدلا  
وشددت شدة باسل فكشفتهم      بالسفح إذيهوون أسفل أسفلا  
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن      لترده حران حتى ينهلا (٣).

أويس القرني في أحد:

ويقولون: إن أويس القرني قد حضر أحداً، وجرى عليه كل ماجرى على النبي (ص) من كسر رباعيته، وشج وجهه، ووطئ ظهره!! ويدل على أنه قد وطئ ظهر النبي (ص) قول عمر: فلقد وطئ ظهرك، وأدمي وجهك (٤).

ونحن لانصدق ذلك أصلاً، لأنهم يقولون: إن أويساً لم ير النبي (ص)

(١)- شرح التجريد للقوشجي ص ٤٨٦.

(٢)- الارشاد ص ٥٤ والبحارج ٢٠ ص ٨٨/٨٩ عنه.

(٣)- الارشاد للمفيد ص ٥٤، والبحارج ٢٠ ص ٩٠ عنه وهامش ص ٥٠ عن الامتاع

للمقرئ بي.

(٤)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٥/٢٥٦ والطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٢٧.

أصلاً؛ لأنه كما يقولون كان مشغولاً بخدمة أمه (١).

وروي عن النبي (ص) قوله: خير التابعين رجل يقال له: أويس بن عامر (٢).

وفي مسند أحمد: نادى في صفين رجل شامي: أفيكم أويس القرني؟ قالوا: نعم. قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: من خير التابعين أويس القرني (٣).

بل لقد كان الامام مالك ينكر وجود أويس القرني من الاساس (٤)... ولكنه كلام لا يصح، فقد تواتر: أنه شخصية حقيقية، وقد ذكر العلماء والمصنفون أخباره وفضائله... ولعل سبب انكار وجوده، هو حضوره مع علي (ع) في صفين، واستشهاده معه...

### صفية... واليهودي:

ويذكر البعض في غزوة أحد (٥) قضية قتل صفية لليهودي، وعدم جراءة حسان على قتله، ولا على سلبه...

ولكن الظاهر هو أن ذلك كان في غزوة الخندق، ولذا فنحن نرجئ الحديث عنه إلى هناك...

### بعض الحكم في معركة أحد:

قال السمهودي: «قال العلماء: وكان في قصة أحد من الحكم

(١) - الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٢٧، والاصابة ج ١ ص ١١٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٦.

(٢) - الاصابة ج ١ ص ١١٥ عن مسلم، ولسان الميزان ج ١ ص ٤٧٢، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٦ بعدة الفاظ...

(٣) - الاصابة ج ١ ص ١١٦ ولسان الميزان ج ١ ص ٤٧٥ وراجع ص ٤٧٤.

(٤) - الاصابة ج ١ ص ١١٥.

(٥) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٨٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٦.

والفوائد أشياء عظيمة.

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من الرماة.

ومنها: أن عادة الرسل أن تبلى وتكون لها العاقبة...

ومنها: اظهار أهل النفاق، حتى عرف المسلمون: أن لهم عدواً بين أظهرهم.

ومنها: تأخير النصر هضماً للنفس، وكسراً لشماختها (١).

ثم ذكر كلاماً يشتم منه رائحة الجبر، وهو ما لانا فقهه عليه، ولذلك أهملناه...

من مشاهد العودة إلى المدينة:

١- وعاد النبي (ص) والمسلمون إلى المدينة، واستقبلته أم سعد بن معاذ تعدو، فجاءت حتى نظرت في وجهه، وقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هانت علي كل مصيبة إن سلمت...

فعرّأها رسول الله (ص) بولدها عمرو.

وفي رواية: إنه لما بشرها النبي (ص) بما للقتلى في الجنة، قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟! (٢).

٢- مرّ رسول الله (ص) بامرأة من الانصار، وقد أصيب زوجها، وأخوها، وأبوهامع الرسول (ص) في أحد؛ فلما نعوهم إليها قالت: ما فعل رسول الله؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى

(١) - وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٥، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٥.

(٢) - راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٤، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٣١٥/٣١٦، وتاريخ

الخميس ج ١ ص ٤٤٤.



أنظر إليه. فأشير لها إليه، فلما رآته قالت: كل مصيبه بعدك جليل. يعني هينة.

وفي رواية: أنها استقبلوها بجناز: ابنها واخيها، وايبها، وزوجها، أودلت على مصارعهم؛ فلم تكثرث. وسألت عن الرسول(ص) فدلّت عليه؛ فذهبت حتى أخذت بناحية ثوبه... ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي اذا سلمت من عطب(١).

ونقول: وهكذا... نجد: أن هؤلاء النسوة قد بلغن من المعرفة والوعي: أن صرن يعتبرن وجود النبي(ص) هو كل شيء بالنسبة إليهن. وكل مصيبة بعد النبي(ص) هينة، ولا يبالين إن سلم من عطب...

فالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو مصدر الطمأنينة، وعنوان الحياة، والوجودهن... وبدونه لا طعم للحياة، ولا معنى للبقاء...

كما وقد بلغ من يقينهن بما يخبر به الرسول(ص): أنهن صرن كأنهن يرىنه رأي العين، حتى لتقول أم سعدبن معاذ، حينما أخبرها بما للشهيد في الجنة: ومن يبكي عليهم بعد هذا؟!.

ولا يمكن أن نرجع ذلك كله لشخصية النبي(ص)، وقوة تأثيرها... وإنما يرجع ذلك - ولاشك - الى فطرية تعاليم الاسلام ومبادئه، وانسيابها مع المشاعر والعواطف حتى لتمتزج بوجود الانسان وفي كيانه، وتسرى فيه كما يسرى الدم في العروق...

### علي يناول فاطمة سيفه:

ويقولون: إنه(ص) قد ناول فاطمة سيفه، وقال: اغسلي عن هذا دمه يابنية، فوالله، لقد صدقني اليوم. فجاء علي فناولها سيفه، وقال مثل ذلك،

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٣ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٤، و تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٠، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٦٣ والبحار ج ٢٠ ص ٩٨ عن اعلام الوري، وجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٥، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٥٦ عنه، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٤٧.

فقال (ص): لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبودجانة (١).

ولكن ذلك غير صحيح، وذلك :

١- لأن الذي قتل معظم المشركين، وقتل أصحاب الالوية وثبت في أحد، ونادى جبرئيل باسمه، وقتل ابناء سفيان بن عوف الاربعة إلى تمام العشرة، هو علي، وليس أبادجانة، ولا سهل بن حنيف، ولا غيرهما...

٢- ثم إن هذه الرواية متناقضة النصوص؛ فعن ابن عقبة لما رأى رسول الله سيف علي مخضباً دماً قال: إن تكن أحسنت القتال، فقد أحسنه عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح، والحريث بن الصمة، وسهل بن حنيف (٢)...

٣- لقد ردّ ابن تيمية قولهم بأنه (ص) أعطى فاطمة سيفه، بأنه (ص) لم يقاتل في أحد بسيف (٣)...

**والصحيح في القضية هو:** ما ذكره المفيد: من انه بعد أن ناول علي

فاطمة سيفه، وقال لها: خذي هذا السيف؛ فلقد صدقني اليوم، وأنشد:

أفاطم هالك السيف غير ذميم      فلست برعديد، ولا بلئيم  
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد      وطاعة رب بالعباد عليم  
أميطي دماء القوم عنه فإنه      سقى آل عبد الذار كأس حميم

قال (ص): «خذي يا فاطمة؛ فقد أدى بعلك ما عليه، وقد قتل الله

(١)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٤ عن ابن اسحاق، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٥، وراجع: الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٣٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٣ عن الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٤ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وصحاحه على شرط البخاري، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٣٥.

(٢)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٥.

(٣)- نفس المصدر.

بسيفه صناديد قريش (١)».

نعم... إن هذه الرواية هي الانسب والافق بمساق الأحداث،  
وبأخلاق وسجايا النبي الاكرم (ص).

شماتة المنافقين وسرورهم بنتائج أحد:

ولما عاد النبي (ص) إلى المدينة، وبكى المسلمون قتلاهم سر بذلك  
المنافقون، واليهود، وأظهروا الشماتة، وصاروا يظهرن أقبح القول... ومنه: ما  
محمد، الا طالب ملك، وما أصيب بمثل هذا نبي قط، أصيب في بدنه، وأصيب  
في أصحابه... وعرف المسلمون عدوهم الذي في دارهم، وتحرزوا منه...  
وقالوا أيضاً... لو كان من قتل عندنا ما قتل... وجعلوا يخذلون عن  
رسول الله (ص)، وأصحابه، ويأمرونهم بالتفرق عنه...

واستأذنه عمر في قتل هؤلاء القائلين من المنافقين واليهود...  
فقال (ص): أليس يظهرن شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قال  
عمر: بلى، ولكن تعوذوا من السيف، وقد بان أمرهم، وأبدى الله تعالى  
أصغائهم...

فقال (ص): نهيت عن قتل من أظهر ذلك. وأما اليهود؛ فلهم ذمة فلا  
أقتلهم (٢).

ونحن نشير هنا إلى ما يلي.

### ألف - التمهيد:

إن المحن التي أصابت المسلمين في حرب أحد قد ميزت الخبيث من  
الطيب منهم، وامتاز أذعياء الايمان والمنافقون عن المؤمنين... كما وعرفت

(١) - الارشاد للشيخ المفيد ص ٥٤، والبحار ج ٢٠ ص ٨٨ عنه.

(٢) - راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٤، ومغازي الواقي ج ١ ص ٣١٧/٣١٨، وشرح النهج

للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٣.

درجات المؤمنين أنفسهم، ومدى ثبات قدم كل منهم في الايمان... قال تعالى في مناسبة غزوة أحد:

«إن يمسسكم قرح؛ فقد مسّ القوم قرح مثله؛ وتلك الايام نداؤها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا، ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين(١)».

وأيضاً... فان في ذلك تعريف للمؤمنين أنفسهم بقدراتهم الايمانية، وملكاتهم النفسية...

فلا بد إذن... أن يسعى المقصرون لجبر ما فيهم من نقص، وتكميل يقينهم، وزيادة وعيهم الرسالي؛ قال تعالى في آيات نزلت بمناسبة أحد: «وليمحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين(٢)» ويقول: «قل: لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم؛ وليبتلي الله ما في صدوركم، ويمحص ما في قلوبكم، والله عليم بذات الصدور(٣)».

وخلاصة الأمر: إن ماجرى في أحد قد عرّف المسلمين بحقيقة تركيبة مجتمعهم، وأن فيه المؤمن والمنافق، وعرّفهم أيضاً بطاقتهم وقدراتهم، ودرجاتهم الايمانية.

وهذا أمر مهم جداً بالنسبة لخططهم المستقبلية... ومهم أيضاً بالنسبة لتعاملهم على الصعيد الداخلي مع بعضهم البعض؛ لأن ذلك يجعلهم أكثر دقة، وأشد حيلة، حيث يحسبون لكل شيء حسابه، فلا يأتيهم ما لا يتوقعون، ولا يواجهون المفاجآت المحيرة... الأمر الذي لا بد وأن يؤثر في نتائج مواقفهم، وجعلها لصالحهم، بنحو أدق وأحكم...

باء: أجواء النفاق ودوافعه:

إن النفاق لا يستدعي دائماً: أن يكون المنافق يرغب في هدم هذا

الدين الجديد، و يترصد الفرصة لذلك . بل ربما يكون ذلك خوفاً من هذه الدعوة حينما يكون لها قوة وطول.

أوطمعاً بنفع عاجل مادي أو معنوي.

أو عصبية وحمية لبلد، أو قبيلة...

أو طمعاً في أن تنجح الدعوة في التغلب على المصاعب التي تواجهها... ويكون لهذا الشخص المنافق شأن فيها...

أو التزاماً بتقليد اجتماعي، ذي طابع معين.

أو حفاظاً على مصالح لا يمكن الحفاظ عليها مع مناهضة الدعوة...

الى غير ذلك مما لا مجال له هنا...

وإذن... فيمكن ان يكون نفاق ابن أبي وكثير من أصحابه إنما كان من أجل الحصول على مافي الاسلام من مغنم... والابتعاد عما يواجهونه من متاعب ومغارم... وقد يكون نفاقهم هذا يتخذ اتجاهاً لا ينسجم مع تسليط المشركين على المدينة، لأن ذلك ولاشك لسوف يلحق الضرر بأولئك المنافقين أنفسهم... ولسوف يلحق الضرر بالتزاماتهم القبلية والاجتماعية... وبمصالحهم بشكل عام... كما أن تسليط المشركين على بلدهم لا ينسجم مع التقليد الاجتماعي القائم آنذاك، ولا مع غيرتهم وحميتهم، وعصبيتهم...

نعم... ربما تتغير هذه النظرة للمنافق، و يتجاوز كل هذه الموانع، إذا رأى: أن وجوده ومصالحه في خطر في المستقبل... وإذا رأى أنه لا يمكنه الحفاظ على الحد الأدنى من مصالحه إلا بالتعامل مع اعداء هذه الدعوة... فيندفع إلى القيام بأي عمل يحفظ له الحد الأدنى مما تطمح نفسه إليه، ويسعى من أجل الحصول عليه...

جيم: أسئلة حائرة... تنتظر الجواب:

ثم إننا نجد: أن عمر يستأذن النبي (ص) في قتل هؤلاء المنافقين؛ فلا

يأذن له النبي (ص) (وقد تقدم حين الكلام على وحشي وفي موضع آخر بعض ما يرتبط بذلك).

ونجد مثل ذلك من عمر في خلال حياته مع النبي (ص) الشيء الكثير،  
وكأمثلة على ذلك نشير إلى:

١- قصته مع الحكم بن كيسان (١).

٢- قصته مع أبي سفيان (٢) حين فتح مكة.

٣- ومع عبدالله بن أبي (٣).

٤- ومع ذي الخويصرة (٤).

٥- ومع حاطب بن أبي بلتعة (٥).

٦- ومع ذي الثدية (٦) وقيل باتحاده مع ذي الخويصرة، وقيل:

لا...

٧- ونجده يطلب في الحديدية أن يمكّنه النبي (ص) من نزع ثنيتي

(١)- حياة الصحابة ج ١ ص ٤١، عن طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٣٧.

(٢)- حياة الصحابة ج ١ ص ١٤٤ عن مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٧ عن الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٣)- المصنف لعبد الرزاق ج ٩ ص ٤٦٩، وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٨٤ عن البخاري، ومسلم، وأحمد، والبيهقي، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٧٠ وعن تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٢ عن ابن أبي حاتم، وفي فتح الباري ج ٨ ص ٤٥٨: هو مرسل جيد.

(٤)- حياة الصحابة ج ٢ ص ٦٠١ عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٦٢ عن الصحيحين ومناقب الخوارزمي ص ١٨٢.

(٥)- مجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٣ عن أحمد، وأبي يعلى والبخاري، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٦٣/٤٦٤ عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٤ عن أحمد، والبخاري والترمذي، وبقية الجماعة ما عدا ابن ماجه ومناقب الخوارزمي الحنفي ص ٧٤.

(٦)- المصنف لعبد الرزاق ج ١٠ ص ١٥٥ وجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٢٦ عن أبي يعلى.. وقد روي هذا الحديث من وجوه كما في مجمع الزوائد.

سهيل بن عمرو، حتى يدلع لسانه... وفي كل ذلك يمنعه النبي (ص)، ويردعه، ويخبره: بأنه لا يرغب في ذلك ...

وبالنسبة للحادثة الأخيرة مع سهيل بن عمرو، لا يسعنا إلا أن نشير إلى أنه كيف خفي على عمر خطورة تصرف كهذا؟!... وأن ذلك معناه نقض الصلح، واعطاء نظرة سيئة عن النبي (ص) والمسلمين، وفسح المجال للدعاية المغرضة ضدهم، وأنهم لا عهد لهم ولا ذمار... فحتى الرسل والمفاوضين يفعلون بهم ذلك... الأمر الذي يرفضه حتى العرف الجاهلي، فضلاً عن الخلق السامي النبيل...

كما أننا لا ندرى - لو أنه فعل ذلك بسهيل بن عمرو - ماذا سوف يكون شعور ابنه عبد الله بن سهيل، الذي هرب من أبيه إلى النبي (ص) في بدر، وكان يكتم أباه إسلامه؟!... ثم ماذا سوف يكون شعور ابنه الآخر أبي جندل بن سهيل، الذي جاء يرسف في الحديد إلى رسول الله (ص) في الحديدية؟!، أي في نفس الوقت الذي يريد فيه عمر: أن يفعل ما يفعل بأبيه سهيل - وقد كان سهيل يضرب أبا جندل بغصن شوك... ولكنه مع ذلك قدضن بهذا الأب أن يصيبه سوء، كما ذكره مصعب الزبيرى (١).

نعم... إننا لا ندرى لماذا يصّر عمر على النبي (ص) في هذا الأمر، الذي كرر النبي (ص) له رأيه فيه مرات عديدة؟!... وأوضح له: أنه لا يريد أن يتحدث الناس: أن محمداً يقتل أصحابه... بل لقد قال له في قصة ابن أبي: لو قتلته يوم قلت لي لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته (٢)!

وإذا كان عمر يغار على مصلحة الإسلام - إلى هذا الحد، حتى إنه لينسى كلام النبي له في ذلك مرات عديدة، فلماذا فر في أحد قبل قليل، وترك الإسلام والنبي (ص) في معرض الاخطار الجسام، والأهوال العظام؟! ولماذا فر في خيبر وحنين إلخ؟!...

(١) - نسب قريش لمصعب ص ٣١٩/٣٢٠.

(٢) - البداية والنهاية ج ٤ ص ١٥٨.

ولماذا لم يطع النبي (ص) حينما أمره بأن يقتل ذا الشدية (١)؟! ... ولعل هذا هو سر قول النبي (ص) له في قصة ابن أبي: أوقاته أنت إن امرتك بقتله؟ مما يوحى بانه (ص) كان يشك في صحة عزمه على هذا الأمر كثيراً وقد أثبت الواقع صحة شكه هذا...

ولماذا كان يسند هذه المهمة إلى غير عمر... إلا في قصة ذي الشدية، وكانت النتيجة فيها كما هو معلوم؟! ...  
ولماذا لانجد غير عمر من سائر الصحابة يهتم بهذا الأمر بالخصوص؟! ...

أسئلة تبقى حائرة، تنتظر الجواب المقنع والمفيد...

---

(١) - راجع القضية في الاصابة ج ١ ص ٤٨٤/٤٨٥ وقال: إن لقصة ذي الشدية طرقاً كثيرة صحيحة.



## الفصل الخامس:

غزوة حمراء الاسد...

و

إلى السنة الرابعة...



قريش تفكر في المدينة، ثم تعدل عنها:

ولقد كان من الطبيعي: أن يفكر المشركون في المدينة، ونهبها، وسلب نساؤها... بعد انتهائهم من معركة أحد...

وكان من الطبيعي أيضاً: أن يحسبوا: أن في المدينة خلقاً كثيراً من الأوس والخزرج لم يحضروا الحرب، وهم مسلمون...

وحتى اليهود، والمنافقون: ابن أبي وأصحابه، فان لهم في المدينة أهلاً ونساء أوعيالاً، وأطفالاً... كما أن لهم بعيال، وأطفال ونساء، وحتى رجال المسلمين علاقات نسبية، ومصالح مشتركة، لا يمكن التخلي عنها، أو تجاهلها بسهولة.

وإذن... فقد كان من الطبيعي أن يجد المشركون مقاومة شديدة في داخل المدينة...

وأما في خارجها... فهم يعلمون: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه من ورائهم... فانهم وإن تحملوا خسائر كبيرة: سبعين قتيلًا، وسبعين جريحاً... إلا أن من بقي منهم، وهم أكثر من خمس مئة مقاتل، إذا كانت القضية قضية شرف وعرض ومال، ومستقبل؛— فضلاً عن كونها قضية دين— فلسوف— يستميتون في الدفاع عنها... ولم تنس قريش بعد: أنها قد هزمت في ابتداء المعركة، وطارها الرعب في آخرها... من هؤلاء

بالذات، مع أنها تزيدهم عدداً أضعافاً كثيرة... كما أنه لا مجال لمقايسة ما كان عندهم من السلاح والعدة بما كانت تملكه هي من عدة وسلاح...

ولم تنس بعد أيضاً: أنها لم تتغلب عليهم إلا بسبب تكتيك حربي، يعتمد على عنصر المفاجأة، استطاعت أن تستفيد منه حينما خالف الرماة صريح أوامر قائدهم... مع اشتغال الباقين في الغنائم، الأمر الذي جعلهم آمنين مطمئنين إلى أنه لا عدو بعد بواجههم.

هذا كله... عدا عن أن قريشاً قد كلت في هذه الحرب، وتعبت، وأصبحت قد اتها الآن أقل بكثير مما كانت عليه في بداية الحرب؛ حيث واجهت الهزيمة انثد أيضاً...

كما أنها ترغب في الاحتفاظ بهذا الانتصار الشكلي، ولا تريد أن تخاطر به، وتعرضه لاحتمالات الانتكاس والفشل الفاضح... لأن هذا الانتصار الشكلي يتيح لها: أن تبذل محاولات جديدة في تضييق تأثير مواقف المسلمين الشجاعة السابقة على القبائل في المنطقة، وبالذات على مشركي مكة أنفسهم.

وأخيراً... فلم لا تفكر في أن تتبع الخطة التي اتبعها المسلمون في بدر، حيث لم يتبعوا المشركين حينما هزمهم... فلعل ذلك كان لأهداف بعيدة، وحكم غابت عنها... أدركها الآخرون ولم تستطع هي أن تدركها...

### غزوة حمراء الاسد:

وفي اليوم الثاني خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الوحي، كما في الرواية... إلى حمراء الأسد— موضع على ثمانية أو عشرة أميال من المدينة—، حيث ندب أصحابه، قائلاً: «الأعصاب تشد لأمر الله، تطلب عدوها؟ فانها انكأ للعدو، وأبعد للسمع (١)». فاشتد ذلك على المسلمين؛

(١) — مجمع البيان ج ٢ ص ٥٣٩، والبحار ج ٢٠ ص ٣٩.

فأنزل الله: «ولاتهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون (١)»

فخرج (ص) في ستين راكباً (٢). أو سبعين (٣).

وهذا يؤيد مارواه القمي: من أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي (ص)، فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولا يخرج معك إلا من به جراحة؛ فأمر (ص) مناديه أن ينادي بذلك (٤).

ووجه التأييد: أن المجروحين من المسلمين كانوا بهذا المقدار تقريباً، كما صرحت به بعض النصوص كما تقدم.

ويدل عليه أيضاً: أن عائشة قالت لعروة بن الزبير: كان أبوك الزبير، وأبو بكر لما أصاب نبي الله ما أصاب، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا؛ فقال: من يرجع في أثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً (٥)...

ويؤيد— أن هؤلاء السبعين هم المجروحون—: قوله تعالى في هذه المناسبة: الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرع (٦).

وإذا كان الذين خرجواهم المجروحون فقط، فلامعنى لذكر أبي بكر وعمر وغيرهم ممن لم يكن به جراح في الخارجين إلى حراء الاسد...

وعلى كل حال... فقد خرج رسول الله (ص) بالمجروحين من أصحابه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وكان حامل لوائه علي عليه السلام... وكانت قريش في الروحاء— على بعد خمس وثلاثين أو اثنين

(١) — راجع: مجمع البيان ج ٢ ص ٥٠٩، والبحار ج ٢٠ ص ٢٢.

(٢) — البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٠٥.

(٣) — مجمع البيان ج ٢ ص ٥٣٩.

(٤) — تفسير القمي ج ١ ص ١٢٥ والبحار ج ٢٠ ص ٦٤ عنه.

(٥) — البداية والنهاية ج ٤ ص ٥٠ و ٥١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٧، والدر المنثور ج ٢ ص

١٠٢ عن سعيد بن منصور، وابن أبي شيبه، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في الدلائل...

(٦) — آل عمران ١٧٢.

أوثلاث وأربعين ميلاً من المدينة— وهناك تلاوموا فيما بينهم، وقالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب اردفتن. قتلتموهن حتى إذالم يبق إلا الشريد تركتموهن، إرجعوا فاستأصلوهن قبل ان يجدوا شوكة، فقال صفوان بن أمية:

لاتفعلوا، فان القوم قد حربوا، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غيرالذي كان... أوقال لهم: إن محمداً وأصحابه الآن في حنق شديد مما أصابهم فوالله ما امنت إن رجعتن أن يجتمع جميع من كان قد تخلف عن أحد من الاوس والخزرج، ويطؤوكم ويغلبوا عليكم، والآن لكم الغلبة إلخ... فبلغ ذلك النبي(ص) فأراد أن يريهم من نفسه وأصحابه قوة وأن يريهم— ولا أدري من أين بلغه ذلك ومتى وصل إليه الخبر في خلال ليلة واحدة... عن بعد اكثر من أربعين ميلاً، فالصحيح هو أن الوحي أمره بالمسير إليهم— كما نصت عليه رواية القمي.

وقدم(ص) ثلاثة نفر من اسلم، فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الاسد وهم يأترون بالرجوع، فبصروا بها، فرجعوا إليها فقتلوها... .

ومضى(ص) حتى نزل حمراء الاسد فدفن الرجلين، وأقام هناك ثلاثة أيام. وأوقد المسلمون ناراً عظيمة— خمسائة نار— فذهب صيت عسكرهم ونارهم إلى كل جانب، فكبت عدوهم بذلك .

ومر معبد الخزاعي— وهو مشرك— بعسكر المسلمين وهو في طريقه الى مكة— وكانت خزاعة عيبة نصبح لرسول الله مسلمهم وكافرهم— فأظهر تألمه مما أصاب المسلمين في أحد... فلما بلغ أباسفيان وأصحابه أخبرهم: أن محمداً يطلبهم في جمع لم ير مثله، وأن هذا علي بن أبي طالب. قد اقبل على مقدمته في الناس(١) وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه، وقد ندموا على ما صنعوا، وأنهم يتحرقون عليهم. وأن نواصي الخيل قد تدركهم قبل أن يرتحلوا...

(١)— البحار ج ٢٠ ص ٩٩ عن اعلام الورى...

فدب الرعب في قلوب المشركين، واسرعوا بالرحيل، والتقوا بركب من بني عبد القيس قاصداً المدينة، فوعدهم أبوسفیان أن يعطيهم ما يرضيهم إذا هم أبلغوا رسول الله أن قریشاً آتية لحربه... وأرسل معبد يخبر رسول الله بحقيقة الأمر...

وبعد اقامة النبي (ص) ثلاثة أيام عاد الى المدينة.

### اسيران يقعان في ايدي المسلمين:

وأخذ النبي (ص) في طريقه ذلك رجلين من قریش، هما معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وأبو عزة الجمحي...

فأما أبو عزة فقد كان أسري في بدر، ثم منّ عليه (ص) لبناته الخمس، وأخذ عليه العهد ان لا يعود الى حرب المسلمين، وأن لا يظاهر عليه أحداً... فنقض العهد، وألب القبائل، وشارك في معركة أحد... فلما عادت قریش، ونزلت في حمراء الاسد، ثم ساروا وتركوه نائماً أدركه المسلمون هناك وأخذوه الى النبي (ص)، فطلب الاقالة، فرفض (ص) ذلك حتى لا يسمح عارضيه بمكة ويقول سخرت من محمد مرتين. ثم أمر (ص) علياً - وقيل غيره - أن يضرب عنقه، ففعل.

ولكن ابن جعدبة قال: ما أسريوم أحد هو ولا غيره. ولقد كان المسلمون في شغل من الاسر. ولم ينكر قتله.

وقال ابن سلام: «قد قيل: ان النبي لم يقتل أحداً صبراً إلا عقبه بن أبي معيط يوم بدر (١)».

ولكن المشهور هو خلاف ذلك، فهو المعتمد حتى ثبتت خلافه. هذا...

وبعضهم يقول: إن أباعزة قد أسريوم أحد...

والظاهر أن مقصوده هو نفس ما ذكرناه، لأن حمراء الاسد من تنمة

معركة أحد... فلا مجال لاشكال المعتزلي بأن حال المسلمين في أحد لم يكن يساعد على أسر أحد(١).

وأما معاوية بن المغيرة بن أبي العاص... فإنه انهزم في أحد، ودخل المدينة، فأتى فنزل عثمان بن عفان - ابن عمه. فقال عثمان له: اهلكتني واهلكت نفسك. ثم خبأه في بيته وذهب الى النبي (ص) ليأخذ له أماناً، وكان (ص) قد علم به من طريق الوحي، فأرسل علياً ليأتي به من دار عثمان، فأشارت أم كلثوم زوجة عثمان إلى الموضع الذي صيره عثمان فيه، فاستخرجوه من تحت حجارة لهم، وانطلقوا به إلى رسول الله، فشفع فيه عثمان، فقبل منه (ص): وأجله ثلاثاً، واقسم إن وجده بعدها في أرض المدينة وماحوها ليقتلته، فجهزه عثمان، واشترى له بعبيراً...

وسار (ص) إلى حمراء الاسد، وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبي (ص) ويأتي بها قريشاً، فلما كان في اليوم الرابع أخبرهم (ص) أن معاوية بات قريباً، وأرسل زيداً وعماراً فقتلاه... والصحيح علياً وعماراً، كما في رواية الكافي... وقال البلاذري عن ابن الكلبي: «ويقال: إن علياً عليه السلام هو الذي قتل معاوية بن المغيرة (٢)».

ويذكر هنا: أن عثمان قد انتقم من أم كلثوم، لدالتها على ابن عمه... بل يقال: إن ما فعله كان سبباً في موتها في اليوم الرابع، وبات ملتحفاً بجارياتها (٣)، وقد تقدم الكلام في ذلك حين الكلام على زواج عثمان بأم كلثوم قبل غزوة أحد فلانعيد...

(١) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٦.

(٢) - مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٣٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٦/٤٧ عن البلاذري والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦١ وليراجع الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٦٥ ط صادر، وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٠٧/٤٠٨، والبحار ج ٢٠ ص ١٤٥ عن الكامل والمعتزلي، وأشار إلى ذلك ابن هشام وتاريخ الخميس والسيرة النبوية لابن كثير، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٥١، وغير ذلك.

(٣) - الكافي ج ٣ ص ٢٥١/٢٥٣.



## دوافع حمراء الأسد ونتائجها:

لقد اتضح مما تقدم بعض دوافع غزوة حمراء الاسد، ونتائجها وللتذكير في ذلك نعود فنقول:

لقد عرف الرسول الأعظم: أن نتائج حرب أحد، لولا خروجه إلى حمراء الاسد سوف تكون:

١- أن تستعيد قريش ثقتها بنفسها، ويزيد ذلك من اصرارها على حرب المسلمين، وتصلبها في موقفها تجاههم...

٢- إنها سوف تستغل ذلك إعلامياً، بحيث تضعف من مكانة محمد في نفوس القبائل، ويزيدون جرأة على مناجزته ومقاومته... ويسهل عليهم الاستجابة للدعوة لحر به...

٣- إن سلطان النبي (ص) في المدينة سوف يكون في معرض التزلزل والضعف، بعد أن كان قد استقر، وأدخل الرعب في نفوس كل منائيه في داخلها، سواء من المنافقين أو اليهود... وقد دل على ذلك شماتة المنافقين، واليهود، وإظهارهم السرور بما جرى...

٤- سوف يوجب ذلك تزلزل إيمان ذوي النفوس الضعيفة، أو اولئك الذين لمّا يدخل الايمان في قلوبهم، ويجعلهم عرضة لاصطياد الآخرين لهم...

٥- توقف من كان مهيماً نفسياً للدخول في الدين الجديد عن الدخول فيه حتى تتضح له الأمور، وينجلي الموقف... ولا سيما إذا كان إسلامه صورياً من أجل ضمان مصالحه، أو للحصول على مكاسب من نوع ما، حيث لا يبقى ثمة ضمانات للحصول على ذلك... إن لم يكن أصبح يخشى العكس...

وعلى ضوء ما تقدم:

وجاءت حمراء الاسد- التي ربما تبدوللوهلة الأولى غير معقولة-

فغيرت الكثير من النتائج المتقدمة، وحولتها لصالح المسلمين، لأن خروج هؤلاء الجرحى في أثر قریش، وهم لايزيدون على سبعين على ما يظهر... إن خروجهم هذا في حين أنه لم يكن في هذه الغزوة طمع في مال ولا في غنائم، قد اوضح لكل أحد: أن هؤلاء مستميتون في الدفاع عن دينهم وعقيدتهم... وأن جراحهم تلك لم تحل دون إقدامهم على ملاحقة عدوهم... فهم يطلبون الموت ويسعون إليه... و إذن فان الوقوف في وجه هؤلاء إنما يعني الوقوف أمام خيارين: إما موت هؤلاء، ولايموتون إلا بعد أن يموت معهم كل من يقدرون عليه، وإما موت عدوهم...

و إذا كان جرحاهم على استعداد لمثل هذا، فما حال غيرهم ممن وراءهم، ممن سوف لن يسكتوا عن امدادهم ومساعدتهم... و إذن فخرج الجرحى كان هو الاصوب، لأن رهبة العدو تكون أعظم، وخوفه يكون أشد، لأنه يعلم أن وراءهم من لايجب الحياة اكثر منهم...

ولسوف يدرك عدوهم: أن ماجرى في أحد ليس إلا نتيجة نزوة عارضة المّت، و يصعب تكررها منهم بعدالذي أصابهم بسببها...

وتصير حجة من يريد التشكيك بقدرتهم الطبيعية على المواجهة— من المنافقين أو اليهود— ضعيفة وواهية، يصعب تقبلها... و إذن... فواجهة المسلمين وهم في قدرتهم الطبيعية، وحين لا يكون ثمة حالة استثنائية— كما جرى في أحد— سوف يكون عملاً انتحارياً، لا مبرر له، ولا منطوق يساعده.

ولاسيا بعد أن تعلم المسلمون هذا الدرس الصعب الذي كلفهم غالباً، فإن احتمال حدوث حالة استثنائية بعده يكاد يلحق بالمتنعات...

ولذلك... فقد أوقدوا خمسمائة نار، فكبت الله بذلك عدوهم، وارجع كل القبائل المحيطة المدينة إلى صوابها، وأفهمها: أن عليها أن لا تغتر بما جرى في أحد...

كما أن عليها: أن تعرف: أنه لو كان ماجرى في أحد طبيعياً لما آثرت قریش الفرار من وجه سبعين من الجرحى... وهي التي ينبغي أن تكون أشد

طغياناً وتجبراً، وأكثر اقداماً على المسلمين من ذي قبل... وكان ينبغي—  
لو كان يمكنها— أن تغتنمها فرصة للقضاء على هذه القلة القليلة، المنهكة،  
المتعبة، المثخنة بالجراح...

وإذن... ففي حراء الاسد أيضاً هزيمة نفسية وإعلامية لقريش...  
كما أن في ذلك إعطاء الفرصة لسائر القبائل لتقييم معركة أحد تقيماً صحيحاً  
وسليماً بعيداً عن الغرور والتضليل... وأيضاً.. إبطال لكيد المنافقين واليهود،  
وتأييد لسلطان المسلمين في المدينة، وربط على قلوبهم، ورفع لمعنوياتهم...

وهذا معنى قوله (ص): «فانها انكاء للعدو، وابعد للسمع».

ويلاحظ أخيراً: أن معبداً الختراعي قد ذكر لقريش: أن علياً قد  
يدركهم قبل أن يرتحلوا مما دعاهم إلى التعجيل بالرحيل، قبل أن يدركهم  
أسد الله الغالب الامام علي بن ابي طالب.

### قتل الأسيرين:

وقصة قتل الاسيرين، وملاحظة موقفه صلى الله عليه وآله وسلم منها  
تعطينا: أنه (ص) كان يعامل كل أحد بالدرجة الأولى على أنه إنسان. ثم  
يقاوم فيه شركه وانحرافه. بالأساليب الانسانية بالدرجة الأولى أيضاً...

اي أنه يعتبره يحوي سائر الخصائص الانسانية؛ فيتعامل معه على  
أساس الصدق، والوفاء، والامانة وغير ذلك من خصائص انسانية... وذلك من  
أجل تشجيع هذه الخصائص، واعطائها الفرصة للنمو والتكامل... على أمل  
أن يكون ذلك موجباً لتسهيل مهمته التبليغية والاقناعية في المستقبل... ومن  
ثم لتلافي الكثير من المشكلات التي لامبرر لها، وانما تخلقها النزوات غير  
الانسانية، في طريق الدعوة إلى الله تعالى، والاقناع بالحق والخير...

ولكنه حين يثبت له: أن الطرف الآخر، لا ينطلق في مواقفه من  
خصائص انسانية، وانما من نزوات غير انسانية، ومن شيطنة، ومكر...  
فانه (ص) حينئذ يقف منه الموقف الحازم الذي لا بد منه... وهو يحسن إليه و

إلى مجتمعه حينما يقضي على تلك الروح البهيمية، والنزوات الشيطانية فيه... لأن الله قد خلقه ليكون إنساناً، لا ليكون حيواناً، يحتمل انسانيته كل مشقات ومتاعب النزوات الحيوانية تلك...

كما أنه يكون قد أحسن لبناته اللواتي لن يكون في صالحهن: أن يكون المشرف على قضاياهن وشؤونهن مخلوقاً لا يحمل - أوفقل - لا اثر في حياته للخصائص والمزايا الأولية للإنسان.

وعليه... فاذا قبل النبي (ص) أن يمنّ على ابي عزة الجمحي في بدر من أجل بناته، ثم رفض ذلك هنا... فانه لا يكون بين كلا موقفيه أي تناقض أو اختلاف... بل هو مصيب في الحالتين... وهو قد أحسن لبناته أول مرة، وكان إحسانه هن في هذه المرة أعم وأعظم...

هذا كله عدا عن أنه يكون قد اعطى المثل الاعلى للمؤمن الواعى واليقظ، الذي لا يندع ولا يستغل فانه: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين... (راجع ماتقدم بعد بدر عن خصائص الشيعة).

### وفاة أم كلثوم... وملابساتها:

ويقولون: إن أم كلثوم بنت النبي (١) قد توفيت في سنة تسع... ولكن ما يدكر في سبب وفاتها يؤكد: أنها قد توفيت في سنة ثلاث.

فقد جاء في نوادر جنائز الكافي خبر طويل، ملخصه: أن عثمان قد آوى الذي جدع أنف حمزة، وخبأه في مكان من داره. وأمر أم كلثوم: أن لا تخبر أباه؛ فقالت: ما كنت لا كتم النبي (ص) عدوه...

وخرج عثمان إلى النبي (ص)، وعرف النبي (ص) ذلك بواسطة الوحي؛ فأرسل علياً عليه السلام ليأتي به؛ فلم يجده؛ فجاء عثمان فأخذه، وطلب الامان له بالحاح فقال له (ص): إن قدرت عليه بعد ثلاثة قتلتة؛ فأخذه

عثمان، فجهزه وانطلق...

وبعد ثلاث أرسل النبي (ص) علياً وعماراً، وثالثاً؛ ليقتلاه؛ لأنه بات قريب المدينة؛ فأتاه علي(ع) فقتله... فضرب عثمان بنت النبي(ص)، وقال: أنت أخبرت أباك بمكانه، فبعثت إلى النبي(ص) ثلاث مرات تشكو مالقيت. والنبي(ص) لا يستجيب... وفي الرابعة أرسل علياً ليأتي بها؛ فان حال بينه وبينها أحد؛ فليحطمه بالسيف، وأقبل النبي(ص) كالوا له إلى دار عثمان، فأخرجها علي؛ فلما نظرت إلى النبي(ص) رفعت صوتها بالبكاء، وبكى النبي(ص)، وأخذها إلى منزله، وأرثهم مابظهرها... وبات عثمان ملتحفاً بجاريته، وماتت في اليوم الرابع...

فأمر(ص) فاطمة؛ فخرجت، ونساء المؤمنين معها، وخرج عثمان يشيع جنازتها... فلما نظر إليه(ص)، قال ثلاث مرات: من أطاف البارحة بأهله، أو بفتاته فلا يتبعن جنازتها، فلم ينصرف. فلما كان في الرابعة، قال: لينصرفن، أولأسمين باسمه... فاقبل عثمان متوكئاً على مولى له، فقال: إني أشتكى بطني. قال: انصرف إلخ(١).

ونفس هذه القضية ذكرها الواقدي، والبلاذري، وغيرهما، إلى أن انتهى إلى أنهم أصابوه قد أخطأ الطريق، فقتله عمار وزيد— وذكروا: أنهم لما جاؤا ليأخذوه من منزل عثمان أشارت أم كلثوم إلى الموضع الذي صيره عثمان فيه؛ فاستخرجوه(٢).

ولكنهم لا يذكرون القسم الأخير من القضية، لأسباب لا تخفى...

وجزم البلاذري بأن علياً عليه السلام هو الذي قتله(٣).

- (١) — راجع: الكافي ج ٣ ص ٢٥١—٢٥٣ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٠٨—٤٠٩ عنه.  
 (٢) — راجع: قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٠٧—٤٠٨ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٣٣٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٦—٤٧ عن البلاذري، وليراجع: الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٦٥ ط صادر.  
 (٣) — أنساب الأشراف ج ٥ ص ١٦٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٧ و ١٩٩ عن الجاحظ، و ٢٣٩.

ولعل عائشة تشير إلى هذه القضية بقولها لعثمان: «ولكن قد كان منك فيها ما قد علمت» حسبما تقدم...

و إليها أيضا يشير ماورد في دعاء شهر رمضان: «اللهم صل على أم كلثوم بنت نبيك، والعن من آذى نبيك فيها(١)».

وبعد ماتقدم... فان كل الاصابع لابد وأن تمتد لتشير إلى عثمان... حينما نقرأ رواية عبدالرزاق التي تقول: إن بعض بناته (ص) جاءت تشكو زوجها؛ فأمرها(ص) بالرجوع(٢)... لأن علياً عليه السلام - حسبما تقدم حين الكلام على تكنيته بأبي تراب - قد أقسم على أنه لم يغضب فاطمة الزهراء ولا أكرهها على أمر حتى قبضها الله تعالى. وهي أيضاً كذلك...

وهكذا... فان كل القرائن تشير إلى صحة رواية جناز الكافي... وتقوى من مضمونها، الأمر الذي يجعلنا نظمن إلى أنها رضوان الله تعالى عليها قد توفيت بعد واقعة أحد، وبالذات في قضية الذي جدد أنف حمزة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه... وأنها لم تقم مع عثمان إلا قليلاً...

ولانستبعد صحة ما نقله في قرب الاسناد عن الصادق(ع): من أن عثمان لم يدخل بأمر كلثوم(٣)، ويكون ذلك قرينة على أنها لم تعثر معه مدة طويلة، ويقرب أنها ماتت بعد أحد حسبما تقدم...

وأما أن أساء بنت عميس قد غسلتها، وهي قد عادت من الحبشة عام خيبر. أي في سنة سبع... فلعله اشتباه من الراوي. ويكون المراد أساء بنت يزيد الأنصارية. لكن الراوي قد زاد كلمة بنت عميس من عند نفسه جرياً.

(١) - رجال المامقاني ج ٣ ص ٧٤، وقاموس الرجال ج ٦ ص ٤٠٦-٤٠٧ وقال: «أقول: أما الدعاء، فذكره الشيخان في المقنعة، والتهديب، عقيب تسبيح شهر رمضان، ونسبه الأول إلى مجي الآثار به، لكن ليس في نسخته الفقرة، نعم هي في الثاني».

(٢) - المصنف للحافظ عبدالرزاق ج ١١ ص ٣٠٠، وهامش ص ٣٠١ عن سعيد بن منصور.

(٣) - رجال المامقاني ج ٣ ص ٧٣/٧٤، وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٠٦ ٤٠٧ عن قرب الاسناد والحضال.

غزوة حمراء الاسد، وإلى... ٣٤٥

على ما استقر في نفسه، بسبب شهرة بنت عميس، وقد تقدم نظير ذلك في ولادة  
الامام الحسن عليه السلام قبل وقعة أحد، فليراجعه من أراد .

بدء احداث السنة الرابعة من الهجرة...

## كلمة أخيرة:

بسمه تعالى... وله الحمد... والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

وبعد:

فقد كنت أحسب: أن كتابة ودراسة سيرة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم... لا تختلف عن كتابة ودراسة أي موضوع آخر... وإذ ابى أفاجأ بأن ذلك إن لم يكن أشق، فهو من أشق وأصعب الأمور. وهو يحتاج إلى جهد ومتابعة، رأيت أنني لا أستطيع أن أوفر هماله في ظروفى الحالية على الأقل...

وليس أدل على ذلك من أنني قد كتبت فيه حتى انتهيت إلى أول السنة الرابعة للهجرة في حوالي خمسمائة صفحة أولاً... وحينما طلب منى - باصرار - أن أقدم ما كتبتة للطبع... أحببت أن انقله إلى المبيضة، وأعيد النظر فيه...

و إذ ابى أزيد في مطالبه وموضوعاته ماجعله يصل إلى هذه الاربعة أجزاء التي أضعها بين يدي قارئى الكريم.

فكان ذلك في الحقيقة مسودة أخرى، لم تتح لي الفرصة حتى لقراءتها - وحتى لاصلاح اخطائها اللغوية، ونحوها مما يغفل عنه الكاتب،



وهو مستغرق في معاني ما يكتب، غافلاً عن الفاظه، التي ربما يُسقط، أو يزيد، أو يشتبه فيها...

وقد انتهت من تسويد هذه الاجزاء الاربعة، وتنظيمها في هذا اليوم، يوم مبعث الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم... وأنا أشعر أنني غير قادر— ولو مرحلياً— على الاتمام، بحكم ظروف وقدراتي الفعلية...

وإنني إذ أأمل أن يقيض الله من يوفق لاتمام هذا الموضوع، ويتحمل مشاقه... فأنني أودع القارئ الكريم على أمل أن التقي به من جديد في موضوعات أخرى، وعلى صفحات كتاب آخر... ف:

إلى اللقاء...

٢٧/رجب ١٤٠١ هـ .

جعفر مرتضى العاملي



## الفهارس

- ١ - مصادر ومراجع الكتاب
- ٢ - محتويات الكتاب اجمالاً
- ٣ - محتويات الكتاب بالتفصيل



## المصادر والمراجع

نذكر هنا جانباً كبيراً من خصوص المراجع والمصادر التي نقلنا عنها مباشرة أما المصادر التي نقلنا عنها بالواسطة— وهي كثيرة— فهي مبيّنة في هوامش الكتاب.

### ١— القرآن الكريم

#### ألف

- |                   |                             |
|-------------------|-----------------------------|
| للقرزويني         | ٢ آثار البلاد وأخبار العباد |
| للجاحظ            | ٣ آثار الجاحظ               |
| لابن حبان (مخطوط) | ٤ الآحاد والمثاني           |
| لابي زهرة         | ٥ ابن حنبل                  |
| للخيزي            | ٦ أبوبال مؤمن قریش          |
| للسيوطي           | ٧ الاتقان                   |
| للمسعودي          | ٨ اثبات الوصية              |
| للامام شرف الدين  | ٩ أجوبة مسائل موسى جارالله  |

للطبرسي	١٠ الاحتجاج
للمقدسي	١١ أحسن التقاسيم
للمرعشي	١٢ احقاق الحق (الملحقات)
للجصاص	١٣ احكام القرآن
للغزالي	١٤ احياء العلوم
للتستري	١٥ الاخبار الدخيلة
للسافعي	١٦ اختلاف الحديث
للمؤلف	١٧ الاخلاق الطيبة في الاسلام
لابن الجوزي	١٨ الاذكياء
للشيخ المفيد	١٩ الارشاد
للقسطلاني	٢٠ إرشاد الساري
للواحدي	٢١ أسباب النزول
لابي القاسم الكوفي	٢٢ الاستغاثة
لأبي عمر	٢٣ الاستيعاب
لابن الأثير	٢٤ أسد الغابة
لرمزي نعناعة	٢٥ الاسرائيليات في التفسير والحديث
لملا علي القاري	٢٦ الاسرار المرفوعة
للصبان	٢٧ اسعاف الراغبين
لهيوم	٢٨ الاسلام
للسيد عبد المحسن فضل الله	٢٩ الاسلام واسبس التشريع
للعسقلاني	٣٠ الاصابة
للسيباني	٣١ الاصل
للكلي	٣٢ الاصنام
لأبي رية	٣٣ أضواء على السنة المحمدية
لصدوق	٣٤ الاعتقادات

لابن رسته  
 للطبرسي  
 للسخاوي  
 للسيد الأمين  
 لأبي الفرج  
 للشيخ المفيد  
 للشرتوني  
 للكلاعي  
 للحائري  
 للنويري الاسكندراني  
 للشافعي  
 للصدوق  
 للطوسي  
 للمرتضى  
 لأسد حيدر  
 لمحمد رضا  
 لآل ياسين  
 لابن قتيبة  
 لأبي عبيد  
 للسيد المرتضى  
  
 لمجيد الدين الحنبلي  
 للسمعاني  
 للبلاذري  
 لمحمد صادق فخر الاسلام

٣٥ الاعلاق النفيسة  
 ٣٦ اعلام الورى  
 ٣٧ الاعلان بالتوبيخ  
 ٣٨ أعيان الشيعة  
 ٣٩ الأغاني  
 ٤٠ الافصاح  
 ٤١ أقرب الموارد  
 ٤٢ الاكتفاء  
 ٤٣ الزام الناصب  
 ٤٤ الافحام  
 ٤٥ الأم  
 ٤٦ الأمل  
 ٤٧ الامالي  
 ٤٨ الامالي  
 ٤٩ الامام الصادق والمذاهب الاربعة  
 ٥٠ الامام علي  
 ٥١ الامام علي سيرة وتاريخ  
 ٥٢ الامامة والسياسة  
 ٥٣ الأموال  
 ٥٤ الانتصار  
 ٥٥ الانجيل  
 ٥٦ الانس الجليل  
 ٥٧ الأنساب  
 ٥٨ انساب الاشراف  
 ٥٩ أنيس الأعلام

للعسكري  
للشيخ المفيد  
لابن شاذان

٦٠ الاوائل  
٦١ أوائل المقالات  
٦٢ الايضاح

## ب

للصدر	٦٣ بانوي كربلاء (فارسي)
للمجلسي	٦٤ البحار
لابن نجيم	٦٥ البحر الرائق
لابن المرتضى	٦٦ البحر الزخار
للروحاني	٦٧ بحوث مع أهل السنة والسلفية
للمقدسي	٦٨ البدء والتاريخ
لابن رشد	٦٩ بداية المجتهد
لابن كثير	٧٠ البداية والنهاية
للجاحظ	٧١ البرصان والعرجان
للبحراني	٧٢ البرهان في تفسير القرآن
لطيفور	٧٣ بلاغات النساء
للتستري	٧٤ بهج الصباغة
للعامري	٧٥ بهجة المحافل
للخوئي	٧٦ البيان
للجاحظ	٧٧ البيان والتبيين

## ت

للزبيدي	٧٨ التاج الجامع للاصول
	٧٩ تاج العروس



	٨٠ تاريخ ابن خلدون
	٨١ تاريخ ابن عساكر (ترجمة الامام علي)
	٨٢ تاريخ ابن الوردي
للذهبي	٨٣ تاريخ الاسلام
للطبري	٨٤ تاريخ الامم والملوك
للخطيب	٨٥ تاريخ بغداد
للسهمي	٨٦ تاريخ جرجان
للسيوطي	٨٧ تاريخ الخلفاء
للديار بكري	٨٨ تاريخ الخميس
لبروكلمان	٨٩ تاريخ الشعوب الاسلامية
لابن الجوزي	٩٠ تاريخ عمر بن الخطاب
للبخاري	٩١ التاريخ الكبير
للزنجاني	٩٢ تاريخ القرآن
	٩٣ تاريخ القرمانى
	٩٤ تاريخ اليعقوبى
لابن قتيبة	٩٥ تأويل مختلف الحديث
للطوسي	٩٦ التبيان
للزيلعي	٩٧ تبين الحقائق
لابن مسكويه	٩٨ تجارب الامم
لابن شعبة الحراني	٩٩ تحف العقول
للمباركفوري	١٠٠ تحفة الأحوذى
للشرقاوى	١٠١ تحفة الناظرين
للسيوطى	١٠٢ تدرىب الراوى
لسبط ابن الجوزى	١٠٣ تذكرة الخواص
للفتى	١٠٤ تذكرة الموضوعات

للكتاني	١٠٥
للمنذري	١٠٦
للشيخ المفيد	١٠٧
لابن حجر الهيثمي	١٠٨
للسيوطي	١٠٩
	١١٠
	١١١
	١١٢
للفيض	١١٣
	١١٤
	١١٥
	١١٦
	١١٧
	١١٨
	١١٩
للخطيب	١٢٠
للطوسي	١٢١
للذهبي	١٢٢
لمعرفة	١٢٣
للمسعودي	١٢٤
للسيد المرتضى	١٢٥
للقاضي عبد الجبار	١٢٦
للسيوطي	١٢٧
لابن عباس	١٢٨
للطوسي	١٢٩
لننوي	
	١٠٥
	١٠٦
	١٠٧
	١٠٨
	١٠٩
	١١٠
	١١١
	١١٢
	١١٣
	١١٤
	١١٥
	١١٦
	١١٧
	١١٨
	١١٩
	١٢٠
	١٢١
	١٢٢
	١٢٣
	١٢٤
	١٢٥
	١٢٦
	١٢٧
	١٢٨
	١٢٩

لعبد القادر بدران  
للعسقلاني

للصدوق

لابي طالب

١٣٠ تهذيب تاريخ ابن عساكر

١٣١ تهذيب التهذيب

١٣٢ توحيد عاشوري

١٣٣ التوحيد

١٣٤ التوراة

١٣٥ تيسير المطالب

### ث

لابن حبان

للجاحظ

لابن حجة الحموي

١٣٦ الثقات

١٣٧ ثلاث رسائل

١٣٨ ثمرات الأوراق

### ج

ألف باشراف البروجدي

لأبي عمر

للسيوطي

لشبر

للشيخ المفيد

لابن حزم

(جريدة)

للصعدي

١٣٩ جامع أحاديث الشيعة

١٤٠ جامع بيان العلم

١٤١ الجامع الصغير

١٤٢ جلاء العيون

١٤٣ الجمل

١٤٤ جمهرة أنساب العرب

١٤٥ جمهوري اسلامي

١٤٦ جواهر الاخبار والآثار

### ح

لابن التركماني

١٤٧ حاشية على البيهقي

للشيخ الشلي	١٤٨ حاشية على تبين الحقائق
للسندي	١٤٩ حاشية على صحيح البخاري
للسندي	١٥٠ حاشية على سنن النسائي
لجعفر مرتضى	١٥١ حديث الإفك
لأبي نعيم	١٥٢ حلية الأولياء
للامير نشوان الحميري	١٥٣ الحور العين
لمحمد صادق الصدر	١٥٤ حياة أمير المؤمنين
لجعفر مرتضى	١٥٥ حياة الامام الرضا السياسية
للميري	١٥٦ حياة الحيوان
للكاندهلوي	١٥٧ حياة الصحابة
لهيكل	١٥٨ حياة محمد

## خ

للاوندي	١٥٩ الخرائج الجرائح
لأبي يوسف	١٦٠ الخراج
للسنائي	١٦١ خصائص أمير المؤمنين (ع)
لمحمد خليفة التونسي	١٦٢ الخطر اليهودي (المقدمة)
للمقر يزي	١٦٣ الخطط
لشهاد الصدر	١٦٤ خلافة الانسان وشهادة الانبياء
للسيوطي	١٦٥ الدر المنثور
لجعفر مرتضى	١٦٦ دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام
للسيد علي خان	١٦٧ الدرجات الرفيعة
للسيوطي	١٦٨ الدرج المنيفة
للتعمان	١٦٩ دعائم الاسلام

د - ذ

للمظفر	دلائل الصدق ١٧٠
للبيهقي	دلائل النبوة ١٧١
	ديوان حسان بن ثابت ١٧٢
	ديوان السيد الحميري ١٧٣
للطبري	ذخائر العقبي ١٧٤
لأبي نعيم	ذكر أخبار اصفهان ١٧٥
للطبري	ذيل المذيل من تاريخ الطبري ١٧٦

ر

للزمخشري	ربيع الابرار ١٧٧
	رجال المامقاني ١٧٨
للبلاغي	الرحلة المدرسية ١٧٩
	رسائل الجاحظ ١٨٠
	رسائل الخوارزمي ١٨١
للخوارزمي	رسول الاسلام في الكتب السماوية ١٨٢
للسهيلي	الروض الأنف ١٨٣
للتيسابوري	روضة الواعظين ١٨٤

ز

لابن القيم	زاد المعاد ١٨٥
لابن المبارك	الزهد والرقائق ١٨٦

س

لابن طاووس	سعد السعود	١٨٧
للقمي	سفينة البحار	١٨٨
لعلي فكري	السيرالمهذب	١٨٩
لمحمد عجاج الخطيب	السنة قبل التدوين	١٩٠
	سنن ابن ماجه	١٩١
	السنن لأبي داود	١٩٢
	سنن الترمذي	١٩٣
	سنن الدارقطني	١٩٤
	سنن الدارمي	١٩٥
للبيهقي	السنن الكبرى	١٩٦
	سنن النسائي	١٩٧
للحلي الشافعي	السيرة الحلبية	١٩٨
للحسني	سيرة المصطفى	١٩٩
	سيرة مغلطي	٢٠٠
لابن كثير	السيرة النبوية	٢٠١
لابن هشام	السيرة النبوية	٢٠٢
لدحلان	السيرة النبوية	٢٠٣
للأمني	سيرتنا وسنتنا	٢٠٤
	سيماي اسلام (مقالات) (فارسي)	٢٠٥

ش

لابن العماد	شذرات الذهب	٢٠٦
للميني	شرح بهجة المحافل	٢٠٧

للقوشجي  
للقاري  
للزرقاني  
للمعتزلي  
لابن قتيبة  
لعياض  
للسبكي  
للسيوطي  
للحسكاني

٢٠٨ شرح التجريد  
٢٠٩ شرح الشفاء  
٢١٠ شرح الموطأ  
٢١١ شرح النهج  
٢١٢ الشعر والشعراء  
٢١٣ الشفاء  
٢١٤ شفاء السقام  
٢١٥ الشماريخ في علم التاريخ  
٢١٦ شواهد التنزيل

### ص

للقلقشندي

٢١٧ صبح الأعشى  
٢١٨ صحيح ابن حبان (مخطوط)  
٢١٩ صحيح البخاري  
٢٢٠ صحيح مسلم  
٢٢١ الصحيفة السجادية  
٢٢٢ الصراط المستقيم  
٢٢٣ صفة الصفوة  
٢٢٤ الصواعق المحرقة

للبياضي  
لابن الجوزي  
للهيتمي

### ض

لأحمد أمين

٢٢٥ ضحى الاسلام

### ط

لابن سعد

٢٢٦ الطبقات

لابن سلام	طبقات الشعراء ٢٢٧
للشعراني	الطبقات الكبرى ٢٢٨
لابن طاووس	الطرائف ٢٢٩

## ع

للجاحظ	العثمانية ٢٣٠
للرفاعي	عصر المأمون ٢٣١
لابن عبدربه	العقد الفريد ٢٣٢
للحسن النيسابوري	عقلاء المجانين ٢٣٣
للصدوق	علل الشرايع ٢٣٤
لعبدالكريم الخطيب	علي بن أبي طالب ٢٣٥
لنجم الدين العسكري	علي والخلفاء ٢٣٦
للعيبي	عمدة القاري ٢٣٧
للمصاحب بن عباد	عنوان المعارف في ذكر الخلائف ٢٣٨
لابن العربي	العواصم من القواصم ٢٣٩
للعظيم آبادي	عون المعبود ٢٤٠
لابن سيد الناس	عيون الأثر ٢٤١
لابن قتيبة	عيون الاخبار ٢٤٢
للصدوق	عيون أخبار الرضا ٢٤٣

## غ

للقتيبي	الغارات ٢٤٤
للبحراني	غاية المرام ٢٤٥
للأميني	الغدير ٢٤٦
للنعماني	الغيبة ٢٤٧



## ف

للزخشري	الفائق ٢٤٨
للعسقلاني	فتح الباري ٢٤٩
للسوكاني	فتح القدير ٢٥٠
لدحلان	الفتح المبين ٢٥١
لابن أعثم	الفتوح ٢٥٢
لدحلان	الفتوحات الاسلامية ٢٥٣
للبلاذري	فتوح البلدان ٢٥٤
للوفاقي	فتوح الشام ٢٥٥
لأحمد أمين	فجر الاسلام ٢٥٦
للجويني	فرائد السمطين ٢٥٧
للبيгдаي	الفرق بين الفرق ٢٥٨
لابن حزم	الفصل ٢٥٩
لابن الصباغ	الفصول المهمة ٢٦٠
للفيروزابادي	فضائل الخمسة ٢٦١
للبوطي	فقه السيرة ٢٦٢
لعبدالرحمان الجزري	الفقه على المذاهب الاربعة ٢٦٣
لمغنية	فلسفة التوحيد والولاية ٢٦٤
لابن نظام الدين الانصاري	فواتح الرحموت ٢٦٥
لسيد قطب	في ظلال القرآن ٢٦٦

## ق

للتستري	قاموس الرجال ٢٦٧
للعسقلاني	القول المسدد ٢٦٨

ك

للكليبي	الكافي	٢٦٩
لابن الأثير	الكامل	٢٧٠
للمبرد	الكامل	٢٧١
للزخشي	الكشاف	٢٧٢
للسيد الأمين	كشف الارتباب	٢٧٣
للعجلوني	كشف الخفاء	٢٧٤
للإربلي	كشف الغمة	٢٧٥
للمحقق الكاظمي	كشف القناع	٢٧٦
للآخند	الكفاية	٢٧٧
للخطيب	الكفاية	٢٧٨
للكنجي الشافعي	كفاية الطالب	٢٧٩
للقمي	الكنى والالقب	٢٨٠
للفاضل المقداد	كنز العرفان	٢٨١
للمتقي الهندي	كنز العمال	٢٨٢
للكراجكي	كنز الفوائد	٢٨٣
لروهنج ولوران	الكنز المرصود	٢٨٤
للمناوي	كنوز الحقائق	٢٨٥

ل

للسيوطي	الآلي المصنوعة	٢٨٦
لأسامة بن منقذ	لباب الآداب	٢٨٧
للسيوطي	لباب النقول	٢٨٨
لابن منظور	لسان العرب	٢٨٩

لابن حجر  
لأبي نصر

لسان الميزان ٢٩٠  
اللمع ٢٩١

م

للقلقشندي  
لأبي زهرة  
للطبرسي  
للهيثمي

مآثر الانافة ٢٩٢

مالك ٢٩٣

مجمع البيان ٢٩٤

مجمع الزوائد ٢٩٥

مجموعة الرسائل المنيرة ٢٩٦

المحاسن والمساوي ٢٩٧

محاضرات الادباء ٢٩٨

محاضرات في التاريخ الاسلامي ٢٩٩

محاضرة الاوائل ٣٠٠

المحلى ٣٠١

محمد رسول الله (ص) ٣٠٢

مختصر تاريخ أبي الفداء ٣٠٣

مختصر تاريخ العرب ٣٠٤

مختصر المزني ٣٠٥

المدخل ٣٠٦

مرآة الجنان ٣٠٧

مروج الذهب ٣٠٨

مسالك الحنفا ٣٠٩

مسالك الممالك ٣١٠

المستجد ٣١١

المستدرك على الصحيحين ٣١٢

للبيهقي  
للاغب الاصفهاني  
للخضري  
للبسنوي  
لابن حزم  
لجلال مظهر

لأمير علي

لابن الحاج

لليافعي

للمسعودي

للسيوطي

للاسطخري

للتنوخي

للنوري	المستدرك على الوسائل ٣١٣
للغزالي	المستصفي ٣١٤
للابشهري	المستطرف ٣١٥
لابن ادريس	مستطرفات السرائر ٣١٦
	مسند أبي عوانة ٣١٧
	مسند أحمد ٣١٨
	مسند البزار (مخطوط) ٣١٩
	مسند الطيالسي ٣٢٠
	مسند الكلابي ٣٢١
	مشكل الآثار ٣٢٢
للطحاوي	مشهد الامام علي في النجف ٣٢٣
لسعاد ماهر	مصابيح السنة ٣٢٤
للبغوي	المصنف ٣٢٥
لعبد الرزاق	مطالب السؤل ٣٢٦
لابن طلحة	المعارف ٣٢٧
لابن قتيبة	معاني الاخبار ٣٢٨
للصدوق	المعتصر من المختصر ٣٢٩
للباجي المالكي	معجم البلدان ٣٣٠
لياقوت	معرفة الصحابة (مخطوط) ٣٣١
لابي نعيم	معرفة علوم الحديث ٣٣٢
للحاكم	المغازي ٣٣٣
للواقيدي	مفاهيم إسلامية ٣٣٤
لفضل الله	مقاتل الطالبين ٣٣٥
لأبي الفرج الاصفهاني	مقارنة الاديان (اليهودية) ٣٣٦
لاحمد شلي	مقالات الاسلاميين ٣٣٧
للاشعري	

للخوارزمي	مقتل الحسين	٣٣٨
للمقرم	مقتل الحسين	٣٣٩
	مقدمة ابن خلدون	٣٤٠
	مقدمة ابن الصلاح	٣٤١
للعسكري	مقدمة مرآة العقول	٣٤٢
للاحدي	مكاتيب الرسول	٣٤٣
للمرعى النجفي	ملحقات احقاق الحق	٣٤٤
لشهرستاني	الملل والنحل	٣٤٥
للخوارزمي	المناقب	٣٤٦
لابن شهر آشوب	مناقب آل ابي طالب	٣٤٧
لابن المغازلي	مناقب الامام علي	٣٤٨
	منتخب كنز العمال	٣٤٩
	المنتظم	٣٥٠
لابن الجوزي	المنتقى	٣٥١
لابن تيمية	منحة المعبود في تهذيب مسند الطيالسي	٣٥٢
للساعاتي	المنق	٣٥٣
لابن حبيب	من لا يحضره الفقيه	٣٥٤
للسدوق	منهاج السنة	٣٥٥
لابن تيمية	منهاج الكرامة	٣٥٦
للحلي	الموافقات	٣٥٧
للساطبي	المواهب اللدنية	٣٥٨
للقسطلاني	الموسوعة العربية الميسرة	٣٥٩
	الموطأ	٣٦٠
لمالك	الموضوعات	٣٦١
لابن الجوزي	الموقفيات	٣٦٢
للزبير بن بكار		

للذهبي  
للطباطبائي

ميزان الاعتدال ٣٦٣  
الميزان في تفسير القرآن ٣٦٤

ن

لآل ياسين	النبوة ٣٦٥
لعبدالكريم الخطيب	النبي محمد ٣٦٦
للمقرزي	النزاع والتخاصم ٣٦٧
للففوري الشافعي	نزهة المجالس ٣٦٨
للمكي	نزهة الجليس ٣٦٩
لمصعب الزبيري	نسب قریش ٣٧٠
للتنوشي	نشوار المحاضرات ٣٧١
لمحمدابن عقيل	النصائح الكافية ٣٧٢
للزيلي	نصب الراية ٣٧٣
للامام شرف الدين	النص والاجتهاد ٣٧٤
	نهاية الارب ٣٧٥
لابن الأثير	النهاية في اللغة ٣٧٦
جمع: الرضي	نهج البلاغة ٣٧٧
للعلامة الحلي	نهج الحق ٣٧٨
للحكيم الترمذي	نوادراصول ٣٧٩
للسبلنجي الشافعي	نورالأبصار ٣٨٠
لابن جمعة الحويزي	نورالثقلين ٣٨١
للمرزاباني	نورالقبس ٣٨٢
للسوكاني	نيل الاوطار ٣٨٣

## هـ

(مجلة)	الهادي	٣٨٤
للبلأغني	الهدى الى دين المصطفى	٣٨٥
لابن عبدالجليل	الهداية شرح البداية	٣٨٦
لناصر مكارم	همه بايدبدانند (فارسي)	٣٨٧

## و

للجهشياري	الوزراء والكتاب	٣٨٨
للحر العاملي	الوسائل	٣٨٩
(مجلة)	الوعي الاسلامي	٣٩٠
لابن الجوزي	الوفا باخبار المصطفى	٣٩١
للسمهودي	وفاء الوفاء	٣٩٢
لنصر بن مزاحم	وقعة صفين	٣٩٣

## ي

لطبارة	اليهود في القرآن	٣٩٤
للقندوزي الحنفي	ينابيع المودة	٣٩٥





## ٢ - محتويات الكتاب اجمالاً

### الباب السابع: ما بين بدر وأحد

- ٧٧-٩ الفصل الأول: شخصيات وأحداث  
١٠٤-٧٩ الفصل الثاني: قضايا واحداث في المجال العام  
١١٦-١٠٥ الفصل الثالث: غزوات وسرايا دفاعية  
١٤٢-١١٧ الفصل الرابع: غدر اليهود... ومرحلة الاغتيالات المنظمة  
١٥٥-١٤٣ الفصل الخامس: حروب علنية بين المسلمين واليهود

### الباب الثامن

#### غزوة أحد... وحتى السنة الرابعة

- ٢٠٦-١٥٩ الفصل الأول: قبل نشوب الحرب  
٢٥٤-٢٠٧ الفصل الثاني: نصر وهزيمة  
٢٩٣-٢٥٥ الفصل الثالث: في موقع الحسم  
٣٣٠-٢٩٥ الفصل الرابع: بعدما هبت الرياح  
٣٤٥-٣٣١ الفصل الخامس: غزوة حمراء الاسد... والى السنة الرابعة  
٣٤٦ كلمة ختامية



## ٣- محتويات الكتاب بالتفصيل

### تقديم

٥

الباب السابع

ما بين بدر وأحد

٧٧-٩

الفصل الأول: شخصيات وأحداث

١١

تمهيد

١٢

١ - وفاة رقية

١٤

كلام ابن بطال وغيره

١٦

اكاذيب وأباطيل

١٧

كلمة أخيرة حول رقية وعثمان

١٩

٢ - زواج عثمان بام كلثوم

٢٠

٣ - هجرة زينب بنت النبي (ص)

٢١

الف: ماجرى لزينب وما جرى لفاطمة

٢٢

باء: روايات اسقاط المحسن، أين؟!

٢٣

جيم: عروة ينتقص فاطمة، وموقف السجادمه

٢٥

٤ - اقتران الزهراء بعلي

٢٦	— حديث الزواج
٢٨	ألف: ميزات هذا الزواج
٢٩	باء: لست بدجال
٣٢	جيم: ترهات ابي حيان
٣٢	دال: مايقال عن موقف فاطمة من الزواج
٣٤	— الرواية الصحيحة
٣٦	مقا رنة
٣٦	هاء: أم سلمة و بنت عميس في زواج فاطمة
٣٨	واو: هذا ضرب الرحمان لعثمان بن عفان
٣٩	زاي: أخوة علي
٤٠	حاء: متى كان تحريم الخمر
٤٣	أدلة تحريم الخمر قبل الهجرة
٤٨	لا تدرج في تحريم الخمر:
٤٨	انتهينا انتهينا
٥٠	وأما أبوبكر
٥٢	الكذب على علي عليه السلام
٥٣	خطبة علي (ع) بنت أبي جهل
٥٣	الحديث الموضوع
٦٠	الرواية الاقرب الى القبول
٦١	أم سلمة في بيت النبي (ص)
٦٣	أم سلمة على العهد
٦٤	وفاة أم سلمة
٦٦	حفصة في بيت النبي (ص)
٦٨	زينب بنت خزيمة في بيت النبي (ص)
٦٨	دوافع تعدد زوجات النبي (ص)

٧٣	كذبة مفضوحة
٧٤	ولادة الامام الحسن (ع)
٧٥	الف: ذكر اسماء بنت عميس هنا
٧٦	باء: الحسن والحسين اسمان جديان
٧٦	جيم: ارضاع أم الفضل للحسن

## الفصل الثاني:

١٠٤ — ٧٩

## قضايا وأحداث في المجال العام

٨١	تحويل القبلة
٨٢	تفسير وتحليل
٨٢	مناقشات لا بد منها
٨٣	البراء بن معرور لم يوصل لغير الكعبة
٨٤	تحوّل المصلين .. كيف كان؟
٨٥	ثارقر يش بأرض الحبشة
٨٦	نهاية ابي لهب
٨٦	غلبة الروم على الفرس
٨٧	رهان أبي بكر
٨٧	مناقشة رواية الرهان
٨٩	سد الابواب في المسجد الاباب علي (ع)
٩٣	حديث سد الابواب في مضاده
٩٥	النواصب ... وحديث سد الابواب
٩٦	خوخة، أو باب أبي بكر
١٠٠	كلام ابن بطريق حول سد الابواب

١٠١	كلام العلامة المظفر
١٠٢	سرقة طعمة
١٠٣	الارتداد.. لماذا؟!.
١٠٣	ملاحظة: حد السرقة

## الفصل الثالث: غزوات وسرايا دفاعية ١٠٥-١١٦

١٠٧	غزوات وسرايا
١٠٧	غزوة بني سليم
١٠٨	غزوة السوق
١٠٩	غزوة ذي أمر
١١٠	سرية القردة
١١٠	ملاحظات على ماتقدم: الف: الاعمى والقضاء
١١١	باء: من أهداف تلك السرايا والغزوات
١١٢	جيم: الخمس
١١٣	دال: العتق... والصلاة..
١١٣	هاء: التورية في الغزوات
١١٤	واو: قریش في مواجهة الاخطار
١١٤	زاي: مناقشة قضية دعثور

## الفصل الرابع: غدر اليهود.. ومرحلة الاغتيالات المنظمة ١١٧ - ١٤٢

١١٩	مع عقائد اليهود وآثارها
١٢٢	من أسباب عداة اليهود للاسلام

١٢٤	اليهود في مواجهة الاسلام
١٢٧	موقف النبي (ص) من اليهود
١٢٨	العمليات العسكرية في مرحلتين
١٢٩	الاغتيالات المنتظمة ١ - قتل أبي عفك
١٣٠	٢ - قتل العصماء بنت مروان
١٣١	٣ - قتل كعب بن الاشرف
١٣٣	٤ - قتل ابن سنيينة
١٣٤	٥ - قتل أبي رافع
١٣٥	ألف: الاسلام قيد الفتك
١٣٦	باء: رعب اليهود
١٣٧	جيم: مع موقف عمير في أصلاته ونبله
١٣٩	دال: ابن الاشرف وأبوسفیان
١٣٩	هاء: تساؤل حائر
١٤٠	واو: التنافس القبلي
١٤١	زاي: جهل وغرور ابن الاشرف
١٤١	حاء: الاسلام والانسان

## الفصل الخامس:

### ١٤٣-١٥٥ حروب علنية بين المسلمين واليهود

١٤٥	قريش تحرض اليهود على نقض العهد
١٤٥	تصعيد التحدي
١٤٨	الف: نزول الآية في ابن أبي
١٤٨	حقيقة القضية

١٤٩	باء: حول الراية
١٥٠	جيم: الخمس
١٥١	دال: بعض أهداف ونتائج حرب بني قينقاع
١٥٢	هاء: الحجاب
١٥٢	واو: الغرور والايمن
١٥٣	زاي: الاستجابة لابن أبي
١٥٣	حاء: البدء ببني قينقاع

## الباب الثامن غزوة أحد.. وحتى السنة الرابعة

٢٠٦-١٥٩	الفصل الأول: قبل نشوب الحرب
١٦١	غزوة أحد: أجواء ومواقف
١٦٢	جيش المشركين الى أحد
١٦٤	وصول الخبر الى المدينة
١٦٥	الف: سؤال يحتاج إلى جواب
١٦٥	باء: المشركون.. وأزمة الثقة
١٦٨	المشركون في طريق المدينة
١٧٠	النبي (ص) يستشير أصحابه
١٧٢	الف: هل النبي (ص) يحتاج الى رأي أحد
١٧٥	باء: من اهداف استشارته أصحابه
١٧٦	جيم: وأما الجواب عن السؤال الثاني
١٧٧	ملاحظة: الشورى لمن؟
١٧٧	دال: نظرية خلافة الانسان وشهادة الانبياء



١٨٠	مناقشة ماتقدم
١٨٥	هاء: ماهورأي النبي (ص) في أحد
١٨٩	واو: لبس لامة الحرب يعني القتال
١٩١	زاي: من الاكاذيب
١٩٢	عقدالاولية
١٩٣	اللواءمع علي (ع) فقط
١٩٧	عدة وعددالمسلمين
١٩٧	رجوع المنافقين
١٩٨	الخيانة... وآثارها
٢٠٠	سؤال.. وجوابه
٢٠٢	بقي امران
٢٠٢	ارجاع الصغار... والحراسة
٢٠٣	الريب فيما نقل عن سمرة
٢٠٥	الشك في قصة ذكوان

## ٢٠٧ - ٢٥٤

## الفصل الثاني: نصر وهزيمة

٢٠٩	التعبئة للقتال
٢١٠	الف: المظاهرة بين درعين
٢١٠	باء: المنطق القبلي لدى أبي سفيان
٢١١	أبودجانة والسيف.
٢١١	ملاحظات على هذه الرواية.
٢١٣	نشوب الحرب وقتل أصحاب اللواء
٢١٥	الف: بنو مخزوم.. وأهل البيت
٢١٦	باء: الزبير والمقداد على الخيل

٢١٦	حيم: اخلاص علي
٢١٧	دال: من قتل اصحاب اللواء؟
٢١٨	هاء: مبارزة أبي بكر لولده
٢٢١	هزيمة المشركين:
٢٢٢	الف: لماذا لم يسب من نساء قريش أحد
٢٢٣	باء: مقارنة
٢٢٤	الهزيمة بعد النصر
٢٢٦	الرسول (ص) يدعوهم في أنحراهم
٢٢٦	علي (ع) وكتائب المشركين
٢٢٨	ألف: استشهاد حمزة رضوان الله عليه
٢٢٨	استطراد حول وحشي
٢٣١	باء: هل يدعو النبي (ص) على قومه؟
٢٣٣	استطراد هام
٢٣٥	ولا تذهب نفسك عليهم حسرات
٢٣٦	لم يثبت في أحد غير علي (ع)
٢٣٧	إنه مني... وأنا منه
٢٣٩	لا سيف الاذوالفقار
٢٤١	الفازون في أحد
٢٤١	فرار سعد
٢٤٢	فرار طلحة
٢٤٣	فرار أبي بكر
٢٤٦	فرار عمر
٢٤٨	فرار الزبير وعثمان
٢٤٩	لم يثبت من المهاجرين سوى علي (ع)
٢٥٠	سرا الاختلاف فيمن ثبت

٢٥٠	ثبات أبي دجانة
٢٥١	تأويلات سقيمة للفرار
٢٥٢	لماذا كانت الهزيمة

٢٩٣—٢٥٥

## الفصل الثالث: في موقع الحسم

٢٥٧	الرعب القاتل
٢٥٨	عودة المسلمين الى القتال
٢٥٩	مواقف و بطولات
٢٥٩	أبودجانة
٢٦٠	٣ — ام عمارة ومقام فلان وفلان
٢٦٣	جهاد المرأة
٢٦٣	ملاحظة
٢٦٤	٤ — حنظلة الغسيل
٢٦٧	٥ — عبد الله بن جحش
٢٦٨	مواقف و بطولات سعد الموهومة
٢٧٠	إشارة هامة
٢٧١	كرامات طلحة
٢٧٤	إشارة هامة
٢٧٥	تجميع القوى واعادتها الى مراكزها
٢٧٩	الف: النبي (ص) والمسلمون في الجبل
٢٨٣	باء: روايات لم تثبت
٢٨٣	جيم: عمرفي قفص الاتهام
٢٨٥	العباس في أحد
٢٨٦	من مشاهد الحرب

٢٨٨

ملاحظات

٢٩٠

الصبر في الجهاد

٢٩٥ - ٣٣٠

## الفصل الرابع: بعد ما هبت الرياح

٢٩٧

ما جرى على حمزة والشهداء

٣٠٠

الف: موقف الرسول (ص) من المثلة بجمزة

٣٠٦

ما هو الصحيح في هذه القضية

٣٠٧

باء: هند.. وكبد حمزة

٣٠٧

جيم: المنع عن البكاء على الميت

٣١٠

دال: حزن النبي (ص) على حمزة

٣١٢

هاء: موقف أبي سفيان من قبر حمزة

٣١٢

واو: مواساة الانصار للنبي (ص)

٣١٣

زاي: صبر صافية

٣١٣

التعصيب

٣١٤

الصلاة على شهداء أحد وتغسيلهم، ودفنهم

٣١٥

اشارة هامة: لماذا تقديم الأقرأ

٣١٦

انا شهيد على هؤلاء

٣١٧

عدد شهداء أحد

٣١٨

زيارة القبور

٣١٩

عدد قتلى المشركين

٣١٩

اكثر القتلى من علي عليه السلام

٣٢٠

أويس القرني.. في احد

٣٢١

صافية... واليهودي

٣٢١	بعض الحكم في معركة أحد
٣٢٢	من مشاهد العودة الى المدينة
٣٢٣	علي (ع) يناول فاطمة (ع) سيفه
٣٢٤	والصحيح في القضية هو
٣٢٥	شماتة المنافقين وسرورهم بنتائج أحد
٣٢٥	الف: التحيص
٣٢٦	باء: أجواء النفاق ودوافعه
٣٢٧	جيم: أسئلة حائرة تنتظر الجواب

## الفصل الخامس :

### غزوة حمراء الاسد .. وإلى السنة الرابعة ٣٣١-٣٤٥

٣٣٣	قر يش تفكر في المدينة ثم تعدل عنها
٣٣٤	غزوة حمراء الاسد
٣٣٧	أسيران يقعان في أيدي المسلمين
٣٣٩	دوافع حمراء الاسد ونتائجها
٣٤١	قتل الاسيرين
٣٤٢	وفاة ام كلثوم .. وملابساتها
٣٤٦	كلمة ختامية
٣٤٩	الفهارس
٣٤٩	مصادر ومراجع الكتاب
٣٧١	محتويات الكتاب إجمالاً
٣٧٣	محتويات الكتاب بالتفصيل

## كتب مطبوعة للمؤلف

- ١ - حياة الامام الرضا (السياسية) باللغتين : العربية والفارسية
  - ٢ - حديث الافك : (تاريخ ودراسة)
  - ٣ - ابن عباس واموال البصرة
  - ٤ - دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام (جزءان)
  - ٥ - الزواج الموقت في الاسلام (المتعة)
  - ٦ - ماهو الصحيح في سيرة النبي (ص) (أربعة أجزاء)
- وهو هذا الكتاب









Princeton University Library



32101 066594423

دار الفکر